المؤتمر الدولي العاشر

دور العلوم العربية والإسلامية

في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي

في الفترة من ٨- ٩ يونيو ٢٠٢١م

تحت رعاية

الأستاذ الدكتور/خالد عبد الغفار
وزير التعليم العالي والبحث العلمي

الأستاذ الدكتور/ مصطفى عبد النبي
رئيس جامعة المنيا

الأستاذ الدكتور/ عصام الدين صادق فرحات
نائب رئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب
والمشرف على الكلية

رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرحمن الريحاني

المجلد الثاني

الترقيم الدولي

ISSN (2735- 4369)

لجنة التحكيم:

النحو والصرف والعروض

أ.د/ محمد عبد الرحمن الريحاني

أ.د/ ممدوح محمد عبد الرحمن

أ.د/ رجب محمود سليمان

الدراسات الأدبية

أ.د/ محمد عبد الله حسين

أ.د/ عبد الجواد شعبان الفحام

أ.د/ سعيد الطواب محمد

أ.د/ عصام خلف كامل

أ.د/ سوسن ناجي رضوان

أ.د/ شهير أحمد دكروري

البلاغة والنقد الأدبي

أ.د/ حافظ محمد جمال الدين

أ.د/ مصطفى بيومي عبد السلام

الشريعة الإسلامية

أ.د/ محمد عبد الرحيم محمد

أ.د/ عزت شحاتة كرار

أ.د/ زاهر فؤاد محمد

الفلسفة الإسلامية

أ.د/ محمد علي الجندي

أ.د/ سيد عبد الستار ميهوب

أ.د/ السيد محمد سيد

أ.د/ محمد سلامة عبدالعزيز

علم اللغة

أ.د/ أحمد عارف حجازي

أ.د/ عيسى شحاتة عيسى

أ.د/ أشرف عبد البديع عبدالكريم

اللجنة المنسقة للمؤتمر:

د/ محمدي صالح عطية

أ/ وائل نبيل أنس

المحتوى

م	الموضوع	الصفحة
	رابعًا : الدراسات الفقهية :	
١.	**تحقيق السلم المجتمعي في ظل الخلاف الفقهي** دكتور/ عبدالله بن ناصر محمد سلطان	٥-٣٠
٢.	**التدابير الفقهية والأصولية لتحقيق الأمن الفكري** دكتور/ ربيع محمد محمد عبدالرحمن	٣١-٦٨
٣.	**دور الدرس الفقهي في تعزيز الأمن الفكري في جامعة القصيم واتجاهات الطلاب نحوه** دكتور/ علي بن محمد ربابعة دكتورة/ زينب زكريا معابدة	٦٩-١١٠
٤.	**الأحكام الفقهية وأثرها على الأمن الفكري للفرد والمجتمع** دكتورة/ دلال علي عبد الله الحمادي	١١١-١٥٠
٥.	**دور الاقتصاد الإسلامي في تحقيق أمن المجتمع وسلامته "الضمان الاجتماعي أنموذجًا"** دكتور/ مصطفى إبراهيم محمود محمد	١٥١-١٦٨
٦.	**أصول الفقه أسلوب حياة** دكتورة/ وفاء عبد العزيز أحمد عبد العزيز	١٦٩-١٨٠
	خامسًا : دراسات بلاغية :	
٧.	**إقصاء الآخر في شعر النقائض، والشعر السياسي في عصر بني أمية ــ دراسة نقدية** دكتور/ فلاح بن مرشد بن خلف العتيبي	١٨٣-٢٠٦

م	الموضوع	الصفحة
٨.	المنظوم من معاني كلام رسـول الله – صلَّى الله عليه وسلم- على لسان الشعراء (كتاب جامع بيان العلم وفضله ، لأبي عمر، يوسف ابن عبد البر ت: ٤٦٣هـ أنموذجًا). الباحثة/ إسراء محمد محمود الجبالي	٢٠٧-٢٢٨
٩.	الكتابة النّسوية بين ثنائية التّحدي والممارسة. الدكتورة / يمينة بن سويكي	٢٢٩-٢٥٨
١٠.	دور الشعر في تصويب الفكر وتحقيق السلام الأستاذ/ موسى حبيب	٢٥٩-٢٧٦
	سادسًا : جهود العلماء في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي :	
١١.	جهود علماء الأزهر في مواجهة الفكر المنحرف دكتور/ محمد البهي نموذجًا الأستاذ الدكتور/ محمد محمد محمد عيسى	٢٧٩-٣٠٦
١٢.	جهود أعلام الفقه والأصول دكتور/ محمد نايف اللحام	٣٠٧-٣٥٨
١٣.	السنّة النبويّة ودورها في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلم المجتمعي من خلال الصحيحين دكتور/ عبدالرحمن بن عمر أحمد المدخلي	٣٥٩-٣٩٠
١٤.	وسطية الهدي النبوي وأثره في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بن حماد الريس	٣٩١-٤٢٦

رابعًا :

الدراسات الفقهية

تحقيق السلم المجتمعي في ظل الخلاف الفقهي

دكتور/ عبدالله بن ناصر محمد سلطان
الأستاذ المساعد بقسم الشريعة بجامعة نجران
وكيل كلية الشريعة وأصول الدين للتطوير والجودة بجامعة نجران

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، صلى الله عليه وسلم ،وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،

فقد أصبح السلم المجتمعي الهاجس الأكبر في حياة الأفراد والمجتمعات؛ إذ الحاجة للسلم بمفهومه الواسع لا يستغني عنه أحد من البشر، لاسيما أولئك الذين يعانون من مخاوف اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية ونحوها.

فإن المجتمعات وأفرادها ينشدون الحياة الكريمة التي تكفل لهم نيل الحقوق وممارسة الحريات، ولا يتأتى ذلك مع انعدام الأمن، والتعايش السلمي في المجتمع، إذ هو أهم الحقوق التي تكفل للفرد والمجتمع العيش بكرامة، وهو نقيض لحالة الفوضى، فالحياة لا تهنأ، والحضارة لا تزدهر في ظل غيابهما، فإذا انعدما، حدث خلل في الحياة، وأصبح من الصعوبة بمكان العيش في هذا المجتمع، وسادت فيه مظاهر التناحر، والاختلاف، والاضطراب.

وقد روى سَلَمَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيّ ، عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[1].

---

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد (ح٣٠٠)، والترمذي في سننه (ح٢٣٤٦) وقال : حسن غريب.

وفي إطار تحقيق السلم المجتمعي، جاءت الشريعة الإسلامية؛ لتشيع في ميدان المجتمع معاني السلام، والمحبة، والأخوة، والرحمة، وما يمكن أن يلخص بشعور الجسد الواحد.

وقصدت الشريعة الإسلامية بسماحتها، وحكمتها في تشريعها، إلى توفير قاعدة أساسية مشتركة، من خلال حفظ الكليات الضرورية المتمثلة في الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وما ينبني عليها من مبادئ وقيم، تعتبر ضرورية لتحقيق الاستقرار، والتفاهم، والتعايش بين أفراد المجتمع؛ إذ أن أمن المجتمع وسلامته، من أهم مقاصد الشريعة، يقول ابن القيم: " فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه"[1].

وإن من صور التحديات التي تواجه السلم المجتمعي، ويشكل اختباراً عملياً لمدى تحققه في المجتمع ورسوخه، هو ظاهرة الخلاف الفقهي، وما قد ينتج عن الخوض فيه بغير علم، وبصيرة من التعصب الممقوت، من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم، تعصباً يخرج عن حدود الاعتدال، ويظل بأصحابه إلى الطعن في المذاهب الأخرى وعلمائها، وما ينشأ عن ذلك من مشكلات مجتمعية، وإثارة للفتنة بين الناس.

من هنا استشعر الباحث أهمية بحث (تحقيق السلم المجتمعي في ظل الخلاف الفقهي)، وأن يسهم في تنمية الوعي لدى الفرد والمجتمع، حول ظاهرة الخلاف الفقهي، وكيفية التعامل معها من منظور الشريعة الإسلامية، التي أتت لرعاية مصالح الخلق في كل زمان ومكان، بما ينعكس على السلم المجتمعي، بالرعاية والاستقرار، وتحقق الرحمة لهذه الأمة.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من خلال:

- أهمية استقرار المجتمع ورعايته وتحقق السلم المجتمعي فيه.

---

(1) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١١).

- اهتمام الشريعة الإسلامية بتحقيق السلم المجتمعي وأمنه، وكونه مقصداً من أعظم مقاصدها.
- أهمية الوعي الفقهي وأثره في تحقيق السلم المجتمعي واستقراره.

مشكلة البحث:

يسعى الباحث من خلال البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هي سبل تحقيق السلم المجتمعي في ظل الخلاف الفقهي؟
- ما هي آثار الخلاف الفقهي على السلم المجتمعي؟

أهداف البحث:

١. إلقاء الضوء على أهمية السلم المجتمعي، ومهدداته، وآثار انعدامه.
٢. التعرف على سبل تحقيق السلم المجتمعي في ظل الخلاف الفقهي.
٣. دراسة آثار الخلاف الفقهي على السلم المجتمعي.

خطة البحث:

وتشتمل على: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث، ومشكلته، وأهدافه، وثم خطة البحث.

التمهيد: ويتضمن:

- المطلب الأول: معنى الخلاف الفقهي.
- المطلب الثاني: معنى السلم المجتمعي.

المبحث الأول: التعامل مع الخلاف الفقهي:

- المطلب الأول: نشأة الخلاف الفقهي.
- المطلب الثاني: أنواع الخلاف الفقهي.
- المطلب الثالث: كيفية التعامل مع الخلاف الفقهي.

المبحث الثاني: آثار الخلاف الفقهي على السلم المجتمعي:

- المطلب الأول: التمذهب.
- المطلب الثاني: التعصب.
- المطلب الثالث: الفتوى.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المراجع.

التمهيد

المطلب الأول- معنى الخلاف الفقهي.

الخلاف في اللغة: هو بمعنى الاختلاف، ومادته "خلف" قال ابن فارس: (خلف) الخاء واللام والفاء أصولٌ ثلاثة: أحدُها أن يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامَه، والثاني خِلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر.(١)

والمعنى الأول هو الأنسب لما نحن بصدد تعريفه، حيث يقول ابن فارس: وأمّا قولهم: اختلفَ النَّاسُ في كذا، والناس خلْفَةٌ أي مختلِفون، فمن الباب الأوّل؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يُنَحِّي قولَ صاحبه، ويُقيم نفسَه مُقام الذي نَحّاه.(٢)

وقال الراغب الأصفهاني: الاختلافُ والمخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلَاف أعمّ من الضّدّ، لأنّ كلّ ضدّين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدّين، ولمّا كان الاختلاف بين النّاس في القول، قد يقتضي التّنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: (فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ) [مريم:٣٧]، (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)[هود:١١٨].(٣)

وأما في الاصطلاح: فيراد به مطلق المغايرة في القول، أو الرأي، أو الحالة، أو الهيئة، أو الموقف.(٤)

ويقصد به هنا ما لا يتفق عليه الفقهاء في مسائل الاجتهاد، بغض النظر عن صواب، أو خطأ، أو شذوذ الرأي، الذي يقال، ويستعمل الفقهاء في هذا المعنى كلاً من لفظي الخلاف والاختلاف على حد سواء.(٥)

المطلب الثاني- معنى السلم المجتمعي.

أولاً- تعريف السلم المجتمعي في اللغة:

السلم في اللغة: السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢١٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/٢١٣).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٩٤).

(٤) انظر: أدب الاختلاف في الإسلام لطه العلواني (ص: ٢٤).

(٥) انظر: الخلاف في الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان (ص: ٧).

ومن معاني السِلم الصلح، وضد الحرب، قال الله تعالى: (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا)[الأنفال:٦١]، ومنه المُسالِمُ، تقول: أنا سِلْمٌ لمن سالمني.(١)

قال الراغب الأصفهاني: السِّلْمُ والسَّلَامَةُ: التّعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة.(٢)

المجتمعي: نسبة إلى لمجتمع، وهو اسم مفعول من اجتمعَ، قال ابن فارس: الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، تقول: جمعت الشيء المتفرق فاجتمع، ويقال للمُزْدَلِفَةِ: جَمْعٌ، لاجتماع الناس فيها.(٣)

والمجتمع هو: جماعة من النَّاس، تربطها روابط، ومصالح مشتركة، وعادات، وتقاليد، وقوانين واحدة.(٤)

ثانياً- تعريف السلم المجتمعي في الاصطلاح:

عُرف هذا المصطلح في العصر الحديث، لذا لم يعرفه القدامى، وقد عرفه بعض المعاصرين ومن هذه التعريفات:

تعريف البديوي حيث عرفه بأنه: " توافر الاستقرار، والأمن، والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما، أو بين مجتمعات أو دول"(٥).

وعرفه الغروي بقوله: "هو ذلك التعايش والاستقرار التام بين شعوب، وأعراق، مناطق مختلفة، نتيجة التفاهم، وحسن الجوار، واحترام الرأي الآخر، وتقبل تعايش الأقليات مع بعضها، وحل المشاكل بالاتفاق دون عنف"(٦).

وعرفه آخرون بأنه: " الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان فرداً، أو جماعةً، في سائر ميادين العمران الدنيوي، بل وأيضاً في المعاد الأخروي، فيما وراء هذه الحياة الدنيا(٧)".

---

(١) انظر: الصحاح (٥/ ١٩٥١)، معجم مقاييس اللغة (٣/ ٩٠- ٩١)، لسان العرب (١٢/ ٢٩٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٢١).

(٣) انظر: الصحاح (٣/ ١١٩٨)، معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٧٩)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٩٦).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٩٦).

(٥) انظر: السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية لمحمد المومني (ص: ١٢٠).

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر: الإسلام والأمن الاجتماعي لمحمد عمارة (ص:١٢).

المبحث الأول- التعامل مع الخلاف الفقهي

المطلب الأول- نشأة الخلاف الفقهي.

يمكننا القول بأن نشأة الخلاف الفقهي بدأت في عصر الخلفاء الراشدين، أي بعد وفاة النبي ﷺ، وتطور بعد ذلك، حيث إن النبي ﷺ كان في زمنه هو المرجع في الفتيا والقضاء، وهو المبلغ عن الله تعالى أحكام الإسلام، فكانت الأحكام الشرعية تتنزل على النبي ﷺ بلفظها ومعناها - وهو القرآن- ، أو بمعناها فقط - وهي السنة- ، ثم يقوم النبي ﷺ بتبليغها للناس؛ لذا فإن مصدر الأحكام الشرعية في هذا عصر النبي ﷺ هو الوحي فقط، والفقه في هذا العصر هو فقه الوحي.(١)

ولم يكن الاجتهاد في زمن النبي ﷺ - رغم وجوده وثبوته - مصدراً للتشريع مستقلاً عن الوحي، حيث كان مرده في جميع حالاته إلى الوحي، وحيث إنه لا اجتهاد، فلا خلاف، ولا تعدد للأقوال في المسألة الواحدة.(٢)

ثم بعد وفاة النبي ﷺ، استجدت وقائع وأحداثا، لم تكن على عهد النبي ﷺ ،فكان لابد من معرفة حكم الله تعالى فيها، فاجتهد فقهاء الصحابة ﷺ في معرفة أحكام هذه الوقائع والمسائل الجديدة، واستعملوا آراءهم على ضوء قواعد الشريعة، ومبادئها العامة، ومعرفتهم بمقاصدها، وهكذا ظهر الاجتهاد بالرأي، كمصدر مستقل للفقه، بعد أن لم يكن موجوداً في عصر النبي ﷺ(٣).

وإذا وجد الاجتهاد، فلابد أن يتبعه اختلاف، أو اتفاق، فما كان أحد من فقهاء الصحابة ﷺ يقطع بأن ما وصل إليه هو حكم الله تعالى، وإنما كان يقول: هذا رأيي، فإن يكن صواباً، فمن الله، وإن يكن خطأ فمن نفسي، والله ورسوله بريئان منه.

وكذلك ما كانوا يلزمون غيرهم بالأخذ بآرائهم، فلكل رأيه واجتهاده، يدل على ذلك ما روي أن عمر بن الخطاب، لقي رجلاً. فقال له: ما صنعت؟ قال: قضى علي، وزيد بكذا، فقال لو كنت أنا لقضيت بكذا. قال فما منعك والأمر إليك؟ قال:

---

(١) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية لعبد الكريم زيدان (ص:١٠٣).

(٢) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (ص١٠٩- ١١٠)، تاريخ الفقه الإسلامي لفرفور (ص:٢١).

(٣) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (ص:١١٢).

لو كنت أردك إلى كتاب الله، أو سنة نبيه- صلى الله عليه وسلم- لفعلت، ولكني أردك إلى رأي، والرأي مشترك. فلم ينقض ما قال علي وزيد[1] [2].

ورغم اختلاف فقهاء الصحابة ﷺ في هذا العصر، إلا أن اختلافهم لم يكن كثيراً، بل قليلاً؛ لأن الاجتهاد في عصرهم، كان يأخذ شكل الشورى، لاسيما في زمن أبي بكر، وعمر، ومع بقاء كبار الصحابة بالمدينة، وهذا المسلك يقرب وجهات النظر، ويقضي على الاختلاف في معظم الأحيان.

كما أن الاجتهاد والاستنباط في هذا العصر، كان واقعياً من غير توسع، بمعنى أنهم ما كانوا يفرضون المسائل، ثم يبحثون عن حكمها، وإنما يفتون في الحادثة إذا وقعت، وظهرت الحاجة إلى معرفة حكمها؛ مما جعل الإفتاء قليلاً، ومع قلة الإفتاء، يقل الاختلاف، وكذلك كانوا يتدافعون الفتيا، ولا يتهجمون عليها، ويحبون لو كفاهم غيرهم، ومع قلة المفتين يقل الاختلاف [3].

ثم اتسع الخلاف الفقهي بعد عصر الصحابة اتساعاً كبيراً، بعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية، واختلاف هذه البلدان في العادات، والتقاليد، والأحوال الاجتماعية، والاقتصادية، وتفرق الفقهاء في هذه الأمصار، وكذلك ظهور المدارس، والمذاهب الفقهية، بعد ذلك، وكثرة النوازل والمستجدات التي يلزم الحكم فيها، إما بالنص، وإما بالاستنباط، كل ذلك ساهم في اتساع الخلاف الفقهي، ولم يزل حتى يومنا هذا [4].

المطلب الثاني- أنواع الخلاف الفقهي.

تعددت أنواع الخلاف الفقهي، وتنوعت في نظر الفقهاء، وذلك بحسب اعتباراتٍ مختلفة، أذكر من هذه الاعتبارات أهمها وهي:

أولاً: أنواع الخلاف من حيث حقيقة الخلاف وعدمه.

والثاني: أنواعه من حيث اعتبار الخلاف وعدمه.

---

(1) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله هكذا دون إسناد (١٦١٤) (٢/ ٨٥٤).

(2) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (ص:١٢٠)، تاريخ الفقه الإسلامي (ص:٢٥).

(3) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (ص:١٢٤)، تاريخ الفقه الإسلامي (ص:٧٦).

(4) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (ص:١٢٧).

وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً- أنواع الخلاف الفقهي من حيث حقيقة الخلاف وعدمه

إن من آكد الأمور المتعلقة بالخلاف تحرير النزاع، وذلك للتحقق من وجود الخلاف ولاستبعاد ما ظاهره خلاف، وليس في الحقيقة كذلك، إذْ ليس كل تعارض بين قولين يعتبر خلافاً حقيقياً، فإن الخلاف قد يكون خلافاً لفظياً غير حقيقي، كخلاف التنوع. أما ما يعد خلافاً حقيقياً، فهو ما يعرف بخلاف التضاد، وإليك بيان هذين النوعين:

النوع الأول- خلاف التنوع:

بعض المسائل الخلافية في العبادات، يأخذ فيها الخلاف صورة التنوع، وليس صورة التضاد، فكل واحد من القولين، أو الفعلين حقاً مشروعاً، إذ ليس كل قول منها يمثل حقاً في مواجهة باطل، لذا لا ضير من إقرار مثل هذا الخلاف، ثم التنقل في التطبيق بينه جميعه [(١)].

وقد قسم ابن تيمية - رحمه الله- الخلاف إلى خلاف تنوع، وتعدد، وخلاف تضاد، وتغاير، وقد رجح مشروعية العمل بكل وجوه الخلاف، فيما هو من قبيل اختلاف التنوع - كلما أمكن ذلك، على أن يجتنب التركيب، باستحداث صورة جامعية، لم يرد الشرع بها [(٢)].

ويسمي ابن سريج هذا النوع من الخلاف، بالخلاف المباح، وقد ذهب الإمام الزركشي - رحمه الله- فيما إذا اختلفت الروايات في إيقاع العبادات على أوجه متعددة، إلى أن هناك رأيين:

- الترجيح باختيار أحدهما، وهي طريقة الإمام الشافعي غالبًا.
- الجمع، بفعلها في أوقات، باعتبار هذا الاختلاف من الجنس المباح، وهي طريقة ابن سريج.

وأمثلة ذلك: الأحاديث الواردة في دعاء الاستفتاح، وأحاديث التشهد، وكيفية قبض أصابع اليمنى على الركبة في التشهد.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٩).

(٢) انظر: منهجية المقارنة بين المذاهب الفقهية، د.عبد الستار أبو غدة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد ١١، (ص٧٥٣- ٧٥٤)، مجموع الفتاوى (٢٤/٢٤٢).

قال ابن الصباغ: كيفما فعل من هذه الهيئات، فقد أتي بالسنة، لأن الأخبار قد وردت بها جميعًا، وكأنه - صلى الله عليه وسلم- كان يصنع هكذا مرة، وهكذا مرة.[١]

النوع الثاني- خلاف التضاد:

وهو الخلاف الحقيقي الذي يقتضي فيه أحد القولين، أو الأقوال، ضد ما يقتضيه الآخر، فيتنافى القولان من كل وجه، ويترتب عليه آثار شرعية مختلفة، وأحكام متباينة، وذلك كالخلاف في مسألة ما يقع بالطلاق بالثلاث مجتمعة.

وهذا مبني على القول بأن المصيب واحد، وإلا فمن قال: "كل مجتهد مصيب، فكلا أمرين عنده من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد[٢].

ثانياً- أنواع الخلاف الفقهي من حيث اعتبار الخلاف وعدمه

ينقسم الخلاف الفقهي من حيث اعتبار الخلاف وقبوله، إلى خلاف معتبر وسائغ، وخلاف غير معتبر، وغير سائغ، فما كان من أهله، وفي محله، فهو معتبر، وتضفى عليه المشروعية، ويجب العمل بموجبه، بخلاف الآخر.

النوع الأول- الخلاف المعتبر:

وهو خلاف المجتهدين من فقهاء، ومفتين، وحكام، في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الاجتهاد والاختلاف، وهي التي لا يوجد فيها نص قطعي، أو لم يرد فيه دليل أصلاً[٣].

وهو محل الاجتهاد المعتبر الذي تترد فيه المسألة المختلف فيها، بين طرفين، ويظهر في كل منهما قصد الشارع في الإثبات، في أحدهما والنفي في الآخر[٤].

قال الزركشي رحمه الله: "وأما التي يسوغ فيها الاجتهاد، فهي المختلف فيها، كوجوب الزكاة في مال الصبي، ونفي وجوب الوتر وغيره، مما عدمت فيها النصوص

---

(١) انظر: منهجية المقارنة بين المذاهب الفقهية، مجلة المجمع العدد ١١، ص٧٥٣.

(٢) انظر: منهجية المقارنة بين المذاهب الفقهية، مجلة المجمع العدد ١١، ص٧٢٩، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥١).

(٣) انظر: الخلاف في الشريعة الإسلامية (ص:٢٠).

(٤) انظر: الموافقات (٥/١١٤).

في الفروع، وغمضت فيها الأدلة، ويرجع فيها إلى الاجتهاد، فليس بآثم. - أي المجتهد المخطئ- قال ابن السمعاني: ويشبه أن يكون سبب غموضها امتحاناً من الله لعباده؛ ليتفاضل بينهم في درجات العلم، ومراتب الكرامة، كما قال تعالى: (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ)[المجادلة:١١]، (وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾)[يوسف:٧٦]"[(١)].

النوع الثاني: الخلاف غير المعتبر:

وهو الخلاف الذي يكون في مقابل النص القطعي، أو كان سببه البغي، والحسد، وإرادة العلو في الأرض، ونحو ذلك، أو كان سببه الجهل، والظلم[(٢)].

وقال الشاطبي: فأما القطعي، فلا مجال للنظر فيه بعد وضوح الحق، في النفي، أو الإثبات، وليس محلاً للاجتهاد[(٣)].

وقال الزركشي: "والتي لا يسوغ فيها الاجتهاد، وهي التي أدلتها قاطعة فيها، فإنا نعلم بالضرورة أنها من دين النبي - عليه الصلاة والسلام - كوجوب الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وتحريم الزنى، والخمر"[(٤)].

المطلب الثالث- كيفية التعامل مع الخلاف الفقهي.

والمراد بالكلام هنا عن الخلاف الفقهي السائغ والمعتبر شرعاً، فلا ينبغي أن يكون سبباً للتَّفرق، والتَّخاصم، والتَّحزُّب، والتَّعصب.

قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا النوع من الاختلاف لا يوجب معاداة، ولا افتراقاً في الكلمة، ولا تبديداً للشَّمل، فإنَّ الصَّحابة - رضي الله عنهم- اختلفوا في مسائلٍ كثيرةٍ من مسائل الفروع: كالجد مع الإخوة، وعتق أم الولد بموت سيدها، ووقوع الطَّلاق الثَّلاث بكلمةٍ واحدةٍ، وفي بعض مسائل الرِّبا، وفي بعض نواقض الوضوء، وموجبات الغسل، وبعض مسائل الفرائض وغيرها، فلم ينصب بعضهم لبعض العداوة، ولا قطع بينه وبينه عصمة، بل كان كُلُّ منهم يجتهد في نصر قوله، بأقصى ما يقدر، ثُمَّ يرجعون بعد المناظرة إلى الأُلفة، والمحبة، والمصافاة، والموالاة من غير أن

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه (٨/ ٢٨٢).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٨).

(٣) انظر: الموافقات (٥/١١٤).

(٤) البحر المحيط في أصول الفقه (٨/ ٢٨١).

يُضمر بعضُهم لبعض ضغناً، ولا ينطوي له على معتبة ولا ذم، بل يدلُّ المستفتي عليه مع مخالفته له، ويشهد له بأنَّه خيرٌ منه، وأعلم منه"[1].

فهذا الاختلاف لا يصير مذموماً، إلا إذا أدَّى إلى التّفرُّق، والتَّباغض، ولذلك لم تأت النُّصوص الشَّرعية بذمٍّ مطلق الاختلاف، بل بذمِّ الخلاف المؤدِّي إلى التَّفرُّق، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥]. وقال: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣].

فالاختلاف واقع، لكن الممنوع هو التَّفرُّق، والتَّباغض، والكره، يقول ابن القيم - رحمه الله- : "ووقوع الاختلاف بين النَّاس أمرٌ ضروريٌّ لا بُدَّ منه؛ لتفاوت إراداتهم، وأفهامهم، وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغيُ بعضهم على بعضٍ وعدوانه، وإلَّا فإذا كان الاختلاف على وجهٍ لا يؤدِّي إلى التَّباين والتَّحزُّب، وكُلٌّ من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله، لم يَضر ذلك الاختلاف، فإنَّه أمرٌ لا بُدَّ منه في النَّشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدةً، وهي الوصول للحقِّ، ورضا الله، والطَّريق المسلوكة واحدة، لم يكد يقع اختلافٌ، وإن وقع كان اختلافاً، لا يضر كما تقدَّم في اختلاف الصَّحابة، فإنَّ الأصل الذي بنوا عليه واحدٌ: وهو كتاب الله وسنة رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم- والقصد واحدٌ، وهو طاعة الله ورسوله، والطَّريق واحدٌ، وهو النَّظر في أدلَّة القرآن والسُّنَّة، وتقديمها على قول، ورأي، وقياس، وذوق، وسياسة"[2].

ولذلك كان السَّلف - رحمهم الله تعالى- أحرص النَّاس على الوفاق، واجتماع الكلمة، مع اختلافهم في الرَّأي، فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلَّى عثمان بمنى أربعاً، فقال عبد الله - يعني ابن مسعود- : صلَّيتُ مع النَّبيِّ - صلَّى الله

(1) انظر: الصواعق المرسلة (٢/٥١٧- ٥١٨).

(2) انظر: الصواعق المرسلة (٢/٥١٩).

عليه وسلَّم- ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين، قال: فقيل له: عبت على عثمان، ثُمَّ صلَّيتَ أربعاً؟ قال: الخلاف شرٌّ"[(١)].

ولذلك قال شيخ الإسلام: " ويسوغ أن يترك الإنسان الأفضل؛ لتأليف القلوب؛ واجتماع الكلمة"[(٢)]، وقال يونس الصَّدَفي: "ما رأيت أعقل من الشَّافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثُمَّ افترقنا، ولقيته، فأخذ بيدي، ثُمَّ قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق في مسألة"، قال الذَّهبي: "هذا يدلُّ على كمال عقل هذا الإمام، وفقهِ نفسه، فما زال النُّظراء يختلفون"[(٣)].

مسألة- لا إنكار في مسائل الخلاف السَّائغ

لقد ذهب العلماء إلى أنَّه لا يُنكر على المجتهد اجتهاده في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، ولا يُنكر أيضاً على من قلد مجتهداً، فيما أداه إليه اجتهاده، قال سفيان الثَّوري: "إذا رأيت الرَّجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه، وأنت ترى غيره فلا تنهه"[(٤)]، وقال اللَّيث بن سعد: "ما برح أُولوا الفتوى يفتون، فيُحل هذا، ويحرِّم هذا، فلا يرى المحرِّم أنَّ المحلَّ هلك لتحليله، ولا يرى المحلُّ أن المحرِّم هلك لتحريمه"[(٥)].

وقال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد، هل ترى بأساً أن يُصلِّي الرَّجل تطوعاً بعد العصر، والشَّمس بيضاء مرتفعة؟ قال: لا نفعله، ولا نعيب فاعله"، قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله- : "وهذا لا يدل على أنَّ أحمد رأى جوازه، بل رأى أنَّ من فعله متأوِّلاً، أو مقلِّداً لمن تأوَّله، لا ينكر عليه، ولا يعاب قوله؛ لأنَّ ذلك من موارد الاجتهاد السَّائغ"[(٦)].

---

(١) رواه أبو داود في سننه (ح١٩٦٠)، وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح وضعيف سنن أبي داود (ص:٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٣٧).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٤٠).

(٤) انظر: حلية الأولياء (٦/ ٣٦٨).

(٥) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٠).

(٦) انظر: فتح الباري لابن رجب (٣/ ٢٧٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء، لم يُنكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم يُنكر عليه"[(١)].

وقال ابن القيم - رحمه الله- : "إذا لم يكن في المسألة سُنَّة، ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغٌ، لم تُنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلِّداً" [(٢)]. وقال ابن قدامه المقدسي: "لا ينبغي لأحدٍ أن يُنكر على غيره العمل بمذهبه، فإنَّه لا إنكار على المجتهدَات".[(٣)]

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٧).

(٣) إعلام الموقعين٣/٢٨٨.

(٣) انظر: الآداب الشرعية (١/١٨٩).

المبحث الثاني- آثار الخلاف الفقهي على السلم المجتمعي

المطلب الأول- التمذهب.

الفرع الأول- معنى التمذهب:

التمذهب لغةً: مصدر من الفعل (تمذهب) على وزن (تمفعل) مثل: تمسكن، وتمنطق، وتمندل. ومعنى تمذهب بكذا: اتبعه واتخذه مذهباً [(١)].

وفي الاصطلاح: هو التزام غير العامي، مذهب مجتهد معين، في الأصول والفروع، أو في أحدهما، أو انتساب مجتهد إليه [(٢)].

وقيل التمذهب هو: الأخذ بمذهب إمام مجتهد، إما في الجملة، بأن يأخذ برخص المذهب وعزائمه، وإما في مسألة أو أكثر من مذهبه [(٣)].

الفرع الثاني- حكم التمذهب ومشروعيته

ذهب جمهور العلماء إلى مشروعية التقليد والتمذهب، لمن لم يكن أهلاً للاجتهاد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " والذي عليه جماهير الأمّة: أنّ الاجتهاد جائز في الجملة، والتقليد جائز في الجملة، لا يوجبون الاجتهاد على كلّ أحد، ويُحرّمون التقليد، ولا يوجبون التقليد على كلّ أحد، ويُحرّمون الاجتهاد، وأنّ الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد" [(٤)]، وقال الإمام ابن قدامة المقدسيّ: " وأمّا التقليد في الفروع فهو جائز إجماعًا" [(٥)].

الفرع الثالث- أثر التمذهب على السلم المجتمعي

انتهت المدارس الفقهية إلى أربعة مذاهب فقهية مشهورة، هي: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، وبقيت هذه المذاهب عبر قرون طويلة، وتعلق الناس بها إلى زماننا الحاضر، وقلدوها وتمذهبوا بها.

وينبغي أن يعتبر الاختلاف بين هذه المذاهب في الأساس رأي علمي بين هذه المذاهب، ولا يتعدى ذلك ليكون اختلافاً عملياً بين المسلمين المتمذهبين بهذه

---

(١) انظر: محيط المحيط للبستاني (ص: ٣١٢).

(٢) انظر: التمذهب دراسة نظرية للرويتع (١/ ٨٧).

(٣) انظر: التمذهب لليافعي (ص:٣٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٢٠٣).

(٥) انظر: روضة الناظر (٢/٣٨٢).

المذاهب، إذ لا يجوز أن يكون هذا الخلاف سبباً في الفرقة والمخاصمة، وتزعزع سلم المجتمع المسلم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٩٢].

وينبغي الإشارة هنا إلى أنه لا يلزم من الدعوة إلى توحد الأمة الإسلامية، وتحقيق السلم في المجتمعات المسلمة، إلى إلغاء هذه المذاهب الفقهية؛ إذ قد يتوهم البعض أن وحدة الأمة وسلمها المجتمعي، لن يتحقق إلا بهدم جهود أئمة المذاهب الفقهية، وصهرها جميعاً في مذهب واحد، غير أن هذا التصور لا يصب في مصلحة بالأمة الإسلامية؛ إذ أن لله تعالى في ذلك حكمة بالغة منها الرحمة بعباده، وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص، ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية، تجعل الأمة إسلامية في سعة من أمر دينها وشريعتها، فلا تنحصر في تطبيق شرعي واحد، حصراً لا مناص لها منه إلى غيره، بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما، أو في أمر ما، وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً، سواء أكان ذلك في شؤون العبادة، أم في المعاملات وشؤون الأسرة، والقضاء والجنايات، على ضوء الأدلة الشرعية[(١)].

وقد روي عن الإمام مالك أنه امتنع عن موافقة المنصور والرشيد في رغبتهما حمل الناس كلهم على مذهبه، وفي ذلك يقول مالك: " لما حج المنصور قال لي: إني قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها فتنسخ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوه إلى غيره. فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ودانوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم"، ويقول أيضًا: شاورني هارون الرشيد في أن يعلق (الموطأ) في الكعبة، ويحمل الناس على ما فيه. فقلت: لا تفعل، فإن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان، وكل عند نفسه مصيب، فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله[(٢)].

(١) انظر: بيان المجمع الفقهي حول التمذهب والتعصب المذهبي، سنة ١٤٠٨هـ، مجلة المجمع (٥٩/١).

(٢) انظر: منهجية المقارنة بين المذاهب الفقهية، مجلة المجمع العدد ١١، ص٧٦٠.

وتعدد هذه المذاهب الفقهية واختلافها، لا يلزم منه أن تكون الأمة مختلفة في كل شيء، وغير متفقة، بل لها أمور كثيرة متفقة عليها، جعلت منها أمة واحدة، ولها كذلك أمور مختلفة بشأنها لاختلاف العقول، والأفهام، والأدلة بينها، قال عمر بن عبد العزيز: "ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنه لو كان قولا واحدا كان الناس في ضيق، وإنما أئمة يقتدى بهم؛ فلو أخذ أحد بقول رجل منهم كان في سعة"(١).

لذلك لا يمكن لمنصف أن يقول: هذا المذهب حقاً كله، أو صواب كله، وذاك المذهب باطل كله، أو خطأ كله، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : "واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوماً في كل ما يأمر به، وينهى عنه إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ولهذا قال غير واحد من الأئمة: كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- . وهؤلاء الأئمة الأربعة - رضي الله عنهم- قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه، وذلك هو الواجب عليهم؛ فقال أبو حنيفة: هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت؛ فمن جاء برأي خير منه قبلناه، ولهذا لما اجتمع أفضل أصحابه أبو يوسف بمالك، فسأله عن مسألة الصاع؛ وصدقة الخضراوات؛ ومسألة الأجناس؛ فأخبره مالك بما تدل عليه السنة في ذلك، فقال: رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله، ولو رأى صاحبي ما رأيت، لرجع إلى قولك، كما رجعت. ومالك كان يقول: إنما أنا بشر أصيب وأخطئ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة، أو كلاما هذا معناه. والشافعي كان يقول: إذا صح الحديث، فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق، فهي قولي. وفي مختصر المزني، لما ذكر أنه اختصره من مذهب الشافعي، لمن أراد معرفة مذهبه، قال: مع إعلامه نهيه عن تقليده، وتقليد غيره من العلماء. والإمام أحمد كان يقول: لا تقلدوني، ولا تقلدوا مالكا، ولا الشافعي، ولا الثوري، وتعلموا كما تعلمنا"(٢).

(١) انظر: الموافقات (٥/ ٦٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١١).

المطلب الثاني- التعصب.

الفرع الأول- معنى التعصب.

التعصب لغةً: العين والصاد والباء أصل صحيح واحد، يدل على ربط شيء بشيء مستطيلاً أو مستديراً [١].

والتعصب مصدر من الفعل تعصب، يقال: تعصب يتعصب تعصباً.

والتعصب مأخوذ من العصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم على من يناويهم، ظالمين أو مظلومين. فالتعصب معناه: المحاماة والمدافعة [٢].

والتعصب المذهبي في الاصطلاح: هو الدفاع عن المذهب والمحاماة عنه، سواء كان على خطأ، أم على صواب، مع اعتقاد فساد غيره من المذاهب [٣].

الفرع الثاني- حكم التعصب المذهبي

ذم كثير من العلماء التعصب المذهبي، واعتبروه أثراً سلبياً لبعض مظاهر التمذهب المتعصب، حيث حمل طائفة من المتمذهبين - المتعصبين منهم- على الاستغناء بما في المذهب من أقوال، وأعرضوا عن النظر في الكتاب والسنة النبوية، يقول ابن القيم - رحمه الله- مستنكراً التعصب المذهبي: "تاللَّه إنها فتنة عَمَّت فأَعْمَتْ، وَرَمَتِ القلوب فأصْمَتْ، رَبَى عليها الصغير، وَهَرِمَ فيها الكبير، واتخذ لأجلها القرآن مهجوراً" [٤].

ويقول أبو شامة المقدسي رحمه الله: " ثم تفاقم الأمر، حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث، ويعيبون من يعتني بهما، ويرون أن ما هم عليه هو الذي ينبغي المواظبة عليه، وتقدمته بين يديه، من الاحتجاج للمذاهب بالآراء، وكثرة الجدال والمراء" [٥].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٣٦/٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الاثير (٢٤٦/٣)، ولسان العرب (٦٠٦/١).

(٣) انظر: التمذهب دراسة نظرية (١/ ١٣٠).

(٤) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ١٢).

(٥) انظر: خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول (ص: ١٠٠).

بل أسوأ من ذلك، أنهم خالفوا نصوص الكتاب والسنة، بغية البقاء على المذهب ولزومه، وعدم مفارقته، فردوا الأدلة الشرعية لمجرد مخالفتها المذهب[١].

الفرع الثالث- أثر التعصب المذهبي على السلم المجتمعي.

لقد كان التعصب المذهبي هو الداء العضال الذي فتك بأرباب المذاهب، وأوقع كثيراً منهم في التفرق والاختلاف، وقد قيل: "إنما يُعَظِّم الخلافَ التعصبُ" [٢].

وقد نتج عن التعصب المذهبي آثاراً وخيمة، تمس مختلف جوانب الحياة، لاسيما الاجتماعية منها، والعلمية، والسياسية، فقد كان هذا التعصب مصدراً للصراع بين المختلفين، حيث يتناول المختلفون في دفاعهم عن مذاهبهم، أساليب، وعبارات، توغر الصدور، وتولد العداوة، فيما بينهم، وسأذكر بعض آثار التعصب المذهبي التي تزعزع السلم المجتمعي وتهدد استقراره:

١. تفكك البناء الداخلي للمجتمع الإسلامي، وسقي بذور التفرق والاختلاف، وإحداث النزاع، والشقاق بين أبناء هذه الأمة الإسلامية.
٢. جرّ المسلمين إلى نزاعات، وصراعات مذهبية، السائد فيها هو صوت السب والطعن، والتضليل، والتبديع، والتكفير.
٣. حدوث فتن وصراعات دامية بين أتباع المذاهب، لاسيما المتعصبين منهم لمذاهبهم، فيستبيحون فيها دماءهم وأموالهم، فيتبدل الأمن خوفاً والوحدة تفرقاً.
٤. تغلغل الغلو، والتعصب المذهبيين، وانتشارهما في مختلف الأمصار الإسلامية، فتنمو الأحقاد، وتتعمق الفرقة، والاختلاف بين أفراد تلك المجتمعات.
٥. ضعف رباط الأخوة الإسلامية القائم على الدين، وحلول التعصب المذهبي محله، وعلى أساسه يكون التقارب، والتباعد، والمحبة، والبغض، بين أبناء المجتمع الواحد.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ١٤٣).

(٢) انظر: العلم الشامخ (ص:٣٨٩).

المطلب الثالث- الفتوى.

الفرع الأول- معنى الفتوى.

الفتوى لغة: اسم مصدر بمعنى الإفتاء، والجمع: الفتاوى والفتاوي، يقال: أفتيته فتوى وفتيا، إذا أجبته عن مسألته[(١)].

والفتوى في الاصطلاح: إخبار المفتي بحكم الله تعالى؛ لمعرفته بدليله[(٢)].

الفرع الثاني- أثر الفتوى على السلم المجتمعي.

إن أثر الفتوى في الأفراد والمجتمعات، أعم من أن تكون هداية لجاهل، أو تنويراً لسائل، أو إعانة على أداء التكاليف الشرعية، وإن حاجة الأمة للمفتين قائمة، فلو أن مجتمعاً مسلماً انعدم فيه القائمون بالإفتاء، بحيث لا يجد الناس من يبين لهم حكم الله في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم، لأدى ذلك إلى تزايد الجهل بالشريعة، وتخبط الناس في دينهم، خبط عشواء، فيحلون الحرام، ويحرمون الحلال، ويرتكبون المعاصي، من حيث يشعرون، أو لا يشعرون[(٣)].

وآثار الفتوى على الأمة أفراداً ومجتمعات، لا تخطئه عين، فمتى كانت الفتوى مؤصلة تأصيلاً شرعياً، بعيدة عن الأقوال الشاذة، ملاحظاً بها مصالح العباد، فإن لها آثار بالغة في المجتمع الإسلامي، أجمل منها ما يلي:

١. إزالة عارض الجهل وإنارة الطريق للمسترشدين، فإن الفتوى عامل من عوامل تعليم الأمة ورفع الجهل عنها[(٤)].
٢. إبراء الذمة والخروج من العهدة.
٣. التلاحم والتقارب بين الأمة وعلمائها الثقات، وانضباط مرجعية الأمة؛ إذ أن التلقي يجب أن يكون عن علماء الأمة الربانيين، والأئمة المعتبرين.
٤. اجتماع الكلمة، والقضاء على الشذوذ في المواقف العلمية، والعملية، على حد سواء.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٥/ ١٤٧).

(٢) انظر: صفة الفتوى لابن حمدان (ص: ٤).

(٣) انظر: الإفتاء عند الأصوليين لمحمد أكرم (ص:٧٨- ٧٩).

(٤) انظر: مسؤولية الفتوى الشرعية لفؤاد البرازي (ص:٦٥- ٦٧).

٥. انضباط الفتوى العامة، وتأكد استصحاب روح الشريعة ومقاصدها[١].

٦. انضباط مسائل الخلاف السائغ وغيره، وترك الإنكار التضييق على المخالف في المسائل الاجتهادية[٢].

(١) انظر: معالم في أصول الدعوة لمحمد يسري (ص:٣٢).

(٢) انظر: الفتوى أهميتها، ضوابطها، آثارها، لمحمد يسري (ص: ١٥٧، وما بعدها).

الخاتمة:

إن الخلاف والاختلاف من لوازم الإنسان وتكوينه، ولو شاء الله تعالى لخلق البشر على نمط واحد، ولكن الله لم يشأ ذلك لحكمة أرادها، (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ) [هود:١١٨،١١٩]، وما دامت تلك هي الحقيقة فلابد من النهوض والمبادرة لتحقيق الوعي الثقافي، ومعالجة جذور الأزمات الناتجة عن سلبية التعاطي مع ظاهرة الاختلاف، ورأب أي صدع قد يورث التآكل الداخلي للمجتمعات المسلمة، وإيقاظ البعد الإيماني في نفوس المسلمين، وتحقيق الفهم السليم لضمان تصفية الخلافات ونزع أغلال القلوب.

وقد خلص الباحث في نهاية هذا البحث إلى عدد من النتائج والتوصيات:

١. إن تحقيق السلم المجتمعي حقيقة راسخة من حقائق الإسلام، بل جعلها الله تبارك وتعالى بشارة لعباده المؤمنين فقال تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)[النور:٥٥].
٢. إن الخلاف الفقهي ليس شراً محضاً، بل هو نعمة، وثروة فقهية شرعية، ورحمة بالعباد، وتوسيع لمجال استنباط الأحكام من النصوص.
٣. إن الخلاف الفقهي أول ظهوره كان بعد وفاة رسول الله ﷺ، ثم تطور، واتسعت دائرته بعد نشأة المدارس، والمذاهب الفقهية.
٤. إن كثيراً من المسائل الخلافية الفرعية، يأخذ الخلاف فيها صورة التنوع، لا التضاد، ما يترتب عليه مشروعية تلك الأقوال، وجواز الجمع بينها.
٥. إن الخلاف الفقهي المعتبر، ينبغي أن لا يؤدي إلى الفرقة والنزاع، فإن أدى لذلك أصبح خلافاً مذموماً.
٦. إن التمذهب مشروع عند جمهور العلماء، في حق من لم يبلغ درجة الاجتهاد، وبه يتحقق مصلحة حفظ دين الناس، من التخبط و اتباع الهوى.
٧. إن التعصب المذهبي مذموم عند جمهور العلماء، ويشكل خطراً محدقاً بالمجتمعات يهدد استقرارها ويزعزع سلمها المجتمعي.

٨. التفريق بين التمذهب المشروع، والتعصب المذموم، وعدم الخلط بينهما، واستصحاب حكم أحدهما على الآخر.

٩. الفتوى الفقهية لها أثرها البالغ على سلم المجتمع واستقراره، فلا يتصدر لها إلا من كان على درجة من العلم، والفكر السليم، والإدراك القويم، لمقاصد شريعة الإسلام.

وختاماً أحمد الله تعالى، وأشكره، وأثني عليه الخير كله على نعمه وتوفيقه، وعلى تيسيره إتمام هذا البحث، وأساله تعالى القبول والسداد، وحسن الختام، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١. الآداب الشرعية والمنح المرعية- محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)- عالم الكتب.
٢. أدب الاختلاف في الإسلام- طه جابر فياض العلواني- رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٣. الأدب المفرد- محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار البشائر الإسلامية- الطبعة: الثالثة ١٤٠٩ه- ١٩٨٩م.
٤. الإسلام والأمن الاجتماعي- د.محمد عمارة- دار الشروق- الطبعة الأولى ١٤١٨ه.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)- عناية مشهور آل سلمان- دار ابن الجوزي- الطبعة الأولى،١٤٢٣ه.
٦. الإفتاء عند الأصوليين- محمد أكرم أحمد أبو مرسة- رسالة ماجستير- جامعة الأزهر- ١٩٨٤م.
٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)- المحقق: ناصر عبد الكريم العقل- دار عالم الكتب- الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ.
٨. البحر المحيط في أصول الفقه- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)- دار الكتبي- الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٩. تاريخ الفقه الإسلامي- د.محمد عبد اللطيف الفرفور- دار ابن كثير- الطبعة الأولى ١٤١٦ه.
١٠. التمذهب دراسة تأصيلية مقارنة- عبد الفتاح بن صالح اليافعي- دار الجيل- الطبعة الثانية.
١١. التمذهب دراسة نظرية نقدية- د. خالد بن مساعد الرويتع- دار التدمرية- الطبعة الأولى١٤٣٤ه.
١٢. جامع بيان العلم وفضله- أبو عمر يوسف ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)- تحقيق: أبي الأشبال الزهيري- دار ابن الجوزي- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)- الناشر السعادة- ١٣٩٤هـ.

١٤. خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول- أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)- أضواء السلف- الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

١٥. الخلاف في الشريعة الإسلامية- د.عبدالكريم زيدان- مؤسسة الرسالة- الطبعة الثانية ١٤٠٨ه.

١٦. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب المعروف بـ(تاريخ ابن خلدون)- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)- المحقق: خليل شحادة- دار الفكر- الطبعة الثانية، ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م.

١٧. روضة الناظر وجنة المناظر- أبو محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)- مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٨. السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية- محمد سليمان المومني- مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية- تاريخ النشر ٢٠١٧م.

١٩. سنن أبي داود- أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)- دار الرسالة العالمية- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٠. سنن الترمذي- محمد بن عيسى الترمذي(المتوفى: ٢٧٩هـ)- تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٢١. سير أعلام النبلاء- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)- مجموعة من المحققين- مؤسسة الرسالة- الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ.

٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)- تحقيق: أحمد عطار- دار العلم للملايين- الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٣. صحيح وضعيف سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٢٤. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي- أبوعبد الله أحمد بن حمدان الحرّاني الحنبلي(المتوفى: ٦٩٥هـ)- المحقق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي بيروت- الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧.

٢٥. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- المحقق: علي بن محمد الدخيل الله- دار العاصمة- الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٦. العلم الشامخ في تفضيل الحق على الاباء والمشايخ- صالح بن مهدي المقبلي اليمني (المتوفى ١١٠٨ه)- مكتبة دار البيان بدمشق.

٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)- مجموعة من المحققين- مكتبة الغرباء الأثرية- الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

٢٨. الفتوى أهميتها، ضوابطها، آثارها، د.محمد يسري إبراهيم- جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية- الطبعة الأولى ١٤٢٨ه.

٢٩. لسان العرب- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ابن منظور(المتوفى: ٧١١هـ)- دار صادر- الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٣٠. مجموع الفتاوى- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد- ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣١. محيط المحيط- بطر البستاني- مكتبة بيروت- ١٩٨٧م.

٣٢. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية- د.عبد الكريم زيدان- مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى ١٤٢٥ه.

٣٣. مسئولية الفتوى الشرعية و ضوابطها و أثرها في رشاد الأمة- أ.د.محمد فؤاد البرازي- مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا.

٣٤. معالم في أصول الدعوة- د.محمد يسري- مجلة البيان- الطبعة الأولى ١٤٢٤ه.

٣٥. معجم اللغة العربية المعاصرة- د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)- عالم الكتب- الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣٦. معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)- المحقق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٧. المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)- المحقق: صفوان عدنان الداودي- دار القلم- الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٨. الموافقات- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)- المحقق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان- دار ابن عفان- الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٩. النهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)- المكتبة العلمية- الطبعة١٣٩٩هـ.

٤٠. الوحدة الإسلامية منهجية المقارنة بين المذاهب الفقهية- د.عبد الستار أبو غدة- مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد ١١.

التدابير الفقهية والأصولية لتحقيق الأمن الفكري

دكتور/ ربيع محمد محمد عبدالرحمن
دكتوراه في الفقه العام- كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعـــد

فهذا بحث (التدابير الفقهية والأصولية لتحقيق الأمن الفكري)

سبب اختيار الموضوع: بيان دور الفقه الإسلامي في تحقيق الأمن الفكري

إشكالية الموضوع: الرد على من يحاول النيل من التراث الفقهي بدعوى تجديد الخطاب الديني.

منهجية البحث: الاستقراء والتحليل لأقوال الفقهاء وتنزيل الفتاوى على الواقع.

الكلمات الافتتاحية: (التدابير- الفقه –الأصول- الأمن – الفكري)

وخطة البحث كالآتي: التمهيد واشتمل على بيان المفردات الواردة بالعنوان، ثم فصول منها

واشتمل على مباحث:-

المبحث الأول: بيان الألفاظ الواردة بالبحث وبيان تضمُّن القرآن والسنة للأمن الفكري.

المبحث الثاني: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري تأصيل العلوم وضبط الاجتهاد.

المبحث الثالث: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري بيان أسباب الانحراف الفكري وكيفية معالجته.

ثم الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات والمراجع.

المبحث الأول: بيان الألفاظ الواردة بالبحث وبيان تضمُّن القرآن والسنة للأمن الفكري

المطلب الأول: الألفاظ الواردة بعنوان البحث

١- معنى التدابير: جمع مفرده تدبير: احتياط واستعداد "اتخذ التدابير اللازمة- تدابير أمن مشددة".(١)

٢- الأمن: ضد الخوف، يقال أمن يأمن أمنًا، والمأمن: موضع الأمن. والأمنة من الأمن، اسم موضوع من أمنت.(٢)

٣- الفكر لغة: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول والفكرة والفكر والصورة الذهنية لأمر ما.(٣)

٤- الأمن الفكري هو:حماية فكر المجتمع من الانحراف باتباع الوسطية في التدين والمنهج والخطاب.(٤)

ومن تعريفات الأمن الفكري النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنب الفرد والجماعة شوائب مادية أو فكرية أو نفسية تتسبب في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب(٥)

---

(١) - معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٧٢٠)

(٢) - العين ٨/ ٣٨٨) والصحاح ٢٠٧١/٥

(٣) - المعجم الوسيط ٢/ ٦٩٨ والعين ٣٨٥/٥ وتهذيب اللغة ١١٦/١٠

قال الليث: التفكر: اسم للتفكير، ويقولون: فكر في أمره، وتفكر، ورجل فكير: كثير الإقبال على التفكر والفكرة، ومن العرب من يقول: الفكر للفكرة والفكرى على فعلى: اسم وهي قليلة.

(٤) - المقصود بالأمن الفكري: حماية المجتمع من الفكر المنحرف، ولايتحقق ذلك إلا بالحفاظ على المكونات الثقافية والأصيلة للمجتمع في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة.

وتعزيز الأمن الفكري يعني: تحصين فكر الفرد وعقله من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال ولاسيما في القضايا الفكرية التي تشكل مصدر تهديد للأمن، دلالات مفهوم الأمن الفكري:- الأمن النفسي هو الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والاستقرار والبعد عن القلق والاضطراب . (تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية ص٤ أ.د/ حسين السيد حامد ك الدراسات الإسلامية ج المنوفية، ومفهوم الأمن الفكري ص ٣٠ نقلا عن خالد صالح الشمري (دولة تحت مظلة الأمن ص٢٥)

والأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه. أحمد بن علي المجدوب. ص٥٣ . بحث علمي منشور ضمن أوراق الندوة العلمية : نحو استراتيجية عربية للتدريب. دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض، ١٤٠٨هـ)

(٥) - مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية ص١٥ كلية التربية مكة المكرمة، بحث مكمل للماجستير إعداد أمل محمد أحمد ١٤٢٨ هـ، نقلًا من (الأمن والتربية ص١٢ لمحمد محمد نصير العبيكان ١٤١٣ هـ.)

ينقسم الأمن إلى أمن عقدي وغذائي ومائي وصناعي وثقافي وصحي وفكري وسياسي واقتصادي.[١]

المطلب الثاني: الأمن في القرآن الكريم والسنة النبوية

أولًا: القرآن الكريم

من الآيات التي تضمنت الأمن الفكري قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[٢]

وامتن الله على أهل مكة فقال (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ) وهي بمعني جعل لهم الأمن وأصلها آمنوا ولقد وردت في مائتين وثمانية وخمسين موضعًا وكلها بمعني أذعنوا وصدقوا[٣]

وقد بيّنت الآية الكريمة الطريق الحق الذي يكفل تحقيق هذا الأمن الفكري فقال تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٤]

قال مجاهد السبل: هي البدع والشبهات والضلالات[٥]

وبيّن القرآن ضرر التشرذم والتفرُّق لتحذره الأمة فقال سبحانه وتعالى: (نَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[٦]

---

(١) - مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية ص ٢٨

(٢) - سورة الأنعام: الآية (٨٢).

(٣) - معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن١/ ١١٠

(٤) - الأنعام آية ١٥٣ والصراط المستقيم هو طريق من أنْعَمَ الله عليهم بالإيمان والإسلام، أي اهدنا صراط المؤمنين الذين أنعمت عليهم في الدنيا بحسن الطاعة، وفي الآخرة بحسن الثواب: {مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} النساء: ٦٩

(التفسير الوسيط - مجمع البحوث ١/ ٢٢ وتفسير القرطبي (٧/ ١٣٨) وتفسير مجاهد (ص: ٣٣١)

(٥) - تفسير مجاهد (ص: ٣٣١) {وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ} السبل ما تقدم من الكتب المنزلة نسخها بالقرآن، وقيل: ما تقدم من الأديان المتقدمة نسخها بالإسلام وهو محتمل، وقيل: البدع والشبهات. {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} يعني عن طريق دينه، أو نصرة دينه وجهاد أعدائه فنهى عن التفرق وأمر بالاجتماع. (تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ١٨٩)

(٦) - سورة الأنعام آية ١٥٩ "وَكَانُوا شِيَعًا" يعني فرقاً كل واحدة تشابع إمامها الذي أضلها {كُلُّ حِزْبٍ} منهم {بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا. (تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢/ ٧٠٠)

وهذا يعني أنّ القرآن هو الحصن المنيع لفكر الأمة؛ مهما تقلبت الأمور وتعددت التيارات الفكرية، ولقد أشاد الشرع بالعقل ومنحه قدرًا من الحرية[١] ليتفهم تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، ولإكمال نعم الله على عباده أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبيَّن لهم الصراط المستقيم، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها واتبع منهج أهل السنة نجا من أي انحراف فكري.[٢]

ثانيًا:- السنة:-

روي عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"[٣]

المعنى: من أصبح غير خائف من عدو، نفسه آمنةً من شر الأشرار، وأهلُه أيضًا آمنين، وقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها بأن يصرفها في طاعة المنعم لا في معصية ولا يفتر عن ذكره.[٤]

---

(١) - الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري (ص: ١٢٣)

(٢) - النبوات لابن تيمية (١/ ٢٦) ومجموع الفتاوى ١٠٠/١٩

لحماية فكر الأمة بيّن العلماء صفات أهل السنة والجماعة حتى لا يتساقط الشباب في فكر مضل مضر للأمة وتوحدها

والصفات عشرة: الأول أن لا يقول شيئًا في الله تعالى لا يليق بصفاته، والثاني: يقر بأنّ القرآن كلام الله تعالى وليس بمخلوق، والثالث: يرى الجمعة والعيدين خلف كل بر وفاجر، والرابع: يرى القدر خيره وشره من الله تعالى، والخامس: يرى المسح على الخفين جائزا. والسادس: لا يخرج على الأمير بالسيف، والسابع: يفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا على سائر الصحابة، والثامن: لا يكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب، والتاسع: يصلي على من مات من أهل القبلة، والعاشر: يرى الجماعة رحمة والفرقة عذابا. (البحر الرائق (٨/ ٢٠٧)

(٣) - سنن ابن ماجه ٢٥٣/٥ أبواب الزهد باب القناعة وسنن الترمذي ١٥٢/٤ قال الإمام: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية، رواه الطبراني في الأوسط، وفيه علي بن عابس، وهو ضعيف (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٢٨٩)

قال ابن قطان حسن غَرِيب، وقال فيه ابن معين وأبو حاتم: مشهور(بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٣/ ٦٠٥)

(٤) - فيض القدير ٦/ ٦٨ والمفاتيح في شرح المصابيح٥/ ٢٨٨ ومرشد ذوي الحجا والحاجة ٢٥/ ٢٠٦

عن أبي شريح، أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوايقه» "[(١)]

قال الملا القاري: أمنه الناس ائتمنوه، يعني جعلوه أمينًا وصاروا منه على أمن على دمائهم وأموالهم) لكمال أمانته وديانته، وعدم خيانته[(٢)]

وعن أبي سعيد، عن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"[(٣)]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[(٤)]

وعن عبادة بن الصامت: أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى أن لا ضرر ولا ضرار[(٥)]

---

(١) - صحيح البخاري ٨/ ١٠ كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه.

وعن عمرو بن مالك الجنبي، أنّ فضالة بن عبيد حدثه، أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» (سنن ابن ماجه ١٢٩٨/٢ كتاب الفتن باب حرمة دم المؤمن وماله)

وعن أبي هريرة، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»: «هذا حديث حسن صحيح» (سنن الترمذي ١٧/٥ باب ما جاء في أنّ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)

في الحديث حثُّ عَلَى ترك أذى المسلمين بكل ما يؤذي، وسِرُّ الأمر في ذَلِكَ حسن التخلق مع العالم. (التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢/ ٤٩٢)

(٢) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/ ١٠٧ والمعنى:- ائتمنوه وجعلوه أمينا عليها لكونه مجربا مختبرا في حفظها وعدم الخيانة فيها وذكر المسلم والمؤمن بمعنى واحد تأكيدا وتقريرًا. (التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٥٦)

(٣) - سنن أبي داود ت الأرنؤوط٧/ ٢٠٣ كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس، وسنن الترمذي ١٧٨/٤ باب ما جاء في صحبة المؤمن قال الترمذي: حديث حسن.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذى وكذلك رواه ابن المبارك وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء وقال الترمذي حسن وفي الرياض إسناده لا بأس به وقال الحاكم صحيح وأقره الذهبي إلا أن لفظهم لا تصاحب فالجملة الأخيرة من الحديث هي الموافقة لحديث أبي سعيد. (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٢ / ٥٨٠)

(٤) - صحيح البخاري ١/ ١١ كتاب الإيمان باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

(٥) - سنن ابن ماجه ٤٣٠/٣ أبواب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، وموطأ مالك ١٠٧٨/٤ رواية عن عمرو بن يحي القضاء في المرفق، قال أبو عمر قوله (لا ضرر ولا ضرار) قيل فيه أقوال أحدها إنهما لفظتان بمعنى واحد فتكلم بهما جميعا على معنى التأكيد وقيل بل هما بمعنى القتل والقتال كأنه قال لا يضر أحد أحدًا ابتداء ولا يضره إن ضره وليصبر وهي مفاعلة وإن انتصر فلا يعتدي ونحو هذا كما قال (ولا تخن من خانك) يريد بأكثر من انتصارك منه بالسوار أو لمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور. (الاستذكار ١٩١/٧ والمسالك في شرح موطأ مالك ٦/ ٤٠٩ ومطالع الأنوار٣٣٤/٤ وعمدة القاري ١٩٥/٩)

المبحث الثاني: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري تأصيل العلوم وضبط الاجتهاد

المطلب الأول: تأصيل العلوم[1]

لم يترك علماء الشريعة العلوم الإسلامية من غير تأصيل، فوضعوا علم أصول الفقه كطريق يوضح كيفية استنباط الأحكام وعلم القواعد الفقهية هو طريق معرفة الأحكام وجمعها تحت قواعد تلم شتاتها وتجمع متشابهها، وعليه فلابدّ من تلقّي هذه العلوم من مصادرها الأصيلة ابتداءً وهي القرآن والسنة النبوية، ومن ثم الرجوع إلى أهل العلم والتّبصر في الدين لقوله تعالى: (فَاسْأَلوا أهْلَ الذّكْر إن كُنتمْ لَا تعْلَمُونَ) [2] وهذا يحقق الأمن الفكري لسلامة العلم الشرعي من التحريف والتبديل.

---

(١) - حكى القاضي أبو سعيد الهروي: أنّ بعض أئمة الحنفية بهراة بلغه أنّ الإمام أبا طاهر الدباس إمام الحنفية بما وراء النهر، رد جميع مذهب أبي حنيفة إلى سبع عشرة قاعدة، فسافر إليه. وكان أبو طاهر ضريرًا وكان يكرر كل ليلة تلك القواعد بمسجده بعد أن يخرج الناس منه فالتف الهروي بحصير، وخرج الناس، وأغلق أبو طاهر المسجد وسرد من تلك القواعد سبعًا، فحصلت للهروي سعلة فأحس به أبو طاهر فضربه وأخرجه من المسجد، ثم لم يكررها فيه بعد ذلك، فرجع الهروي إلى أصحابه، وتلا عليهم تلك السبع. قال القاضي أبو سعيد: فلما بلغ القاضي حسينا ذلك رد جميع مذهب الشافعي إلى أربع قواعد:

اليقين لا يزال بالشك- المشقة تجلب التيسير - الضرر يزال- العادة محكمة. (الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: ٧)

عرف أحد الباحثين التأصيل الإسلامي للعلوم إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها، أي: إعادة تجديد وترتيب المعلومات، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها، وإعادة تقويم النتائج وإعادة تصور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن من إغناء وخدمة قضية الإسلام. (الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية (ص: ١٦٢)

(٢) - النحل آية: ٤٣.

ضبط العلوم الشرعية فرض كفاية إلا أنه يتعين له طائفة من الناس وهم من جاد حفظهم ورق فهمهم وحسنت سيرتهم وطابت سريرتهم فهؤلاء هم الذين يتعين عليهم الاشتغال بالعلم فإن عديم الحفظ أو قليله وسيئ الفهم لا يصلح لضبط الشريعة المحمدية وكذلك من ساءت سريرته لا يحصل به الوثوق للعامة فلا تحصل به مصلحة التقليد فتضيع أحوال الناس وإذا كانت هذه الطائفة متعينة بهذه الصفات صار طلب العلم عليها فرض عين لا فرض كفاية إذ لا يصلح له غيرها بخلاف الجهاد الذي هو عبارة عن الرمي بالحجر والضرب بالسيف فإن كل بليد أو زكي يصلح له لسهولة أمره وصعوبة ضبط العلوم. (الفروق للقرافي (١/ ١٦٥) =

المطلب الثاني: ضبط الاجتهاد (الإفتاء والقضاء نموذجًا)

أ- ضبْط الاجتهاد

وضع علماء الأصول شروطًا للاجتهاد منها:-

شروط المجتهد:-

١- أن يكون محيطًا بمدارك الأحكام ومتمكنًا من استشارة الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يتعين.

٢- معرفة كتاب الله (آيات الأحكام) ناسخها ومنسوخها عامها وخاصها مطلقها ومقيدها.....

٣- معرفة السنة (أحاديث الأحكام) ناسخها ومنسوخها عامها وخاصها مطلقها ومقيدها.....

٤- معرفة مواطن الإجماع في كل مسألة يفتى فيها فينبغي أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للإجماع إما بموافقة مذهب عالم أو تكون الواقعة متولدة في العصر ليست لأهل الإجماع فيها خوض.

٥- القياس وما يتعلق به من قضايا.

=يحسن للباحث فى مسألة وضع المصطحات بإزاء المفاهيم، ومدى مطابقتها، لإطاره المرجعى أن يلم بشيء من طريقة المواضعة وإنشاء المصطلح. لقد وضع عضد الدين الإيجي رسالته فى علم الوضع فكان بذلك أول من أفرد هذا المعنى بالتأليف حتى صار فرعاً من فروع علم اللغة، والوضع هو: جعل اللفظ بإزاء المعنى.

- وتقاسم الوضع ثلاثة: -

أ - من جهة نفس الوضع ينقسم إلى قسمينِ: - تحقيقى: وهو تعيين اللفظ بإزاء المعنى للدلالة عليه بنفسه أى من غير

علاقة ولا قرينة، وهو ما يسمى بالحقيقة عند البلاغيين فالحقيقة عندهم هى استعمال اللفظ فيما وضع له أولاً فى اصطلاح التخاطب، فاستعمال كلمة (دين) فى معناه الذى وضع له فى الشرع وهو وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات هذا الاستعمال حقيقة، لأن وضعه لهذا المعنى تحقيقى.

- تأويلى: وهو تعيين اللفظ بإزاء المعنى لدلالة عليه بواسطة العلاقة، والقرينة، مثل المجاز حيث عرفوه بأنه استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أولاً فى اصطلاح التخاطب، فاستعمال كلمة الدين فى العبادات والشعائر فقط استعمال مجازى لأن وضعه لهذا المعنى تأويلى. (المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم (ص: ١٦)

٦- كيفية النظر بمعرفة شرائط البراهين والحدود وكيف تركب المقدمات وتستنتج المطلوب ليكون على بصيرة.

٧- علم العربية وما يتعلق بها من قضايا كالحقيقة والمجاز....

٨- معرفة الناسخ من المنسوخ مخافة أن يقع في الحكم بالمنسوخ المتروك ولا يشترط حفظ ذلك جميعه ومنها حال الرواة في القوة والضعف وتمييز الصحيح عن الفاسد والمقبول عن المردود قال الغزالي وليكتف بتعديل الإمام العدل بعد أن يعرف صحة مذهبه في التعديل.[١]

٩- يجب على المجتهد معرفة مقاصد الشريعة ومناطات الأحكام وتنزيل الحكم على الواقع.

١٠- يجب على المجتهد أن يكون على معرفة بالعلوم الأخرى كعلم المنطق والعلوم الإنسانية.

ب- ضوابط تولي القضاء

لا تصح ولاية القاضي حتى يجتمع في المولى شرائط الشهادة (الإسلام، والعقل، والبلوغ، والعدالة) ويكون مجتهدًا.

وفي القضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفع الظلم ودفع التهارج، وقطع المنازعات، وفصل الخصومات[٢]

---

(١) - الإبهاج في شرح المنهاج ٢٥٥/٣ وروضة الناظر ٢/ ٣٣٤

كمال رتبة الاجتهاد تتوقف على ثلاثة أشياء: أحدها: إتقان المجتهد للعلوم التي تعينه على استنباط الأحكام.

الثاني: الإحاطة بمعظم قواعد الشريعة حتى يعرف أنّ الدليل الذي ينظر فيه مخالف لها أو موافق.

الثالث: التتبع لمقاصد الشريعة لتكسبه القدرة على فهم مراد الشرع من ذلك وما يناسب أن يكون حكمًا له في ذلك المحل وإن لم يصرح به. (الإبهاج في شرح المنهاج ١/ ٨)

(٢) - البناية شرح الهداية (٩/ ٤) وحاشية الجمل ٣٣٧/٥

لا يجوز التساهل في الفتوى ومن عرف به لا يجوز استفتاؤه، والتساهل يكون بأن لا يثبت ويسرع بالفتوى أو الحكم قبل استيفاء حقه من النظر والفكر، وقد يحمله على ذلك توهمه أن الإسراع براعة والإبطاء عجز، ولا يبطئ ولا يخطئ أجمل به أن يعجل فيضل ويضل، وقد يكون تساهله بأن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحذورة أو المكروهة بالتمسك بالشبهة طلبًا للترخيص على من يروم نفعه أو التغليظ على من يروم ضرره. (منح الجليل شرح مختصر خليل ٨/ ٢٦٥)

ومن هذه الضواط:- التخلق بأخلاق النبي فلا يكون فظًا ولا غليظًا؛ لأنّ هذه الصفات تكون سببًا في نفرة الناس عنه [١] قال الله تعالى {، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ}[٢] و متصفًا باللين في مواضع اللين والشدة في الحق ليستنطق الظالم، وإرضاء من يقع في نفسه شيئا من حكمه، وتفسير الحكم وتبيينه وتوضيحه لمن حكم عليه، وأن يكون القاضي عفيفًا صالحا عاقلًا عالمًا بالسنة والآثار ووجوه الفقه التي يأخذ منها الكلام .[٣]

- من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري الصلح

عقد يرتفع به التشاجر والتنازع بين الخصوم، وهما منشأ الفساد ومثار الفتن، والصلح لقطع المنازعات وإطفاء الثائرات، وأصل الصلح من الصلاح وهو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل، ومعناه دال على حسنه الذاتي، وكم من فساد انقلب به إلى الصلاح، ولهذا أمر الله تعالى به عند حصول الفساد والفتن.[٤]

الصلح عقد جائز[٥] عرف جوازه بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ }[٦]

روي «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صالح أهل مكة عام الحديبية على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين» [٧]

---

(١) - عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال: " أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر..... " (صحيح البخاري ٣/ ٦٦ كتاب البيوع باب كراهية السخب في السوق.)

(٢) - سورة آل عمران: ١٥٩

(٣) - المبسوط للسرخسي (١٦/ ١٠٨)

(٤) - الاختيار لتعليل المختار (٣/ ٥) وقره عين الأخيار لتكملة رد المحتار علي الدر المختار (٨/ ٣٤٥)

(٥) - المبسوط للسرخسي ٢٠/ ١٣٣

(٦) - النساء: ١٢٨

(٧) - المسند٣/ ٣٧٠ رواية ابن عباس، وصحيح ابن حبان ٤٦٦/١٤ ذكر خبر فيه دلائل معلومة على صحة ما أصلناه من إثبات الأشياء المعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرم حلالًا أو أحل حرامًا»[١]

ج- ضبط عملية الإفتاء

- الحاكم مأمور بأن لا يقلد أحدًا شيئًا من عمل المسلمين كالإفتاء إلا إذا علم صلاحه لذلك قال - صلى الله عليه وسلم - «من قلد غيره عملًا، وفي رعيته من هو أولى به منه فقد خان الله ورسوله وخان جماعة المسلمين»[٢]

لذا كان من أسباب الحجر الحجر لدفع ضرر عام كالحجر على المتطبب الجاهل والمفتي الماجن

والمفتي الماجن الذي يعلم الناس الحيل الباطلة، مثل أن يعلم المرأة حتى ترتد فتبين من زوجها، ويعلم الرجل أنه يرتد فتسقط عنه الزكاة ثم يسلم ولا يبالي أن يحرم حلالا أو يحلل حرامًا يفسد على الناس دينهم.[٣]

٢- ينبغي أن يكون المفتي عفيفًا صالحا عاقلًا عالمًا بالقرآن والسنة والآثار ووجوه الفقه التي يأخذ منها الكلام وعمل الإفتاء من أهم أمور الدين وأعمال المسلمين فلا يختار له إلا من يعلم أنه صالح لذلك مؤدي الأمانة فيه.[٤]

المبحث الثالث: التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري حفظ العقل

المطلب الأول: مقصود العقل وإطلاقاته

أ- العقل لغة: نقيض الجهل، عقل يعقل عقلًا فهو عاقل، والمعقول: ما تعقله في فؤادك، ويقال: هو ما يفهم من العقل والحِجْرُ والنهى. ورجلٌ عاقل وعقول.[٥]

---

(١) - سنن ابن ماجة ٤٤٠/٣ باب الصلح وسنن الترمذي ٢٨/٣ باب ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح بين الناس وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) - سبق تخريجه

(٣) - البناية شرح الهداية١١/ ٩٠

(٤) - المبسوط للسرخسي (١٦/ ١٠٩ والبيان والتحصيل (١٧/ ١١)

ويعرف معاني الخطاب وموارد الكلام ومصادره، من الحقيقة والمجاز، والخاص والمفصل والمطلق والمقيد، والمنطوق والمفهوم، ويعرف من اللسان ما فهم به معاني الكلام ويعرف أقاويل العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين، واختلافاتهم، ويعرف وجه النطق والاجتهاد والقياس، ووضع الأدلة في مواضعها والترجيح والتعليل. (البيان والتحصيل (١٧/ ١١)

(٥) - العين ١/ ١٥٩ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ١٧٦٩

ب- العقل اصطلاحًا: قوة ضرورية للوجود بها يصح درك الأشياء ويتوجه تكليف الشرع وهو ما يعرفه كل إنسان من نفسه ولا يستدل عليه بغيره؛ لأنّ الاستدلال يفتقر إلى علم ينتظر فيه وأصل يعتمد عليه ولو كان غيره دليلًا عليه لكان مكتسبًا لا ضروريًا.(١)

والعقل يشمل العقل الفطري الذي منحه الله لكل بنى آدم، والعقل الاستدلالي النظري الذي يكتسبه الإنسان ويستخدمه العلماء، وبمعنى أهم هو يشمل البديهية والبصيرة، والحسّ والفهم والتفكير.(٢)

ج- إطلاقات العقل:- قد عُنِي علماء الشريعة عند حديثهم عن التكليف ومقاصد الشريعة ومكارمها بالحديث عن العقل وأنواعه ومنازله وتنوع أسمائه بحسب ذلك؛ فهو يُطلق على أمرين:

- قوة فطرية- الملكة المعنوية- أودعها الله تعالى في الإنسان، وجعلها محل التكليف ومناط الأمر والنهي التمييز والتدبير وتمنع صاحبها عما لا يليق وتزجره، وفيها جماع الأمر والرأي.

- يطلق كذلك على العلم الذي يستفيده الإنسان بالقوة الفطرية، وهذا هو العقل المستفاد، والذي ذمّ الله تعالى فيه الكفار بفقده(٣) قال تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ}(٤)

---

(١) - البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ١١٦) وقواطع الأدلة في الأصول ١/ ٢٨

(٢) - منهج الأشاعرة في العقيدة - الكبير ص: ٤٤

(٣) - مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ١/١٨٤

العقل يقع في الاستعمال على أربعة معان:.

الأول: ضروري وهو الذين عنى به الجمهور أنه بعض العلوم الضرورية لكنهم لم يجمعوا العقل بل ذكروا بعضه.

الثاني: عقل غريزي يستعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية، وتدبر الأمور الخفية وهذا المعنى هو محل الفكر وأصله وهو في القلب كالنور وضوؤه مشرق إلى الدماغ ويكون ضعيفاً في مبتدأ العمر فلا يزال يربى حتى تتم الأربعون ثم ينتهي نماؤه.

الثالث: ما به ينظر صاحبه في العواقب وبه تقع الشهوات الداعية إلى اللذات العاجلة المتعقبة للندامة وهذا هو النهاية في العقل.

الرابع: شيء يستفاد من التجارب يسمى عقلًا. (المسودة في أصول الفقه ص: ٥٥٨ وقواطع الأدلة ١/ ٢٧ وما بعدها)

(٤) - سورة البقرة آية١٧١

المطلب الثاني: أهمية العقل في بناء الفكر وتعليق التكليف على القدرة

اهتمت الشريعة بالعقل؛ لأنّه أساس الفكر ومناط التكليف، وجعلته شرطًا في التكليف فهمًا وتنزيلًا، ومناطًا في التعامل مع أحوال النفس والكون، اكتشافًا لأسرارهما واستنباطًا لقوانينهما والاستفادة من خبراتهما وهو قوام كل فعل تتعلق به مصلحة، فاختلاله يؤدي إلى مفاسد عظيمة.[١]

أولًا: تعليق التكليف على القدرة والعقل

١- تعليق التكليف على القدرة لتحقيق الأمن الفكري تعليق الأحكام الفقهية على القدرة[٢] وتنقسم القدرة إلى قدرتين، قدرة فهم الخطاب بالعقل وقدرة العمل وهو بالبدن بدليل قوله تعالى: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا}[٣] والعاجز لا قدرة له أصلًا، ولا وسع إلا بعد قدرة.

وقال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[٤] أى ضيق.

ودلت الآية على سقوط الحرج الكائن بسبب عدم القدرة والتي لا تُعلم إلا باعتدال العقل وقدرته، ووقت الاعتدال لا يمكن الوقوف عليه إلا بعد تجربة وتكليف عظيم فوقت الله تعالى بحال تعتدل لديه العقول في الأغلب على سلامة الفطرة من الآفات وهو البلوغ فقام البلوغ شرعًا مقام اعتدال العقل.[٥]

---

[١] - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ١٣٠) وعلم المقاصد الشرعية (ص: ٨٢)

أصل العقل يعرف بدلالة العيان وذلك أن يختار المرء ما يصلح له، والقصور يعرف بالامتحان، فأما الاعتدال فأمر يتفاوت فيه البشر فإذا توفي الإنسان عن رتبة القصور أقام الشرع السبب الظاهر الدال وهو البلوغ عن عقل مقامه تيسيرا على ما هو الأصل، لأنه متى تعذر الوقوف على المعاني باطنة تقام الأسباب الظاهرة مقامها كما أقيم السفر مقام المشقة في جواز الترخيص. (البناية ١١/ ٧٥)

والجنون اختلال القوة المميزة بين الأمور الحسنة والقبيحة المدركة للعواقب، بأن لا تظهر آثاره وتتعطل أفعالها، إما لنقصان جبل عليه دماغه في أصل الخلقة، وإما لخروج مزاج الدماغ عن الاعتدال بسبب خلط أو آفة، وإما لاستيلاء الشيطان عليه وإلقاء الخيالات الفاسدة إليه بحيث يفرح ويفزع من غير ما يصلح سببا. (الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٣/ ٢٤٣)

[٢] - القدرة هي العرض المقارن للفعل. (حاشية العطار (١/ ٢٨٤)

والاستطاعة تُطلق على القدرة بمعنى العرض المقارن وتُطلق على سلامة الأسباب والآلات وصحة التكليف.

[٣] - البقرة: ٢٨٦

[٤] - الحج: ٧٨

[٥] - قواطع الأدلة في الأصول (٢/ ٣٧٣)

ويرى الحنفية أنّ التكليف قبل القدرة الحقيقية صحيح بناء على وجودها عند الفعل فاشتراط القدرة التي هي سلامة الآلات وصحة الأسباب عند التكليف يكون فضلا لا محالة. (كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ١٩٣)

٢- تعليق التكليف على العقل

المحافظة على العقل، وحمايته من المفسدات، مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية، وسلامة العقل لا تتحقق إلا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسية والمعنوية.

ووجب الحفاظ على العقل؛ لأنه آلة الفكر والتفكر الذي به تُبنى الحضارات ويتحقق الاستخلاف، وقوام كل فعل تتعلق به مصلحة؛ لما أُنيط به، فحرّم الله كل مسكر ومفتر قليلًا كان أم كثيرًا قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } .[١]

ومن المحرم الذي تناول حفظ العقل تحريم الاعتداء على النفوس؛ باعتبار أنّ النفس أصل والعقل تبع، وما يفضي إلى فوات النفس يفضي تفويت العقل.[٢]

والتطبيق الفقهي العملي لوجوب حفظ العقل ظهر في بيان المحرم من الأطعمة والمحرم من الأطعمة والأشربة: (ما أفسد العقل) من مائع كخمر أو جامد كحشيشة وأفيون؛ لأنّ حفظ العقل واجب.[٣]

٣- ضبط وتحديد المجال الفكري للعقل

جعل الإسلام للعقل حدودًا وقيودًا لا يتعداها ولا يتجاوزها؛ لما لإطلاق العقل وتحريره بشكل مطلق من مفاسد لا تقل خطورة عن مفاسد تعطيله وتحجيم دوره؛

---

[١] - البحر المحيط٧/٢٦٦ ومحاسن الشريعة ٢٤/١ والإحكام في أصول الأحكام٤/٢٧٣ والآيات من سورة البقرة ٩٠- ٩١

[٢] - الإحكام في أصول الأحكام٤/٢٧٦

وقد بيّن شمس الدين الأصبهاني أنّ النفس محفوظة بشرع القصاص، قال تعالى: {ولكم في القصاص حياة} [البقرة: ١٧٩] والعقل، محفوظ بشرع حد الشرب، قال تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } [المائدة: ٩١] والنسل، فهو محفوظ بشرع حد الزنا؛ لأنّ المزاحمة على الأبضاع يفضي إلى اختلاط الأنساب المفضي إلى انقطاع التعهد من الأولاد، وحفظ المال، فهو حاصل بشرع حد السارق وعقوبة المحارب والغاصب. (بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب٣/١١٩)

[٣] - حاشية الصاوي٢/١٨٧

حفظ العقل بتحريم شرب قليل المسكر، والحد عليه والكثير من المسكر مفسد للعقل، ولا يحصل إلا بإفساد كل واحد من أجزائه فحد شارب القليل، لأن القليل متلف لجزء من العقل، وإن قل، ومثله: المبالغة في حفظ الدين بتحريم البدعة، وعقوبة المبتدع، والمبالغة في حفظ النسب بتحريم النظر والمس، والتعزير عليه. (تشنيف المسامع بجمع الجوامع (٣/ ٢٩٣)

فحفظ العقل مصان بالوسطية الإسلامية المعهودة بإثبات دوره ومكانته وضبطه بقيود معتبرة وضوابط معلومة.[1]

٤- مكانة حفظ العقل بين مقاصد الشريعة

يُقدم حفظ العقل على حفظ المال لفوات النفس بفواته وبفواته يسقط عن الإنسان التكليف ومن ثمة وجب بتفويته ما وجب بتفويت النفس وهي الدية الكاملة.[2]

ولقد اختلف الفقهاء في ترتيب مقاصد الشريعة على النحو الآتي:-

الرأي الأول: يرى الحنفية أنّ الأحسن تقديم هذه الأربعة على الديني؛ لأنها حق الآدمي وهو مبني على الضيق والمشاحة ويتضرر بفواته والديني حق الله تعالى وهو مبني على التيسير والمسامحة وهو لغناه وتعاليه لا يتضرر بفواته ولتقديم هذه على الديني تترك الجمعة والجماعة وهما دينيان لحفظ المال وهو دنيوي.[3]

الرأي الثاني: مقصود الدين مقدم على غيره من مقاصد الضروريات، فكذلك ما يتعلق به من مقصود النفس يكون مقدما على غيره من المقاصد الضرورية، وبالنظر إلى حفظ النسب؛ فلأن حفظ النسب إنما كان مقصودًا لأجل حفظ الولد حتى لا يبقى ضائعا لا مربي له، فلم يكن مطلوبا لعينه، بل لإفضائه إلى النفس، وأما بالنظر إلى المال، فلهذا المعنى أيضا فإنه فلم يكن بقاؤه مطلوبا لعينه وذاته، بل لأجل بقاء النفس مرفهة منعمة حتى تأتي بوظائف التكاليف وأعباء العبادات.

ولما كانت النفس أصل والعقل تبع فيفوت العقل بفواتها وليس العكس، ويُحفظ العقل بحفظها، وترجح مصلحة النفس على الثلاثة الباقية؛ لأنّ حفظ الباقية لأجل حفظ النفس، ثم النسب يرجح على العقل؛ لأنّ حفظ النسب أشد تعلقا ببقاء

---

(١) - علم المقاصد الشرعية (ص: ٨٢)

من تزكية الإنسان تزكية عقله، بتنميته وترشيده وتشغيله وهذا ما فعله الشرع، حيث عمل على تحرير العقول وإطلاقها من قيودها، ورفع عنها ما كان يعطلها من أوهام وخرافات. وطعمها بقيمه وأحكامه، ثم ترك لها المجال واسعًا لتعمل وتتزكى. وهذا وجه آخر من وجوه حفظ العقل. فحفظ الشريعة للعقل ليس منحصرًا في تحريم المسكرات والمعاقبة عليها، فكم من عقول ضائعة وهي لم تر ولم تعرف مسكرًا قط. ولكن أسكرها الجهل والخمول، والتعطيل، والتقليد، وعلى هذا، فإنّ إعمال العقل وفسح المجال له، ليس فحسب مساعدًا على تقدير المصالح وحفظها، بل هو نفسه مصلحة من المصالح الضرورية. لأنّ في إعماله حفظًا له. وحفظه هو أحد الضروريات المتفق عليها. (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ص: ٢٧٠)

(٢) - التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام (٣/ ٢٣١)

(٣) - التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام (٣/ ٢٣١) وتيسير التحرير٤/٨٩

النفس من حفظ العقل، ثم العقل يرجح على المال ؛ لأنّ العقل ملاك التكليف بخلاف المال.[١]

٥- تحريم المفسدات العقلية حسية أو معنوية.[٢]

بيّن النبي حكم المسكر وجعله عين الوصف محافظة على العقل وهو مقصود للشارع فإن العقل مناط التكليف، والمحافظة عليه مصلحة مقصودة للشارع عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنّ النبي- صلى الله عليه وسلم_ بعثه إلى اليمن، فسأله عن أشربة تصنع بها، فقال: «وما هي؟» قال: البتع والمزر، فقلت لأبي بردة: ما البتع؟ قال: نبيذ العسل، والمزر نبيذ الشعير، فقال: «كل مسكر حرام»[٣]

وكل ما أسكر من مشروب أو مأكول محرم قياسًا على الخمر؛ لأنها حرمت لحفظ العقل الذي هو مناط التكليف، فتحريم الشرع الخمر دليل على ملاحظة هذه المصلحة.[٤]

المطلب الثالث: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري تشريع ما يحفظ الكليات الشرعية.[٥]

اشتمل التشريع الإسلامي على المقاصد[٦] التي بها يكون صلاح الدارين وهي الضروريات والحاجيات والتحسينات ولا تستقيم الحياة بدونها وجعلها مقاصد للشريعة.

---

[١] - الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ٢٧٦) وبيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ٣/ ٤٠٣)

[٢] - الأول: مفسدات حسية: كالخمور والمخدرات التي هي مفتاح كل شر وبلاء، والثاني: مفسدات معنوية: كالأفكار والتصورات والمبادئ الفاسدة التي تجر الإنسان إلى المعاصي والردة والكفر. (موسوعة الفقه الإسلامي للتويجري (٥/ ١٠٢)

[٣] - صحيح البخاري ١٦١/٥ كتاب المغازي باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، وصحيح مسلم ١٥٨٦/٣ باب بيان أنّ كل مسكر خمر وأنّ كل خمر حرام.

[٤] - تشنيف المسامع بجمع الجوامع (٣/ ١٣) والمستصفى (ص: ١٧٤) والبدعة الشرعية (ص: ١١٩)

[٥] - حقيقة المقاصد المقاصد لغة:. جمع مفرده مقصد والمقصد اسم مكان من قصد، والمقصد الغاية، ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها- مقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها. (معجم اللغة العربية المعاصرة ١٨٢٠/٣)

[٦] - أنواع المقاصد:- المقاصد ضربان: الأول: ضروري في أصله، وهي أعلى المراتب، كالخمسة التي رُوعيت في كل ملة: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال والقصاص، وحد المسكر، وحد الزنا، وحد السارق...

٢- مُكمّل للضروري، كحد قليل المسكر. ٣- حاجي، كالبيع والإجارة والقراض.(بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب١١٦/٣)

وأولها: ضرورة حفظ الدين، فكل اعتداء على الدين قولاً أو فعلاً فإنّ الشريعة الإسلامية تحرّمه وتمنع منه، ولذا فإن الاعتداء على عقائد الناس ومحاولة تغييرها والإخلال بأمنهم الفكري والسعي في انحراف الفكر وقد قعد الأصوليون قاعدة: الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحمايتها وهي: حفظ الدين والعقل والنفس والعرض والمال. فحماية الإسلام للأمن الفكري تندرج تحت حماية الدين من الاعتداءات القوليَّة أو الفكريَّة.[1]

المقصود الأعظم للتشريع هو حفظ الدين قال تعالى { وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون. }[2] ومن حفظ الدين الانقياد الملازم للإيمان الحقيقي وتقرير مبادئ الإسلام المزيلة لضرر الغفلة والقسوة على الشهوات الحسية، والدعوات النفسية، والانحرافات الفكرية.[3] ويكون حفظ الدين بوجوب الجهاد وعقوبة الداعي إلى البدع وقد نبه الله تعالى على ذلك {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}[4]

٣- حفظ النسب

النسب هو رباط الأسرة وعامل تكوينها، فقد أحيط بسياج من الحفاظ عليه بتحريم الزنا ووجوب العدة عند الفرقة. وشرع حد الزنا جلدا أو رجما لحفظ النسب مقصود وحفظ الولد.[5]

---

[1] - الأمن الفكري وتحدياته ص ٨

[2] - الذاريات: ٥٦

[3] - تشنيف المسامع بجمع الجوامع (٣/ ٤٦٤) والتقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام ٣/ ٢٣١

حفظ الدين: الأمن الفكري يتعلق بالمحافظة على الدين، الذي هو إحدى الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحمايتها والمحافظة عليها ويتمثل ذلك بأمور: ١- التفقه في الدين والحذر من الجهل الذي يقود إلى كثير من الانحرافات.

٢- تحريم الابتداع في الدين، حيث إنه من دواعي اضطراب الأمن الفكري وانتشار البدع.

٣- تحريم الفتوى والقول على الله بلا علم، مما يكون سبباً في الوقوع في الزيغ والفتنة.

٤- تحريم التطرف والغلو في الدين .

[4] - التوبة آية ٢٩ (التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام (٣/ ١٤٣)

ويكون حفظ الدين: بشرعية القتل والقتال، فالقتل للردة وغيرها من موجبات القتل، لأجل مصلحة الدين، والقتال في جهاد أهل الحرب. (البحر المحيط (٧/ ٢٦٦)

[5] - محاسن الشريعة ٢٤/١ والتحبير٣٣٨٣/٣ والإحكام للآمدي٢٧/٤

المقصود من حفظ النسب حاصل بتحريم الزنا، ووجوب الحد عليه، غير أنه لما كان النظر واللمس قد يؤدي إلى الزنا، حرم تكميلاً لحفظ النسب. (الوصف المناسب لشرع الحكم١/٢٠٠) =

٣- حفظ العرض

لحفظ العرض حرم الله القذف وشرع له الحد بالجلد وتتمة لذلك حرم الغيبة والنميمة. المسلم ليس بسباب ولا لعان: { وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } .[١]

٤- حفظ المال

حثت الشريعة على كسب المال من الحلال وحرمت غيره قال تعالى: { وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[٢]

=وقد بين نور الدين الخادمي أنّ من مقاصد تشريع النكاح حفظ النسب والعرض، وصيانته من الفوضى والاختلاط والتداخل والتلاعب، والنسل والمضبوط المنضبط بمعرفة النسب الصحيح، وإلحاق الفروع بأصولها الحقيقية، ومراعاة الكرامة والعفة والحياء، ومنع كل ما يخل بحق الإنسان في النسب الصحيح، والعرض الشريف والنظيف والعفيف؛ لذلك شرعت أحكام الزواج الشرعي الصحيح، ومنع الزنا واللواط والسحاق، ومعاقبة الشاذين والمنحرفين، ومنع التبني؛ ولذلك أيضا منعت الذارئع والأسباب المؤدية إلى الإخلال بمقصد حفظ النسب والعرض، كالخلوة والنظر بشهوة والعدة، وكذلك منعت بعض الحوادث والنوازل المعاصرة، لكونها مفضية إلى هتك هذا المقصد وخدشه وتفويته، كتجميد الخلايا الجنسية واستئجار الأرحام. (علم المقاصد الشرعية١٧٩/١)

[١] - محاسن الشريعة ٢٥/١

[٢] - سورة البقرة آية ١٨٨

وحرم الإسلام الغش والتدليس والسرقة وجعلت حد السرقة قطع يد السارق "ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا" ومثله حديث: "المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"..

ومن طرق حفظ المال تشريع المعاملات المالية كالبيع والشراء والإجارة والمزارعة والمساقاة والسلم .. وكلما كان فيه التعامل المالي قائمًا على تبادل الأموال والممتلكات والأمتعة والعوضات.

- حفظ المال بالحث على العمل، والكسب الحلال، والبحث عن الرزق، وإجلاله، وجعله عبادة وقربة يثاب عليها صاحبها، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} (سورة الملك آية ١٥) قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} (سورة الجمعة آية ١٠)

- تحريم السرقة والغصب، وتشريع العقوبات والزواجر والجوابر المترتبة على ذلك.

- تحريم تبذير المال وإضاعته، ولو في المباح ، وضمان المتلفات، وتوثيق العقود والاستشهاد عليها، وتشريع الرهن وتحريم المعاملات التي فيها الغرر، وتوثيق الديون والاستشهاد عليها، والحث على الوفاء بها وتسديدها في آجالها، وتحريم كنز الأموال وتكديسها دون استثمار لها أو استفادة منها، كما يفعل أصحاب الاحتكار والربا والجشع وغيره والتزوير واستغلال النفوذ والسلطة السياسية والعلمية أو الإدارية أو الدينية، والتغرير والغبن والغش والأجرة على الشعوذة والدجل والكهانة وغير ذلك. (محاسن الشريعة ٢٥/١ وعلم المقاصد الشرعية ١٧٦/١ والتشريع الإسلامي صالح لكل زمان ومكان١٠٨/١)

وحرمة مال المسلم كحرمة دمه. قال - عليه الصلاة والسلام - : «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله» وعلى حرمته بالإجماع، وهو من المحرمات عقلا؛ لأن الظلم حرام عقلا على ما عرف في الأصول. (الاختيار لتعليل المختار (٣/ ٥٩)

وشرعت المعاملات الإسلامية كالبيوع والشركات وضبطت كيفية الاستثمار بما يحفظ على الناس دينهم ودمياهم فلا تنشغل عقولهم بسبب المظالم ولا بسبب المطامع.....

وشرعت حد السرقة والحرابة كتنظيم يحفظ المال ويمنع ما يهدد الفكر من فكر الانتقام أو غير ذلك.

المطلب الرابع: من التدابير لتحقيق الأمن الفكري وسطية التشريع الإسلامي

الوسطية لغة: أصلها الوسط والوَسْط من كل شئ وسَطه، وفلان من واسطة القوم أي من أعيانهم.(١)

والاعتدال هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط.

والاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}(٢)

فالاعتدال والوسطية منهج الحق ومنهج الأنبياء وأتباعهم، ويتمثل ذلك بالإسلام بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبالسنة، ومنهج السلف بعد ظهور الأهواء والافتراق، فأهل السنة والجماعة هم العدول الأخيار في العقيدة والعبادة والأخلاق والمواقف.(٣)

ولقد جاء القرآن الكريم مقرّرًا لمنهج الوسطيَّة في أبواب الاعتقاد والتشريع والتكليف والعبادة والشهادة والحكم والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والمعاملة والأخلاق وكسب المال وإنفاقه ومطالب النفس وشهواتها، وملامح الوسطيَّة

---

(١) - جمهرة اللغة ٢/٨٣٩

(٢) - البقرة آية ١٤٣

(٣) - بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو ٨/١ وما بعدها المؤلف: مجموعة من العلماء الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ

اليسر، ورفع الحرج، وهذا أمر قرّره القرآن في أكثر من موضع، كقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}(١) وقوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}(٢).

ولقد وردت آيات كثيرة تُبيّن أن الله لا يُكلّف نفسًا فوق طاقتها، ولا يُكلّف نفسًا إلا وسعها وقدرتها، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}(٣) في بيان كفارة اليمين: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ}(٤) والوسطيَّة في هذه الآية ظاهرة في تحديد الإطعام والكسوة بالوسط في ذلك.(٥)

والتطبيقات الفقهية في تشريع العبادات والعقوبات خير دليل على وسطية المنهج الإسلامي والمحقق للأمن الفكري، ومن هذه التطبيقات القصاص نموذجًا في حالاته وحالات الدية.(٦)

المطلب الخامس: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري تقييد التقليد

حقيقة التقليد: قبول القول من غير حجة ودليل..(٧)

---

(١) - الحج آية٧٨

(٢) - البقرة آية ١٨٥

(٣) - البقرة آية ٢٨٦

(٤) - المائدة آية ٨٩

(٥) - الوسطية في ضوء القرآن الكريم١/١٤٨

ذكر ابن تيميه ما اختص الله به النبي والأمة من خاصية الوسطية وجعلهم وسطًا عدلًا خيارًا عقيدة وشريعة وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ولم يحرم عليهم شيئًا من الطيبات كما حرم على اليهود، ولم يشدد عليهم في التشريعات كما شدد على السابقين في الطاهرات أو التشريعات وفي باب التوبة.
(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٧٣ وبحوث ندوة القرآن١/١٧)

(٦) - العناية شرح الهداية (٦/ ٢٧) والبناية ٧/ ٢١٤

(٧) - التلخيص في أصول الفقه ٣/ ٤٢٥ وتشنيف المسامع بجمع الجوامع (٤/ ٦٠٥)

رجح إمام الحرمين: التقليد اتباع من لم يقم باتباعه حجة، ولم يستند إلى علم، (المنثور في القواعد الفقهية ١/ ٣٩٨)

إيمان المقلد بعد وجود المجتهدين رجوع إليهم، وهو من باب رجوع العامي إلى المفتي، وهو ليس بتقليد بالمعنى المذكور، لأنه عمل بقوله مع حجة، وهي الإجماع على وجوب اتباعه إياه[١]

والأصل أنّ التقليد غير جائز القادر على التعلُّم المفرط فيه، والمقدم آراء الرجال على ما علم من الوحي، فهذا الذي ليس بمعذور.[٢]

ويختلف حكم التقليد حسب المجال الذي يكون فيه على النحو الآتي:

١- حكم التقليد في أصول الدين

---

(١) - تيسير التحرير (١/ ٢٧)

التقليد الجائز فهو ما تحققت فيه الشروط الآتية:

١- أن يكون المقلد جاهلاً، عاجزًا عن معرفة حكم الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، أما القادر على الاجتهاد فالصحيح أن يجوز له التقليد حيث عجز عن الاجتهاد إما لتكافؤ الأدلة، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد، وإما لعدم ظهور دليل له، فإنه حيث عجز سقط عنه وجوب الاجتهاد وانتقل إلى بدله وهو التقليد

٢- أن يقلد من عرف بالعلم والاجتهاد من أهل الدين والصلاح

٣- ألا يتبين للمقلد الحق وألا يظهر له أن قول غير مقلده أرجح من قول مقلده، أما إن تبين له ذلك أو عرف الحق وفهم الدليل فإن التقليد والحالة كذلك لا يجوز بل الواجب عليه اتباع ما تبينت صحته.

٤- ألا يكون في التقليد مخالفة واضحة للنصوص الشرعية أو لإجماع الأمة.

٥- يجب على المقلد اتباع وتحري الحق، ولا يتنقل بين المذاهب تتبعًا للرخص وبحثًا عن الأسهل على نفسه والأقرب لهواه. (معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص٤٩٢)

(٢) - من أصول الفقه على منهج أهل الحديث (ص: ١٧٨)

- من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري منع الاقتداء بالفسقة والمبتدعين

الفاسق لا يهتم لأمر دينه، قال الإمام الزيلعي: مجالس الفجور تسقط الشهادة؛ لأنّ الاختلاط بالفسقة وترك الأمر بالمعروف يوجب سقوط العدالة، وقد ذكر العلماء أنّ الفاسق لا يتقدم للإمامة. (رد المحتار) (١/ ٥٦٠) وتبيين الحقائق ٤/ ٢٢١)

وقد سُئِل الإمام مالك عن فاسق يأوي إليه أهلُ الفسق والخمر، ما يصنع به؟ قال: "يخرج من منزلِه وتكرى عليه الدار والبيوت، فلا تُباع لعلَّه يتوب فيرجع إلى منزله"، وقال ابن القاسم: "إنَّه ينصح مرَّة أو مرَّتين أو ثلاثًا، فإن لم ينتهِ أُخْرِج من الدار وأكريت عليه

قال سحنون قال ابن غانم في كراهية مجالسة أهل الأهواء: أرأيت من قعد إلى سارق وفي كمه بضاعة أما يحرز منه ليلا يغتاله؟ فالدين أولى. (مواهب الجليل٥/٤٣٥ ومنح الجليل ٥٢٨/٥ والنوادر والزيادات على ما في المدونة (١٤/ ٥٥٤)

والانغماس في الأهواء والاستطالة بها سبب الشر ونسيان اللَّه تعالى، ومن نسي الله تعالى كان منه الانحراف الفكري والاعتقادي، والانغماس في الشهوات. (زهرة التفاسير لأبي زهرة ٨/ ٤٠٢٧)

اختلفت أقوال الفقهاء في حكم التقليد في أصول الدين، وسبب اختلافهم عدم اتفاقهم على تعريف التقليد، فالذين عرفوا التقليد بأنه: «قبول قول الغير من غير حجة» وقصدوا بهذا أنّ القول المقلد فيه لا حجة عليه إلا قول المجتهد أو فعله ذهبوا إلى تحريمه والمنع منه، وهو ما فعله ابن حزم وابن القيم والشوكاني، ونقلوه عن جمهور العلماء.[١]

المذهب الأول: يرى جمهور العلماء أنّ التقليد التقليد في أصول الدين لا يجوز.[٢]

المذهب الثاني: يرى العنبري والحنابلة جواز التقليد في أصول الدين.[٣]

٢- حكم التقليد في المسائل الشرعية الفرعية

اختلفوا في المسائل الشرعية الفرعية، هل يجوز التقليد فيها أم لا؟

المذهب الأول: ذهب جمهور العلماء إلى منع التقليد، قال القرافي: مذهب مالك، وجمهور العلماء: وجوب الاجتهاد، وإبطال التقليد، وادعى ابن حزم الإجماع على النهي عن التقليد.[٤]

---

(١) - أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله (ص: ٤٧٨)

(٢) - كشف الظنون ٢/ ١٤٠٣.

حجة الجمهور: استدل الجمهور بأنّ الأمة أجمعت على وجوب معرفة الله عز وجل، وأنها لا تحصل بالتقليد؛ لأن المقلد ليس معه إلا الأخذ بقول من يقلده، ولا يدري أهو صواب أم خطأ.

وقال الأشعري، وجمهور المعتزلة: لا يكون مؤمنا حتى يخرج فيها عن جملة المقلدين.(إرشاد الفحول ٢/٢٤١)

قال الشيخ: (واشترط بعضهم لجواز التقليد أن لا تكون المسألة من أصول الدين التي يجب اعتقادها، والراجح أنّ ذلك ليس بشرط).خالف الشيخ قول الأكثرين من الأصحاب والمشهور من المذهب، واختار قول بعض الحنابلة والشافعية واختيار تقي الدين ابن تيمية من أنه يجوز التقليد في مسائل أصول الدين. (الشرح الكبير لمختصر الأصول (ص: ٦٣٢)

(٣) - كشف الظنون ٢/ ١٠٢٤

(٤) - البحر المحيط ٦/ ٢٨٠ وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٢٤٣)

قال: ونقل عن مالك أنه قال: أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق فاتركوه، وقال عند موته: وددت أني ضربت بكل مسألة تكلمت فيها برأيي سوطا، على أنه لا صبر لي على السياط.

المذهب الثاني: يرى بعض الحشوية عدم الجواز بعض الحشوية، ويحرم النظر، وهؤلاء لم يقنعوا بما هم فيه من الجهل، حتى أوجبوه على أنفسهم، وعلى غيرهم، فإن التقليد جهل وليس بعلم.

المذهب الثالث: يرى الكثير من أتباع المذاهب التفصيل، وهو أنه يجب على العامي، ويحرم على المجتهد، بدليل اتباع المذاهب الفقهية.[١]

المطلب السادس: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري تحريم التنطُّع والتعنت.

التعنت شرعًا مقصوده إنكار ما ينفع الإنسان ويريد الإضرار بغيره، وبالمخاصم من ينكر ما يضره.

والتعنت يخلط على الرجل عقله، ولم يكن الذين مضوا أكثر الناس مسائل، وكانوا يكرهون التكلف إلى ما ينتهي إلى التنطع، ولا يكرهون ما يبين به للمتعلم مشكلاً، وما يعرض من النوازل، والتنطع داء لا دواء له إلا بتركه.[٢]

والذي أوقع الفساق في فسقهم من حيث الاعتقاد، التعمق والغلو في الدين[٣]

ومن أسباب التنطع والغلو الجدال في الدين وهو جدال أهل الأهواء والبدع؛ لأنه يؤدي إلى الوقوع في الشبهات، وقد أوجب الشارع هجران ذي البدع، ومفهوم قوله في الدين أن الجدال في أمر الدنيا جائز بين أهلها مع مراعاة الحق والتزام الصدق وترك اللدد والإيذاء.[٤]

المطلب السابع: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري تشريع العقوبات

ذكر الإمام الزيلعي أنّ الدنيا دار التكليف وليست بدار الجزاء وإنما أوجب الشرع في مقارفة بعض الجنايات في الدنيا لتنتظم مصالح العباد لأنّ السفهاء لا ينتهون بمجرد الوعيد[٥]

ولقد نصت الشريعة على الحدود على المعاصي التي تمس أصول القيم الإنسانية، وهي الحفاظ على حق الحياة (النفس) والفكر الإنساني (العقل) والعرض حد الزنا

---

(١) - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٢٤٤)

(٢) - المبسوط للسرخسي ١٦/ ٨٧ والبناية (٨/ ٣٦٦ والنوادر والزيادات (١/ ٩) وإعانة الطالبين (١/ ١٢٤)

(٣) - قره عين الأخيار لتكملة رد المحتار علي الدر المختار ٧/ ٥٢١)

(٤) - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١/ ١٠٨)

(٥) - تبيين الحقائق ٣/ ٢٤٥

والقذف) والمال (السرقة والحرابة) والدين أو العقيدة الذي هو أسمى شيء في الوجود.[١]

ومما جاء به التشريع الإسلامي إصلاح العقائد والأخلاق وإصلاح علاقات الإنسان بربه - جل شأنه- وبالمجتمع الذي يعيش فيه أفرادًا وجماعات وفي كل مجال من هذه المجالات أحكام إما أوامر توجب عملًا من الأعمال أو نواهي توجب تركًا من التروك أو تحظر فعلًا من الأفعال، وهي في كل ذلك تشرع للناس ما يحقق مصالحهم بجلب النفع لهم، ودرء الضر عنهم، حتى يعيش المجتمع آمنًا مطمئنًا مستقرًا.[٢]

وفي تحقيق مصلحة الأمة وحمايتهم من الفتنة تحقيق للأمن الفكري كنفي المخنثين كما فعل سيدنا عمر بنصر بن حجَّاج، وما نفاه عمر إلا للمصلحة، لا بطريق الحدِّ أو العقاب، فالجمال لا يوجب النفْي، ولكن فعل ذلك للمصلحة؛ ليحميَ المجتمع، وليحمي الشابَّين في آنٍ واحد.[٣]

وقد سُئِل الإمام مالك عن فاسق يأوي إليه أهلُ الفسق والخمر، ما يصنع به؟ قال: "يخرج من منزلِه وتكرى عليه الدار والبيوت، فلا تُباع لعلَّه يتوب فيرجع إلى منزله"،

---

(١) - الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٧/ ٥٢٩٩)

(٢) - الجنايات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون (ص: ١٣)

وأضاف الدكتور حسن (ص: ٢٩)

وتشريع العقوبات وإقامتها أمر توجبه مصلحة الأفراد والجماعات؛ لأنّ جميع البشر لا يختلفون في ضرورة وجودها، القوى منهم والضعيف، السيد منهم والمسود؛ لأنها حماية لهم من انتشار الفساد، وسد لأبواب المضار، ففي تشريعها جلب للمنافع، ودفع للمضار.

فمفاسد القتل عدوانا لا يمكن حدها، ولا حصر نتائجها، من إزهاق روح؛ بل قد تتلوها أوراح، وضياع عائل ومعول، وذهاب حلقة من حلقات الفكر، أو الرأي، أو التطور المنوط بالبشر، وهدم للأمن والاستقرار.

ومفاسد الزنا من ضياع الذرية وإماتتها معنى بسبب اشتباه النسب ... ، ومفاسد الشرب من زوال العقل، وإفساد الأعراض، وضياع الأموال والأهل والذرية ... ، ومفاسد أخذ المال عدوانا ضياع لجهد العاملين، وتقويض لآمالهم في إسعاد أنفسهم وغيرهم.

(٣) - نفاه والجمال لا يوجب النفي ولكن فعل ذلك للمصلحة، فإنه قال: وما ذنبي يا أمير المؤمنين قال: لا ذنب لك وإنما الذنب لي حيث لا أطهر دار الهجرة منك. (المبسوط للسرخسي ٩/ ٤٥)

وقال ابن القاسم: "إنَّه ينصح مرَّة أو مرَّتين أو ثلاثًا، فإن لم ينتهِ أُخْرِج من الدار وأكريت عليه[1]

وضعت الشريعة الإسلامية عقوبة دنيوية توقع على القاتل عمدًا، منها ما هو بدني، وهو القصاص أو التعزير، ومنها ما هو مالي، وهو الدية في حالة سقوط القصاص والكفارة عند بعض الفقهاء والحرمان من الميراث[٢]

٢- فلسفة تشريع الحدود

من فلسفة تشريع الحدود تحقيق الأمن الفكري ومعالجة انحرافه، وسميت الحدود بهذا الاسم؛ لأنها تمنع صاحبها إذا لم يكن متلفا وغيره بالمشاهدة، ويمنع من يشاهد ذلك ويعاينه إذا لم يكن متلفاً. [٣]

وبعض المشكلات والانحرافات التي يقع فيها بعض الناس منها ما يستعصي على العلاج الفكري فيستلزم نوعاً من العقوبات ردعاً للمنحرف وحفظاً للأمة من الانحرافات.[٤]

---

(١) - مواهب الجليل٥/٤٣٥ ومنح الجليل ٥/٥٢٨

(٢) - حفظ النفوس مجمع عليه بل هو من الخمس المجمع عليها في كل ملة. بدائع الصنائع ٧/ ٢٣٤ و مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ٦/ ٢٣١ وروضة الطالبين ١٤٩/٩ والمغني ٢٥٨/٨ والجنايات في الفقه الإسلامي (ص: ١٤٦)

الجزاء الأخروي: القاتل عمدا إما أن يقتل نفسه، أو يقتل غيره، ولكل منهما جزاؤه الأخروي، ونبين هنا عقوبة كل منهما، مقدمين عقوبة قاتل غيره على عقوبة قاتل نفسه؛ تيسيرا للمقارنة، ولندرة وقوعها.

"الجزاء الأخروي لقاتل غيره عمدا": الأصل في الجزاء قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} سورة النساء آية ٩٣

(٣) - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٧/ ٣٣)

النفي سببه: ١- نفي المحاربين {أو ينفوا من الأرض} (المائدة آية ٣٣)

٢- نفي البكر الزاني يجلد مائة وينفى سنة وقد روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «لأقضين بينكما بكتاب الله عز وجل» ثم قضى بالنفي والجلد على البكر .

٣- نفى مخنثين كانا بالمدينة يقال لأحدهما هيت وللآخر ماتع ويحفظ في أحدهما أنه نفاه إلى الحمى وأنه كان في ذلك المنزل حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وحياة أبي بكر وحياة عمر وأنه شكا الضيق فأذن له بعض الأئمة أن يدخل المدينة في الجمعة يوما يتسوق ثم ينصرف.(الأم للشافعي (٦/ ١٥٧)

(٤) - بناء المفاهيم ودراستها في ضوء المنهج العلمي "مفهوم الأمن الفكري أنموذجاً". د/عبد الرحمن اللويحق ص:٣٢ - ٣٥.

المطلب التاسع: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري الموعظة الحسنة والحوار

أولًا: الموعظة وأثرها في تحقيق الأمن الفكري

شرع الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعله حق لسائر الناس وضبطه بضوابط الرفق واللين واحتواء المخطئ عن أبي سعيد الخدري، قال: أخرج مروان المنبر في يوم عيد، فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقال رجل: يا مروان، خالفت السنة، أخرجت المنبر في هذا اليوم ولم يكن يخرج، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، ولم يكن يبدأ بها. فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من رأى منكم منكرا فاستطاع أن يغيره بيده، فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[(١)]

ولا ينبغى للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يحمل الناس على اجتهاده ومذهبه، وإنَّما يغيِّر منه ما اجتمع على إنكاره وإحداثه.[(٢)]

---

(١) - صحيح مسلم ٦٩/١ كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، و سنن ابن ماجه ٥/ ١٤٥ أبواب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسند ١٢٧/١٧ (

يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف بحسب الأشياء، فإن كان من الواجبات الظاهرة، والمحرمات المشهورة، كالصلاة والصيام والزنى والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال، ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام الابتداء بإنكاره، بل ذلك للعلماء، ويلتحق بهم من أعلمه العلماء بأن ذلك مجمع عليه، ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع على إنكاره، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛ لأن كل مجتهد مصيب، أو المصيب واحد ولا نعلمه، ولا إثم على المخطئ، لكن إن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف، فهو حسن محبوب، ويكون برفق. (روضة الطالبين وعمدة المفتين ١٠/ ٢١٩)

(٢) - إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٨٩

من تدابير تحقيق الأمن الفكري الأمر بالمعروف الذي يتمثل في الحكم بالعدل، ودفع الظلم عن المظلوم وهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك فرض على كل مسلم إلا أن كل من كان من الرعية= =فهو غير متمكن من إلزام ذلك، فإذا تمكن من ذلك بقوة من قلده كان عليه أن يحكم بما هو فرض عليه، سواء كان من قلده باغيا أو عادلًا.

والقضاء بالحق من أقوى الفرائض وأشرف العبادات وما من نبي من الأنبياء إلا وأمره الله بالقضاء، وأثبت لآدم اسم الخليفة، وقال لنبينا - عليه الصلاة والسلام - : {وأن احكم بينهم بما أنزل الله} [المائدة: ٤٩] وقال لداود: {فاحكم بين الناس بالحق} [ص: ٢٦] ولأن فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإظهار الحق، وإنصاف المظلوم من الظالم، وإيصال الحق إلى مستحقه، ولأجل هذه الأشياء شرع الله تعالى الشرائع، وأرسل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - . (المبسوط للسرخسي ١٠/ ١٣٠ والاختيار ٢/ ٨٢)

وصفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم قال الله تعالى { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }[1] وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مأمورا في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين قال الله تعالى { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ }[2] ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن[3] فقال تعالى { ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[4]

ومن ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي و أرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني "[5]

المبحث الرابع: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري بيان أسباب الانحراف الفكري وكيفية معالجته

إذا ارتد المسلم عن الاسلام استتابه الامام فان تاب والا قتل والافضل أن يستتيبه ثلاثة أيام يكرر عليه التوبة فان تاب قبل منه وان أبا قتله بالاتفاق، ويستحب أن يستتاب ويعرض عليه الإسلام لاحتمال أن يسلم، لكن لا يجب؛ لأن الدعوة قد بلغته فإن أسلم فمرحبا وأهلا بالإسلام، وإن أبى نظر الإمام في ذلك فإن طمع في توبته، أو

---

(1) - آل عمران: ١١٠

(2) - الحجر: ٨٥

(3) - المبسوط للسرخسي (١٠/ ٢) وتبيين الحقائق ٢٤١/٣ والحاوي ١٠٦/١٤

{والموعظة الحسنة} فيه تأويلان: أحدهما: بالقرآن، من ليس من القول، قاله الكلبي.

الثاني: بما فيه من الأمر والنهي، قاله مقاتل. {وجادلهم بالتي هي أحسن} [النحل: ١٢٥] فيه أربعة تأويلات:- أحدها: بالعفو، والثاني: بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول، والثالث: بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف، والرابع: على قدر ما يحتملون.

(4) - النحل: ١٢٥

(5) - البخاري ٢/٧ كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح.

سأل هو التأجيل، أجله ثلاثة أيام وإن لم يطمع في توبته ولم يسأل هو التأجيل، قتله من ساعته.

والأصل فيه ما روي عن سيدنا عمر - رضي الله عنه - أنه قدم عليه رجل من جيش المسلمين، فقال: هل عندك من مغربة خبر؟ قال: نعم، رجل كفر بالله تعالى بعد إسلامه فقال سيدنا عمر - رضي الله عنه - : ماذا فعلتم به قال: قربناه فضربنا عنقه فقال سيدنا عمر - رضي الله عنه - : هلا طينتم عليه بيتا ثلاثا، وأطعمتموه كل يوم رغيفا، واستتبتموه لعله يتوب ويرجع إلى الله - سبحانه وتعالى - اللهم إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض إذ بلغني.[1]

المطلب الأول: أسباب الانحراف الفكري

١- عدم فهم النصوص فهمًا صحيحًا[2]

د. الاستدلال ببعض النصوص دون النظر في غيرها

---

(١) - الموطأ ١٠٦٦/٤ القضاء في من ارتد عن الإسلام، ومسند الشافعي ص٣٢١ والنتف في الفتاوى للسغدي (٢/ ٦٨٩) والبدائع ١٣٥/٧) ومناهج التحصيل ٦٨/٤ والبيان والتحصيل ٤٠٨/١٦ والحاوي ١٥٨/١٣ والشرح الكبير ٣٨٤/١ والمغني ٩/٦)

(٢) - الواجب أن يكون عند المجتهد مرونة كافية في فهم النصوص وما يحيط بها، وألا يقيد من حريته في ذلك قاعدة ألزم بها نفسه.

(الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري (ص: ٤٠٢)

القواعد والضوابط التي قررها علماء أصول الفقه الإسلامي في طرق دلالة الألفاظ على المعاني، وفيما يفيد العموم من الصيغ، وفيما يدل على العام والمطلق والمشترك، وفيما يحتمل التأويل وما لا يحتمل التأويل وفي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأن الأمر المطلق يقتضي الإيجاب، وغير ذلك من ضوابط فهم النصوص واستثمار الأحكام منها؛ كما تراعي في فهم النصوص الشرعية. (علم أصول الفقه ط مكتبة الدعوة (ص: ١٤١)

والاجتهاد في فهم النصوص لإمكان تطبيقها واجب على كل مجتهد، وخاصة إذا كان النص محتملاً لوجوه مختلفة في تفسيره وتطبيقه، أو كان عاماً أو مجملاً أو مطلقاً. (الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكلية (ص: ٣٨٢)

قال صاحب كشف الأسرار: تعميم أحكام النصوص؛ فإن حكم النص يكون مقتصرا قبل التعليل على المحل المنصوص عليه وبعد استخراج الوصف المؤثر يثبت فيه وفي غيره مما لم ينص عليه كحكم نص الربا كان مقتصرًا على= =الأشياء الستة وبعد التعليل عم سائر المكيلات والموزونات، وفي ذلك أي وفي تعميم أحكامها تعظيم حدودها؛ لأن فيه عملا بظواهر النصوص فيما نص عليه وبمعانيها فيما لم ينص عليه من الفروع. (كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ٣/ ٢٩١)

ذكر الإمام الماوردي أنّ الجمع بين الدليلين، ولو من وجه أولى من العمل بظاهر أحدهما وإبطال أصل الآخر، وإعمال الكلام أولى من إهماله[١]

قال الإمام ابن حزم:إذا تعارض الحديثان أو الآيتان أو الآية والحديث فيما يظن من لا يعلم ففرض على كل مسلم استعمال كل ذلك لأنه ليس بعض ذلك أولى بالاستعمال من بعض ولا حديث بأوجب من حديث آخر ولا آية أولى بالطاعة من آية أخرى مثلها وكل من عند الله عز وجل وكل سواء في باب وجوب الطاعة والاستعمال[٢]

٨ - اتخاذ الناس رؤوساً جهالاً يقومون بالفتوى والتعليم

لا يحل لأحد أن يتكلم في دين الله ولا في مصالح الأمة بغير علم، والقاصر عن صفات الأهلية والكفاءة، لا يؤمن أن يتكلم بجهل فيضل، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لا يرفع العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال، لكن يرفعه بموت العلماء، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" [٣]

المطلب الثاني: من التدابير لتحقيق الأمن الفكري الفهم الحقيقي لظاهرة الاختلاف

قد دعى الأمة إلى هذه الوحدة، وفي سابق علمه سبحانه أَنّ الخلاف في المسائل النظرية، والعملية، وتباين وجهات النظر، واختلاف المدارك والفهوم، لابد أَن يكون، وهذا أَمر طبعي لمن منحهم الله العقل والتمييز؛ لهذا ومحافظة على عدم شق هذه

---

(١) - الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) ٦/ ١٧١) والإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢/ ٣٢٨

أولى من تنافر الأدلة، وتفرقها، وتنافيها، وتناقضها، بل الجمع بينها واجب ما أمكن. (شرح مختصر الروضة ٢/ ٤٠٩)

(٢) - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ٢١

إذا تعارض ظاهران يتطرق التأويل إلى كل واحد منهما فتتسع مسالك الترجيح فإن مبنى التعلق بالظاهر على غلبات الظنون وهي حرية بالترجيحات، فإذا تعارضا وتأيد أحدهما بمزية ثقة في الراوي أو العدد في الرواة فالوجه التمسك بما تأيد بهذه الجهات وليس كالنصين فيما قدمناه فإنا تحققنا من طرق الماضين أنهم في غلبات الظنون كانوا يبغون ترجيح ظن على ظن. (البرهان ٢/ ١٩٥)

(٣) - صحيح البخاري ٣١/١ كتاب باب: كيف يقبض العلم، وصحيح مسلم ٢٠٥٨/٤ كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان. (الواضح في أصول الفقه ٢٧٨/١

قال تعالى: { وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً } [الإسراء: ٣٦]، وقوله { فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ } [آل عمران: ٦٦]، وقوله: { فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة: ١٢٢] فاعتبر التفقه في الدين في الإنذار، وقوله سبحانه: { فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣].

الوحدة دعاهم إلى الشورى، وهذا من أَدلّ الدلائل، وأَعظم الوسائل المفيدة إلى أَنه ليس كل خلاف مذموماً، بل مع سلامة المقاصد " خلاف محمود " لتتسعَ المدارك والفهوم.(١)

ولقد ذكر بدر الدين العيني الحنفي الفرق بين الخلاف والاختلاف، وهو أنّ الاختلاف مستعمل في قول بني على دليل، والخلاف فيما لا دليل عليه، ولقد أمرنا الله تعالى عند التنازع بالرجوع (٢) إلى الأصول والثوابت المتفق عليها وفي عدم الرد يحدث الخلل الفكري بسبب اختلاف الرؤى والتوجهات سواء من قبل أهل الغلو والإفراط أو من قبل أهل الجفاء عن الدين والتفريط فيه لأن كل واحد من الطرفين احتكم إلى عقله وهواه وما يراه صواباً من دون رجوع إلى الثوابت، وقد قال تعالى:﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ [3]﴾) وقال:﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [4]﴾) وقال تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥). فتكون النتيجة سوء فهم الدين وضعف البصيرة بحقيقته.(٦)

---

(١) - المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد (١/ ٧٠)

تعدد المذهبية الفقهية يفتح سيولة فكرية، وثراءً علميًّا، في فحص النصوص واستقراء دلالتها المتنوعة، وهذا ما حصل في أي خلاف فقهي، ومنه: " الخلاف الفقهي بين الأَئمة الأربعة " فالموفق المسدد هو الذي يتخذ من هذا الخلاف في قلبه وعقله " مجلس شورى " يعقده للمناظرة بين آرائهم، ويحكمهم إلى الكتاب والسنة، فينظر أَهداها، وأَقربها، وأَطوعها للنص، ويأخذ به.

(٢) - البناية شرح الهداية ٦/ ٢٩٧ ولسان الحكام ص ٢٢١ والمدخل لابن الحاج ٤/ ٢٦٠

(٣) - الشورى آية ١٠

(٤) - سورة النساء: ٥٩

(٥) - القصص: آية ٥٠ د. عادل بن علي الشدي- السعوديون والأمن الفكري- جريدة الشرق الأوسط - الجمعة ٠٧ محرم ١٤٢٥ هـ ٢٧ فبراير ٢٠٠٤ العدد ٩٢٢٢.

(٦) - الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الحقيل- متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا. " كيف نحافظ على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا؟ "ص ٥٢ - ٥٣ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

المطلب الثالث: التقعيد الفقهي لتحقيق الأمن الفكري

تضمنت القواعد الفقهية ما يضمن تحقيق الأمن الفكري للمجتمع المسلم ويتبين ذلك من قواعد كثيرة منها مايلي: ١- قاعدة: الخروج من الخلاف مستحب[(١)]

ليس الخروج من الخلاف أولى مطلقاً، بل بشرطين أحدهما: أن لا يؤدي الخروج منه إلى محذور شرعي من ترك سنة ثابتة أو اقتحاماً أمر مكروه أو نحو ذلك[(٢)]

٢- قاعدة : لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع[(٣)]

يشترط في وجوب الإنكار أيضاً ألا يؤدي إلى فتنة، فإنه علم أنه يؤدي إلى فتنة لم يجب، بل ربما كان حراماً، بل يلزمه ألا يحضر المنكر، ويعتزل في بيته لئلا يراه، ولا يخرج إلا للضرورة، ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة إلا إذا كان عرضة للفساد.[(٤)]

يستثنى صور، ينكر فيها المختلف فيه:- إحداها: أن يكون ذلك المذهب بعيد المأخذ، بحيث ينقص، ومن ثم وجب الحد على المرتهن بوطئه المرهونة، ولم ينظر لخلاف عطاء.

---

(١) - الأشباه والنظائر ص ٢٥٧ والمنثور في القواعد ٢/ ١٣٢.

الخروج من الخلاف حيث وقع أفضل من التورط فيه وليس كما أطلق، بل الخلاف على أقسام.

القسم الأول: أن يكون الخلاف في التحريم والجواز فالخروج من الاختلاف بالاجتناب أفضل.

القسم الثاني: أن يكون الخلاف في الاستحباب أو الإيجاب فالفعل أفضل كقراءة البسملة في الفاتحة فإنها مكروهة عند مالك واجبة عند الشافعي وكذلك رفع اليدين في التكبيرات فإن أبا حنيفة لا يراه من السنن، وكذلك مالك في إحدى الروايتين عنه، وهو عند الشافعي سنة للاتفاق على صحة الأحاديث وكثرتها فيه.

وكذلك صلاة الكسوف على الهيئة المنقولة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنها سنة عند الشافعي، وأبو حنيفة لا يراها والسنة أن يفعل ما خالف فيه أبو حنيفة وغيره من ذلك وأمثاله.

الثالث: أن يكون الخلاف في الشرعية، كقراءة البسملة في الفاتحة، فإنها مكروهة عند مالك (- رحمه الله -) واجبة عند الشافعي (- رحمه الله -) ، (وكذلك صلاة الكسوف على الهيئة المنقولة في الحديث) ، فإنها سنة عند الشافعي (- رحمه الله -) وأنكره أبو حنيفة " - رضي الله عنه - "، " فالفعل أفضل ". (قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٢٥٣ والمنثور في القواعد ١٢٨/٢)

(٢) - الأشباه والنظائر للسبكي ١/ ١١٢

(٣) - الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: ١٥٨)

(٤) - القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة (٢/ ٧٥٧

الثانية: أن يترافع فيه الحاكم، فيحكم بعقيدته، ولهذا يحد الحنفي بشرب النبيذ ؛ إذ لا يجوز للحاكم أن يحكم بخلاف معتقده.

الثالثة: أن يكون للمنكر فيه حق، كالزوج يمنع زوجته من شرب النبيذ، إذا كانت تعتقد إباحته، وكذلك الذمية على الصحيح.[١]

٣- قاعدة: الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد [2]

لأنه لو نقض به لنقض النقض أيضا لأنه ما من اجتهاد إلا ويجوز أن يتغير ويتسلسل فيؤدي إلى أنه لا تستقر الأحكام. ومن ثم اتفق العلماء على أنه لا ينقض حكم الحاكم في المسائل المجتهد فيها وإن قلنا المصيب واحد لأنه غير متعين، ولو حكم القاضي باجتهاده ثم تغير باجتهاد آخر لا ينقض الأول، وإن كان الثاني أقوى.[٣]

٤- وقاعدة : المشقة تجلب التيسير وإذا ضاق الأمر اتسع.[4]

القواعد الفقهية السابقة نموذجاً من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري ويشهد لهذا ما دخل تحتها من فروع فقهية وأحكام فقهية من مقاصدها تحقيق الأمن الفكري والأمان النفسي وحائد صد للغلو والتطرف.

بُنيت هذه الفروع على دعوة الإسلام للرفق والتيسير كما في قوله ﷺ لأصحابه : « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »[٥]

---

(١) - الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: ١٥٨)

(٢) - الأشباه والنظائر ص١٠١

قال ابن نجيم ودليلها الإجماع، وقد حكم أبو بكر رضي الله عنه في مسائل، وخالفه عمر رضي الله عنه فيها، ولم ينقض حكمه وعلته بأنه ليس الاجتهاد الثاني بأقوى من الأول، وأنه يؤدي إلى أن لا يستقر حكم وفيه مشقة شديدة. (الأشباه والنظائر (ص: ٨٩)

الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد إلا إذا اشتمل النقض على مصلحة عامة. (غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (١/ ٣٢٩

(٣) - المنثور في القواعد الفقهية (١/ ٩٣

(٤) - للإمام تاج الدين السبكي - الأشباه والنظائر ١/ ٥٩ وإعانة الطالبين ٣/ ٩٩

(٥) - أخرجه البخاري ١/٨٩ كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد.

المطلب الرابع: من التدابير الفقهية لتحقيق الأمن الفكري الفصل بين الحق العام والحق الخاص

حق الله تعالى (الحق العام): الحق العام المقصود به عند علماء الشريعة حق الله ووهو ما قصد به التقرب إلى الله تعالى وتعظيمه وإقامة شعائر دينه، أو تحقيق النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد من الناس. وينسب إلى الله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه، أي أنه هو حق للمجتمع.

مثال الأول: العبادات المختلفة من الصلاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....

ومثال الثاني: كل ما يُحقق مصلحة لمجتمع كالكف عن الجرائم وتطبيق العقوبات من حدود وتعزيرات وصيانة المرافق العامة من أنهار وطرقات ومساجد وغيرها مما لا بد منها للمجتمع.(١)

٢ – الحق الخاص حق الإنسان (أو العبد):

الحق الخاص يُقصد به عند علماء الشريعة حق العبد، وهو ما يقصد منه حماية مصلحة الشخص، كالحقوق المالية المترتبة على المعاملات.....وحكم هذا الحق أنه يجوز لصاحبه التنازل عنه، وإسقاطه بالعفو أو الصلح أو الإبراء أو الإباحة، ويجرى فيه التوارث، ولا يقبل التداخل، فتتكرر فيه العقوبة على كل جريمة على حدة، واستيفاؤه منوط بصاحب الحق أو وليه.

الفرق بين حقوق الآدميين وحق الله، أن حق الله يتعلق عليه الثواب والعقاب، وذلك يقف على العلم، ويؤثر فيه العذر، وحق الآدمي يتعلق عليه الغرم الذي لا يختلف بالعلم والجهل والخطأ والعمد.(٢)

٣ - الحق المشترك: وهو الحق الذي يجتمع فيه الحقان: حق الله وحق الشخص، لكن إما أن يغلب فيه حق الله تعالى أو حق الشخص.

مثال الأول: اجتمع في عدة المطلقة، حق الله وهو صيانة الأنساب عن الاختلاط، وفيها حق الشخص، وهو المحافظة على نسب أولاده، وحق الله غالب وفي صيانة الأنساب نفع عام للمجتمع، وهو منع الفوضى.(٣)

---

(١) - فصول البدائع ٣٠٧/١ والفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٤/ ٢٨٤٤

(٢) - الواضح في أصول الفقه ٤/ ٢٨٦

(٣) - فصول البدائع ٣٠٧/١ والفقه الإسلامي ٤/ ٢٨٤٤

المطلب الخامس: التدابير الفقهية لتحقيق الأمان الفكري تشريع عقد الذمة

يُعقد عقد الذمة لكل كافر ذكر بالغ حر قادر على أداء الجزية (استبدلت في هذا الزمان بالضرائب التي يجب على كل المواطنين دفعها بشروطها ويجوز إقراره على دينه.(١)

وإذا عقد الذمة، فعلى الحاكم المسلم حمايتهم من المسلمين وأهل الحرب وأهل الذمة؛ لأنه التزم بالعهد حفظهم

ولاية الإلزام بالسيف والمحاجة وكل ذلك منقطع عنهم باعتبار عقد الذمة.(٢)

حكمة تشريع عقد الجزية: الحاجة مست إلى صيانة حقوق أهل الذمة.

ولا تحصل الصيانة إلا وأن يكون لبعضهم على بعض شهادة، ولا شك أنّ الحاجة إلى صيانة حقوقهم ماسة؛ لأنهم إنما قبلوا عقد الذمة لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا، وعقد الذمة خلف عن الإسلام فيثبت به ما يثبت بالإسلام إذ الخلف لا يخالف الأصل.(٣)

---

(١) - التاج والإكليل ٤/ ٥٩٣

الفرق بين الأمان وعقد الذمة:- أحدهما: عقد الذمة حق لهم علينا، وعهد الأمان حق لنا عليهم، لأنّ من سأل الأمان لم يلزم إجابته، ومن بذل الجزية لزمت إجابته.

والثاني: إن لنا مع خوف الخيانة أن ننقض أمان أهل العهد، وليس لنا مع خوفها أن ننقض أمان أهل الذمة حتى نتيقنها - فافترقا.

(الحاوي الكبير ١٣/ ١٢٦)

ولا يجوز عقد الذمة المؤبدة إلا بشرطين، أحدهما، أن يلتزموا إعطاء الجزية في كل حول والثاني التزام أحكام الإسلام، وهو قبول ما يحكم به عليهم من أداء حق، أو ترك محرم، لقول الله تعالى: {حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} [التوبة: ٢٩] . وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث بريدة: «فادعهم إلى أداء الجزية فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم» ولا تعتبر حقيقة الإعطاء، ولا جريان الأحكام، لأن إعطاء الجزية إنما يكون في آخر الحول، والكف عنهم في ابتدائه عند البذل.

والمراد بقوله: {حتى يعطوا} [التوبة: ٢٩] أي يلتزموا الإعطاء، ويجيبوا إلى بذله، كقول الله تعالى: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} [التوبة: ٥] والمراد به التزام ذلك دون حقيقته، فإن الزكاة إنما يجب أداؤها عند الحول، لقوله - عليه السلام - : «لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول» (سنن ابن ماجه ١٢/٣ باب زكاة الورق والذهب، وسنن الدارقطني ٤٦٧/٢ باب وجوب الزكاة بالحول، قال النووي رحمه الله في "الخلاصة": وهو حديث صحيح، أو حسن، انتهى. ولا يقدح فيه ضعف الحارث لمتابعة عاصم له. نصب الراية (٢/ ٣٢٨) (المغني٩/ ٣٣٢)

(٢) - تبيين الحقائق ٢/ ١٥٩ والمغني لابن قدامة ٩/ ٣٦٢

(٣) - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ٦/ ٢٨٠

عقد الذمة شرع ليكون وسيلة لهم إلى الإسلام، وتمكينهم من المقام في أمصار المسلمين أبلغ إلى هذا المقصود.(بدائع الصنائع ٧/ ١١٣ و تبيين الحقائق٥/ ٢٣٥)

أخيرًا التوصيات وأهم النتائج:-

يوصي الباحث بالآتي:-

١- على طلاب العلم التشمير عن ساعد الجد لتنزيل العلوم الإسلامية على الواقع والبحث عما اشتملت عليه من مقاصد.

٢- لا تتحق مواجهة الفكر إلا بالفكر والقوة مطلوبة في وقتها بعد استنزاف كل طرق المواجهة.

٣- يجب دعم الجامعات المعتمدة من الدولة ومؤسسات البحث العلمي بما يجعلها قادرة على مواجهة التحديات الفكرية لمنع الغزو الفكري الداخلي أو الخارجي.

٤- الشريعة الإسلامية بفقهها وعلومها مشتملة على التدابير التي تحقق الأمن الفكري.

أهم النتائج:-

١- الأمن الفكري من مقاصد الشريعة الإسلامية.

٢- الأمن الفكري نتيجة من نتائج التشريع اللإسلامي العادل.

٣- الأمن الفكري لا يتحقق بقوة السلاح وإنما بقوة المنهج الصحيح.

المراجع وأهمها:. أولًا:.القرآن الكريم وتفسيره

١- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)(الجامع لأحكام القرآن الكريم) تحقيق: أحمد البردوني الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

ثانيًا: كتب السنة ومنها:.

١- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (فتح الباري شرح صحيح البخاري)الناشر: دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩.

٢ - سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ (سنن أبي داوود) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميدالناشر: المكتبة العصرية، - بيروت.

٣- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت 261هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤- محمد بن إسماعيل البخاري(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري)المحقق: محمد زهير بن ناصر الناشر: دار طوق النجاة.

٥- محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ (سنن ابن ماجه) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

كتب اللغة والمعاجم:

1 - إبراهيم مصطفى وآخرون (المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية- بالقاهرة الناشر دار الدعوة.

2- أحمد مختار عبد الحميد (ت 1424هـ وآخرون (معجم اللغة العربية المعاصرة) عالم الكتاب.

3- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) (التعريفات) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

كتب الفقه:. أولًا الفقه الحنفي

١- أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ)(بدائع الصنائع)الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

٢- محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ) (المبسوط) دار المعرفة - بيروت

٣- محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ) (رد المحتار) الناشر: دار الفكر- بيروت الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.

٤- محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)(العناية شرح الهداية) الناشر: دار الفكر

٥- محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)

(البناية) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

ثانيًا: الفقه المالكي

1- شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)الذخيرة) الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت

٢- عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)(النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهات) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٩ م

3- علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي) (المتوفى: 1189هـ) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني) المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي.

4- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: 595هـ) (بداية المجتهد) الناشر: دار الحديث – القاهرة.

٥- محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩هـ) (منح الجليل ش مختصر خليل) الناشر: دار الفكر – بيروت تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

ثالثًا: الفقه الشافعي

1- علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) (الحاوي في الفقه الشافعي) دار الكتب العلمية.

2- محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م

5- محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ (المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) الناشر: دار الفكر.

رابعًا: الفقه الحنبلي

1- عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: 682هـ) الشرح الكبير على متن المقنع) الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع

2- عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ) (المغني) الناشر: مكتبة القاهرة

كتب الأصول: ١- آل تيمية: أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)وأبيه وجده] (المسودة) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الكتاب العربي.

- عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) (روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل)الناشر: مؤسسة الريّان ط الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

- علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي (الإبهاج في شرح المنهاج)الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م

٥- محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) (البحر المحيط) الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٦- محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) (تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي) دراسة: د سيد عبد العزيز الناشر: مكتبة قرطبة للبحث العلمي- المكتبة المكية.

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (الأشباه والنظائر) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية ص٤ أ.د/ حسين السيد حامد ك الدراسات الإسلامية ج المنوفية.

- مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية ص١٥ كلية التربية مكة المكرمة، بحث مكمل للماجستير إعداد أمل محمد أحمد ١٤٢٨ هـ.

وأخيرًا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا، هذا وما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ فمن جهلي وتقصيري والدين منه براء.

ثم أتوجه بخالص الشكر والامتنان للسيد الأستاذ الدكتور عميد كلية دار العلوم جامعة المنيا والأساتذة الكرام أعضاء هيئة التدريس والسادة العاملين بالكلية والقائمين على المؤتمر وفقكم الله تعالى لكل ما فيه الخير لمصرنا الغالية وللأمة العربية والإسلامية.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور رئيس الكلية الجامعية الإسلامية ببهانج السلطان أحمد شاه (KUIPSAS) والسادة العاملين بالجامعة نوابًا ورؤساء أقسام ومحاضرين.

د/ربيع محمد محمد عبد الرحمن- محاضر الشريعة بقسم الشريعة والقانون الكلية الجامعية الإسلامية ببهانج السلطان أحمد شاه (KUIPSAS)

دور الدرس الفقهي في تعزيز الأمن الفكري في جامعة القصيم واتجاهات الطلاب نحوه

The Role of the Juristic Lesson in enhancing intellectual security in Qassim University and the students' attitudes towards it

دكتور/ علي بن محمد ربابعة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

دكتورة/ زينب زكريا معابدة
كلية الشريعة / الجامعة الأردنية

المقدمة:

يعد الأمن الفكري من أهم مطالب الحياة الضرورية؛ لتحقيق مصالح الطلاب، حيث له معنى شامل في حياته، فهو يشمل فضلا عن ضمان أمنه على حياته، الأمن علي عقيدته التي يؤمن بها، وموارد حياته المادية وهويته الفكرية والثقافية. (المالكي،2007 ، 65).

وعلى الدولة أن تهيئ لأفرادها البيئة التربوية الحرة لتنمية القدرات العقلية، ومواجهة التيارات الفكرية المنحرفة، وبناء المناهج التعليمية، وإعداد المؤسسات التربوية؛ لتقديم الوسائل اللازمة لتحصين فكر الشباب المسلم من الأفكار المنحرفة، وليبقى المجتمع متماسكا، لا يعيش كلاً على غيره، ينتفع بالموجودات المحيطة به ويسخرها لصالح مجتمعه، وينتفع بالأحداث، والتيارات، التي جرت في الماضي، أو تجري في الحاضر. (الكيلان، 1996، 72).

فالجامعة مسئولة عن بناء شخصية الطلاب وتنميتها، بما يتوافق مع القيم الاجتماعية والأخلاقية، من خلال وضع الخطط المدروسة، والبرامج الرامية لتحقيق الأمن الفكري، ضمن مفردات المناهج الدراسية التي يتم انتقاؤها بعناية فائقة ،بحيث تحقق مبدأ الأصالة والمعاصرة معا، بالإضافة إلى تربية الطلاب علي حب الوطن، وتعميق شعور الانتماء له، والحفاظ علي موروثاته وقيمه الحضارية، وتوفير القيم والاتجاهات الإيجابية، والمبادئ الأخلاقية لدى طلاب الجامعة، يبني شخصية الطالب، ويمنحها الحرية المسؤولة، ويحصنها من الذوبان في

التيارات المنحرفة، مما ينعكس إيجابا على أمن المجتمع واستقراره وحمايته.(الملحم،2009، 84)، (الجنحى،2000).

وتعد الجامعات في المجتمع السعودي، المنبع الرئيس الذي يكتسب من خلاله الطالب العلم والمعرفة، ومركزا لتنمية المهارات وتعديل السلوك، فتبني لدى الطالب القيم الصحيحة، وتعده لتلقي السلوك الإيجابي، وما يمكن أن يؤثر على سلوكه وتصرفاته إيجاباً، ضمن رؤية ورسالة الجامعة، تحصينه من الفكر الضال، والعقيدة الفاسدة؛ حماية لدين الله تعالى وحماية ولوجودها.

ويأتي دور عضو التدريس في غرس قيم الأمن الفكري، لدى طلابه من خلال مجموعة من الأدوات، تبدأ في بناء الأهداف العلمية التربوية، المنسجمة مع رؤية، ورسالة، وقيم الجامعة، وتوجيه المحتوى العلمي إلى وحدة الأمة، وصيانة ضرورياتها الخمس من الإفراط، والتفريط، وبيان الرأي المناسب من أقوال العلماء، فبعض الأفكار تغيرت وتبدلت، فلا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، فعندما كان يعد المتأخر عن صلاة الجماعة منافقا، نراه اليوم من عباد الله المخلصين، وعندما كان الأكل والشرب في الأسواق منقصة، يرد لفعله حديث رواه عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أصبحت اليوم مطاعم بأكملها بجانب الطرقات.

فالأمن الشامل مسئولية الأمة بجميع فئاتها، والمسؤولية الأكبر على علمائها ومثقفيها على اختلاف تخصصاتهم، وأعمالهم ومهامهم في توضيح الدين الحق الوسطي للناس، دون إفراط ولا تفريط، مستندين في ذلك على كتاب الله تعالى، وصحيح السنة النبوية، لذلك فإن تحصين فكر الناشئة من الأفكار، والتيارات المنحرفة ،هو القاعدة الصلبة التي تنطلق منها كافة أوجه النشاطات التربوية ، في المؤسسات التربوية والاجتماعية، فسلامة فكر الطلاب من الانحراف، هو سلامة لكيان الأمة، وبقاء كل مقومات الاستقرار ونمائها، وحمايتها من أي نشاط هدام، يستهدف المساس بدستورها ،أو مؤسساتها، أو ثوابتها الاجتماعية والدينية .

ومسألة القبول للآخر أيضا، من أساسيات الأمن الفكري، تحتاج إلى توجيه من قبل عضو هيئة التدريس باستخدام استراتيجيات تدريس متنوعة، تقوم على تعاون الطلاب، والعمل المشترك معا؛ كالتعليم التعاوني والتعليم التشاركي، والتعليم الزمري، والحوار والمناقشة؛ للوصول إلى المعلومة الصحيحة، وتحقيق الهدف المحدد

من قبل عضو هيئة التدريس، موجها ذلك إلى مختلف مستويات الطلاب، وتوجهاتهم الدينية والطائفية، والعمل على بناء منهج تقييم يحقق مخرجات تعليم سليمة، مبنية على الأهداف المتوخاة، فما رسخ في عقل الطلاب من قيم سيظهر في تقييمهم.

إن اختلال الأمن الفكري، يؤدي إلى اختلال الأمة في العديد من الجوانب، من حيث المفاهيم والثوابت، ونشوء الفرق الضالة التي تعيث فسادا في المجتمع، فما كان حلالا يصبح حراما، وما كان حراما يصبح حلالا، فيكثر القتل، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وتشيع الفاحشة؛ نتاجا لتطبيق أفكار خارجة عن دين الله تعالى وشرعه، مستنبطة من وحي التعصب للشيخ، أو للمذهب، أو الاستنباط الخاطئ.

والمتأمل في تيارات الغلو في المجتمعات المسلمة، يجد أن أفعال الغلاة من قتل وتفجير، هي نتاج لفكر خاطئ، وتطويع الأحكام، بما ينسجم مع أهوائهم وشهواتهم، فاستخدام الأسلوب الوقائي في بناء القيم الصحيحة واجب، يلزم جميع المؤسسات التربوية من مدارس وجامعات، فهي المضلة التي تخرج المتعلمين من مدرسين وإداريين وقادة مجتمع، وراسمي القرار، وتجنب أفراد المجتمع خطورة الجرائم والحوادث، وانعكاساتها السيئة على المجتمع، وويلات الجريمة الاجتماعية، والاقتصادية، والمعنوية. (المالك،2005)، و(حميد،1430).

وتتضح أهمية الأمن الفكري في الآتي:

١. غرس القيم والمبادئ الإنسانية ،التي تعزز روح الانتماء، والولاء لله والوطن.
٢. ترسيخ مفهوم الفكر الوسطى المعتدل، الذي تميز به الدين الإسلامي الحنيف.
٣. تحصين أفكار الطلاب من التيارات الفكرية الضالة.
٤. تربية الطلاب على التفكير الصحيح، القادر على التمييز بين الحق من الباطل، والنافع من الضار.
٥. إشاعة روح المحبة والتعاون بين الطلاب، وإبعادهم عن أسباب الفرقة والاختلاف.
٦. ترسيخ الإحساس بالمسئولية تجاه الوطن، والحفاظ على مقدراته ومكتسباته.

٧. تحقيق الأمن والتماسك الأسري، وحفظ دماء المسلمين وأموالهم ودينهم، من مغبة تكفير المسلمين.

٨. صرف اهتمام الطلاب إلى أمور الحياة المهمة، والاستفادة من جهدهم في الثوابت الدينية والفكرية(درويش 189، 2007)، (الدغيم،79، 2006).

دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري.

يعد الأستاذ الجامعي من أهم الركائز التي تعتمد عليها الجامعة في بناء شخصية الطلاب، وتقويم سلوكياتهم، وتعديل أفكارهم واتجاهاتهم، والأداة الناجحة والمثلي لتقويم المسار وتصحيح المفاهيم؛ لذا أضحي دوره في تحقيق الأمن الفكري، والتصدي للانحرافات الفكرية ، التي قد يتعرض لها الطلاب ضرورة ملحة، ومطلب حيوي لمواجهة التحديات المعاصرة.(السالمان، 8 ،2007).

كما أن دور الأستاذ الجامعي، يفوق في كثير من الأحيان دور المناهج التعليمية في تحقيق الأمن الفكري لطلابه، وذلك من خلال الأداء الجيد للأستاذ الجامعي، الذي من الممكن أن يعوض الضعف في مضمون المقرر، وبالمثل فإن ثراء المضمون، يمكن أن يهدره ضعف أداء الأستاذ، كما يمكن أن تتضمن المقررات ،قيم العدل والمساواة والمواطنة بين البشر، على حين ينطوي سلوك الأستاذ علي انتهاك هذه القيم. (نوير،2005).

ولم يعد دور الأستاذ الجامعي محصورا في الأدوار التقليدية كتقديم المعرفة، وخصوصا في هذه المرحلة التي شهدت تغيرات سياسية على مستوي الوطن العربي، وما يصاحبها من إفرازات فكرية صحبها إشاعة جو من الفوضى والعنف والاضطرابات، أثرت في جميع البلدان العربية، وأدت إلي انتشار التيارات الفكرية والصراعات لاستقطاب الشباب والتناحر بين الطوائف السياسية، فأصبح دور الأستاذ الجامعي دورا لا غنى عنه، في توجيه العمل والنشاط الطلابي، من خلال العمل المشترك بروح الفريق، وغرس الوعي الفكري، ويترتب على ذلك زيادة الوعي لدى الطلاب بأهمية الأمن الفكري، من خلال الحوارات البناءة داخل وخارج قاعة المحاضرات، وأنه مهما اختلفت أدوار الأستاذ الجامعي، فإن قيمته ستظل مرهونة بطبيعة العلاقة بينه وبين طلابه، فقد تكون العلاقة سلطوية الطابع ،بحيث لا يسمح لطلابه أن يناقشوه، ويعاملهم باستخفاف وازدراء

لعقولهم، وفكرهم، وإرادتهم ، وحريتهم؛ مما يزعزع أمنهم النفسي، وتفكيرهم الحر، ومنهم من يسمح لطلابه بالحوار، والمناقشة ،والنقد البناء، ويدعم الاتجاهات الموجبة نحو القيم التي تؤكد مفاهيم الديمقراطية ،والمشاركة الفعّالة، والتسامح، والتميز، والإبداع، بما يسهم في تحقيق الأمن الفكري (عمارة 71، 2010).

وعلى الأستاذ الجامعي، فتح المجال أمام طلابه؛ للتعبير عن آرائهم ، بكافة الوسائل، وفى مختلف الأنشطة؛ لأجل تصحيح الفكر المنحرف، وتحصين الطلاب ضده، والتحذير من أخطاره، وغرس قيم الولاء والانتماء للأمة والوطن وتنميتها لدى الطلاب مما يعزز الأمن الفكري لديهم.

ويكمن دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب بالآتي:

١. استخدامه طرائق تدريسية كفئة وفاعلة ومشوقة.
٢. توظيف التقنيات التربوية الحديثة، في إيصال المادة العلمية للطالب بأفضل صورة.
٣. إيصال المادة العلمية للطالب بأفضل صورة.
٤. مساعدة الطالب على الاحتفاظ بالمعلومة لأطول مدة ممكنة، (التعليم المستدام).
٥. توظيف المادة العلمية في حل المشكلات المستقبلية التي تواجه الطالب.
٦. توجيه الطلبة إلى استغلال أوقات الفراغ بما ينفع مجتمعهم.
٧. مشاركة الطلبة في إيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية.
٨. تصحيح الفكر والسلوك الخاطئ لدى الطلبة. (شلدان ،35، 2013)، (الحسناوي، 2010).

دور المناهج الدراسية في تعزيز الأمن الفكري:

إن المناهج الجامعية هي عمل اجتماعي مؤسسي، وأن محتوياتها وأساليب تصميمها وتنفيذها من أهم سياسات المجتمع، وبات من الضروري أن يتم تعزيز بعض المقررات بالبعد الثقافي القومي ،والاهتمام بالأنشطة الثقافية، وإعداد برنامج ثقافي، يتم تنفيذه على مستوى الجامعات، وأن تعمل المؤسسات الجامعية للمحافظة على الذاتية الثقافية، دون عزلة عن الحضارة العلمية المعاصرة، وفى توازن دقيق، ومدروس، بين عناصر الثقافة القومية ،وعناصر الثقافة العلمية. (العجمي، 77، 2002).

وعلى المناهج ،ومن يقوم بتدريسها، أن يعملا على كشف الزائف من الأفكار والمعلومات ؛ ليميز الطالب بين ما هو مفيد، وما هو غير مفيد، من المعلومات، ويتم ذلك من خلال:

- تدريب الطلاب علي التريث في إصدار الأحكام، من خلال الاستماع لمختلف وجهات النظر.
- تدريب الطلاب على دراسة الأحكام، من منظور شامل، يراعي كافه الأبعاد، قبل إصدار الأحكام.
- وضع مناهج، وخططا متوازنة؛ لتطوير منظومة القيم، والاتجاهات الإيجابية لدي الطالب؛ لمواجهة تحديات المستقبل.(طعيمة،33، 1999).

ومن ثم فإن على الجامعة أن تطور المناهج التقليدية، وتعيد النظر في فلسفة إعداد المتخرج، بحيث يكون قادرا على التعامل مع التحديات الفكرية الجديدة، محصنا بالعلم والقيم الإيجابية، معتزا بحضارته وهويته، ويستطيع أن ينافس على المستوى العلمي، وفق رؤية مستقبلية تستند إلى معايير الجودة الشاملة.

ويري الباحث أنه لابد من تضمين المناهج ما ينمي في الطلاب حب الوطن، والحفاظ على أمنه وحمايته من الأخطار، وتحصينهم فكريا وأمنيا بما يسهم في ترسيخ الانتماء للوطن، والتطوير المستمر للمناهج باستمرار، وفق مفاهيم المواطنة وسلوكياتها ؛ سعيا إلى تضمين هذه المناهج مهارات مواجهة السلوكيات المنحرفة.

ويكمن دور المناهج في تعزيز الأمن الفكري بالآتي:

١. توفير الأطر المعرفية المناسبة للموقف العملي بالنسبة لكل مرحلة.
٢. تنمية مهارات التفكير، والرقي بمستوى الإدراك، بما يمكّن الطلبة من القدرة على الإحاطة بالمعارف القديمة، والمفاهيم الجديدة، والربط بينها.
٣. تطبيق استراتيجيات التدريس، واستخدام المعرفة في حل المشكلات، واختيار البدائل المناسب في المواقف الحياتية المختلفة.
٤. تنمية مهارات التحليل، والتركيب، والاستنتاج ، حتى يكون المتعلم قادرا على تفسير الأحداث والمواقف، وتحديد العناصر، والخصائص، والصفات المكونة لها، وكشف العلاقات التي تربط بينها جميعاً، أو تؤثر فيها ؛ بما يحقق مزيداً من الأمن الفكري المجتمعي، وفق رؤية ريادية.
٥. تأصيل مفهوم ما وراء المعرفة، بما يمكن المتعلم من التفكير في كل ما سبق إدراكه، من أقوال وأفعال، وتقييمها موضوعياً في إطار القواعد الشرعية الصحيحة، ويحقق أمن المجتمع.
٦. تضمين المناهج مفهوم النظرة العالمية للقضايا المعاصرة، وتمكين الطالب من فهمها والتعامل معها.
٧. تضمين المناهج الجامعية في فقه العبادات والمعاملات :القضايا والاجتماعية المختلفة وفقه الواقع والمستجدات الطبية. (الهماش، 17، 1430).

دور التقويم في تعزيز الأمن الفكري:

يعد التقويم دعامة أساسية في التربية الحديثة، ودوره الفاعل في تحقيق المخرجات التربوية، واعتباره من وسائل قياس المنهج، فإذا كان المنهج يسعى إلى تحقيق عملية النمو للطلاب، فإن التقويم يساهم بقدر كبير في هذه العملية، ويساعد في اكتشاف قدرات الطلاب ، وميولهم واستعداداتهم، ومعرفة جوانب النقص لديهم والعمل على معالجتها، ومعرفة جوانب القوة لديهم وتنميتها، وتنمية القيم الاجتماعية كالمسئولية، وتنمية مهارات التفكير، ومساعدة الطلاب على تعديل سلوكياتهم إلى الأفضل، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وإشباع ميولهم

وحاجاتهم، وتصحيح المفاهيم الخاطئة لديهم. (عثمان،14، 2015)، (منصور، 67، 2017)، (المالك122، 2005).

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تقوم جامعة القصيم باستقطاب الطلاب من جميع إماراتها في المملكة، ومن الدول والجاليات الإسلامية، وتدريسهم في كلياتها المتعددة، وباختلاف جنسياتهم ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبلغ عدد الطلاب الذكور (4000) طالب، ويضاف إليهم (150) من الطلاب الأجانب.

ونظرا إلى ما تمر به منطقة الشرق الأوسط، من الأحداث الساخنة، وتوجيه أصابع الاتهام دوما إلى الشرعيين، والمتخصصين في الشريعة الإسلامية، وكليات الشريعة، ووصفها أنها بيئة خصبة لإنتاج الإرهاب، ولعدم وجود دراسة متخصصة سابقة- حسب علم الباحث- تقيس أثر الدرس الفقهي في تحقيق الأمن الفكري، في جامعة القصيم، واتجاهات الطلاب نحوه، ومن هنا انطلقت هذه الدراسة؛ لمعرفة أثر الدرس الفقهي في تحقيق الأمن الفكري، في جامعة القصيم، واتجاهات الطلاب نحوه، والإجابة على الأسئلة الآتية:

السؤال الرئيس: ما دور الدرس الفقهي في تحقيق الأمن الفكري على طلاب جامعة القصيم؟ ويتفرع منه الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما دور أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في تعزيز الأمن الفكري ؟

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة = 05 $(0.\alpha)$ بين استجابات أفراد عينة البحث، حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري، لدى طلاب جامعة القصيم، وفقا لمتغير القسم العلمي؟

السؤال الثالث: ما اتجاهات الطلاب في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، نحو تعزيز الأمن الفكري؟

أهمية الدراسة:

ظهرت أهمية الدراسة في الآتي:

١. توفير دراسة مستقلة تبين وضع أعضاء هيئة التدريس في جامعة القصيم.

٢. ابراز ما تقدمه جامعة القصيم، من جهد عالمي، في تقديم العلم والأمن الفكري للطلاب.

٣. تغيير الصورة التي رسمها الإعلام، حول كليات الشريعة، بأنها منبع الإرهاب.

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى الآتي:

١. بيان أثر الدرس الفقهي في تحقيق الأمن الفكري على طلاب جامعة القصيم.

٢. بيان دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري في جامعة القصيم.

٣. بيان دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري في جامعة القصيم، وفقا لمتغير القسم العلمي.

٤. بيان اتجاهات طلاب كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، نحو تحقيق الأمن الفكري في جامعة القصيم.

مصطلحات الدراسة:

اقتصر الباحث على بيان أهم مصطلحات الدراسة وهي كالآتي:

الأمن : شعور نفسي يتحقق بمجموعة قواعد موضوعية وإجرائية، يتم اعتمادها من السلطة التشريعية والتنفيذية بالمجتمع؛ رعاية للمصالح محل الحماية فيه. (الهماش، 6، 1430ه)

الفكر اصطلاحاً: مجموعة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية، من قيم ومبادئ أخلاقية، يملكها الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه. (التركي،د.ت، 23).

الأمن الفكري: عرفه (الجحني، د.ت،130) و(حيدر 215، 2002) ب" تأمين أفكار وعقول أفراد المجتمع، وخلوها من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ، مما قد يشكل خطراً على نظام الدولة وأمنها، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية".

وعرفه (نور، 12، 1428) ب "حماية عقول الناشئة، من كل فكر خاطئ يتعارض مع تعاليم الإسلام، ويؤدي إلى انحراف في السلوك.

التعريف الإجرائي : مجموع الأنشطة والفعاليات التي تقوم بها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، بهدف تحصين الطلبة بالأفكار السليمة، في مواجهة الأفكار التي تتعارض مع الفكر الصحيح، في المجتمع المسلم، بهدف إعداد وبناء الشخصية السوية الفاعلة للطالب.

الاتجاه: هو محصلة مشاعر الفرد نحو تعزيز الأمن الفكري في الدرس الشرعي، التي تتكون بفعل خبرته وتعامله معه، بحيث يكون الطالب قادرا على اتخاذ موقف التأييد، أو المعارضة منه، وقد قيس إجرائياً بمحصلة استجابات الطالب اللفظية (الاتجاهات المعلنة)، على فقرات مقياس الاتجاهات، نحو تعزيز الأمن الفكري في الدرس الشرعي، كما تعبر عنه الدرجة الكلية التي حصل عليها الطالب على هذا المقياس.

الدرس الفقهي: هي الجوانب الفقهية في المقررات الشرعية التي حددت ضمن محددات الدراسة.

محددات الدراسة:

الحد الزماني: الفصل الأول من العام الجامعي 1441/1440ه.

الحد المكاني: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم.

الحد الموضوعي: واشتملت على مقررات الأقسام التالية:

الفقه: (492 فقه: تدريب عملي ميداني،391 فقه: بحث فقهي أصولي، 471فقه الجنايات)، أصول الفقه: (101 أصل: المنطق وأدب الاختلاف، 233أصل القواعد الفقهية،111أصل: أصول الفقه1)، السنة وعلومها: (251 سنة: أحاديث معاملات1، 352 سنة: أحاديث معاملات2، 353: أحكام الأسرة)، الدعوة والثقافة الإسلامية :(373 ثقف: منهج الحوار في الإسلام، 107 سلم: حقوق الإنسان في الإسلام، 101 نفس: مهارات التفكير وأساليب التعلم، ٣٧١ ثقف: الدعوة الإصلاحية)، العقيدة والمذاهب المعاصرة :(472 عقد: فرق إسلامية، 273 عقد: المذاهب المعاصرة، 371أديان: أديان)، القرآن وعلومه: (281 قرأ: الأسرة في القرآن 465 قرأ: التفسير الموضوعي، 241 قرأ: علوم القرآن).

الدراسات السابقة:

بعد اطلاع الباحث على بعض الدراسات، تم تحديد الدراسات التي لها علاقة بموضوع الدراسة لاسيما تلك التي تتحدث عن الأمن الفكري في المؤسسات التعليمية، فكانت على النحو التالي:

أجرى عدوان (٢٠١٧) دراسة هدفت إلى التعرف على دور مجالس الطلبة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي والمنهج البنائي التطوري، وتكونت عينة الدراسة من (249) طالبا وطالبة من الجامعات(الإسلامية و الأزهر والأقصى)، وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة لدور مجالس الطلبة في الجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة تعزى إلى متغير الجامعة، ولا توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات تقديرات أفراد عينة الدراسة لدور مجالس الطلبة في الجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة تعزى إلى متغير الجنس والمستوى الدراسي.

فيما أجرى طاشكندي (٢٠١٦) دراسة هدفت إلى الكشف عن واقع الممارسات التي يقوم بها المعلم في تحقيقه للأمن الفكري لطلابه، وإبراز المعوقات والصعوبات التي تواجهه عند أداء دوره، وقد تم استخدام المنهج الوصفي، وبلغت عينة الدراسة(127) معلما ومعلمة في مكة المكرمة، وتمثلت أداة الدراسة بالاستبانة التي أجاب عليها أفراد عينة الدراسة، وأسفرت الدراسة عن وجود نسبة عالية من المعلمين الذين يقومون بممارسة الأدوار الملقاة على عاتقهم في تعزيز الأمن الفكري في نفوس طلابهم، على الرغم من وجود مجموعة من العقبات والصعوبات التي قد تواجههم في ذلك، غير أن وجود الوعي والتدريب المسبق يساعد على التغلب على هذه العقبة، وأوصت بضرورة التدريب المستمر للمعلم في سبيل مواجهة التطورات الحديثة

وأوضحت دراسة أبو خطوة، والباز (2014) ه انعكاسات شبكة التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين،

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتمثلت أداة الدراسة باستبانة تم توزيعها على عينة قوامها(104) طالب طالبة في الجامعة الخليجية بمملكة البحرين، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن هناك أثر لشبكات التواصل الاجتماعي على الأمن الفكري لدى الطلبة بصفة عامة بدرجة متوسطة، وانتهت الدراسة بتقديم تصور مقترح لتوظيف شبكة التواصل الاجتماعي في تفعيل الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين، وأوصت الدراسة بضرورة عقد دورات تدريبية لفئة الشباب تستهدف تطوير مهاراتهم في توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في خدمة قضاياهم.

فيما هدفت دراسة الثويني، ومحمد (2014) إلى بيان تحديات العولمة التي تواجه المعلم الجامعي في تحقيقه للأمن الفكري لطلاب الجامعة، والكشف عن واقع ممارسات المعلم الجامعي في تحقيقه للأمن الفكري لطلابه، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتمثلت أداة الدراسة باستبانة وزعت على عينة الدراسة المكونة من(1000) طالبا، وتوصلت الدراسة إلى قيام المعلم الجامعي بتحفيز طلابه على ضرورة التمسك بالمجتمع وقوانينه، وتوضيح خطورة السلوكيات الهدامة، كما وبينت الدراسة قصور المناهج الجامعية باحتوائها على المفاهيم والأفكار المتعلقة بالأمن الفكري، وصت الدراسة بضرورة تضمين المناهج الدراسة بمفاهيم الأمن الفكري.

وأجرى شلدان (2013) دراسة هدفت إلى التعرف على دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز لأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله، ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث المنهج الوصفي، وكانت أداة الدراسة الاستبانة، وتكونت عينة الدراسة من (395) وطالبة وطالبا، وأوصت الدراسة بضرورة تفعيل دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية لتعزيز الأمن الفكري ،لدى طلبتها لتحصين الشباب من الفكر الضال.

كما يلاحظ أن دراسة عساف (2011) هدفت إلى الكشف دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية، في تعزيز الأمن الفكري والحوار بين طلبة الجامعات الفلسطينية، من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقام الباحث بإعداد استبانة مكونة من (40) فقرة،

وتوصلت الدراسة إلى أن درجة الاحتياج الكلية إلى التربية للمواطنة، عند الطلبة الجامعيين ،كانت بنسبة عالية، حيث احتلت درجة الاحتياج للتربية؛ من أجل المواطنة الاجتماعية المركز الأول، (والمواطنة السياسية) المركز الثاني، أن أهم مبررات احتياج الطلبة للتربية من أجل المواطنة، كان تنامي الذات الفردية، والمصالح الخاصة ،على حساب المصالح الوطنية.

فيما أجرى الشمري، والجرادات (2011)، هدفت الدراسة إلى التعرف على دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري، لدى الطلاب في جامعة حائل، والتعرف على الفروق بين أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري، باختلاف كلياتهم ورتبهم ومؤهلاتهم وخبراتهم العلمية، وكانت الاستبانة أداة الدراسة واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وبلغت عينة الدراسة (173) من أعضاء هيئة التدريس في جامعة حائل، وأظهرت نتائج الدراسة أن دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب في الجامعة ، جاء بدرجة عالية، وأشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية ، بين أفراد عينة البحث وفق للمتغيرات البحث، وأن هناك بعض المعوقات التي تواجهه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب، وأوصت الدراسة في إجراء دراسة مماثلة ، تشمل متغيرات أخرى، أو بناء مقياس للكشف عن مستوى الأمن الفكري، لدى الطلاب.

وقام أبو حشيش (2010) بإجراء دراسة هدفت إلى التعرف على واقع الدور الذي تقوم به كليات التربية بمحافظات غزة ، في تنمية المواطنة لدى الطلبة المعلمين، والوقوف على الفروق بين استجابات الطلبة المعلمين باختلاف متغير الجامعة التي ينتسبون إليها، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما اعتمدت على الاستبانة التي أعدها الباحث، وطبقه على عينة قوامها (500)من الطلبة المعلمين في كليات التربية في كل من الجامعة الإسلامية، وجامعة الأقصى بغزة وتحديداً، وأظهرت النتائج أن المتوسطات الحسابية لدور كليات التربية، في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المعلمين، كما يراها الطلبة انحصرت ما بين التقديرين القليل والعالي جداً، توجد فروق جوهرية بين متوسط

درجات طلبة جامعة الأقصى ،ومتوسط درجات طلبة الجامعة الإسلامية، بالنسبة لدور كليات التربية في تنمية قيم المواطنة، والفروق لصالح طلبة جامعة الأقصى.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة يتضح ما يلي:

١. أكدت الدراسات السابقة على مفهوم الأمن الفكري.
٢. أظهرت بعض الدراسات دور كليات التربوية في تعزيز الأمن الفكري لدى أفرادها كما في دراسة أبو حشيش(2010) ، ودراسة (عساف 2011)، ودراسة (شلدان 2013).
٣. وأظهرت بعض الدراسات دور عضو هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى أفرادها كما في دراسة الشمري والجرادات (2011)، ودراسة (الثويني ومحمد 2014) ودراسة (طاشكندي 2016).

- **مدى استفادة الباحث من الدراسات السابقة:**

١. التمكن من إعداد الإطار النظري للدراسة.
٢. إعداد أداة الدراسة (الاستبانة).
٣. الرجوع إلى بعض المصادر التي استفادت منها الدراسات السابقة.

- **ما تميزت به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:**

١. كونها دراسة ميدانية تقيس دور كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالتحديد في تعزيز الأمن الفكري، وهذه لم تجر من قبل.
٢. كونها دراسة تقيس دور استراتيجيات التدريس الفقهي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالتحديد في تعزيز الأمن الفكري، وهذه لم تجر من قبل.
٣. كونها دراسة تقيس اتجاهات الطلبة نحو الأمن الفكري، وهذه لم تجر من قبل.

الطريقة والإجراءات:

إجراءات الدراسة:

تناول الباحث وصفا لأفراد الدراسة، والطريقة التي تم اختيارهم بها، ولأدوات الدراسة، وكيفية التحقق من صدقها وثباتها، كما يتضمن عرضا لإجراءات الدراسة ومتغيراتها، والمعالجة الإحصائية التي استخدمت، وتحليل البيانات والنتائج.

أولاً: منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي لمناسبته لأغراض هذه الدراسة، وللإجابة على أسئلتها.

ثانياً :مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من الآتي:

١- أعضاء هيئة التدريس في جميع تخصصات كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة القصيم، في الفصل الأول من العام الجامعي (1440/1441)، والبالغ عددهم (279) عضو هيئة تدريس.

٢- طلاب كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة القصيم، في الفصل الأول من العام الجامعي (1440/1441)، والبالغ عددهم (4000) طالبا.

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من الآتي:

١- **العينة الاستطلاعية للدراسة :**

تكونت من (80) عضو هيئة التدريس، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية؛ ليتم تقنين أدوات الدراسة من خلال الصدق والثبات، بالطرق المناسبة، ومن (100) طالب تم اختيارهم بالطريقة العشوائية؛ ليتم تقنين أدوات الدراسة من خلال الصدق والثبات بالطرق المناسبة

٢- **العينة الأصلية للدراسة :**

- **عينة أعضاء هيئة التدريس:**

١- **تكونت عينة الدراسة الأصلية من (85) عضو هيئة التدريس، في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة القصيم، أي ما نسبته (31٪) من مجتمع**

الدراسة من المجتمع الأصلي والبالغ عددهم (279) عضو هيئة التدريس، تم اختيارهم بطريقة عشوائية، الجدول رقم(١) يوضح ذلك.

٢- الجدول رقم(١)

٣- توزيع العينة حسب متغيرات الدراسة المتمثلة في الرتبة العلمية والخبرة والتخصص

المتغيرات		التكرار	النسبة المئوية
الرتبة العلمية	أستاذ	20	23.53
	أستاذ مشارك	31	26.47
	أستاذ مساعد	34	40.00
المجموع		**85**	**100٪**
الخبرة	اكثر من ١٠ سنوات	30	35.29
	من ٥ إلى ١٠ سنوات	34	40.00
	اقل من ٥	21	24.71
المجموع		**85**	**100٪**
التخصص	القرآن وعلومه	13	15.29
	السنة وعلومها	20	23.54
	العقيدة والمذاهب المعاصرة	14	16.47
	الفقه	13	15.29
	الثقافة والدعوة الإسلامية	11	12.94
	أصول فقه	14	16.47
المجموع		**85**	**100٪**

- **عينة الطلاب:**

تكونت عينة الدراسة الأصلية من (400) طالب في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية أي ما نسبته (10%) من مجتمع الدراسة والبالغ عددهم (4000) طالبا تم اختيارهم بطريقة عشوائية و جدول رقم (3) يوضح ذلك.

جدول رقم (3)

يوضح توزيع مجتمع الدراسة حسب القسم العلمي والمستوى الدراسي والمعدل التراكمي

المتغير	فئات التغيير	العدد	النسبة المئوية
القسم العلمي	القرآن وعلومه	64	16.00
	السنة وعلومها	72	18.00
	العقيدة والمذاهب المعاصرة	60	15.00
	الفقه	69	17.25
	الثقافة والدعوة الإسلامية	62	15.50
	أصول فقه	73	18.25
المجموع		400	%100
المستوى الدراسي	الثالث	106	26.50
	الرابع	101	25.25
	الخامس	96	24.00
	السادس	97	24.25
المجموع		400	%100
المعدل التراكمي	ممتاز	62	15.50
	جيد جدا	131	32.75
	جيد	147	36.75
	مقبول	60	15.00
المجموع		400	%100

3- أدوات الدراسة :

- **استبانة الدرس الفقهي في تعزيز الأمن الفكري:**

بعد الاطلاع على الأدب التربوي كدراسة الشمري، ودراسة (مسلم والجردات 2011) ، ودراسة(شلدان، 2013)، واستطلاع رأي عينة من أعضاء هيئة التدريس،

وطلبة جامعة القصيم عن طريق المقابلات الشخصية، ذات الطابع غير الرسمي، قام الباحث ببناء الاستبانة وفق الخطوات التالية:

١. تحديد المجالات الرئيسة للاستبانة (أهداف المناهج الجامعية، مجالات المقرر، طرق تدريس عضو هيئة التدريس، تقويم الطلاب).
٢. صياغة فقرات الاستبانة كل فقرة حسب انتمائها للمجال.
٣. إعداد الاستبانة بصورتها الأولية، وقد شملت (40) فقرة وبعد عرضها على مجموعة من المحكمين والبالغ عددهم (10) محكمين متخصصين في التربية وطرق التدريس والشريعة الإسلامية.
٤. إجراء التعديلات التي أوصوا بها المحكمين، وتعديل وإضافة فقرات أخرى، فأصبح عدد فقرات الاستبانة بعد التعديل (36) فقرة موزعة على أربعة مجالات (عضو هيئة التدريس، أهداف المناهج، المقررات الدراسية، التقويم)، وتم تنظيمها حسب مقياس ليكرت الخماسي: على نحو: (أوافق بشدة، أوافق، لا أدري، لا أوافق، لا أوافق بشدة) مقابلة كل مجال، وقد تم اعتماد درجة التقدير وفقا للتقييم الآتي: (١- ١,٨٠) لا أوافق بشدة، (1.81-2.60)، لا أوافق، (2.61-3.40) لا أدري، (3.41-4.20)، أوافق، (4.21-5) أوافق بشدة.

- **استبانة الدرس الفقهي في تعزيز الأمن الفكري:**

استعان الباحث ببناء الاستبانة بالدراسات السابقة المتعلقة بموضوعي الاتجاهات، والأمن الفكري، كالدراسة التي أجراها الثوابية والحراحشة (2009)، إضافة إلى خبرة الباحث في هذا المجال، وتكون المقياس في صورته النهائية من قسمين:

القسم الأول: وتكون من معلومات ديموغرافية عن المستجيب، المستوى الدراسي أولى ثانية، ثالثة، رابعة).

القسم الثاني: وتكون من استبانة قياس الاتجاهات، نحو الأمن الفكري، واشتملت على (28) فقرة يطلب من المستجيب فيها أن يجيب: (بنعم) أو(لا) ، وذلك حسب اتجاهه نحو المحتوى الذي تقيسه الفقرة.

صدق وثبات أداة الدراسة

صدق أدوات الدراسة

تحقق الباحث من صدق الاستبانة على النحو الآتي:

أولا: الصدق الظاهري

للتأكد من الصدق الظاهري، لأدوات البحث فقد تم عرضها على مجموعات من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص، وعددهم (10) محكما في مجال التربية، وطرق التدريس والشريعة الإسلامية؛ للتأكد من مدى ملائمة مفردات الاستبانة، وتم الأخذ بمقترحاتهم وتعديلاتهم اللازمة حول فقرات ، ومجالات أدوات البحث.

صدق الاتساق الداخلي:

١- استبانة الدرس الفقهي في تعزيز الأمن الفكري:

تم حساب صدق الاتساق الداخلي للاستبانة بإيجاد معامل ارتباط بيرسون (person)بين كل مجال من مجالات الاستبانة، والمجال الآخر، وبين كل مجال، والدرجة الكلية للاستبانة. و تبين من الجدول إن معامل الارتباط بيرسون، بين كل مجال، والمجال الآخر دالة إحصائياً، عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0,01$)، كما يلاحظ كذلك وجود دلالة إحصائية، بين كل مجال على حده، والدرجة الكلية للاستبانة، عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0,01$) وفق قيم تراوحت ما بنين(0.595) إلى (0.85) مما يؤكد صدق أداة الدراسة.

جدول رقم (3)

يبين معامل الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للاستبانة

رقم	معامل الارتباط	رقم	معامل الارتباط	رقم	معامل الارتباط
1	0.654**	13	0.753**	25	0.621**
2	0.552**	14	0.595**	26	0.691**
3	0.785**	15	0.674**	27	0.702**
4	0.646**	16	0.812**	28	0.692**
5	0.701 **	17	0.710**	29	0.609**
6	0.620 **	18	0.619**	30	0.680**
7	0.718**	19	0.850**	31	0.811**
8	0.811**	20	0.810**	32	0.766**

9	0.724**	21	0.795**	33	0.721**
10	0.614**	22	0.801**	34	0.690**
11	0.698**	23	0.780**	35	0.683**
12	0.789**	24	0.746**	36	0.733**

**دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)

يتضح من الجدول رقم (3) أن جميع فقرات الاستبانة، مرتبطة ارتباطاً ذا دلالة إحصائية، مع الدرجة الكلية، وهذا يدلل على صدق الاتساق الداخلي للاستبانة.

٢- مقياس اتجاهات الطلاب في تعزيز الأمن الفكري:

تم حساب صدق الاتساق الداخلي للاستبانة، بإيجاد معامل ارتباط بيرسون (person)، بين كل مجال من مجالات الاستبانة، والمجال الآخر، وبين كل مجال والدرجة الكلية للاستبانة، وتبين من الجدول إن معامل الارتباط بيرسون، بين كل مجال والمجال الآخر، دالة إحصائياً، كما يلاحظ كذلك وجود دلالة إحصائية بين كل مجال على حده، والدرجة الكلية للاستبانة، وفق قيم تراوحت ما بين (56.4%)، إلى (0.85%) ، مما أكد صدق أداة الدراسة، وجدول رقم (4) يبين ذلك.

جدول رقم (4)

يبين معامل الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للاستبانة

رقم	الرتبة	الفقرة	نعم٪	خطأ٪
١.	1	تعتقد بأن الإرهاب نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله	5	95.
٢.	5	أشعر بالحصانة الفكرية عند تصفح الإنترنت	80.9	19.1
٣.	2	أواجه القلق باستمرار من الوقوع في المحظورات التكفيرية	15	85
٤.	5	أشعر بالحصانة العلمية عندما أسافر إلى دول غير إسلامية	80.9	19.1
٥.	3	تزعجني الأفكار التي تتردد على لسان بعض الزملاء	82	18

		وتحمل أفكارا تكفيرية		
.٦	6	أشعر بصعوبة في محاورة زملائي في أفكارهم وبيان الصحيح منها	70.7	29.3
.٧	8	أرغب في مناقشة أساتذتي حول بعض الأفكار في المقرر	69.9	30.1
.٨	3	تعتقد بأن الدين الإسلامي سبب في الأمن الفكري	82	18
.٩	7	أستطيع ضبط انفعالاتي تجاه السلوكيات الغريبة	70.7	29.3
.١٠	3	لا أتعصب لرأيي وأتقبل الرأي المخالف	84	16
.١١	1	أعتقد أن العمليات الإرهابية التي يقوم بها بعض المسلمين تشوه صورة لإسلام	5	95.
.١٢	4	أحترم أستاذي وألجأ إليه فيما يصعب علي فهمه	81.3	18.7
.١٣	3	أحب التعاون مع زملائي	84	16
.١٤	8	أبلغ الجهات المختصة عن الأفكار المريبة	69.9	30.1
.١٥	1	أحب تطبيق ما اتفق عليه الجمهور من الأفكار	95	5
.١٦	4	أرغب بتطبيق الأخلاق العالية	81.3	18.7

ثبات أداة الدراسة

١- استبانة الدرس الفقهي في تعزيز الأمن الفكري:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، فقد طبقت على عينة استطلاعية، من خارج عينة البحث وعددها (100)، وبعد أسبوع أعيد تطبيقها على نفس العينة مرة أخرى، وتم حساب معامل الارتباط بين التطبيقين باستخدام معامل ارتباط بيرسون، وبلغ معامل الارتباط (0.93)، كما تم حساب الثبات باستخدام معادلة ألفا كرونباخ،

من خلال برنامج الإحصاء (spssv20)، فاعتبرت هذه النسب مناسبة لغايات هذه الدراسة، والجدول رقم (٣) يبين ذلك.

الجدول رقم (٣)

معامل الارتباط بيرسون لكل مجال من مجالات الاستبانة، والمجموع الكلي للاستبانة

ر	المجالات	الاتساق الداخلي	مستوى الدلالة
1	أهداف المناهج	٠,٩٠❖❖	دال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.00
2	استراتيجيات التدريس	٠,٩٢❖❖	دال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.00
3	المحتوى التدريسي	٠,٩٤❖❖	دال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.00
4	التقويم	٠,٩٣❖❖	دال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.00
الأداة ككل		**٠,٩٣❖❖**	**دال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.00**

يتضح من الجدول رقم (3) أن جميع مجالات الاستبانة، مرتبطة ارتباطاً ذا دلالة إحصائية مع الدرجة الكلية للاستبانة؛ مما أكد على صدق الاتساق الداخلي للاستبانة.

2- استبانة اتجاهات الطلاب في تعزيز الأمن الفكري:

وللتأكد من ثبات أداة الدراسة قام الباحث بإيجاد الثبات باستخدام طريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test– retest) إذ تم توزيع أداة الدراسة على عينة من مجتمع الدراسة مكونة من (35) طالباً من خارج عينة الدراسة، وكانت الفترة الزمنية الفاصلة بين التطبيقين ثلاثة أسابيع وتم حساب معامل ارتباط بيرسون بين التطبيقين. وقد بلغ معامل الثبات بالإعادة (0.88).

الأساليب الإحصائية

للإجابة على أسئلة الدراسة استخلاص نتائج البحث وتحقيق أهدافه تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

١- استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على فقرات مجالات البحث.

٢- استخدام اختبار"ت" T-Test وتحليل التباين الأحادي One-Way Anova لتحديد الاختلافات والفروق بين استجابات أفراد عينة البحث، واختبار شيفية Scheffe للمقارنات البعدية بين المتوسطات الحسابية.

النتائج ومناقشتها

النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول : ما دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة القصيم؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات المجال والمجال " دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري " وفقا لاستجابات أفراد عينة البحث، واستخراج الانحراف المعياري والمتوسط الحسابي والوزن المئوي لكل فقرة ولكل مجال في أداة البحث وللمجال بشكل عام، وفقا لاستجابات أفراد عينة البحث، و تم ترتيبها تنازليا حسب أوساطها الحسابية والجداول رقم (4) يبين ذلك.

الجدول رقم(4)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوي لاستجابات أفراد عينة البحث وفقاً لفقرات مجال الأهداف التعليمية

الرقم	الرتبة	المجال	المتوسط الحسابي	حراف ياري	كا٥ ٪	الدرجة
مجال الأهداف التعليمية تركز على:						
١.	2	غرس تقوى الله في نفوس الطلاب سرا وعلانية.	4.09	1. 19	81.8	مرتفعة
٢.	1	الاعتماد على الأحاديث المقبولة في استنباط الحكم الشرعي.	4.20	1. 07	84.0	مرتفعة

٣.	3	فهم القواعد الفقهية الصحيحة لدى الطلاب	4.05	1.09	81.0	مرتفعة
٤.	4	توضح للطلاب الفقه الإسلامي الصحيح المستنبط من مصادره الأصلية.	3.98	1.08	79.6	مرتفعة
٥.	3	تنمية المبادئ الفقهية لدى الطلاب.	4.05	1.09	81.0	مرتفعة
٦.	6	الوصول إلى الحكم الشرعي باستخدام الحوار والمناقشة مع الطلاب.	3.69	1.26	73.8	مرتفعة
٧.	7	تنشئة الطلاب على الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.	3.59	1.40	71.8	مرتفعة
٨.	7	تمكن الطلاب من مواجهة الأفكار المنحرفة.	3.59	1.40	71.8	مرتفعة
٩.	5	تنمية الولاء للوطن عند الطلاب .	3.94	1.37	78.8	مرتفعة
١٠.	3	تحقق ثقة الطلاب بمقومات الأمة الإسلامية والانتماء إليها.	4.05	1.09	81.0	مرتفعة
١١.	7	تساعد الطلاب في تنمية شخصيتهم.	3.59	1.40	71.8	مرتفعة
المجموع الكلي			3.90	10.76	77.9	مرتفعة

يتبين الجدول السابق رقم (4) ترتيب الفقرات لمجال الأهداف التعليمية حسب المتوسطات الحسابية لعينة البحث ترتيبا تنازليا، حيث وضحت النتائج أن جميع الفقرات جاءت تمثل درجة مرتفعة، وقد تراوحت المتوسطات ما بين (3.59 – 4.20) بنسبة مئوية تراوحت ما بين (71.8٪ - 84٪)، كما أشارت النتائج إلى أن المتوسط الحسابي الكلي لهذا المجال بلغ (3.90) بنسبة مئوية بلغت (77.9٪) وهو يمثل درجة مرتفعة.

حيث جاءت الفقرة رقم (2) والتي تتضمن (الاعتماد على الأحاديث المقبولة في استنباط الحكم الشرعي)، في المرتبة الأولى، وجاءت الفقرة رقم (1) والتي تتضمن (غرس تقوى الله في نفوس الطلاب سرا وعلانية) في المرتبة الثانية،
وجاءت الفقرات رقم (3، 5، 10) واللاتي يتضمن (فهم القواعد الفقهية الصحيحة لدى الطلاب)، (تنمية المبادئ الفقهية لدى الطلاب)، (تحقق ثقة الطلاب بمقومات الأمة الإسلامية والانتماء إليها) في المرتبة الثالثة ، وتشير هذه النتائج إلى إن عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم (عينة البحث) يحددون في تدريسهم الأهداف التعليمية العامة والخاصة، ويركزون على تنفيذها، ويتم متابعة ذلك في مجالس الأقسام العلمية، ويتم قياس مخرجاتها التعليمية من خلال استبانة أعدت لذلك بالتنسيق مع الأقسام العلمية وإشراف وحدة الجودة، حيث يطلب من الطالب الإجابة عليها الكترونيا بحيث تخرج نتيجة الطالب في المقرر بعد الإجابة على الاستبانة التي تتضمن مجالات تحقيق الأهداف التعليمية لدى الطلبة، والقيم الدينية والوطنية المستمدة من الشريعة الإسلامية بصورته الصحيحة لدى الطلبة. ووافقت هذه الدراسة دراسة الشمري، والجرادات (2011)، ودراسة طاشكندي (٢٠١٦) في هذا المجال.
بينما جاءت الفقرات (7، 8، 11) (تنشئة الطلاب على الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة)، (تمكن الطلاب من مواجهة الأفكار المنحرفة)، (تساعد الطلاب في تنمية شخصيتهم) في المرتبة الأخيرة ، وهذا يشير الى ضرورة تنمية مهارة الحوار لدى الطلاب والتركيز عليها في العملية التعليمية، وتكليف الطلاب بعمل أبحاث ودراسات بحثية في بعض الأفكار ومواجهتها ، وتعزيز شخصية الطلاب وبنائها بناء صحيحا .

الجدول رقم(5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث وفقاً لفقرات مجال محتوى التعليم

رقم	الرتبة	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	كا٢ ٪	الدرجة

مجال محتوى التعليم يركز على الآتي:					
	1	تعرف الطلاب بكيفية وآداب التعامل مع النصوص الشرعية	4.35	1.04	87.0	مرتفعة
	9	تعرف الطلاب بحقوقهم وواجباتهم نحو المجتمع الإسلامي.	3.01	1.54	70.2	متوسطة
	3	تبين للطلاب عظمة النصوص الشرعية، والعمل بمقتضاها.	4.14	1.32	82.8	مرتفعة
	8	تزود الطلاب بمعارف مناسبة حول تأثير العولمة والاستشراق والانفتاح الثقافي.	3.12	1.51	71.8	مرتفعة
	6	توضح للطلاب منزلة العلماء الوسطيين وتقدير فضلهم	3.86	1.45	77.2	مرتفعة
	4	تعرف الطلاب فضيلة التسامح وقبول الآخر.	4.01	1.35	80.2	مرتفعة
	7	تحذر الطلاب من خطورة أعمال الفئة الضالة في المجتمع.	3.69	1.44	73.8	مرتفعة
	5	توضح للطلاب سلبية مظاهر التعصب والغلو والنظرة الجزئية.	3.95	1.34	79.0	مرتفعة
	1	توضح للطلاب أهمية	4.	1.0	87	مرتفعة

		الإخـــــلاص للـــــوطن والحفاظ على استقراره.	35	4	.0
	2	توضح للطلاب خطورة البعد عن تعاليم الدين الإسلامي على الفرد والمجتمع.	4.23	1.18	84.6 مرتفعة
المجموع الكلي			3.87	10.25	79.4 مرتفعة

يتبين الجدول السابق رقم (5) ترتيب الفقرات لمجال محتوى التعليم حسب المتوسطات الحسابية لعينة البحث ترتيبا تنازليا حيث يتضح من النتائج أن معظم الفقرات جاءت تمثل درجة مرتفعة، وقد تراوحت المتوسطات ما بين(4.35-3.01) بنسبة مئوية تراوحت ما بين (71.8٪- 84٪)، كما أشارت النتائج إلى أن المتوسط الحسابي الكلي لهذا المجال بلغ (3.87) بنسبة مئوية بلغت (79.4٪) وهو يمثل درجة مرتفعة.

حيث جاءت في المرتبة الأولى الفقرة رقم (1و 9) واللتان تتضمنان (تعرف الطلاب بكيفية وآداب التعامل مع النصوص الشرعية) و(توضح للطلاب أهمية الإخلاص للوطن والحفاظ على استقراره)، جاءت في المرتبة الثانية الفقرة رقم (10) والتي تتضمن (توضح للطلاب خطورة البعد عن تعاليم الدين الإسلامي على الفرد والمجتمع)، جاءت في المرتبة الثالثة الفقرة رقم (3) والتي تتضمن (تبين للطلاب عظمة النصوص الشرعية، والعمل بمقتضاها).

وهذا يشير إلى أن عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم (عينة البحث) يقدمون محتوى تعليميا له دور كبير في تعزيز الأمن الفكري والفكري الوسطي بعيدا عن التطرف والتعصب لمذهب ما، وتجسيد المحتوى المطلوب عند الطالب، ومعرفة ما تحقق عند الطالب من أفكار ومعتقدات وقيم واتجاهات اجتماعية وتربوية وعقدية سليمة لذا كانت استجابات أفراد عينة البحث من الأساتذة على هذا المجال بدرجة مرتفعة، بينما جاءت الفقرة رقم (2)

والتي تتضمن (تعرف الطلاب بحقوقهم وواجباتهم نحو المجتمع الإسلامي) بالمرتبة التاسعة والأخيرة، وجاءت الفقرة رقم (4) والتي تتضمن (تزود الطلاب بمعارف مناسبة حول تأثير العولمة والاستشراق والانفتاح الثقافي) بالمرتبة الثامنة، وهذا يشير إلى قصور المحتوى الجامعي بهذين المجالين، وضرورة تضمين المحتوى التعليمي للمجالين ورفع توصية بذلك. وجاءت هذه الدراسة موافقة لدراسة أبو حشيش(2010)، بينما لم توافق دراسة الثويني، ومحمد (2014) حيث كانت دراستهما سلبية تجاه هذا المجال.

الجدول رقم(6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث وفقاً لفقرات مجال أساليب وطرائق التدريس.

ر ر	الرتبة	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	كا٥ ٪	الدرجة
مجال أساليب وطرائق التدريس، وأستخدم الآتي:						
١.	8	أسلوب الحوار والتفاعل مع الطلاب لتعزيز الأمن الفكري.	3.03	1.64	70.6	متوسطة
٢.	7	أساليب تثري قدرات الطلاب في حل المشكلات التي تواجههم.	3.13	1.44	73.8	متوسطة
٣.	4	أضع الطلاب أمام مواقف تنمي قدراتهم حول التفكير الناقد.	3.23	1.32	71.6	متوسطة
٤.	3	طرق تدريس متنوعة تثري قدرات الطلاب الفكرية.	3.71	1.43	74.2	مرتفعة
٥.	9	أوجه الطلاب لإعداد لوحات إعلانية مناهضة	3.00	1.54	67.6	متوسطة

		للفكر والسلوك المنحرف				
٦.	1	استخدام وسائل التقنية الحديثة في تعزيز التعليم والأمن الفكري.	3.84	1.34	79.0	مرتفعة
٧.	2	توجيه الطلاب نحو استخدام الحكمة في مواجهة الحملات المغرضة نحو القيم والمعتقدات الإسلامية.	3.78	1.41	75.6	مرتفعة
٨.	5	أنمي قدرات الطلاب البحثية حول القضايا الإنسانية وتحليلها في ضوء الفكر الإسلامي.	3.30	1.32	72.1	متوسطة
٩.	4	تدريب الطلاب على آلية الحصول على المعلومات الموثوقة السليمة	3.61	1.47	73.9	مرتفعة
المجموع الكلي			**3.40**	**9.24**	**73 .2**	**عالية**

يتبين الجدول السابق رقم (6) ترتيب فقرات مجال أساليب وطرائق التدريس حسب المتوسطات الحسابية لعينة البحث حيث جاءت الفقرات متراوحة بين عالية ومتوسطة، وقد تراوحت المتوسطات ما بين (3.00- 3.84) بنسبة مئوية تراوحت ما بين (67.6٪ - 79.0٪)، كما أشارت النتائج إلى أن المتوسط الحسابي الكلي لهذا المجال بلغ (3.40) بنسبة مئوية

بلغت (73.2٪)، حيث جاءت في المرتبة الأولى الفقرة رقم (6) والتي تتضمن (استخدام وسائل التقنية الحديثة في عملية التعليم لتعزيز الأمن الفكري)، وهذا يشير إلى وجود بيئة تربوية مناسبة للتعليم، وتوفير البنية التحتية اللازمة لتكنولوجيا التعليم، وجاء في المرتبة الثانية الفقرة رقم (7) والتي (توجيه الطلاب نحو استخدام الحكمة في مواجهة الحملات المغرضة نحو القيم والمعتقدات الإسلامية)، وجاء في المرتبة الثالثة الفقرة رقم (4) والتي تتضمن استخدام (طرق تدريس متنوعة تثري قدرات الطلاب الفكرية) وهذا يشير إلى أنه تم تفعيل الجانب الدعوي بين الطلاب بحيث أصبح قيمة سلوكية لدى معظم الطلاب، وتم غرس هذا السلوك من خلال طرق تدريس متنوعة اكتسبها أعضاء هيئة التدريس من خلال الدورات الإلزامية المعدة مسبقا لأعضاء هيئة التدريس.

بينما جاءت في المراتب الدنيا الفقرة رقم (5) والتي تتضمن (توجه الطلاب لإعداد اللوحات الإعلانية المناهضة للفكر والسلوك المنحرف) في المرتبة التاسعة، جاءت الفقرة رقم (1) والتي تتضمن (استخدم أسلوب الحوار والتفاعل مع الطلاب لتعزيز الأمن الفكري) في المرتبة الثامنة، جاءت الفقرة رقم (7) والتي تتضمن (أستخدم أساليب تثري قدرات الطلاب في حل المشكلات التي تواجههم) في المرتبة السابعة، وهذا يشير إلى عدم تفعيل مهارة حل المشكلات ومهارة الحوار، وصرف همم بعض أعضاء هيئة التدريس إلى انهاء المقرر نظرا للعبء التدريسي الملقى عليه وأيضا عداد الطلاب الكبير في القاعات، وجاءت هذه الدراسة موافقة لدراسة طاشكندي (٢٠١٦) ودراسة الثويني، ومحمد (2014) في هذا المجال.

الجدول رقم(7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث وفقاً لفقرات مجال التقويم.

رر	الرتبة	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	كا٢ ٪	الدرجة
مجال التقويم، وأستخدم الآتي:						
١.	5	أسلوب الحوار والمناقشة لتقويم توجهات الفكر عند الطلاب	3.04	1.68	67.2	متوسطة

٢.	2	إثارة التساؤلات أمام الطلاب للكشف عن مدى فهمهم لحقائق الدين الإسلامي الصحيح.	3.84	1.18	76.6	مرتفعة
٣.	3	اتخاذ السبل السليمة لمعالجة الأفكار والسلوكيات المنحرفة لدى بعض الطلاب .	3.73	1.20	74.6	مرتفعة
٤.	4	ربط المتطلبات البحثية من الطلاب بقضايا الأمن الفكري.	3.08	1.64	67.6	متوسطة
٥.	1	التطرق أحيانا إلى أسئلة شفهية أو تحريرية لقياس فهم الطلاب للفكر المنحرف.	4.09	1.13	81.8	مرتفعة
٦.	1	ملاحظة سلوك الطالب للكشف عن حالات الانحراف الفكري.	4.09	1.19	81.8	متوسطة
		المجموع الكلي	3.65	8.92	74.9	عالية

يتبين الجدول السابق رقم (7) ترتيب الفقرات لمجال أساليب وطرائق التدريس حسب المتوسطات الحسابية لعينة البحث حيث جاءت الفقرات متراوحة بين عالية ومتوسطة، وقد تراوحت المتوسطات ما بين

(3.04– 4.09) بنسبة مئوية تراوحت ما بين (67.2٪ - 81.8٪)، كما أشارت النتائج إلى أن المتوسط الحسابي الكلي لهذا المجال بلغ (3.65) بنسبة مئوية بلغت (74.9٪)، حيث جاءت في المرتبة الأولى الفقرة رقم (6و 5) والتي تتضمن (ملاحظة سلوك الطالب للكشف عن حالات الانحراف الفكري) و(التطرق أحيانا إلى أسئلة شفهية أو تحريرية لقياس فهم الطلاب للفكر المنحرف)، وجاء في المرتبة الثانية الفقرة رقم (2) والتي تتضمن (إثارة التساؤلات أمام الطلاب للكشف عن مدى فهمهم لحقائق الدين الإسلامي الصحيح)، وهذا يشير إلى متابعة حثيثة لعضو هيئة التدريس والإدارة في متابعة سلوك الطالب داخل الفصل وخارجه من خلال رصد غيابه شهريا وملاحظة سلوكه داخل القاعة التدريسية ومراقبة سلوكه

اثناء توزيع الطلاب إلى مجموعات ضمن التعلم التعاوني والتعلم التشاركي وطرق التعليم الأخرى، وأن عملية التقويم تعد تغذية راجعة للطالب ولعضو هيئة التدريس، بحيث يمكن تعديل المفاهيم الخاطئة المتجسدة عند الطلاب نحو مساراتها السليمة.

وجاء في المراتب الدنيا: الفقرة الخامسة الفقرة رقم (1) والتي تتضمن استخدام (أسلوب الحوار والمناقشة لتقويم توجهات الفكر عند الطلاب)، وجاء في المرتبة الرابعة الفقرة رقم (4) والتي تتضمن (ربط المتطلبات البحثية من الطلاب بقضايا الأمن الفكري)، وهذا يشير إلى عدم تفعيل طرق التقويم المهارية التي تسفر عن مكامن القوة لدى الطلاب؛ لتنميتها وبيان مواطن الضعف لديهم وعلاجها، ضرورة تنمية قدرات الطلاب البحثية حول القضايا الإنسانية وتحليلها في ضوء الفكر الإسلامي، وتدريبهم على كيفية الحصول على المعلومات الموثوقة والسليمة، تدريسها بطرق متنوعة واستخدام أسلوب الحوار والمناقشة لتقويم توجهات الفكر عند الطلاب.

ولمعرفة ترتيب المجالات حسب استجابات أفراد عينة البحث فقد تم إيجاد المتوسطات الحسابية والوزن المئوي الكلية لكل مجال كما هو موضح في الجدول رقم(8)

الجدول رقم (8)

ترتيب المجالات	المجالات	المتوسط بدلالة سلم الدرجة	عدد الفقرات	النسبة المئوية
1	الأهداف التعليمية	3.90	11	%77.9
2	المحتوى التعليمي	3.87	10	%79.4
3	التقويم	3.65	6	%74.9
4	الوسائل وطرائق التدريس	3.40	9	%73.2
	المجموع	148.2	36	%76.35

المتوسطات الحسابية بدلالة سلم الدرجة والنسب المئوية لاستجابات أفراد عينة البحث على مجالات دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

يبين الجدول السابق رقم (8) ترتيب مجالات دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب ترتيباً تنازلياً حسب المتوسطات الحسابية لاستجابات أفراد عينة مجال الأهداف التعليمية، ثم مجال المحتوى التعليمي، ومجال التقويم، وأخيرا مجال الوسائل وطرائق التدريس، حيث تشير النتائج إلى أن جميع المجالات جاءت تمثل الدرجة العالية.

وتعزى تلك النتيجة إلى أن بيان الدور الذي يستطيع أعضاء هيئة التدريس من خلاله تعزيز الأمن الفكري لدى الطالب يتمثل بجودة اختيار وتحديد الأهداف التعليمية، والمحتوى التعليمي والوسائل وطرائق التدريس، وعملية التقويم حيث تمثل تلك العمليات المدخل الرئيس لغرس وتجسيد الأفكار السليمة لدى الطلاب وتحصينهم من الأفكار المنحرفة.

نتائج ومناقشة السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) بين استجابات أفراد عينة البحث حول دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة القصيم، وفقا لمتغير القسم الأكاديمي؟

وللإجابة عن هذا السؤال فقد تم استخراج المتوسطات الحسابية واستخدام تحليل التباين الأحادي

(One- Way Anova) لتحديد الفروق بين استجابات أفراد عينة البحث وفقا لمتغير القسم الأكاديمي، والجدول رقم (9) يبين ذلك.

الجدول رقم (9)

المتوسطات الحسابية ونتائج تحليل التباين الأحادي لتحديد الفروق بين استجابات أفراد عينة البحث حول مجالات تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب وفقا لمتغير القسم الأكاديمي

	المجالات	المتوسطات						قيمة "ت"	مستوى الدلالة
		القرآن	السنة	العقيدة	الثقافة	الفقه	أصـــول الفقه		
١	الأهـداف التعليمية	45.00	46.01	39.90	40.01	42.32	39.08	18.80	0.00
٢	المحتـــوى التعليمي	40.12	41.82	44.00	37.14	40.15	41.10	19.71	0.00
٣	طرائـــق التدريس	38.08	39.00	35.00	37.01	39.10	39.08	17.02	0.00
٤	التقويم	30.22	32.00	29.13	25.11	28.00	22.88	15.00	0.00
	مجمـــوع المجالات	153.42	158.83	138.03	139.27	149.57	142.14	21.69	0.00

يبين الجدول رقم (9) المتوسطات الحسابية ونتائج تحليل التباين الأحادي لتحديد الفروق بين استجابات أفراد عينة البحث حول مجالات دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب كلية الشريعة الدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، حيث تشير النتائج إلى وجود فروق بين استجابات أفراد عينة البحث في جميع المجالات والمجالات مجتمعة عند مستوى الدلالة (α = 0.05) اتجاه الفروق بين فئات متغير القسم الأكاديمي للمجالات مجتمعة، فقد تم استخدام اختبار شيفيه Scheffe للمقارنات بين متوسطات استجابات إفراد عينة البحث، والجدول رقم (10) يبين نتائج ذلك.

الجدول رقم(10)

نتائج اختبار شيفيه Scheffe للمقارنات البعدية بين استجابات أفراد عينة البحث للمجالات مجتمعة وفقا لمتغير القسم الأكاديمي

القسم	المتوسطات	153.42	158.83	138.03	139.27	149.57	142.14
الفقه	153.42	-	5.41	15.12	14.15	3.85	11.28
السنة	158.83	-	-	20.80	18.56	9.26	16.69
العقيدة	138.03	-	-	-	1.24	11.54	4.11

الثقافة	139.27	-	-	-	-	10.30	2.87
القران	149.57	-	-	-	-	-	7.43
أصـــول الفقه	142.14	-	-	-	-	-	-

يبين الجدول السابق رقم (10) نتائج اختبار شيفيه للمقارنات البعدية، بين متوسطات استجابات أفراد عينة البحث، وفقا لمتغير القسم الأكاديمي، حيث تشير النتائج إلى ووجود فروق بين قسم السنة وعلومها، وكل من الأقسام التالية: القرآن وعلومه، والعقيدة والمذاهب المعاصرة، والثقافة والدعوة الإسلامية، والفقه، وأصول الفقه، وذلك لصالح قسم السنة وعلومها. ووجود فروق بين قسم الفقه، وكل من الأقسام التالية: العقيدة والمذاهب المعاصرة، والثقافة والدعوة الإسلامية والقرآن وعلومه، وأصول الفقه، وذلك لصالح قسم ولصالح قسم الفقه. وعدم وجود فروق بين قسم القرآن وعلومه. والأقسام التالية: العقيدة والمذاهب المعاصرة، والثقافة والدعوة الإسلامية، وأصول الفقه.

وقد تعزى تلك النتيجة بصورة طبيعة التخصص والمقررات التي تدرسها الأقسام العلمية، حيث إن المقررات التعليمية لبعض الأقسام ترتبط ارتباطا وثيقا بالفكر. والتفكير. وتنميته ،أو توجيهه نحو المسارات السليمة، كقسمي الفقه والسنة وعلومها، بينما بعض التخصصات كتخصص القرآن وعلومه، والثقافة الإسلامية لها دور في غرس القيم، والمفاهيم والأفكار التربوية، وتحصين الطلاب من مغريات الحياة المتداخلة، والتي غزت البيوت، والحرية الشخصية، دون استدعائها، والتي تؤثر على قيم الطلاب ومعتقداتهم الدينية، وولائهم وانتمائهم لأوطانهم وأمتهم الإسلامية، بعيدا عن العنصرية والإقليمية والفئوية.

وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (المطيري، 2008) والتي أشارت إلى وجود فروق بين استجابات أفراد عينة الدراسة وفقا لمتغيراتها، كما تختلف مع نتائج دراسة (الحارثي، 2009) ،وذلك من حيث عدم وجود فروق بين استجابات أفراد عينة الدراستين وفقا لمتغيراتها.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: ما اتجاهات طلبة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم نحو الأمن الفكري؟

للإجابة عن هذا السؤال: تم استخدام النسب المئوية والمتوسطات الحسابية، إذ تم تدريج الفقرات بحيث تأخذ الفقرة (1) إذا كان الاتجاه نحو الأمن الفكري إيجابياً، و(2) إذا كان سلبياً، وقد بلغ متوسط استجابة أفراد العينة على فقرات مقياس الاتجاه نحو الأمن الفكري (1.88). وهذا يشير إلى اتجاه سلبي مرتفع نحو هذه الظاهرة، والجدول رقم (11) يبين النسب المئوية لاستجابات عينة الدراسة على فقرات المقياس.

والجدول رقم (11)

النسب المئوية لاتجاهات طلبة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية نحو تعزيز الأمن الفكري

الرقم	الرتبة	المجالات	نعم٪	خطأ٪
	1	تعتقد بأن الإرهاب نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله.	5	95.
	5	أشعر بالحصانة الفكرية عند تصفح الإنترنت.	80.9	19.1
	2	أواجه القلق باستمرار من الوقوع في المحظورات التكفيرية.	15	85
	5	اشعر بالحصانة العلمية عندما أسافر إلى دول غير إسلامية.	80.9	19.1
	3	تزعجني الأفكار التي تتردد على لسان بعض الزملاء وتحمل في طياتها أفكارا تكفيرية.	82	18
	6	أشعر بصعوبة في محاورة زملائي في أفكارهم وبيان الصحيح منها.	70.7	29.3
	8	أرغب في مناقشة أساتذتي حول بعض الأفكار في المقرر.	70.5	29.5
	3	تعتقد بأن الدين الإسلامي سبب في الأمن الفكري.	82	18
	7	أستطيع ضبط انفعالاتي تجاه السلوكيات الغريبة.	70.7	29.3
10	3	لا أتعصب لرأيي وأتقبل الرأي المخالف.	84	16

11	1	أعتقد أن العمليات الإرهابية التي يقوم بها بعض المسلمين تشوه صورة الإسلام.	5	95.
12	4	أحترم أستاذي وألجأ إليه فيما يصعب علي فهمه.	81.3	18.7
13	3	أحب التعاون مع زملائي.	84	16
14	9	أبلغ الجهات المختصة عن الأفكار المريبة.	69.9	30.1
15	1	أحب تطبيق ما اتفق عليه الجمهور من الأفكار.	95	5
16	4	أرغب بتطبيق الأخلاق العالية.	81.3	18.7

أظهرت الدراسة أن اتجاه طلبة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة القصيم كان إيجابيا نحو الأمن الفكري، ويعود ارتفاع قيمة الاتجاه الإيجابي، نحو الأمن الفكري إلى ما يرافق هذه الظاهرة، من حفظ حياة المسلمين وكرامتهم، حيث احتلت الفقرتان رقم (1،11، 15) وهما: (أن الطلبة يعتقدون بأن الإرهاب ليس من أنواع الجهاد في سبيل الله، ويرغبون بتطبيق ما اتفق عليه الجمهور من الأفكار)، (وإن العمليات الإرهابية التي يقوم بها بعض المسلمين تشوه صورة الإسلام) الرتبة الأولى بنسبة إجابة إيجابية 95%.

ويشير هذا إلى جهل الإرهابيين والمتطرفين بأحكام الشريعة الإسلامية، ومعرفة آراء الأمة في أحكام الجهاد، وأهمية الأمن الفكري للفرد والمجتمع، وأن التزام الطالب بالشعائر الدينية يحتم عليه دعم الأمن الفكري، بحيث يكون إيجابيا مع وطنه، ودينه، ومجتمعه، وأسرته، وكان اتجاه الطلاب نحو العمليات الإرهابية التي يقوم بها بعض المسلمين، أنها تشوه صورة الإسلام، ولا تعطي الصورة عن الإسلام كنظام شامل للحياة.

إلا أنه يلاحظ الفقرة رقم (٣) والتي تتضمن: (أواجه القلق باستمرار من الوقوع في المحظورات التكفيرية) المرتبة الثانية بنسبة مئوية 85% ،مما يشير إلى ضرورة بناء الطالب بناء نفسيا، ورفع معنوياته تجاه هذا الأمر، وتقديم دورات لا منهجية، تحت عنوان رفع المعنوية، وإزالة القلق، وكيف تكون إيجابيا.

بينما احتلت الفقرات ذات الأرقام (8، 10، 13)، والتي تتضمن: (الدين الإسلامي سبب في الأمن الفكري) (لا أتعصب لرأيي وأتقبل الرأي المخالف)، و (أحب التعاون مع

زملائي) المرتبة الثالثة بنسبة مئوية 84٪ ؛ وهذا يشير إلى أن اتجاه الطلاب نحو التعصب كان سلبيا، واتجاههم نحو التعاون معا كان إيجابيا، مما يشير إلى الفطرة السليمة التي عاشها هؤلاء الطلاب، دون التأثر بالتعصب، والتزمت، وإظهار العداء للآخرين، وأن ما اكتسبه الطلاب من معرفة أثر إلى اتجاهاتهم إيجابا، إلا أن الفقرات (14، 7) ويتضمنان (أرغب في مناقشة أساتذتي حول بعض الأفكار في المقرر) ،و(أبلغ الجهات المختصة عن الأفكار المريبة) المراتب الأخيرة بنسبة مئوية (69.9%)، ويعود هذا إلى ضعف تفعيل الحوار البناء بين عضو هيئة التدريس، والطالب، وكذلك ضعف تفعيل الحوار بين الطلاب، بعضهم بعضا، ويرجع هذا إلى ضعف مبادرة الطلاب بالحوار والمناقشة، وكذلك التدريس بطرق تقليدية لبعض أعضاء هيئة التدريس، وتفعيل طريقة القراءة النصية، من قبل أحد الطلاب، والطلاب، وعضو هيئة التدريس يستمعون، فلا القارئ وعى ما قرأ، ولا الطلاب يستمعون.

وأيضا فيما يتعلق بتبليغ الجهات المختصة عن الأفكار المريبة، يعود هذا الأمر إلى ضعف الوعي القانوني والحس الأمني لدى الطلاب، بل إن معظم الطلاب لم يطلعوا على اللوائح الطلابية التي تمثل صلب مهامهم الحياتية؛ مما يستدعي تزويد الطلاب بتوعية أمنية للطلاب، وإطلاعهم على بعض الانتهاكات للأمور الأمنية والفكرية، ووافقت هذه الدراسة دراسة شلدان (2013)، ودراسة عساف(2011)، ودراسة عدوان (٢٠١٧).

النتائج والتوصيات

أولا- النتائج

تتلخص نتائج البحث فيما يلي:

١. إعادة بناء المناهج، بحيث تكون موجهة نحو الأمن الفكري، والبعد عن التعصب، وعدم الاقتصار على التدريس بمذهب واحد، وتضمينها آراء الأئمة الأربعة .
٢. تفعيل التدريس باستخدام حل مشكلاته ، والحوار، والتعليم التعاوني، والتشاركي والتبادلي.
٣. تنمية مواهب الطلاب، والتركيز على المواهب الفكرية الايجابية.
٤. تأصيل مبدأ العمل التطوعي، والخدمة المجتمعية لدى الطلاب، في إطار الأمن الفكري.
٥. عقد لقاءات ثقافية فكرية ،بين الطلاب على مستوى الكليات أو الجامعات.
٦. توجيه الأنشطة البحثية للطلبة، نحو مشكلات المجتمع، وقضاياه المختلفة.
٧. توعية الطالب بالوسائل التي قد تتبعها الفئات الإرهابية؛ لإغواء الطلبة بتنظيمات مشبوهة باسم الدين.
٨. توعية الطلاب بأهمية الحوار بين الأديان، للتسامح والعدالة، وقدسية إنسانية الإنسان.
٩. توعية الطلاب بالجانب السلبي، لوسائل التواصل الاجتماعي.
١٠. للقضاء على أوقات الفراغ لدى الطلبة ،وتفريغ طاقاتهم نحو الأنشطة الدينية والاجتماعية التي تفيد المجتمع.

ثانيا- التوصيات

إجراء المزيد من الدراسات الأكاديمية التي تبحث في الآتي:

١. دور البيئة المحلية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.
٢. دور المسجد في تعزيز الأمن الفكري.
٣. الانفصال الأسري ودوره في الإرهاب الفكري.
٤. دور المعلم السلطوي في غرس مبدأ العنف والإرهاب لدى الطلاب.
٥. أثر الجامعات العربية في غرس الأمن لدى الطلاب.

المراجع:

١. أبو حشيش، بسام محمد، (2010) دور كليات التربية في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المعلمين بمحافظات غزة، مجلة جامعة الأقصى.

٢. أبو خطوة، السيد، والباز، أحمد (2014) شبكة التواصل الاجتماعي وآثارها على الأمن الفكري لدى طلبة التعليم الجامعي بمملكة البحرين، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، المجلد7 ، العدد15 ، الأردن.

٣. التركي، عبد الله (د.ت) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، وزارة الأوقاف السعودية.

٤. الثويني، محمد، ومحمد، عبد الناصر(2014) دور المعلم الجامعي في تحقيق الأمن الفكري لطلابه في ضوء تداعيات العولمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القصيم، السعودية.

٥. الدرويش، محمد (2007) العلاقة بين التربية والتعليم في مواجهة التحديات المعاصرة، مجلة البيان،189.

٦. الجحني، علي بن فايز (د.ت) دور حلقات تحفيظ القرآن الكريم في تعزيز الأمن الفكري (رؤية مستقبلية) الملتقى الرابع للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية.

٧. الحسناوي، موفق (2010) دور الجامعة في بناء شخصية الطالب، موقع منتديات نور الإسلام.

٨. حميد، عبد الله (1430) الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

٩. الدغيم، محمد (2009) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي، مسابقة جائزة مجلي التعاون لدول الخليج العربي للعلوم الأمنية، جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية.

١٠. السالمان، إبراهيم (2006) دور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري للطلاب، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الشرقية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف.

١١. شلدان، فايز(2013) دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد (21)، العدد (1) غزة، فلسطين.

١٢. الشمري، مسلم، والجردات، محمود (2012)، دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب المجلد27 ، العدد54 ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.

١٣. طاشكندي، ليلى عبد المعي (2016)، دور المعلم في تعزيز الأمن الفكري في نفوس الطلاب، بحث مقدم في مؤتمر إعداد المعلم وتدريبه في ضوء مطالب التنمية ومستجدات العصر، جامعة الأزهر.

١٤. طعيمة، رشدي (1999)، العولمة ومناهج التعليم العالي، المؤتمر العلمي الحادي عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس (التحديات التي تواجه مناهج التعليم في ظل العولمة)، القاهرة.

١٥. عثمان، السعيد (2015)، الأنشطة الطلابية ودورها في العملية التربوية، حولية كلية المعلمين أبها.

١٦. العجمي، محمد حسنين (2002)، الإعداد للمهنة الأكاديمية بالجامعات المصرية لمواجهة تحديات المستقبل ومتطلباتها كما يدركها أعضاء هيئة التدريس، مجلة كلية التربية جامعة المنصورة، عدد 42.

١٧. عدوان، خالد(2017) ، تصور مقترح لتطوير دور مجالس الطلبة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.

١٨. عساف، محمود (2011) دور التربية للمواطنة في تعزيز الحوار بين طلبة الجامعات الفلسطينية وسبل تفعيله، المؤتمر العلمي الرابع لكلية التربية بعنوان التواصل والحوار التربوي نحو مجتمع فلسطيني أفضل المنعقد بالجامعة الإسلامية غزة في الفترة 30/10/2011.

١٩. عمارة، سامي (2010)، دور الأستاذ الجامعي في تنمية قيم المواطنة لمواجهة تحديات الهوية الثقافية جامعة الإسكندرية نموذجا، مجلة مستقبل التربية العربية.

٢٠. الكيلان، ماجد عرسان (1996) مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها ، بيروت ، عالم الكتب.

٢١. اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، الأمن الفكري ماهيته وضوابطه الجديد والحصري على شبكة الألوكة www.alukah.net.

٢٢. المالك، صالح (2005) دور المؤسسات التعليمية في بناء الأمن الفكري، كلية الملك فهد الأمنية، الموقع http://www.minshawi.com/vb/threads/.

٢٣. منصور، منار (2017)، تقييم دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري لطلابها من وجهة نظرهم وأعضاء هيئة التدريس، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد172، ج1.

٢٤. نور، أميرة بنت طه(1428) ، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة العربية السعودية.

٢٥. نوير، عبد السلام (٢٠٠٥)، التعليم كبوتقة للمواطنة، القاهرة، الشروق الدولية.

٢٦. الهماش، متعب (1430)ه استراتيجية تعزيز الأمن الفكري، المؤتمر الأول، الأمن الفكري، المفاهيم والتحديات، جامعة الملك سعود.

٢٧. http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/ ISSN 1726-6807.

الأحكام الفقهية وأثرها على الأمن الفكري للفرد والمجتمع

دكتورة/ دلال علي عبد الله الحمادي
أستاذ مساعد بقسم الفقه وأصوله كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على خير البرية نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، وبعد ،

يعيش المسلمون اليوم في عصرٍ تتماوجُ فيه الاتجاهات الفكرية وتتباين، ويشهد الجيل الحالي وخصوصاً الشباب والناشئة؛ اصطراعاً فكرياً، يأخذ مدىً بعيداً في توجيهه، بل إنَّ هناك جهاتٍ شتى تنأى به عن الجادّة التي هدى إليها ديننا القويم، كذلك نجد الساحة الإسلامية اليوم يحتدمُ فيها النزاع، وتشتدُّ فيها المنافسة بين القنوات الإعلامية المتعددة (مقروءة، ومسموعة، ومرئية) والتي تحمل الغَثَّ والسمين مما هو مبثوث داخل المجتمعات الإسلامية، أو ما يَفِدُ إليها من مجتمعاتٍ شتَّى، وهذا تأكيد لما ذهب إليه المختصون في دراسة الغزو الفكري، من أنَّ (الفكر والثقافة والآيديولوجيا)، هي محاور الصراع الذي تُخطِّط له القوى العالمية الغازية، والتي تهدف (فيما تهدف إليه) إلى العمل الدائب على تحويل التوجُّه الفكري والثقافي لدى شباب المسلمين إلى وجهات التطرُّف والعَلْمانية والمادية، التي تسود الفكر العالمي، بعيدًا عن مُعطيات الإسلام ومبادئه المتوازنة.

لذا كان من الأهميّة بمكان أن يعمل دعاة الإسلام والحادبين على أمره، على تعزيز الأمن الفكري للأمة المسلمة، حتى تستقيم الحياة الدُّنيا، وتكتمل سعادتها، والتي لا تتأتَّى إلاَّ إذا أمِنَ المسلمُ على نفسهِ، وارتاح قلبه، وهدأت جوارحه؛ وأمِنَ من وقوع

مكروهٍ يهدده، أو ينتقص دينه، أو ينتهك حرماته، أو يستلب خيراته، أو يفرض عليه ما يتعارض مع دينه وثقافته من أفكار ومذاهب وأخلاق.

والأمن الفكري يعني الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة ، أو الأجنبية المشبوهة ، فهو يصب في صالح الدعوة لتقوية هذا البعد من أبعاد الأمن الوطني . وهو بهذا يعني حماية وصيانة الهوية الثقافية من الاختراق او الاحتواء من الخارج ، ويعني أيضا الحفاظ على العقل من الاحتواء الخارجي وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل من الانحراف .

وهو اطمئنان الناس على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية ،ويعني السكينة والاستقرار والاطمئنان القلبي واختفاء مشاعر الخوف على مستوى الفرد والجماعة في جميع المجالات النفسية والاجتماعية والاقتصادية ويعني صيانة عقول أفراد المجتمع ضد أية انحرافات فكرية أو عقدية مخالفة لما تنص عليه تعاليم الإسلام الحنيف أو أنظمة المجتمع وتقاليده.

الدراسات السابقة :

لم أجد على حد علمي . بحثا أو دراسة مستقلة تعني ببيان أثر الأحكام الفقهية على الأمن الفكري والله أعلم .

هدف البحث :

كلما ازداد المسلم علماً وفقهاً لمقاصد الشريعة وحكمها، ازداد رجحان عقله وسلامته فيصبح فكره آمنا له ولمجتمعه ولأمته فيهدف البحث إلى تنبيه الأفراد والمجتمعات والحكومات بضرورة توفير الفكر الآمن من خلال الأحكام الفقهية .

منهج البحث :

اعتمدت في البحث على المنهج الاستقرائي للفقه الإسلامي ، فجمعت قدر استطاعتي وعلمي . ما له علاقة بموضوع البحث ثم قمت بدراسته وبيان مدى ارتباطه بموضوع البحث ، ولم أكثر من التمثيل لعدم إطالة البحث واكتفيت بذكر مثالين أو ثلاثة.

خطة البحث :

عرضت البحث في مقدمة، وثلاث مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول : وسائل إنشاء الفكر الآمن للفرد والمجتمع في الفقه الإسلامي .

المطلب الأول : ماهية الأمن الفكري :

المطلب الثاني : وسائل إنشاء الفكر الآمن للفرد .

الوسيلة الأولى : حفظ العقل .

الوسيلة الثاني : حفظ الدين .

الوسيلة الثالثة : حسن الظن بالله ، والرضا بالمنهج الرباني .

الوسيلة الرابعة : التمسك بما جاء في الكتاب والسنة معا .

الوسيلة الخامسة : استنباط الأحكام الفقهية من مجموع النصوص الشرعية ، وليس ببعضها بمعزل عن بقية النصوص .

المبحث الثاني : وسائل إنشاء الفكر الاجتماعي الآمن في الفقه الإسلامي .

الوسيلة الأولى : دور ولاة الأمر من الحكام والعلماء .

الوسيلة الثانية : دور الوالدين.

الوسيلة الثالثة : الأوامر والنواهي التي تحافظ على فكر التعاون والإخاء والمحبة ووحدة المسلمين ، وتماسك المجتمع الإسلامي .

المبحث الثالث : حماية الفكر الآمن لدى الفرد والمجتمع وصيانته في الفقه الإسلامي.

المطلب الأول : وسائل حماية الفكر الآمن لدى الفرد وصيانته .

الوسيلة الأولى : حماية الفكر مما يؤثر عليه سلبا .

الأسلوب الأول : حماية الفكر مما يلهية أو يشوش عليه عند أداء عمل معين .

الأسلوب الثاني من وسيلة حماية الفكر مما يؤثر عليه سلبا : عدم الاسترسال مع الخطأ الفكري. الأسلوب الثالث من وسيلة حماية الفكر مما يؤثر عليه سلبا : النهي عن ما يغلق العقل .

الأسلوب الرابع من وسيلة حماية الفكر مما يؤثر عليه سلبا : تحمل المرء مسئولية إفساد فكرة .

الوسيلة الثانية من وسائل حماية فكر الفرد : النهي عن استنباط الأحكام الفقهية بالرأي المجرد والهوى .

الأسلوب الأول : النهي عن تفسير القرآن والسنة بالهوى والرأي المجرد .

الأسلوب الثاني من وسيلة استنباط أحكام الفقهية بالرأي والهوى : النهي عن التلاعب بالدين ، وربطه بالهوى والرأي والمصالح الدنيوية والشخصية ، أو لتحقيق أهداف سياسية أو حزبية ، أو أهداف مذهبية .

الوسيلة الثالثة من وسائل حماية فكر الفرد : وضع شروط للاجتهاد .

الوسيلة الرابعة من وسائل حماية فكر الفرد : تقديم الدين على العقل .

المبحث الأول

وسائل إنشاء الفكر الآمن لدى الفرد والمجتمع في الفقه الإسلامي

المطلب الأول : ماهية الأمن الفكري

أولاً: تعريف الأمن في اللُّغة والاصطلاح:

الأمن في اللُّغة:

هو سكون القلب واطمئنانه، قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان؛أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر: التصديق.

وقال الخليل: "الأَمَنَةُ مِن الأمْن. والأمان إعطاء الأَمَنَة. والأمانة ضدُّ الخيانة. يُقال أمِنْتُ الرّجُلَ أَمْنًا وأَمَنَةً وأَمانًا، وآمنني يُؤْمنني إيمانًا. والعرب تقول: رجل أُمّانٌ، إذا كان أمينًا"[1]).

وعلى هذا، فالأمن في اللُّغة: هو سكون القلب واطمئنانه بعدم وجود مكروه وتوقعه.

قال الراغب:"أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف. والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارةً اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارةً اسماً لما يُؤْمَنُ عليه الإنسان"[2]).

الأمن في الاصطلاح:

تعدَّدت التعريفات الاصطلاحية للأمن باختلاف المنظور الذي ينظر إليه الباحثون عند تعريفهم له ومن تلك التعريفات:

تعريف الجرجاني، حيث عرّفه بأنه: "عدم توقُّع مكروه في الزمان الآتي"[3]).

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط/١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م.

(٢) المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني)٥٠/٠)دار القلم الدار الشامية، دمشق. بيروت ٠٤٠٧ هـ ،تحقيق : صفوان عدنان داودى

(٣) علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بدون طبعة، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.

ويمكن تعريف الأمن بالنظر إلى مقاصد الشرع بأنَّه: الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئناً في نفسه، مستقراً في وطنه، سالماً من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله.

ثانياً: تعريف الفكر في اللُّغة والاصطلاح:

الفكر في اللُّغة:

هو تردُّد القلب وتأمُّله. قال ابن فارس: "الفاء والكاف والراء؛ تردُّد القلب في الشيء. يُقال: تفكَّر إذا ردَّد قلبه معتبراً. ورجلٌ فِكِّير؛ أي كثير الفكر"[1].

وقال العلامة الراغب (رحمه الله): "الفكرة قوةٌ مُطرِقة للعلم إلى المعلوم، والتفكُّر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان...قال بعض الأدباء: الفكر مقلوبٌ عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني؛ وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها"[2].

الفكر في الاصطلاح:

قال الفيومي: "ويقال: الْفِكْرُ تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الذِّهْنِ يُتَوَصّلُ بِهَا إلَى مَطْلُوبٍ؛ يَكُونُ عِلْماً، أَوْ ظَنّاً"[3].

يقول جميل صليبا: "وجملة القول: إنّ الفكر يُطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يُطلق على المعقولات نفسها. فإذا أُطلق على فعل النفس؛ دلَّ على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمُّل، وإذا أُطلق على المعقولات؛ دلَّ على المفهوم الذي تُفكِّرُ فيه النفس"[4].

وعرّفه الزنيدي بقوله: "الفكر في المصطلح الفكري والفلسفي خاصةً؛ هو: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات؛ أي النظر، والتأمُّل، والتدبُّر،

---

(١) عبد الرحمن الزنيدي، حقيقة الفكر الإسلامي، ط/٢، الرياض، دار المسلم، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(٢) عبد الحفيظ المالكي، نحو مجتمع آمن فكرياً، ط/١، ١٤٣١هـ،٢٠١٠ م.

(٣) عبد لله بن عبد المحسن التركي، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، مكة المكرمة، مطابع رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

(٤) عبد الرحمن السديس، الأمن الفكري، ضمن كتاب الأمن الفكري، ط/١، الرياض، جامعة نايف العربية، مركز الدراسات والبحوث، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

والاستنباط، والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها؛ أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري"[1]).

المطلب الثاني :وسائل إنشاء الفكر الآمن لدى الفرد :

استخدام الفقه الإسلامي وسائل متنوعه متعددة لإنشاء فكر آمن لدى الفرد وبعض هذه الوسائل يشتمل أيضا على أساليب مختلفة وذلك من أجل إنشاء فكر الفرد على أسس قوية راسخة تجعله آمنا سليما من الانحراف والتعدي والهلاك ، فمن هذه الوسائل :

الوسيلة الأولى : حفظ العقل :

تحدث الفقهاء كثيرا عن حفظ العقل فهو أحد الكليات والضروريات الخمس التي يجب المحافظة عليها [2]) وحفظ العقل لا يقتصر على تحريم المسكرات أو ما يؤدي إلى زواله كليا أو جزئيا أو زواله بصفة دائمة أو مؤثته أو الإضرار به عضويا بل يتعدى إلى حفظه فكريا فالتفكير (الفهم والإدراك) هو الوظيفة الأساسية التي خلق العقل لأجلها وهو مناط التكليف ، من أجل ذلك أعتنت الأحكام الفقهية بحفظه ورعايته عضويا وفكريا على حد سواء .

الأسلوب الأول لحفظ العقل :

الأمر والحث على إعمال العقل والفكر والنهي عن الجهل والجمود الفكري (ومنه الجمود الفقهي) حثت الشريعة الإسلامية على إعمال الفكر ونهت وذمت الجهل وأهله ، كما ذمت الجمود الفكري فقد ذم الله تعالى هؤلاء الذين أوقفوا تفكيرهم على تفكير آبائهم وأجدادهم وتمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم الخاطئة فيقول تعالى

---

(١) ابن مسفر الوادعي، الأمن الفكري الإسلامي، مجلة الأمن والحياة، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، العدد (١٨٧)، ١٤١٨ه.

(٢) تنبيه : من المعلوم أن حفظ العقل والدين وبقية الكليات الخمس من مقاصد الشريعة وغاياتها وليست وسائل إلا أني جعلتها هنا وسيلة لإنشاء الفكر الآمن بالنظر إلى مآل ما ينتج عنها من أمن فكري ، أيضا بالنظر إلى الأمن الفكري الناتج عن الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الكليات الخمس والله أعلم .

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ[1])

كما ذم هؤلاء الذين جمدوا تفكيرهم على ما عندهم ولم يطوروه فلم يتقبلوا ما يستجد من العلوم والأخبار فقال تعالى ذاما لأهل الكتاب (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [2])

ويقول ﷺ (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا[3]) فالمؤمن وإن اتبع غيره أو اتبع عادات وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه إلا أن يتبع ما يراه سليما وصوابا موافقا للشرع ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر .

ويظهر مما سبق أن عدم إعمال الفكر وتجميد الفكر على ما عنده وعدم قبول المزيد يؤدي إلى سلبيات كثيرة بل إلى كوارث عظيمة كما في الآيتين السابقتين ببقائهم على الشرك والكفر والجمود الفقهي وصل به الأمر . في بعض مراحله . إلى تكفير أصحاب المذهب الآخر.

مع العلم أن حث الفقهاء وعلماء أصول الفقه على إعمال الفكر ليس من باب الإباحة أو الندب بل هو واجب على كل مسلم ومسلمة فإذا أصبح الإنسان في كامل قواه العقلية (كامل الأهلية) فإنه يحاسب على تصرفاته العملية والقولية ولما كان محاسبا على تصرفاته فيجب عليه٠ حينئذ أن يعمل عقله وفكره حتى يتصرف التصرف السليم الذي يعفيه من المسئولية يقول الله عز وجل (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا[4])

وقد قسم علماء أصول العلم إلى قسمين : علم العامة ويقصد به ما يجب على عموم المسلمين العلم به ، فلا يجوز الجهل به ، ولا يعذر المسلم بجهله به ، ولا يجوز التقليد فيه ، فيجب عليه شرعا أن يتعلمه ، كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وتحريم

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٠

(٢) سورة البقرة آية : ٩١

(٣) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه سنن الترمذي ج ٤ ص٣٦٤ .

(٤) سورة الإسراء آية : ٣٦

الربا والزنا والخمر والقتل ، وغير ذلك من أصول الدين والقسم الثاني وهو علم الخاصة أي ما يجب على العلماء أن يعلموه ويستنبطوه من الكتاب والسنة وهذا النوع يعذر عامة المسلمين الجهل به ، ولا يعذر العلماء بتقصيرهم أو إهمالهم في بيان الحكم ، يقول محفوظ بن أحمد الكلوزاني : فالعلوم على ضربين : منها لا يسوغ فيه التقليد فيها وهو معرفة الله ووحدانيته ومعرفة صحة الرسالة وبه قال عامة العلماء ... ثم قال : وكذلك أصول العبادات كالصلوات الخمس وصيام رمضان وحج البيت والزكاة فإن الناس أجمعوا على أن لا يسوغ فيه التقليد لأنه ثبت بالتواتر ونقلته الأمة خلفا عن سلف فمعرفة العامي توافق معرفة العالم فيها كما تتفق معرفة الجميع فيما يحصل بأخبار التواتر من البلدان النائية والقرون الماضية وأما الضرب الثاني فهو فروع الدين وأحكامه كالبيوع والأنكحة والعتاق والحدود والكفارات ونحوها فيجوز للعامي تقليد العالم فيها وبهذا قال أكثر العلماء .[1]

لذلك نجد علماء أصول الفقه قد بحثوا موضوع الأهلية العقلية ومدى تأثيرها على التكليف بالأحكام الفقهية [2] وإذا وجب على المسلم أن يعمل عقله ، فمن باب أولى يجب على الفقيه أن يعمل فكرة ولا يقتصر على تقليد من سبقه العلماء ، أو التقليد المتعصب لمذهبه ، أو الجمود على اجتهادات العلماء السابقين وعدم البحث عن أحكام ما يستجد من وقائع .

ويقول ابن الجوزي: ولربما كان هذا الجمود على الألفاظ والمألوفات والأحكام التي جعلت كلها تعبدية في باب المعاملات التي بنيت على جلب المصالح ودفع المضار ، من أسباب سقوط الأمم الإسلامية ، وفي الأخير لربما كانت سبب نبذ بعض الدول للشريعة كليا كما وقع أخيرا في بعض الدول الإسلامية [3]

---

(١) التمهيد في أصول الفقه ج ٤ ص ٣٩٦ – ٣٩٩ .

(٢) أنظر على سبيل المثال كتاب عوارض لأهلية عند الأصوليين تأليف د . حسين خلف الجبوري ، وأصله رسالة دكتوراه

(٣) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ، ج٢ ، ص٥١٤

لذلك ينهي كبار العلماء الناس عن اتباعهم إتباعا أعمى بدن نظر أو تمحيص حتى أصبحت مقولة مشهورة لديهم : إذا وجدتم كلامنا يخالف القرآن والسنة فاضربوا به عرض الحائط .

فنقل عن الإمام أبي حنيفة أنه بعد أن ذكر حكم مسألة سأله زفر أحد تلاميذه : أهو الحق الذي لا شك فيه ؟ فقال له أبو حنيفة : والله لا أدري لعله الباطل الذي لا شك فيه .

وقال الإمام مالك رحمه الله : إنما أن بشر أخطيء وأصيب ، فانظروا في رأي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .ونهى الإمام الشافعي عن تقليده وتقليد غيره .

ويقول أبو زهرة : وقد وجد في عصرنا من هذا لاصنف ، لا يتجهون إلا إلى الالتقاط من أقوال الفقهاء من غير تعرف لديل ما يلتقطون ، بل يكتفون بأن يقولوا هناك قول بهذا وقد كان عمل هذا الفريق له أثر في البيئات والطبقات التي تحاول أن تجد مسوفا لما تفعل فيسارع هؤلاء الي قول يجدونه أيا كان قائله وأيا كانت قيمته ولو لم يعتمد على دليل واضح أو تفكير راجح ثم ينثرون ذلك نثرا فالويل لهؤلاء والويل لم يقلدهم ((1)

الأسلوب الثاني لحفظ العقل :

ترسيخ فقه المفاهيم الأساسية للدين : كلما فهم المكلف ما كلف به من أوامر أو نواة فهما صحيحا وكلما كانت حكمة وغاية التكليف واضحة لديه ، اقتنع بما كلف به فيؤديه على الوجه الأكمل ويتقنه لذا نجد مجمل التكاليف في الفقه الإسلامي عبارة عن مفاهيم عامة واضحة المعنى سهلة الإدراك والتصور فمن هذه المفاهيم على سبيل المثال :

مفهوم العبادة والتوازن بين رغبات الجسد والروح : فالعبادة هي كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة فالتدين لا يكون فقط بأداء العبادات المحضة كالصلاة والصوم والحج وإنما بكل ما يحبه الله ويرضاه من كل ما يصدر عن المسلم فأداء حقوق العباد ورعاية مصالحهم وحب الخير لهم ودفع الأذى

(1) أصول الفقه لأبي زهرة ص ٣٩٨ – ٣٩٩ .

عنهم وتطبيق الأحكام الفقهية المتعلقة بالأسرة والاقتصاد والسياسة والقضاء وغيره من جوانب الحياة : عبادة كما في الحديث المشهور أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلى الليل أبدا وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أن اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني [1])

وقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا [2])

مفهوم العلاقة مع غير المسلمين :

علاقة المسلم بغير المسلم ليست علاقة قائمة فقط على الجهاد والقتال والعدواة فكما أن هناك نصوص تدل على قتال الكفار وجهادهم كقوله تعالى : " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ[3] ") نجد في المقابل نصوصا تنهي عن قتال الكفار كقوله تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا [4] ") بالإضافة إلى الأحاديث النبوية التي تنهي عن الغدر بأهل الذمة والمستأمنين .

---

(١) صحيح البخاري ، ج٥ ص ١٩٤٩ .
(٢) صحيح البخاري ، ج٥ ص١٩٩٥ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٩١ .
(٤) سورة النساء آية : ٩١.

كما أننا نجد نصوصا أخرى تدعونا التعامل معهم بالبر والعدل والحسنى وتبادل الخبرات والمعارف كقوله تعالى:" لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ[1] " وقوله " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [2] "

وقوله سبحانه وتعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ[3] ")

فالعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين تتردد بين حالات مختلفة من سلم أو عداوة أو حرب أو عهد أو هدنة أو أمن أو ذمة ولكل حالة أحكام فقهية تتعلق بها أفردت لها أبواب مستقلة في كتب الفقه كأبواب المغازي وأحكام أهل الذمة وغيره ، فلا يصح فقها ولا عقلا أن نصطحب أحكام حالة واحدة على بقية الحالات فعلى سبيل التمثيل : لا يصح أن نصطحب أحكام القتال والجهاد على بقية الحالات فهو مخالف للبر والعدل الذي أمرنا الله تعالى به ، كما لا يصح أن نصطحب أحكام السلم في حالات العداوة والقتال ، ففيه ذل وهوان .

إن عدم إدراك بعض المتدينين لمفهوم العلاقة مع غير المسلمين وعدم إدراكهم لمفهوم الجهاد سبب ظاهر لفساد فكرهم كما أنه سبب رئيس لتعديهم على حقوق غير المسلمين وحقوق المستأمنين والذميين .

الأسلوب الثالث لحفظ العقل :

تصحيح الفقه الإسلامي المفاهيم الخاطئة : لم يكتف الفقه الإسلامي بتوضيح المفاهيم وترسيخها في فكر المسلم ، بل قام أيضاً بتصحيح المفاهيم الخاطئة في أذهان الناس نتيجة عوامل مختلفة ، والذي يعنينا هنا : عندما تصبح المفاهيم واضحة وسليمة من الخطأ والنقص لما اعتراها من مؤثرات ، فإن الفكر يعود إلى المنهج

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٨ – ٩ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٣ .

الربانى القويم فيصبح آمناً من الابتداع في الدين ، وآمناً من الحيرة والشك في مصادر الدين وتعاليمه الكاملة .

تصحيح الفقه لبعض المفاهيم الخاطئة لتجويز شرب الخمر:

يقول ابن قدامة في المغني : وإنما حكي عن قدامة بن مظعون وعمرو بن معد يكرب وأبي جندل بن سهيل أنهم قالوا هي حلال لقول الله تعالى : (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا)[1]. فبين لهم علماء الصحابة معنى هذه الآية وتحريم الخمر ، وأقاموا عليهم الحد لشربهم إياها ، فرجعوا إلى ذلك فانعقد الإجماع . فمن استحلها الآن فقد كذب النبي ﷺ لأنه قد علم ضرورة من جهة فيكفر بذلك ويستتاب فإن تاب وإلا قتل[2].

تصحيح الفقه المفاهيم الخاطئة نتيجة الفكر المغالي:

كنهى النبى ﷺ عن المغالاة في الدين سواء بالتشدد فيه أو بتكليف نفسه بعمل تطوعات كثيرة تفوق طاقته ، وغير ذلك من أنواع المغالاة في الدين ، والنصوص الناهية عن المغالاة كثيرة ، منها : قوله ﷺ ثلاثاً " هلك المتنطعون "[3] وقال " لن ينجي أحداً منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا . إلا أن يتغمدنى الله برحمته . سددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة . والقصد القصد تبلغو "[4] ، وقال " إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك ، فان المنبت لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقي فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت ابداً واحذر حذراً يخشى أن يموت غداً"[5].

ومن الناس من يعتقد أن التعب والارهاق في أداء العبادة يزيد من الأجر والحسنات ويزيد رضي الله عليه ، وهذا اعتقاد خاطئ يصححه الفقه . فنجد في أبواب مختلفة منه ما يدل على النهى عن تعذيب المرء نفسه ابتغاء مرضاة الله . ففي باب الصلاة نجد ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ المسجد ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين . فقال : ما هذا الحبل؟ قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا

---

(١) سورة المائدة ٩٣ .

(٢) المغنى ، ج٩ ، ص١٣٥ .

(٣) رواه مسلم ، ج٤ ، ص٢٠٥٥ .

(٤) روه البخارى ، ج٥ ، ص٢٣٧٣ .

(٥) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ، ج٣ ، ص١٩ .

فترت تعلقت به . فقال النبي ﷺ : " لا ، حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد[1] ".

الوسيلة الثانية من وسائل إنشاء الفكر الآمن لدى الفرد :

حفظ الدين أحد الضروريات والكليات الخمس التي تحدث عنها الفقهاء بعناية واهتمام فالدين أساس الحياة ، سواء حياة الإنسان الدينية أم الدنيوية ، سواء على مستوى الفرد أم الجماعة وحفظ الدين يكون بعدة أمور لعمل الأوامر واجتناب النواهي ، وتطبيق الشريعة في جوانب الحياة المختلفة ، وبناء المساجد وغير ذلك من الوسائل التي تحفظ الدين ، إلا أن الذي يعنينا هنا في هذا البحث هي الأساليب التي تحفظ الدين من الجانب الفكري ، أي المنهج الفكري الإسلامي . وهو - والله أعلم - أهم جانب في الدين ، فمثل المسلم الذي يلتزم بالأوامر والنواهي ولا يدرك حكمها ولا مقاصدها كالآلة الصماء ، بينما كلما قيم وأدرك المسلم الحكمة والمقصد مما يتعبد الله به ، كلما ازداد فهماً لروح الشريعة وظهر أثرها على سلوكه وحياته .

أساليب إنشاء الفكر الديني الآمن :

الأسلوب الأول : الأمر بتعلم أمور الدين لعامة الناس ، والأمر بالتفقه فيه لنفر منهم.

العلم في الإسلام له شأن عظيم جداً . فرفع الإسلام العلم وأهله منزلة عالية جداً ، في أعلى عليين في الدنيا والآخرة . ونزل بالجهل وأهله أسفل سافلين والنصوص من القرآن والسنة الدالة على ذلك كثيرة ومشهورة . يكفي منها قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)[2] ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[3].

---

(١) ج١ ، ص٣٨٦ .
(٢) سورة فاطر آية ٢٨ .
(٣) سورة المجادلة آية ١١ .

أما التفقه في الدين ، فمثل العلم بنصوص القرآن والسنة بدون فقه كمثل قراءة القرآن لغير العربي الذي لا يفهم اللغة العربية ؛ قال تعالي (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[1]) ، وقوله ﷺ "من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " لذا قال كثير من المفسرين في معنى الحكمة المذكورة في الآية القرآن قرأه البر والفاجر بيد أن الحكمة هي المعرفة بالقرآن : ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله . وهو معنى تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للحكمة . ويقوي مجاهد أن إيتاء المحكمة ليس بالنبوة ، ولكنه بالعلم والعقه والقرآن ، وقال أبو العالية الحكمة الكتاب والفهم ، وقال إبراهيم النخعي : الحكمة الفهم يقول الإمام مالك : وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة في الفقه في دين الله وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً في أمر الدنيا إذا نظر فيها ، وتجد آخر ضعيفاً فى أمر دنياه ، عالماً بأمر دينه بصيراً به ، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا ، فالحكمة الفقه في دين الله ، ثم يقول القرطبي بعد أن ذكر أقوال المفسرين أنها متشابهة ومتقاربة لأن : أصل الحكمة ما يمتنع به من السفه ، فقيل للعلم حكمة ؛ لأنه يمتنع به ، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح ، وكذا القرآن والعقل والفهم . وفي البخاري : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " وقال هنا : "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً " وكرر ذكر الحكمة ولم يضمرها اعتناءً بها ، وتنبيهاً على شرفها وفضلها[2])

فقه الشريعة الإسلامية وإدراك ما فيها من عقائد وأحكام ، ومقاصد وغايات ، أمان لجميع مجالات الفكر ، فيصبح الفكر العقدي آمناً ، والفكر التعبدي (التدين) آمناً ، والفكر الأسري آمناً والفكر الاجتماعي آمناً ، والفكر الاقتصادي آمناً .. وهكذا بقية مجالات الفكر وما ذلك إلا بسبب بسيط أن تلك المجالات الفكرية بنيت على أسس قوية متينة من العلم . بخلاف إذا بنيت على أسس مزعزعة واهية من الجهل فكلما

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

(٢) تفسير القرطبى ، ج٣ ، ص٣٣٠ .

ازداد المرء علماً وفقهاً أصبح فكره سوياً آمناً ، وكلما ازداد جهله أصبح فكره معوجاً فاسداً .

بل الأشد خطراً من الجاهل وأكثر سوءاً : من يزداد علماً بدون فقه لما تعلم ولا إدراك لمعاني ومقاصد الأحكام ، فيعتقد أنه بلغ درجة العلماء والمجتهدين ، فيصدر الأحكام ، فيضل ويضل غيره وهذا ما نراه عند بعض الشباب الملتزم الذي يعتقد بقراءته كتاباً أو كتابين ، أو حصوله على بكالوريوس أحد مجالات الشريعة أنه أصبح عالماً مجتهداً مفتياً !!

الأسلوب الثاني لحفظ الدين : نشر وتعليم العلم :

كما تبين سابقاً أن تعلم الدين والتفقه فيه أمر ضروري جداً حتى أصبح (فرض كفاية) على نفر من المجتمع المسلم ، ليقوموا بتعليم بقية أفراد المجتمع ما يحتاجونه وينفعهم من أمور دينهم . قال تعال : (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[1] . وكان ﷺ يرسل الصحابة رضي الله عنهم للقبائل التي أسلمت خارج المدينة ليعلموهم الدين ، ناهيك عن بقية النصوص الدالة على فضل العالم والمعلم على العابد[2].

الأسلوب الثالث لحفظ الدين : إخلاص النية في التعلم :

وليس للسمعة أو المصالح الدنيوية ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، منها ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ " من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة"[3] . ويروي أبو داود في سننه في أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً "[4] .

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢ .

(٢) لا يسع المقام لذكرها لعدم إطالة البحث ، وشهرتها عند العامة والخاصة يغنى عن ذكرها .

(٣) ج١ ، ص٢٧٩ .

(٤) ج٤ ، ص٣٠٢ .

الأسلوب الرابع لحفظ الدين :

سؤال أهل الذكر (ضوابط وآداب الفتوى والمفتي والمستفتي) :

فيجب على المسلم أن يسأل أهل العلم وأهل الاختصاص عن أمور دينه ، التي يجهلها فلا يصح

أن يعبد ربه على جهل ، أو على اجتهاده القاصر ، وعليه أيضاً أن يتحرى العالم الموثوق بعلمه لسؤاله عن دينه ، لا أن يسأل أياً من سمى نفسه أو سماه العامة شيخاً ؛ قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]

لذلك اعتنى علماء أصول الفقه بهذه المسألة وأفردوا باباً مستقلاً عن ضوابط الفتوى وآداب المفتي والمستفتي .

وما نراه اليوم من كثرة الفتاوى الفضائية والصحفية[2] ، الصادرة عن أنصاف العلماء وطلبة العلم بل الأسوأ من ذلك الفتاوى الصادرة ممن ليس من أهل العلم الشرعي وتنشر على الملأ في وسائل الإعلام المرئية والمقروءة . فتسبب بلبلة وتشويش للمثقفين والعامة بل إن مثل هذه الفتاوى تعتبر بضاعة رائجة يتسابق أهل الإعلام لبثها ونشرها ، لجذب الجماهير .

الأسلوب الخامس لحفظ الدين : التثبت من نقل أقوال الفقهاء والفتاوى :

يقول ابن سيرين : إن هذا العلم (علم الحديث والأسانيد) دين ، فانظروا عمن تأخذوا دينكم[3] . ومن قبله فعل سيدنا عمر رضي الله عنه عندما سمع حديثاً لم يعرفه .

فالفكر الديني يقوم على ركيزتين أساسيتين : القرآن والسنة ، وما علم دراسة الأسانيد والتخريج إلا أمان له .

ويقاس على ذلك التثبت عند نقل أقوال الفقهاء وفتاواهم . حتي لا تنسب فتوى فاسدة أو فتوى شاذة من أنصاف العلماء أو أشباههم إلى العماء الثقات .

---

(١) سورة النحل آية ٤٣ .

(٢) أقصد الفتاوى المنتشرة عبر القنوات الفضائية سواء السمعية والمرئية وعبر الصحف .

(٣) صحيح مسلم ، ج١ ، ص١٤ .

ويجب أيضاً التثبت من نقل الفتوى بكمالها. فكم من معاص ارتكبت بسبب أخذ جزء من فتوى بما تهواه الأنفس، وترك ما لا تهواه . فعلى سبيل المثال ، عندما أباح بعض العلماء زواج المسيار فإنهم اشترطوا بعض الشروط إلا أن من الناس من توسع في الإباحة حتى أصبحت بعض حالات زواج المسيار مجرد ستار أو غطاء لعلاقة محرمة بدعوى أن هناك من العلماء أباحها ، ومثل آخر ، توسع بعض البنوك في التعامل بالتورق ، فأخذوا من الشروط المبيحة للتورق ما يتوافق مع مصالهم لتحقيق مكاسب عالية ، وتركوا ما يتعارض مع مصالحهم من شروط .

الأسلوب السادس لحفظ الدين :

تلقي الأحكام الفقهية من المصادر الصحيحة الصافية:

نهت الشريعة الإسلامية على تعلم الدين من المصادر المشوبة غير الأصيلة ، فنهى عن تعلم كتب أهل الكتاب لما فيها من تحريف وتبديل ، روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسله بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فغضب منه رسول الله ﷺ وقال " فو الذى نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني[1]" .

ويقاس على ذلك النهي عن قراءة الكتب الفقهية للمذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة لغير المتخصصين في الفقه ؛ لما فيها من انحرافات ، كإباحة زواج المتعة ، أو الجماع في الدبر . وكتب غلاة الصوفية والمبتدعة .

أما بالنسبة لطلاب العلم وكاتبى الأبحاث العلمية ، فمن العلماء من يشدد ويمنع نقل أقوال مذهب ما من كتب المذاهب الأخرى ؛ حتى لا ينسب قول إلى غير قائله . فلا يصح مثلاً أن ينقل قول الإمام الشافعي أو أقوال المذهب الشافعي من كتب المذاهب الأخرى ، بل لا ينقل القول الذي عليه المذهب إلا من كتب المذهب المعتمدة دون غيرها من كتب المذهب. فلا يصح نسبة قول للمذهب الحنبلي نقلاً من كتب العلامة ابن تيمية بالرغم من مكانته العلمية إنما ينقل القول الذي عليه المذهب من كتاب دقائق أولي النهي شرح منتهى الإرادات ، وهكذا بقية المذاهب .

---

(1) مصنف ابن أبى شيبة ، ج٥ ، ص٣١٢ .

الوسيلة الثالثة من وسائل إنشاء الفكر الأمن لدى الفرد :

حسن الظن بالله ، والرضا بالمنهج الرباني : يترتب على حسن الظن بالله الإيمان بأن كل ما جاء من عنده تعالى من تشريعات من أوامر ومستحبات فيه جلب نفع وخير لنا ، وما فيها من نواه ومكروهات فيه دفع شر وضر عنا فالخير كل الخير فيما اختاره الله تعالى فأمر به أو نهي عنه . يقول الله عز وجل (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)[1].

وقال (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[2] .

ويقول الصحابي الجليل علي رضي الله عنه : لو كان الدين بالرأي ، لكان مسح الخف من أسفله أولى من أعلاه[3] .

فالاستسلام والتسليم والخضوع لأوامر الشرح ونواهيه فيه أمن للفكر وحماية له من الخروج عن المنهج الرباني ، وحماية له من وساوس النفس والشيطان ، ومن شبهات أهل البدع والزيغ ، ومن شبهات الغزو الفكري وعملائه من المستشرقين والمنصرين . كما أن الرضا والاستسلام لشرع الله فيه أمان للفكر من التحايل لترك الواجب أو التحايل لفعل المحرم وفي ذلك أمان من هالاك الفرد والمجتمع بنزول العقوبة بسبب فساد الفكر ومن ذلك عندما حرم الله تعالى صيد السمك يوم السبت على أهل قرية مي اليهود ، فلم يرضوا بأمره تعالى ، فتحايلوا عليه بصيد السمك بوسائل مختلفة كأن يحفروا حفرة ليدخل فيها السمك فيحبس بها ، ثم يجمعونه يوم الأحد ، أو أن يربط ذيل السمكة بخيط يوم السبت ويتركها في الماء ، تم يسحبها يوم الأحد وغيرها من وسائل التحايل ، قال تعالى: (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٦ .

(٢) سورة الحشر آية ٧ .

(٣) انظر هذه الروايات فى المحلى ، ج١ ، ص٦١ .

الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[1]).

وهذا فساد فكري عظيم لا يهلك فقط صاحبه ، إنما يهلك المجتمع بأسرة ؛ فتحل العقوبة عليهم جميعاً . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)[2]).

يقول ابن كثير رحمه الله : وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام . وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة رحمه الله : حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم حدثنا الحسن بن محمد الصباح الزعفراني حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدني الحيل "[3]).

ومثل آخر في باب الأطعمة ، ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ

يقول عام الفتح وهو بمكة : " إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام" فقيل يا رسول الله ، أرأيت شحوم الميتة ، فإنه يطلي بها السفن و يدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال : "لا ، هو حرام" . ثم قال ﷺ: " قاتل الله اليهود ، إن الله عز وجل لما حرم عليهم شحومها أجملوه ، ثم باعوه ، فأكلوا ثمنه "[4]).

ويظهر لى والله أعلم أن تغليظ العقوبة عن المتحايل على الذنب - وإن كان صغيراً - إنما بسبب ما يؤدي تدريجياً إلى فعل المحرمات وترك الواجبات ، فاليوم أحل لنفسه أمراً محرماً وغداً سيحلل محرماً آخراً ، وبعد غد سيحلل محرماً ثالثاً ، بل

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) سورة النساء آية ٤٧ .

(٣) وقال وهذا إسناد جيد فإن أحمد بن محمد بن مسلم هذا ذكره الخطيب فى تاريخه ووثقه وباقى رجاله مشهورون ثقات ويصحح الترمذى بمثل هذا الإسناد كثيراً تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

(٤) ص٣ ، ص١٢٠٧ .

قد لا يكتفي بتحليل المحرم ، إنما سيتمادي في تحايله على الشرع فيعفي نفسه من الأوامر والواجبات ، فيفسد فكره ، فلا يقيم من الشرع إلا ما وافق هواه .

الوسيلة الرابعة من وسائل إنشاء الفكر الآمن لدى الفرد:

التمسك بما جاء في الكتاب والسنة معاً :لما كان المؤمن مطالباً بالاستسلام للمنهج الربانى والرضا بما فيه من أوامر ونواه فيجب عليه حينئذ أن يتمسك بالكتاب والسنة كلاهما معاً ، علماً وعملاً ، فلا يصح أخذ القرآن والتمسك به وترك السنة ، ولا يجوز أخذ السنة وترك القرآن .

يقول الله عز وجل : (. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[1] .

وروي عن العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه أنه قال : نزلنا مع النبيﷺ خير ومعه من أصحابه . وكان صاحب خيبر رجلاً مارداً ، فأقبل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمارنا وتضربوا نساءنا ؟ فغضب النبي ﷺ وقال : يا بن عوف ، اركب فرسك ثم ناد : إن الجنة لا تحل إلا للمؤمن ، وأن اجتمعوا للصلاة ، قال فاجتمعوا ، ثم صلي بهم النبي ﷺ ، ثم قام فقال " أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن إن الله عز وجل لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن؟! ألا وإني والله قد أمرت ، ووعظت ونهيت عن أشياء ، إنها لمثل القرآن وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم ، الذي عليهم" [2].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن العمل بالكتاب (وهو إباحة طعام أهل الكتاب) وترك السنة (التي قيدت الإباحة باستئذان صاحب الطعام من أهل الكتاب) فساد فكري واضح يترتب عليه فساد وظلم وبغي .

كما يترتب على الأخذ بالقرآن وترك السنة التلاعب بالدين بترك ما شرعه النبيﷺ بدعوى ضعف الأحاديث ، أو عدم ثبوت نسبتها للنبي ﷺ . فالسنة مكملة

---

(١) سورة الحشر آية ٧ .

(٢) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ، ج٩ ، ص٢٠٤ .

وشارحة للقرآن . بل (السنة قاضية على القرآن ، وليس القرآن بقاض على السنة)[1] . وهذا يقودنا إلى الوسيلة التالية .

الوسيلة الخامسة من وسائل إنشاء الفكر الآمن لدى الفرد :

استنباط الأحكام الفقهية من مجموع النصوص الشرعية ، وليس ببعضها بمعزل عن بقية النصوص .

استنباط الأحكام الفقهية من بعض النصوص بمعزل عن بقيتها سبب آخر لفساد الفكر وكذا الفهم القاصر لمجموع النصوص . فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لا تضربوا القرآن بعضه ببعض ؛ فإن ذلك يوقع الشك في القلوب[2] . فضرب القرآن بعضه ببعض يؤدي إلى فساد فكر صاحبه ، وبالتالي يؤدي إلى زعزعة إيمانه بما أنزله الله تعالى في القرآن ، أو شكه في سلامة نقل القرآن ، أو شكه في حفظ القرآن من التحريف والتبديل .

أما الفهم الصحيح المتعمق لمجموع نصوص الشرع فهو بلا شك سبب رئيس لأمان الفكر . فعلى سبيل المثال ، يقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[3] ، فلو استنبطنا حكم فقهي من هذه الآية مفردها ، لكان الحكم وجوب الصيد على المحرم إذا حل من إحرامه . وهذا استنباط واضح الفساد . أما إذا نظرنا إلى مجموع النصوص ، فيكون الحكم الفقهي الصحيح : جواز وإباحة الصيد خارج الحرم للحاج أو المعتمر إذا تحلل من إحرامه ففعل الأمر هنا يدل على الإباحة وليس الوجوب .

---

(١) وهو قول يحيي بن كثير ، انظر سنن الدرامى ، ج١ ، ص١٥٣ .

(٢) ج٦ ، ص١٤٢ .

(٣) سورة المائدة آية ٢ .

وكذا الحال بالنسبة لنصوص السنة ، فلا يصح العمل ببعض نصوص السنة وترك البقية، كما أنه يجب استنباط الأحكام من مجموع نصوص القرآن والسنة معاً . وعدم الاكتفاء بأحدهما دون الآخر .

المبحث الثاني

وسائل إنشاء الفكر الاجتماعي الآمن في الفقه الإسلامي

كما هو معلوم أن الفرد أساس بناء المجتمع فإذا صلح الفرد ، صلح المجتمع كله وإذا فسد فسد المجتمع كله . وإذا فسد ، فسد المجتمع كله . والفقه الإسلامي لم يهمل دور المجتمع وتأثيره على الفرد فبين الفرد والمجتمع علاقة متلازمة متفاعلة ، يؤثر كل منهما على الآخر لذا نجد في الأحكام الفقهية ما يمكننا أن نستنتج منها ما يعتبر وسائل لإنشاء فكر اجتماعي آمن .

الوسيلة الأولى : دور ولاة الأمر من الحكام والعلماء

أذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر بعضاً من واجبات ولاة الأمر من الحكام والعلماء للحفاظ على الأمن الفكري للمجتمع :

❖الاعتناء بتعليم أفراد المجتمع - أطفالاً وكباراً ، ذكوراً وإناثاً - ما يصلحهم وينفعهم في دينهم ودنياهم . بكل وسيلة ممكنة من مؤسسات تعليمية ومساجد ، وإعلام وغيره وسبق الحديث عن العلم والتعلم .

❖إقامة الدين والحكم بجميع تعاليم الشريعة الإسلامية ، أما الحكم بخلط أحكام الشريعة والأحكام الوضعية ؛ ففيه فساد وإفساد للفكر الإسلامي عامة ولفكر المسلم . فمع مضي الأيام والأجيال تصبح تلك الأحكام الوضعية من الدين ! أو على أقل تقدير يصبح هناك نزاع واضطراب فكري لدى الفرد والمجتمع حول المفاهيم الإسلامية .

❖القضاء على كل ما يفسد الفكر الاجتماعى من البدع ، والشبهات ، والإشاعات .وبيان فسادها بالعقل والبرهان ، ومن باب أولى القضاء على المبتدعين والداعين إلى البدع ومروجى الشبهات والإشاعات والفكر الفاسد ، والمرتدين الداعين غيرهم للارتداد . وتشديد العقوبة عليهم إن لزم الأمر .

❖اعتماد هيئة من العلماء الموثوق بعلمهم لإفتاء الناس ، مع منع غيرهم من الإفتاء على الملأ . خاصة فى أيامنا هذه التى تكثر فيها المفتون بعلم وبغير علم فى القنوات الفضائية . (فقد يكون الإفتاء بالمرجوح أولى من الإفتاء بالراجح)[1] . فالعالم

---

(١) انظر الموافقات ، ج٤ ، ص٢٦٤ .

الربانى الحق يفتى الناس بما يحفظ عليهم دينهم ، ولا يفتيهم بما يشوش عليهم ويثير الشكوك فى أذهانهم وإن كان يرى رجحان رأى آخر . يقول ابن القيم : من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ، هذا إذا أمن المفتى غائلة الفتوى . فإن لم يأمن غائلتها وخاف من ترتب شر أكثر من الإمساك عنها ، امسك عنها أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما . وقد أمسك النبى ﷺ عن نقض الكعبة وإعادتها على قواعد إبراهيم لأجل حدثان عهد قريش بالإسلام وأن ذلك ربما ينفرهم عنه بعد الدخول فيه[1]

الوسيلة الثانية من وسائل إنشاء الفكر الآمن لدى المجتمع : دور الوالدين :

يكفى القول أننا نجد فى كتب الفقه أحكاماً تعتبر معايير وضوابط لاختيار كل من الزوجين الطرف الآخر ، ووضع أركان وشروط لعقد النكاح .

فعلى سبيل المثال ، من الصفات التى ينبغى البحث عنها اختيار الزوجة : أن تكون المرأة متدينة ، عاقلة حكيمة . فغير المتدينة فساد فكرها أدى إلى فساد دينها ، مما يؤدى إلى فساد أبنائها وغير العاقلة والطائشة قد يتعدى حمقها وطيشها إلى أبنائها . وقد قيل قديماً فى كتب الفقه : اجتنبوا الحمقاء ، فإن ولدها ضياع ، وصحبتها بلاء[2] . وما قيل عن اختيار الزوجة ، يقال أيضاً عن اختيار الزوج .

فإذا أنشئت الأسرة ، يأتى دور الوالدين ومسئوليتهما عن حسن تربية الأبناء . ومنها التربية الفكرية السليمة . يقول ﷺ فى الحديث المشهور عند جميع المسلمين . " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته . والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " . وقد استدل الإمام البخارى بهذا الحديث تارة على مسئولية الزوج (الوالد) فقال : باب قوا أنفسكم وأهليكم نارا[3] ، وتارة أخرى استدل به على مسئولية الزوجة (الأم) فقال: باب المرأة راعية فى بيت زوجها[4].

---

(١) إعلام الموقعين ، ج٤ ، ص١٥٧ – ١٥٨ .

(٢) انظر كشاف القناع ، ج٥ ، ص٩ .

(٣) انظر صحيح البخارى ، ج٥ ، ص١٩٨٨ .

(٤) صحيح البخارى ، ج٥ ، ص١٩٩٦ .

وهى مسئولية عظيمة يسأل عنها يوم القيامة ويحاسب عليها أشد الحساب . فيقول ﷺ " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول "[1] ، وليس هناك ضياع أسوأ من ضياع الفكر !

فهذه الأحكام الفقهية المتعلقة بإنشاء الأسرة من أول مراحلها ، وحقوق الزوجين وحقوق الأبناء (سواء داخل الأسرة أو بعد تفككها) إنما من أجل ضمان إنشاء أسرة سليمة متحابة مترابطة ، فينشأ فيها الأبناء نشأة سليمة متكاملة ، وجدانياً وسلوكياً وبالتالي تسلم أفكارهم من الانحراف والاضطراب .

الوسيلة الثالثة من وسائل إنشاء الفكر الآمن لدى المجتمع : الأوامر والنواهي التي تحافظ على فكر التعاون والإخاء والمحبة ووحدة المسلمين ، وتماسك المجتمع الإسلامي :

وتشتمل هذه الوسيلة على الأسلوبين الآتيين :

الأسلوب الأول :

الأوامر التى من غاياتها ومقاصدها وحكمها إنشاء فكر وحس اجتماعي لدى الفرد نحو غيره ونحو المجتمع ، وأيضاً المجتمع نحو الفرد .

مع الوضع فى الاعتبار أن المجتمع المسلم قد يوجد فيه غير مسلمين من أهل ذمة ومستأمنين . فمن هذه الأوامر الزكاة ، والصدقة (الإنفاق) فى أوجه البر المختلفة ، الأحكام المتعلقة بحقوق الراعى والرعية والأمر بطاعة الإمام وولاة الأمر ، الأمر بحفظ المواثيق مع الذميين والمستأمنين . بل نجد فى الفقه الإسلامى باباً كاملاً عن أحكام الصلح مستقلاً عن باب القضاء للإصلاح بين المتخاصمين من أزواج أو فئتين اقتتلتا وغيرهم بطريقة ودية أخوية .. فهذه الأحكام وغيرهم تنمى فى الفرد الفكر الاجتماعى ، وتنمى فيه التفكير فى مشاعر الرحمة والمحبة لغيره ، فإنما المؤمنون أخوة .

وفى مقابل ما سبق ، نجد أحكاماً فقهية أخرى تعمل على حماية هذا الفكر والحس الاجتماعى من الفساد أو الضياع ، فتسعى للقضاء على الأنانية وحب الذات بتحقيق المصالح الشخصية الفردية على حساب بقية أفراد المجتمع . فنجد مثلاً النهى عن

---

(١) سنن النسائى الكبرى ، ج٥ ، ص٣٧٤ ، المستدرك على الصحيحين .

الصلاة فى طريق الناس التبول فى أماكن الاستظلال والراحة ، النهى عن البيع على بيع أخيه والخطبة على أخيه التشديد على تحريم الربا والاحتكار ، والتشديد أيضاً على تحريم الخروج على الإمام وعلى جماعة المسلمين وتفريق كلمتهم ، وتحريم الغدر والاعتداء على الذميين والمستأمنين ..

الأسلوب الثالث : تشديد الأمر بأداء الحقوق والواجبات :

فتجد فى الأحكام الفقهية الكثير من الأوامر بأداء الواجبات نحو غيره ، والنهى عن التعدى على حقوق غيره . وهو ما يعرف فى الوقت المعاصر بحقوق الإنسان فتجد فى كتب الفقه حقوق الزوجين والأبناء ، حقوق الراعى والرعية ، الشفعة ، النفقة على من يعول ..

فيكتسب المسلم من هذه الأحكام الفقهية حب المسلمين وحب الخير لهم ، بل حب المجتمع الإسلامى بما فيه من مسلمين وغير مسلمين ، فيعمل جاهداً على ما فيه نفع وصلاح ولهم ، والحفاظ عليهم ، ويمتنع وينتهى عن كل ما فيه شر وأذى لهم .

وقد استنتج الفقهاء من هذه الأحكام وأمثالها أصولاً فقهية وقواعد فقهية – لا يسع المقام لذكرها – تدل فى مجموعها على عظم مكانة وحدة كلمة المسلمين فى الفقه الإسلامى .

المبحث الثالث

وسائل حماية الفكر الآمن لدى الفرد وصيانته

الوسيلة الأولى : حماية الفكر مما يؤثر عليه سلباً

أى حماية العقل من المؤثرات الداخلية والخارجية التى تؤثر سلباً على الناتج الفكرى السليم سواء كان هذا التأثير جزئياً أو كلياً . ويندرج تحت هذه الوسيلة الأساليب الآتية :

الأسلوب الأول : حماية الفكر مما يلهيه أو يشوش عليه عند أداء عمل معين :

من الأعمال التى يعملها الإنسان ما تستدعى وتفتقر إلى إعمال الفكر بتركيز الذهن والقلب (التدبر والخشوع) على الأمر المراد عمله حتى يؤدى على الوجه المطلوب لذا نجد من الأحكام الفقهية ما يحقق هذا المقصد ، كالنهى عن بعض الأمور التى تعتبر معوقات أو ملهيات لصفاء الذهن والقلب . منها على سبيل المثال : ما كتبه أبو بكرة إلى عبيد الله بن أبى بكرة وهو قاض بسجستان أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول " لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان "[1] . ويقاس عليه أى مؤثر يؤثر على تفكيره فيحكم بالباطل كالقلق والضجر أو وهو يمشى على الأرض أو يسير على الدابة (ومن باب أولى قيادة السيارة) لأن المشى والسير يشغلانه عن النظر والتأمل فى كلام الخصمين[2] .

يقول ابن قدامة : ولا يقضى فى حال الغضب ولا الجوع والعطش والحزن والفرح المفرط والنعاس الشديد والمرض المقلق ومدافعة الأخبثين والحر المزعج والبرد المؤلم ، لما روى أبوبكر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان " متفق عليه . فثبت النص فى الغضب وقسنا عليه سائر المذكور ، لأنه فى معناه ، ولأن هذه الأمور تشغل قلبه فلا يتوفر على الاجتهاد فى الحكم وتأمل الحادثة بل من العلماء من قال بفساد وبطلان حكم القاضى إذا حكم وهو فى تلك الحالة ، ولو حكم بالحق[3] .

---

(١) رواه البخارى ج٦ ، ص٢٦١٦ ومسلم واللفظ له ، ج٣ ، ص١٣٤٢ .

(٢) انظر بدائع الصنائع للكاسانى ج٧ ، ص٩ ، التاج والإكليل للعبدرى ، ج٦ ، ص١٢٠ .

(٣) انظر الكافى لابن قدامة ، ج٤ ، ص٤٤٢ .

ومن ذلك كراهة أن يؤدى المصلى صلاته وهو جائع أو عطشان ، أو محصور ، أو خائف من هلاك نفسه أو أهله أو ماله ، أو حاذق من ضيق حذائه ، أو فى مكان شديد الحرارة أو شديد البرودة[1]) ، أو الصلاة فى الأماكن العامة المفتوحة كالأسواق : لئلا ينشغل تفكيره عن الخشوع والتدبر فى الصلاة ، فيزيد فيها أو ينقص ، أو لا يخشع .

وروى ابن حبان فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول " لا يصلى أحدكم بحضرة الطعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان " ثم قال ابن حبان : المرء مزجور عن الصلاة عند وجود البول والغائط والعلة المضمرة فى هذا الزجر هى أن يستعجله أحدهما حتى لا يتهيأ له أداء الصلاة على حسب ما يجب من أجله[2]) .

وهنا – والله أعلم – جعل النبى ﷺ الفاعل هو (الأخبثان) ، والمفعول به (المصلى) للدلالة على ضرورة التخلص من كل المؤثرات التى تؤثر على خشوع المصلى .

الأسلوب الثانى من وسيلة حماية الفكر مما يؤثر عليه سلباً :

عدم البقاء وعدم الاسترسال مع الخطأ الفكرى :

الإنسان خلق ضعيفاً ، وكل بني آدم خطاؤون ، ومن أنواع الأخطاء التي يقع فيها الإنسان ما يمكن تسميته بالخطأ الفكري ، كوساوس الشيطان ، وحديث النفس ، فالشيطان دائم الوسوسة بالغواية والإفساد للإنسان . فيعلمنا الإسلام الاستعاذة بالله من الشيطان ومن وساوسه وفى ذلك أمان واضح للفكر ، قال تعالى : (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[3]) . وقال (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)[4]) ... وغير ذلك من الآيات الدالة على التعوذ من وساوس الشيطان . ومن الأمثلة الفقهية : أن المصلي أو المتعبد قد يدخل إلى قلبه الرياء أثناء أدائه الصلاة أو العبادة ؛ فعليه حينئذ أن لا يسترسل ، ويخلص قلبه مما دخل فيه من رياء . روى مسلم في صحيحه أن عثمان بن

---

(١) انظر الكافى لابن قدامة ، ج١ ، ص١٧٦ ، المبدع ، ج١ ، ص٤٨٠ .

(٢) ج٥ ، ص٤٣٠ .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠٠ .

(٤) سورة النور آية ٩٧ – ٩٨ .

أبي العاص أتي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتى ، يلبسها علي . فقال رسول الله ﷺ : " ذاك شيطان يقال له خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل على يسارك ثلاثاً " . قال ففعلت ذلك ، فأذهبه الله عنى[1]".

الأسلوب الثالث من وسيلة حماية الفكر مما يؤثر عليه سلباً : النهي عن ما يغلق العقل :

وإن كان الفقه يحمي العقل مما يشوش عليه ، - كما سبق - فمن باب أولى أن يحمي العقل من انغلاقه ، فانغلاق العقل سبب ظاهر لفساد فكر الإنسان فكيف يصدر العقل أحكاماً سليمة به متوقف عن العمل ! بل قد يصل العقل إلى درجة غير مقبولة من الفساد ، بسبب انغلاقه كما هو معروف عن متعاطي الخمر والمخدرات ، فقد يسب الواحد منهم والديه ويعتدي عليهما ، بل قد يقع في الكفر وهو لا يشعر .

من أجل ذلك شدد الإسلام على تحريم كل ما يخامر العقل ويسكره ويخدره من أطعمة أو أشربة أو أدخنة ، أو بأى سبب كان .

الأسلوب الرابع من وسيلة حماية الفكر مما يؤثر عليه سلباً :

تحمل المرء مسئولية إفساد فكره :

لم يكتف الفقه بتحريم ما يخامر العقل ويسكره ، إنما فرض عقوبة دنيوية وأخروية على من يتعمد إفساد فكره بتناول السكر أو المخدر أو غيره . فمن غايات عقوبة الخمر ، الحفاظ على العقل مما يؤثر على عمله بشكل صحيح .

كذلك تجد في الأحكام الفقهية ما يدل على تحمل المرء نتيجة تصرفاته المبنية على التأويلات الفاسدة ، كمن يأتى خادمته قياساً على الجارية ، فيقام عليه حد الزنا ، أو من أفسد فكره بالشبهات كالمرتد يقام عليه حد الردة ، وكمن تأول الخروج على الإمام وجماعة المسلمين وقتالهم ، فيقام عليه البغي والإفساد في الأرض .

---

(١) ج٤ ، ص١٧٢٨ .

الوسيلة الثانية من وسائل حماية فكر الفرد :

النهي عن استنباط الأحكام الفقهية بالرأي المجرد والهوى:

يجب على المسلم أن يجعل فكره دائماً وأبداً يدور في فلك ما أنزل من الوحي في القرآن والسنة وليس في فلك أهوائه وآراءه الشخصية ، ويتحقق ذلك بالأسلوبين الآتيين :

الأسلوب الأول : النهي عن تفسير القرآن والسنة بالهوى والرأي المجرد .

يقول ابن كثير : فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام[1] ، ثم استدل بما رواه الترمذي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال في القرآن بغير علم ؛ فليتبوأ مقعده من النار "[2] . وروى النسائي عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ: " من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فلقد أخطأ "[3] . والخطأ هنا يقع على عمله بتفسير القرآن من غير علم ومن غير استخدام الأدوات التي توصل إلى التفسير الصحيح للقرآن . كحرمة من يقضى بين الناس بغير علم ولا هدى ، وإن أصاب الحق[4] .

فالقرآن والسنة كالاهما وحي من عند الله تعالى ، والوحي يجب تنزيهه وحمايته مما يفسده ويخرجه على المقصود منه . فما قيل عن النهي عن تفسير القرآن بالرأي المجرد والهوى يقال أيضاً عن تفسير السنة المطهرة بالرأي والهوى ففي ذلك أمان لفكر المسلم من الانحراف عن منهج الفكر القرآني والفكر النبوي .

الأسلوب الثاني من وسيلة استنباط أحكام الفقهية بالرأي والهوى :

النهي عن التلاعب بالدين لتحقيق مصالح دنيوية وشخصية ، أو لتحقيق أهداف سياسية أو حزبية ، أو مذهبية .

يقول الله تعالى ذاماً لليهود (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

---

(١) (تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٦ .

(٢) (قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، ج٥ ، ص١٩٩ .

(٣) (السنن الكبرى ، ج٥ ، ص٣١ .

(٤) (انظر بتصرف تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص٦ .

مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[1]).

وإنما حرم ذلك حتى لا يتلاعب بالدين فيصبح تابعاً لصاحبه ، إنما يجب أن يكون الدين هو الحاكم القاضي ، والناس تبع له .

ويقاس على ما سبق النهي عن تفسير مقاصد الشريعة بالرأي المجرد ، أو بما يتوافق مع أهوائه المذهبية أو الشخصية . من أجل ذلك وضع الفقهاء شروطاً وضوابطاً للاجتهاد . وهو الوسيلة التالية .

الوسيلة الثالثة من وسائل حماية فكر الفرد ، وضع شروط للاجتهاد :

عندما وضع علماء أصول الفقه شروطاً يجب توافرها في العالم حتى يصبح متأهلاً للاجتهاد[2]) . فلم يكن اشتراطهم ذلك اعتباطاً أو لجعل الاجتهاد وإصدار الأحكام حكراً عليهم أو لأن الشريعة الإسلامية بها أسرار لا يطلع عليها إلا أهل الحل والعقد من الفقهاء دون غيرهم إنما وضعوا تلك الشروط لصيانة الفكر الاجتهادي من الانحراف .

❖ فبأصول الفقه يستطيع الفقيه المجتهد أن يصل إلى الحكم الصحيح فهو صيانة للفكر الفقهي من التشدد المذمور فى إصدار الأحكام ، كما أنه صيانة من التيسير المذموم .

❖ وتعلم اللغة العربية وبيانها وبلاغتها سبب لفهم نصوص الإسلام فهماً صحيحاً .

❖ومعرفة النصوص الشريعة معرفة تامة بناسخها ومنسوخها ، وأسباب ، وترتيب نزولهما والتعارض والترجيح أمان لفهم أعمق وأشمل .وقس على ذلك بقية شروط الاجتهاد .

الوسيلة الرابعة من وسائل حماية فكر الفرد : تقديم الدين على العقل :

يأمر الإسلام بالعلم وبالتفكر والتدبر ، وينهى عن الجمود الفكري ، وعن التبعية العمياء إلا أن هذا الأمر ليس على إطلاقه ، فهو محدود بما يستطيع العقل إدراك حقائقه وفهم معانيه أما إذا عجر العقل عن ذلك فيتوقف ويتهم عقله بالضعف

---

(١) سورة البقرة آية ٨٥ .

(٢) (انظر شروط الاجتهاد على سبيل المثال : الإبهاج ، ج١ ، ص٨ وبعدها ، المحصول ، ج٦ ، ص٣٠ وبعدها، روضة الناظر ، ج١ ، ص٢٥٣ وبعدها ، الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى ، ج٤ ، ص٣٩٧ – ٣٩٨ ، المدخل لابن بدران ، ج١ ص٣٦٨ – ٣٧٣ .

والقصور ، ولا يقدم ما وصل إليه تفكيره على ما جاءت به الشريعة الكاملة الصحيحة .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[1] . يقول ابن كثير رحمه شارحاً الآية : أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعاً له في كل الأمور . حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال النبى ﷺ حين بعثه إلى اليمن : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ قال ﷺ فإن لم تجد ؟ قال رضى الله عنه : أجتهد رأيى ، فضرب في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ " ثم قال : فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله[2] .

(١) (سورة الحجرات آية ١ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٢٠٦ ، وحديث معاذ رواه أبو داود فى السنن ، ج٣ ، ص٣٠٣ .

الخاتمة :

من أهم نتائج البحث :

- عناية الفقه الإسلامي بتكوين فكر رصين لدى الفرد ، وفكر جماعي رصين لدى مجموع أفراد المجتمع كما اعتنى أيضاً عناية شديدة بالمحافظة عليه بحمايته مما يفسده وبصيانة ما فسد منه.
- أمان الفكر الفردي مسئولية كل فرد على حدة . وهو مسئول يوم القيامة عن أعماله نتيجة فساد فكره . فيجب عليه حماية فكره مما يفسده ، وأن يبادر بإصلاح ما فسد منه.
- أمان الفكر الاجتماعي مسئولية ولاة الأمر (من حكام وعلماء وآباء ومدرسين وغيرهم) فى المقام الأول ، فيجب على ولاة الأمر تحقيق الفكر الاجتماعي الآمن بالقضاء عى الجهل ونشر العلم ، وتوفير العلماء . وأيضاً حمايته مما يفسده من الغزو الفكري والبديع والشبهات والإشاعات ، والردة ثم تأتى مسئولية أفراد المجتمع في الحفاظ على أمنهم الاجتماعي .
- حسن الظن بالله تعالى بالاستسلام لأوامره ونواهيه أمان للفكر الفقهي من الانحراف وحسن الظن بالفقهاء ولاسيما المجتهدين منهم سبب رئيس من أسباب أمان الفكر الاجتماعي .
- إعمال العقل والتحرر من الجمود الفقهي فريضة إسلامية ، لذلك ينهي الفقهاء عن تقليدهم ولاسيما تقليدهم بغير علم بما استدلوا به .
- التفقه في الدين ، وفهم مقاصده وغاياته فهماً صحيحاً ، وإدراك المفاهيم الشرعية الإسلامية إدراكاً صحيحاً ، سبب لأمان الفكر من الانحراف عن المنهج الربانى القويم وأمان من الغلو والتطرف .
- الأحكام الفقهية التي تحفظ العقل تعمل في المقام الأول على حفظ العقل من الانحراف فكرياً ثم حفظه من التلف عضوياً .
- كثرة الجدال ولو بعلم ، وإثارة المسائل الخلافية الفقهية وإذاعتها ونشرها في الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة سبب رئيس لفساد الفكر والمفاهيم .
- أمان الفكر الاجتماعي يحفظ الأمة من فساد الأمن والدين والقيم ، وحفظ من غضب الله وعقوبته ، وفساد الفكر فيه إخلال للأمن ، إذ يبيح فكرة التعدي على أنفس الناس وأعراضهم وأموالهم ودينهم .

- يجب أن لا يكون تدريس الفقه كأحكام مجردة ، افعل ولا تفعل إنما يجب أن يدرك الطالب الحكمة والمقصد من الأحكام الفقهية حتي يظهر أثرها على سلوكياته ، ومن باب أولى تفكيره .
- أخيراً وليس آخراً ، كلما تمسك المسلم بدينه عن فقه وعلم وعقل ، كلما ازداد فكره استقراراً وأماناً مما ينعكس على سلوكياته وتصرفاته بخلاف إذا تمسك بالدين عن جهل وسطحية وحماس !

هذا ، والله أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

المصادر

القرآن الكريم

١) الأبحاث المقدمة للمؤتمر الوطنى الأول للأمن الفكري ، المفاهيم والتحديات ، برعاية كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود ، في الفترة ٢٢ – ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ .

٢) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول ، علي بن عبد الكافي السبكي تحقين جماعة من العلماء ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، دار الكتاب العلمية ، بيروت .

٣) أحكام القران للجصاص ، أبو بكر أحمد بن على الرازي الجصاص ، تحقيق محمد الصادق القمحاوى ، رقم الطبعة بدون ، ١٤٠٥ هـ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت.

٤) الإحكام في أصول الأحكام ، أبو الحسن علي الآمدي ، ضبطه وكتب حواشيه الشيخ إبراهيم العجوز الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥) أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، رقم الطبعة بدون ، دار الفكر العربي ، بلد الناشر بدون.

٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تأليف أبي بكر بن أيوب الدمشقي ، تحقيق طه عبد الرءوف سعد رقم الطبعة بدون ١٩٧٣م ، دار الجيل ، بيروت .

٧) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام ، تأليف علي بن سليمات المرداوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، رقم الطبعة وتاريخها بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، تأليف علاء الدين الكاساني ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

٩) التاج والإكليل لمختصر خليل ، أبو عبد الله محمد العبدري ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

١٠) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، محمد المباركفوري ، رقم الطبعة وتاريخها بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١) تفسير القرآن العظيم ، تأليف إسماعيل بن عمر بن كثير ، رقم الطبعة بدون ١٤٠١هـ دار الفكر ، بيروت .

١٢) التمهيد في أصول الفقه ، محفوظ بن أحمد الكلوزاني الحنبلي ، دراسة وتحقيق محمد بن علي بن إبراهيم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

١٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، رقم الطبعة ، بدون ، تاريخها ١٤٢٨ هـ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان.

١٤) الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق مصطفى البغا ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ ، دار ابن كثير بيروت .

١٥) الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر وآخرون ، رقم الطبعة وتاريخها بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٦) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق أحمد البردونى ، الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ، دار الشعب ، القاهرة .

١٧) الجامع ، معمر بن راشد الأزدي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامى ، بيروت .

١٨) جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة ، يوسف القرضاوي ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

١٩) روضة الناظر ج١ ص ٢٥٣ وبعدها .

٢٠) روضة الناظر وجنة المناظر ، تأليف أبي محمد عبد الله بن قدامة المقدسي ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض .

٢١) زاد المسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٢٢) سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد عبد الباقي ، رقم الطبعة وتاريخها بدون دار الفكر ، بيروت .

٢٣) سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق محمد عبد الحميد ، رقم الطبعة وتاريخها بدون ، دار الفكر ، بيروت .

٢٤) سنن البيهقي الكبري ، تصنيف أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، رقم الطبعة بدون ١٤١٤ هـ ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة .

٢٥) سنن الدرامي ، تصنيف عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقق فواز أحمد زمولي وخالد العلمي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

٢٦) السنن الكبرى ، تصنيف أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٧) سنن سعيد بن منصرو ، تحقيق سعد بن عبد الله آل حميد ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ دار العصيمي ، الرياض .

٢٨) شرح النووي على صحيح مسلم ، مطبوع مع صحيح مسلم .

٢٩) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تصنيف محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٠) صحيح مسلم ، مسلم القشيري ، تحقيق محمد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

٣١) عوارض الأهلية عند الأصوليين ، تاليف د . حسين خلف الجبوري ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، مطابع مؤسسة مكة المكرمة للطباعة والنشر ، حقوق الطبع محفوظة معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

٣٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، رقم الطبعة : بدون ١٤٠٧ هـ ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

٣٤) الفقه الإسلامي في طريق التجديد ، محمد سليم العوا ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٧ هـ ، سفير الدولية للنشر ، القاهرة .

٣٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، رقم الطبعة وتاريخها بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٦) الكافى في فقه الأمام أحمد عبد الله بن قدامة المقدسى ، تحقيق زهير الشاويش الطبعة الخامسة ، المكتب الإسلامى ، بيروت .

٣٧) كشاف القناع عن متن الإقناع ، منصور بن يونس البهوتى ، تحقيق هلال مصيلحى هلال ، رقم الطبعة بدون ، ١٤٠٢ هـ ، دار الفكر ، بيروت .

٣٨) المبدع في شرح المقنع ، أبو إسحاق إبراهيم محمد بن مفلح ، الطبعة بدون ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٣٩) الجتي من السنن ، أحمد النسائى ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب .

٤٠) مجلة الأبحاث الأمنية ، العدد ٤٣ أغسطس ٢٠٠٩ ، كلية الملك فهد الأمنية .

٤١) مجمع الزائد ومنبع الفوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ، رقم الطبعة بدون ١٤٠٧ هـ ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

٤٢) المحصول في علم الأصول ، محمد بن عمر الحسين الرازي ، تحقيق طه العلواني ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .

٤٣) المحلى بالآثار ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، تحقيق لجنة إحياء التراث . الطبعة وتاريخها بدون ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٤٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، عبد القادر بن بدران الدمشقي ، تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٤٥) المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٦) مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق كمال يوسف الحوت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٤٧) مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٤٨) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، الخطيب محمد الشربيني ، رقم الطبعة وتاريخها بدون ، دار الفكر ، بيروت .

٤٩) المغني في فقه الإمام أحمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ ، دار الفكر ، بيروت .

٥٠) المنتقى من السن المسندة ، عبد الله بن علي بن الجارود ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، مؤسسة الكتاب الثقافي ، بيرون .

٥١) الموافقات ، إبراهيم بن موسى المالكي ، تحقيق عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، رقم وتاريخ الطبعة بدون .

٥٢) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، محمد الشوكاني ، رقم الطبعة بدون ١٩٧٣ م دار الجيل بيروت

دور الاقتصاد الإسلامي في تحقيق أمن المجتمع وسلامته

"الضمان الاجتماعي أنموذجًا"

دكتور/ مصطفى إبراهيم محمود محمد
مدرس لغة - بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة أسوان

المقدمة:

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمةَ الإسلام خيرَ أمة، وبعث فيها رسولاً أميناً يتلو عليها آيات ربها، ويزكيها، ويعلمها الكتاب والحكمة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ،،،

فإنَّ من أهم ما جاء به الإسلام في المجال الاقتصادي، مبدأ الضمان الاجتماعي الذي يعني ضمان الحد اللائق لمعيشة كل فرد من أفراد المجتمع، مما يعبر عنه باصطلاح " حد الكفاية "، أو " حد الغنى " تمييزًا له عن " حد الكفاف " الذي يعني الحد الأدنى للمعيشة[(١)].

وإذا كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م قد تضمن التأكيد على حقوق الشخص في مستوى المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته[(٢)]. فإن غاية وهدف المذهب الاقتصادي الإسلامي بصفة عامة هو ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع الإسلامي.

ويحاول المذهب الاقتصادي الإسلامي ضمان حد الكفاية عن طريق تنظيمه لوسائل تشجيع الملكية التي منها: إحياء الموات والإقطاع، وكذلك عن طريق تشجيع العمل وتحديد العائد المناسب له.

---

(١) الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي: د. عبدالله مختار يونس، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣٨٥ .

(٢) أصول الفكر السياسي الإسلامي: د. محمد فتحي عثمان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٨٥.

ومن ذلك يفهم أن حد الكفاية في الإسلام هو حق لكل فرد يعيش في المجتمع المسلم، تكفله له الدولة الإسلامية[1].

فهذا بحث يتناول موضوعًا يهم المسلمين جميعًا ألا وهو (دور الاقتصاد الإسلامي في تحقيق أمن المجتمع وسلامته " الضمان الاجتماعي أنموذجًا ") وهو المحور الثاني من محاور المؤتمر؛ لأن مسألة الأمن في المجتمع تعد أمرًا أساسيًا في الوجود، فالحاجة إلى الأمن حاجة أساسية؛ لاستمرار الحياة وديمومتها وعمران الأرض، وانعدام الأمن يؤدي إلى انتشار ظاهرة الإرهاب والتطرف والانحراف الفكري والقلق والخوف، ويدعو إلى الهجرة والتشرد، وتوقف أسباب الرزق مما يؤدي إلى انهيار المجتمعات ومقومات وجودها .

وسأحاول – بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه - في هذا البحث التعريف بالنظام الاقتصادي الإسلامي، ودراسة ضمان حد الكفاية في الفكر الاقتصادي الإسلامي في المطالب الآتية :

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مطالب، وخاتمة، وأهم التوصيات، والمصادر والمراجع، كما يلى :

- **المقدمة :** وقد بينت فيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطة البحث .
- **التمهيد :** تعريف الضمان الاجتماعي .
- المطلب الأول: تعريف بالنظام الاقتصادي الإسلامي .
- المطلب الثاني: تعريف حد الكفاية .
- المطلب الثالث: مصادر توفير حد الكفاية .
- المطلب الرابع: الآثار الاقتصادية الناتجة عن ضمان حد الكفاية .
- المطلب الخامس: دور الضمان الاجتماعي في تحقيق أمن المجتمع وسلامته.
- **الخاتمة :**

وتشمل:- أهم النتائج التي توصل إليها البحث،والتوصيات المقترحة.

- **ثم المصادر والمراجع .**

---

[1] الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي: ص٣٢٢ .

التمهيد: تعريف الضمان الاجتماعي

مقدمة :

إن عبارة " الضمان الاجتماعي " حديثة العهد، ولو أنها قديمة النشأة والفكرة .. فحاجة الإنسان إلى تأمين حياته ومستقبله، إنما هي شعور أزلي. فالبشرية بطبيعتها تبحث دومًا عن كل ما يكفل لها الأمن الاجتماعي ويؤمنها ضد المخاطر الاجتماعية ومفاجآت القدر، ويحررها من الحاجة والقلق والخوف ..

ولقد ظهر تعبير" الضمان الاجتماعي " لأول مرة في عالم التشريع الوضعي عام ١٩٣٥م؛ وذلك وقتما أصدر المشرع في الولايات المتحدة الأمريكية قانون (الضمان الاجتماعي)، الذي كان يهدف أساسًا حينذاك إلى مقاومة العوامل التي كانت تقلق الأفراد دائمًا في حياتهم، ولا سيما في حالتي البطالة والشيخوخة، وما يترتب عليهما من علل وأدواء اجتماعية متعددة ومتباينة[١].

تعريف الضمان الاجتماعي :

١- في الإسلام :

ويراد به التزام الدولة الإسلامية نحو كافة المقيمين بها، أيًا كانت ديانتهم أو جنسياتهم، وذلك بتقديم المساعدة للمحتاجين منهم في الحالات الموجبة بتقديمها كمرض أو عجز أو شيخوخة، متى لم يكن لهم دخل أو مورد يوفر لهم حد الكفاية، ودون أن يطلب تحصيل اشتراكات مقدمًا[٢].

٢- في القوانين الوضعية :" عام ١٩٤٢م للضمان الاجتماعي في بريطانيا بأنه: **تأمين الفرد ليحصل على دخل معين يحل محل الكسب عندما ينقطع كسبه بسبب البطالة أو المرض أو الإصابة .. وعلى معاش تقاعد في حالة الشيخوخة .. وعلى إعانة في حالة وفاة العائل، وسد النفقات الاستثنائية، كما في حالات الوضع والوفاة والزواج ..**[٣].

---

[١] التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام: سعد عبدالسلام حبيب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، العدد الثاني والثلاثون، ط٣، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص٩ .

[٢] الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول: د. محمد شوقي الفنجري، وزارة الأوقاف، ص٧١.

[٣] التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام: ص١٠ .

المطلب الأول : تعريف بالنظام الاقتصادي الإسلامي

أ- تعريفه:

مجموعة الأحكام والسياسات الشرعية التي يقوم عليها المال وتصرف الإنسان فيه[١].

ويعرف الدكتور الفنجري الاقتصاد الإسلامي فيقول:" الاقتصاد الإسلامي – بعبارة مبسطة – هو الذي يوجه النشاط الاقتصادي، وينظمه وفقًا لأصول الإسلام، ومبادئه الاقتصادية "[٢].

ب- نشأته :

نشأ الاقتصاد الإسلامي مع ظهور الإسلام (في فترة العصور الوسطى) ولكن كأفكار متناثرة في المصادر المختلفة للشريعة الإسلامية من القرآن والسنة والمصادر الأخرى، ولقد بدأ في الفترة الحديثة يأخذ شكلًا علميًا واضح المعالم ومنظمًا[٣].

ج- أسس النظام الاقتصادي الإسلامي :

يقوم هذا الاقتصاد على أساسين، أولهما: ضمان (حد الكفاية) لا (الكفاف) لكل فرد يعيش في المجتمع الإسلامي أيًاكانت جنسيته أو ديانته كحق إلهي مقدس له كإنسان تضمنه له الدولة الإسلامية، ثم على أساس العمل والملكية، ومن ثم فإن أساس التوزيع الإسلامي هو ضمان حد الكفاف أولًا ثم الكسب بحسب العمل والملكية[٤].

---

١) النظام الاقتصادي في الإسلام: د. عمر المرزوقي، وغيره، مكتبة الرشد – الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ ، ص١٣ .

٢) معالم الفكر الاقتصادي عند الدكتور محمد شوقي الفنجري: د. علي سيد إسماعيل، بحث مقدم لجائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي لعام ٢٠١٥م، ص٩٠ .

٣) الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي: د. زينب الأشوح، عين للدراسات والبحوث – القاهرة، ١٩٩٧م، ص٧، انظر: معالم الفكر الاقتصادي عند الدكتور الفنجري: ص٩٢ .

٤) انظر: الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول: د. محمد شوقي الفنجري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٩- ٣٣.

د- خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي: يتصف النظام الاقتصادي الإسلامي بخصائص تميزه عن غيره من النظم الاقتصادية الأخرى، وهذه الخصائص نوجزها فيما يلي[١]:

١. النظام الاقتصادي الإسلامي جزء من نظام الإسلام :

أ) للنشاط الاقتصادي في الإسلام طابع تعبدي وهدف سام .

ب) ذاتية الرقابة على ممارسة النشاط الاقتصادي في الإسلام .

٢. التوازن في رعاية المصلحة الاقتصادية للفرد والجماعة .

٣. التوازن بين الجانبين المادي والروحي .

٤. الاقتصاد الإسلامي أخلاقي[٢].

٥. الجانب الإنساني في الاقتصاد الإسلامي[٣].

ه- أهداف النظام الاقتصادي الإسلامي: يسعى النظام الاقتصادي الإسلامي إلى تحقيق عدة أهداف يمكننا إبرازها في النقاط التالية[٤]:

---

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام: ص٦١، الاقتصاد في الفكر الإسلامي: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ط١٠، ١٩٩٣م، ص٢٩٩- ٣١٠، الاقتصاد الإسلامي والعالمية: أحمد البسطويسي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد(٦٣٦) شعبان ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص٢٠ .

(٢) أن النظام الأخلاقي والنظام العملي في الإسلام مترابطان تماماً، وأن الإنسان في كل تصرفاته مرتبط بعهد الاستخلاف وشرطه، وأنه مختبر ومبتلى وممتحن في كل نشاط يقوم به في حياته، ومحاسب عليه في آخرته. فليس هناك نظام أخلاقي وحده، ونظام عملي وحده، وإنما هما معًا يؤلفان نشاط الإنسان، وكلاهما عبادة يؤجر عليها إن أحسن، وإثم يؤاخذ عليه إن أساء. وأن الاقتصاد الإسلامي الناجح لا يقوم بغير أخلاق، وأن الأخلاق ليست نافلة يمكن الاستغناء عنها ثم تنجح حياة الناس العملية. (الأساس في التفسير: سعيد حوّى، دار السلام– القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ، ص٦٣٩).

(٣) سُئل الشعراوي: كيف وضع الإسلام أسس التكافل الاجتماعي، ولماذا؟ فأجاب قائلًا: إن الله يعلم تمام العلم أن المسلم ينتمي إلى أمة لا تفرِّق بين عرق وعرق .. وأن المعيار الإيماني مُرتبط بالعمل الصالح، وأنَّ العمل الصالح لا يستطل بنعمته في قوانين الإسلام فرد فقط، ولكن الأمة الإسلامية بنص القرآن عليها أن تتكافل فيما بينها ليستطل الضعيف بعمل القوي، ولا يستأثر القوي بنعم الله ويحرم منها الضعيف .. إن الله علَّم محمدًا ومن معه أن معيار الإيمان هو التكافل والتآزر والأخوة الإيمانية .. [انظر: موسوعة الإمام الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، جمع وتحقيق: ش. محمد عبدالحكيم القاضي، أخبار اليوم- القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، م٥ ص١٢٧- ١٢٨].

(٤) النظام الاقتصادي في الإسلام: ص٦٨ .

١. تحقيق حد الكفاية المعيشية[١].

٢. الاستثمار والتوظيف الأمثل لكل الموارد الاقتصادية .

٣. تخفيف التفاوت الكبير في توزيع الثروة والدخل[٢].

٤. تحقيق القوة المادية والدفاعية للأمة الإسلامية .

٥. كما أن النظام الاقتصادي الإسلامي يحقق أمرين[٣]:

أ) إسعاد الأفراد.

ب) إسعاد المجتمع دون أن يطغي أحدهما على الآخر.

المطلب الثاني: تعريف حد الكفاية

١- في الإسلام:

قال القشيري: الرزقُ الحَسَنُ: ما كان على حَدِّ الكفاية، لا نقصان فيه، ليضعف عن كفاية صاحبه، ولا زيادةَ فيه تَشْغَلهُ عن ربهم[٤].

واصطلاح " حد الكفاية " أو " حد الغنى " أو" كما يسميه الفقهاء تحقيق حد الكفاية أو حد الغنى "[٥]، أو ما يسمى بـ" حد تمام الكفاية " في الإسلام يعني:" ضمان

---

[١] يقول الشعراوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١١٠]، فالمؤمن حين يأتي الزكاة معناه أن حركته اتسعت لتشمل حاجته وحاجة غيره، ولذلك حتى الفقير يجد في الزائد في أموال المسلمين ما يكفي حاجته، فلا يذهب إلى اليهودي ليقترض بالربا .. ولذلك فالله سبحانه وتعالى يريد أن يتكامل المسلمون .. بحيث تكفي أموالهم غنيهم وفقيرهم والقادر على العمل منهم وغير القادر، والله تبارك وتعالى يزيد أموال المسلمين بأكثر مما يخرج منها من زكاة .. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " [أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع ١٠٨/١٦ رقم٢٥٨٨ عن أبي هريرة مرفوعًا]. [تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم – القاهرة، ١٩٩١م، م١ ص٥٤٢].

[٢] يهدف الاقتصاد الإسلامي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، بتوزيع الثروة توزيعا عادلا.(العلمانية والمذهب المالكي: مصطفى السلاوي، جريدة السبيل– المغرب، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٧٣)

[٣] أقر علماء الاقتصاد في العالم، ومنهم: جاك أوستري من علماء الاقتصاد في فرنسا، ورايموند شارل١، أقروا بأن الاقتصاد الإسلامي هو النظام الذي يحقُّق للإنسان السعادة، فهو نظام شامل صالح للحياة والإحياء، وذلك لقيمه النبيلة، وأخلاقه السامية، ودقته ومطاوعته لأساليب الحياة والناس .. (التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية: علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، د. ت، ص٢٦٥).

[٤] تفسير القشيري: للقشيري، ج٧ ص٤٣٨، تفسير السراج المنير: ٢٣١/٤ .

[٥] موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة: علي نايف الشحود، ٢٢٣/٦٦ .

المستوى اللائق للمعيشة بحسب ظروف الزمان والمكان، لكل فرد من أفراد المجتمع، أيًا كانت جنسيته وديانته"[١].

ومما سبق يتبين لي أن التعريف الذي قرره الإسلام هو أن **الضمان الاجتماعي إلزام الدولة بإعالة أو سد عوز من لا يقوى على العمل، ومن لا يعمل لعذر مشروع، وليس له معيل.**

٢- في المذاهب الاقتصادية:

" حد الكفاية " في الإسلام يقابله مصطلح " حد الكفاف " عند الاقتصاديين، الذين يعنون به: **الحد الأدنى من المأكل والمشرب والملبس والمأوى الذي بدونه لا يستطيع الإنسان أن يعيش، ويصبح مصيره مهددًا بالفناء، فهو غير قابل للنقصان، ولا يختلف إلا باختلاف القوى الشرائية في كل زمان ومكان**[٢].

المطلب الثالث : مصادر توفير حد الكفاية

تمهيد :

يعمل النظام الإسلامي باستخدام مجموعة من التشريعات الإلزامية، على تحقيق العدل الاجتماعي وما يعنيه من توفير حد الكفاية وذلك من خلال عدة وسائل:[٣] منها الحد من تركز رؤوس الأموال بين عدد قليل من الأفراد، وذلك عن طريق ما تقوم به الزكاة من إعادة لتوزيع الدخل بين أفراد المجتمع. ومنها تنمية المؤسسات الإنسانية ذات الأهداف الاجتماعية، وذلك عن طريق نظام الأوقاف والوصايا. ومنها تدعيم الروابط الأسرية والاجتماعية، وذلك عن طريق نظم النفقات، والتكافل الاجتماعي، والزكاة، والوصية. ومنها تحقيق الكفاية المادية لكل

---

[١] انظر: المذهب الاقتصادي في الإسلام: د.محمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م، ص١٠١، ص١٤١.

[٢] الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي: ص٣٨٥- ٣٨٦ .

[٣] أبحاث في الاقتصاد الإسلامي: د. محمد فاروق النبهان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٣٨-٤٠.

مواطن إذا ما قل دخله عن حد الكفاية، وذلك عن طريق جميع موارد بيت المال وخاصة الزكاة[١].

وسائل الضمان الاجتماعي في النظام الإسلامي :

ضمان حد الكفاية هو حق مقدر لكل مواطن له أن يحصل عليه من جهده وعمله وملكه الخاص، فإن لم يكن يتملك، وعجز عن ذلك لسبب أو لآخر، فإن الجماعة الإسلامية والدولة الإسلامية ممثلة في الملكية الجماعية وملكيتها الخاصة، تكون مسؤولة عن توفير حد الكفاية له[٢].

ويفهم من هذا أن هناك مصدرين رئيسيين للوفاء بحد الكفاية: أحدهما: مصدر الأفراد. وثانيهما: مصدر الدولة[٣].

أولاً: مصدر الأفراد:

يأتي هذا المصدر لتوفير حد الكفاية كأساس أول للضمان الاجتماعي وهو التكافل العام بين المسلمين. وهذا المصدر ليس إحسانًا أو صدقة كما يتوهم البعض، فإن من هذا المصدر ما هو واجب حتمي كزكاة الأموال الباطنة، كالذهب والفضة وعروض التجارة، التي يمكن أن ينفرد أربابها بإخراجها، كما أن هناك العديد من الصدقات الأخرى الواجبة كزكاة الفطر، والنذور والكفارات، والنفقة على الأهل والأقارب، والنفقات التطوعية التي ليس لها حدود والتي يبذلها الفرد؛ رغبة في مرضاة الله ورضوانه[٤].

إن الإسلام ينظر إلى المجتمع على أنه كيان إنساني متواصل متراحم، وأن الأسر فيه ترتبط بالمودة الواصلة، والجماعات تتعاون فيما بينها على الخير، والأخذ بيد الضعيف وتنمية المستغلات المملوكة للآحاد أو الجماعة على أكمل وجه، والأمة بتضافر أحادها على الخير فيما بينها وعلى التعاون فيما ينفعها، والإنسانية كلها

---

(١) انظر: التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام: سعد عبدالسلام حبيب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، العدد الثاني والثلاثون، ط٣، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص١١- ١٨ .

(٢) الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي: ص٣٨٨ .

(٣) انظر: الضمان الاجتماعي في الإسلام ونماذج من القوانين المعاصرة: د. إبراهيم الدَّبو، دار المناهج- الأردن، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١١١ .

(٤) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة– القاهرة، ط٥، ١٩٨٦م، ص٥٧، اقتصادنا: محمد باقر الصدر، دار التعارف– بيروت، ط١٩٨١،١٤م،ص٦٩٨.

تتعاون على رفعها، القوي ينصر الضعيف والعالم يعلم الجاهل، وإن اختلاف الألوان والأجناس واللغات لا يقتضي التفاوت في معنى الإنسانية وحقوقها، بل الجميع سواء، وما كان الاختلاف إلا للتعارف، ولذلك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (١).

وأن ذلك يقتضي أن يمد الإنسان العون لكل إنسان يحتاج إلى العون، كما أن العدالة الاجتماعية تعتبر أساسًا من أسس الإسلام، فعلى الجماعة أن تهيء الفرص لكل من يريد العمل ويستطيعه، وأن يمكن كل إنسان من العمل بقدر استطاعته الجسمية والعقلية، ومن قعدت قوته عن القيام بأي عمل، كان على الجماعة أن تهيء له أسباب الحياة، وقد سلكت المجتمعات الحاضرة في سبيل ذلك التأمين الاجتماعي، ولكنه كما يقول المرحوم الأستاذ أبو زهرة " طريق طويل شاق "(٢).

وسلك الإسلام لذلك سبيل التكافل الاجتماعي بين الأسرة وبين الأمة، وفي المجتمعات الصغيرة، ويتحقق ذلك بالطرق التالية: الزكاة، والنفقات، والصدقات والكفارات، والوقف، والتكافل في المجتمعات الصغيرة(٣).

ثانياً: مصدر الدولة:

يعتبر هذا المصدر هو المصدر الأساسي للضمان الاجتماعي وتوفير حد الكفاية لأفراد المجتمع الذين لا يملكون قدر كفايتهم والذين لا يستحقون نصيبهم من الثروة العامة التي هي ملك لجميع الأمة.

إن أول مصادر توفير حد الكفاية هي الزكاة(٤)، فإذا لم تكف الزكاة أحيل المستحقون لحد الكفاية لغيرها من مصادر الإيرادات العادية وهي: الغنيمة والجزية والخراج، فإذا لم تكف هذه المصادر فإن من حق الإمام فرض ضرائب بجانب الزكاة

---

(١) سورة الحجرات: من الآية ١٣ .

(٢) تنظيم الإسلام للمجتمع: الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص١٤٠ .

(٣) انظر: الضمان الاجتماعي في الإسلام:ص٢٧،التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام:ص١١

(٤) فمن أهم الأدوار التوزيعية التي تلعبها الزكاة أن تضمن للفرد حد الكفاية أو حد الغنى لا حد الكفاف، فالمقدار الذي يعطى للفرد الفقير يجب أن يكون مغطياً لهذا الغرض، وهذا معناه أن الزكاة من حيث المبدأ أن تغطي الحاجات الأساسية للفرد وهي حد الكفاف، وما زاد على ذلك يضمن مستوى لائقاً لمعيشة كل فرد، وهو حد يحرص الإسلام على ضمانه. (الآثار الاقتصادية للزكاة: ٢٥/١).

إذا تطلبت أحوال المجتمع العسكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ذلك بشرط أن يؤخذ المال بالحق ودون إرهاق للرعية.

إذا عجز المجتمع عن رعاية الأفراد وأمثالهم بسبب من الأسباب، كأن يكون الفرد المعسر منقطع القرابة أو قصر الأغنياء في أداء ما عليهم من واجبات وليس بمقدور الفرد الكسب لسد نفقاته لعجز ناتج عن المرض أو الشيخوخة أو ما شابه ذلك، ففي هذه الحالة تتحمل الدولة مسؤوليتها في سد حاجات المعوزين من مورد بيت المال من غير الزكاة؛ لأن للعاجز وأمثاله حقًا في بيت المال، وله حق الاستحواذ عليه أينما وجده، قال ابن عابدين:" من له حظ في بيت المال لكونه فقيرًا أو عالمًا أو نحو ذلك، ووجد ما مرجعه إلى بيت المال له أخذه ديانة بطريق الظفر"(١).

وعندما نقول بأن التبعة تقع على الدولة، يخطر بالبال بأن مسؤوليتها تتخذ طريقين أساسيين، أولهما: وجوب تهيئة فرصة العمل لكل من يقدر عليه، والثاني: رعاية العجزة وأمثالهم من بيت المال(٢).

المطلب الرابع: الآثار الاقتصادية الناتجة عن تحقيق حد الكفاية

تمهيد :

إن الإسلام لا يعمل فقط على تحقيق حد أدنى من المعيشة لكل فرد، ولو كان بقدر الكفاية، وإنما فوق ذلك يعمل على أن يجعل من حق الاستهلاك والإنفاق، حقًا ثابتًا لكل فرد محتاج في المجتمع المسلم، فقد يحصل الفرد على الحد الأدنى لمعاشه، ولكنه يظل عاجزًا عن إيفاء استهلاكه الخاص والعام حقه، وفق ذلك – بالضرورة – يكن عاجزًا عن ادخار جزء من دخله، لمواجهة ظروف قاهرة، أو طوارئ مفاجئة، وأهم من كل ما تقدم، عجزه عن المساهمة في دفع التنمية الاقتصادية في مجتمعه بتوجيه فائض دخله، أي مجموع مدخراته، للمشاركة في العمليات الإنتاجية الاستثمارية، التي تعود عليه، وعلى مجتمعه بالخير والفائدة(٣).

ويؤدي التعهد بضمان حد الكفاية من قبل الدولة الإسلامية إلى توليد عدد من الآثار على المكونات الأساسية للاقتصاد القومي كالاستهلاك والإنتاج والادخار

---

(١) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ابن نجيم المصري، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، د. ت، ٣/٢٣٠، رد المحتار على الدر المختار: ابن عابدين، دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٢/٣٣٦، ٤/١٥٩ .

(٢) انظر: الضمان الاجتماعي في الإسلام ونماذج من القوانين المعاصرة: ص١٠١ .

(٣) الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي: ص٤١١- ٤١٢ .

والاستثمار والتشغيل ونسبة العمالة، ولذلك فإنه من الضروري إبراز دور حد الكفاية في الاستهلاك، والادخار، والاستثمار، في الاقتصاد الإسلامي؛ لكي تكتمل حلقات هذا البحث، وتتسق فيما بينها، وليؤدي هذا البحث – أيضًا - دوره في إبراز أحد أوجه الاقتصاد الإسلامي، ما أمكن له ذلك، ويمكن توضيح ذلك باختصار كما يلي:

١- أثر ضمان حد الكفاية على الاستهلاك والإنتاج :

يؤدي ضمان حد الكفاية إلى آثار إيجابية على كل من الاستهلاك والإنتاج يتضح ذلك مما يلي:

أ) يؤدي إلى زيادة الاستهلاك من السلع الضرورية، وهو ما يدفع إلى زيادة الإنتاج من هذه السلع، وهو ما يؤدي إلى توجيه الاقتصاد القومي نحو إنتاج السلع الضرورة وذلك على حساب السلع الكمالية وسلع الرفاهية، وهو ما يؤدي إلى التخصيص الأمثل للموارد من ناحية، وإلى تقليل الاستهلاك الترفي من ناحية أخرى.

ب) أن ضمان حد الكفاية وما يؤدي إليه من تقليل نسبة الفقراء عبر الزمن عن طريق خلق فرص إنتاجية للقادرين على العمل من ناحية، وعن طريق إغناء غير القادرين على العمل من خلال تمليكهم دور سكنية تدر عائدًا منتظمًا ومستمرًا مثلًا، إنما يؤدي إلى زيادة الاستهلاك في المجتمع، مما يدفع النشاط الإنتاجي إلى توجيه إمكانياته نحو زيادة الإنتاج من هذه الناحية وهو يؤدي إلى زيادة الرفاهية الحقيقية في المجتمع.

٢- أثر ضمان حد الكفاية على الادخار والاستثمار :

يؤدي ضمان حد الكفاية إلى الاستخدام الأمثل للمدخرات القومية في مجالات استثمار نافعة وضرورية، وفي تحقيق زيادة حجم الاستثمارات الإنتاجية؛ وذلك باستخدام الأموال مباشرة في الإنتاج، أو في تحقيق التنمية البشرية للعنصر البشري في المجتمع، بإنفاق الأموال في سبيل الله ﷻ .

٣- أثر ضمان حد الكفاية على العمل :

يؤدي ضمان حد الكفاية إلى رفع نسبة التشغيل، والحد من مشكلة البطالة وذلك حين يعمد إلى حل مشكلة الفقر عن طريق الإنتاج وتوفير فرص عمل، بالإضافة إلى ما يبثه من روح الطمأنينة مما يدفع إلى المغامرة لزيادة الإنتاج[(١)].

(١) انظر: قضايا إسلامية: ص٦٩ .

المطلب الخامس: دور الضمان الاجتماعي في تحقيق أمن المجتمع وسلامته

للضمان الاجتماعي في الإسلام دور في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي، ومن أهم الأدوار الناتجة عن تحقيق الضمان:

إذا تم تطبيق هذا الضمان يوفر حياة طيبة للإنسان حسب متوسط مستوى المعيشة السائد في مجتمعه؛ وينتج عنه تماسك المجتمع، وينمو الشعور بالانتماء لذلك المجتمع، ويحس الأفراد بالاطمئنان على مستقبلهم ومستقبل أولادهم، ونحصل على توزيع أفضل للدخل، والثروة داخل المجتمع إلى غير ذلك من الآثار الإيجابية للضمان في النظام الاقتصادي الإسلامي، وربما تزداد الصورة وضوحًا عند إلقاء نظرة على النظام الرأسمالي، حيث أدت النزعة الفردية، والانغلاق على الذات إلى إضعاف الأسرة ..[1].

والزكاة كفريضة إسلامية رفعت مستوى الفرد من حد الكفاف إلى حد الكفاية وبذلك تكون قد غطت الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع. وسبقت الزكاة جميع النظم الحديثة في إزالة الفوارق الطبقية والاجتماعية بين الأغنياء والفقراء[2].

كما يؤدي التعهد بضمان حد الكفاية من قبل الدولة الإسلامية إلى توليد عدد من الآثار على المكونات الأساسية للاقتصاد القومي كالاستهلاك والإنتاج والادخار والاستثمار والتشغيل ونسبة العمالة ..

وكما يؤدي التعهد بضمان حد الكفاية من قبل الدولة الإسلامية إلى حياة إنسانية كريمة، ويحافظ على سلامة الفرد والمجتمع من الاتجاهات الفكرية المضللة، ويتصدى للاتجاهات الفكرية المخربة.

وعندما نقول بأن التبعة تقع على الدولة، يخطر بالبال بأن مسؤوليتها تتخذ طريقين أساسيين، **<u>أولهما: توفير تكافؤ الفرص:</u>**

لا تستمد الدولة مبررات الضمان الاجتماعي الذي تمارسه من مبدأ (التكافل الاجتماعي) فحسب، بل إنها مسؤولة مسؤولية مباشرة عن رعاية الفرد وضمان العيش الرغيد له.

---

[1] انظر: النظام الاقتصادي في الإسلام: ص١٣٣، التكافل الاجتماعي في الإسلام: الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٩١م، ص٧ ، ص٥٩- ٦٠، ص٨١.

[2] انظر: الضمان الاجتماعي في الإسلام ونماذج من القوانين المعاصرة: د. إبراهيم الدَّبو، دار المناهج- الأردن، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٧٦- ٨٠.

فأول واجب ينبغي القيام به من جانبها تجاه رعاياها، هو توفير العمل المناسب لهم حتى ولو اقتضى الأمر إلى إقراضهم من بيت المال ما يستطيعون به العمل والاكتساب ..[١].

والثاني: رعاية العجزة وأمثالهم من بيت المال:

إنَّ الفقير العاجز إذا لم يكن له قريب غني، فإن نفقته من خزانة الدولة وينفذ ذلك بطريق إداري، ويزيد فقهاء الحنفية أن ولي الأمر إذا لم ينفذ ذلك، فللقاضي المختص الحكم بتنفيذه، ويلزم بيت المال به[٢]. والمسؤولية التي تقع على الدولة في هذه الحالة، تختلف عن حدود التكافل الاجتماعي، فإن هذه المسؤولية لا تفرض على الدولة ضمان الفرد في حدود حاجاته الضرورية فحسب، بل تفرض أن نضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة، المستوى الذي يحياه أفراد المجتمع؛ لأن ضمان الدولة هو ضمان إعالة، وإعالة الفرد هي القيام بمعيشته وإمداده بكفايته.

والكافية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت متطلبات الحياة العامة في المجتمع الإسلامي يسرًا ورخاءً.

وعلى هذا تتحمل الدولة مسؤوليتها في رفع مستوى من ذكرنا إلى الحد الأدنى – في الأقل – الذي يعيش فيه الأفراد الآخرون، وكلما ارتفع مستوى المعيشة في المجتمع، وجب على الدولة رفع مستوى من تضمنهم اجتماعيًا[٣].

---

[١] الضمان الاجتماعي في الإسلام ونماذج من القوانين المعاصرة: ص١٠٢ .

[٢] انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة – بيروت، د. ت، ١١٨/٥، رد المحتار على الدر المختار: ابن عابدين، دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ١٩١/٤.

[٣] الضمان الاجتماعي في الإسلام ونماذج من القوانين المعاصرة: ص١٠٣ .

الخاتمة

ففي ختام هذا البحث أسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة وبعض التوصيات المقترحة للباحثين ، وذلك كالتالي :

أولاً : أبرز النتائج :

١- عبارة " الضمان الاجتماعي " شاملة تعني جميع النظم التي تقدم بمقتضاها أية مساعدات أو مزايا، كالتأمين والمساعدات الاجتماعية ..

٢- الإسلام هو دين الضمان الاجتماعي من حيث التزام الدولة، وهو دين التكافل الاجتماعي من حيث التزام الأفراد، ويتمثل الضمان الاجتماعي في الإسلام في ضمان "حد الكفاية" .

٣- دراسة الآراء الاقتصادية تفيد في طرح أصيل لبعض النظريات الاقتصادية المعاصرة، والاستفادة من تلك الآراء الفريدة في حل بعض مشكلاتنا المعاصرة، كمشكلة الفقر، والمشكلة الاقتصادية، والثروة، وغيرها .

٤- النظام الاقتصادي في الإسلام نظام يحقق ضروريات الحياة أولًا، ثم يرتقي إلى كمالياتها ثانيًا .. فضلاً عن أنه نظام يؤدي إلى تفتيت الثروة، ويمنع تركزها في أيد قليلة.

٥- يتميز النظام الاقتصادي الإسلامي بالوسطية فهو يقيم موازين العدل بين الفرد والجماعة فلا يتسلط على الفرد لخدمة المجتمع أو يظلم المجتمع من أجل الفرد وبه نظام الرحمة والخير، ويتمشى مع الفطرة الإنسانية ويحقق السعادة الحقيقية للإنسان، ويستند إلى نصوص وروح الشريعة الإسلامية.

٦- يهدف الضمان الاجتماعي إلى تحقيق حد الكفاية أو حد الغنى لكل فرد يعيش في ظل النظام الإسلامي؛ من أجل تحقيق حياة طيبة كريمة للإنسان.

٧- الزكاة دافع ومحرك للأنشطة المالية والاقتصادية حيث تشجع على الاستثمار، وعدم تعطيل الثروة الإنتاجية. وهي آلية مستمرة لإعادة توزيع الدخل والثروة من الأغنياء والفقراء.

ثانيًا : التوصيات المقترحة :

١- التزام الوسطية والاعتدال والابتعاد عن الإفراط والتفريط في الدين .

٢- يجب التأكيد على ضرورة دراسة الفكر والتاريخ الاقتصادي الإسلامي، وأن تكون هذه الدراسات ضمن مقررات الدراسة الاقتصادية في الجامعات المصرية،

ومراحل التعليم الأخرى قبل الجامعية، حتى يتم تقريب الإسلام من الواقع ومن أذهان الجيل الناشئ .

٣- ضمان حد الكفاية لكل فرد في المجتمع الإسلامي، حتى لغير المسلمين.

٤- تطبيق فريضة الله (الزكاة) على الأصعدة الفردية والشعبية ففيها من المنافع الدينية والدنيوية ما يكمل إيمان المسلم، ويسد حاجته، ويخفف عنه من عوزه وفقره.

أهم المصادر والمراجع[1]

- القرآن الكريم .

١- أبحاث في الاقتصاد الإسلامي: د. محمد فاروق النبهان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٢- الأساس في التفسير: سعيد حوّى، دار السلام – القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ .

٣- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول: د. محمد شوقي الفنجري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٤- أصول الفكر السياسي الإسلامي: د. محمد فتحي عثمان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٥- الاقتصاد الإسلامي والعالمية: أحمد البسطويسي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد(٦٣٦) شعبان ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م .

٦- الاقتصاد في الفكر الإسلامي: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ط١٠، ١٩٩٣م.

٧- اقتصادنا: محمد باقر الصدر، دار التعارف– بيروت، ط١٩٨١،١٤م.

٨- الاقتصاد الوضعي والاقتصاد الإسلامي: د. زينب الأشوح، عين للدراسات والبحوث – القاهرة، ١٩٩٧م.

٩- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة – بيروت، د. ت.

١٠- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية: علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث.

١١- تفسير السراج المنير: محمد أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية – بيروت، د. ت.

١٢- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم – القاهرة، ١٩٩١م.

١٣- التكافل الاجتماعي في الإسلام: الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٩١م.

١٤- التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام: سعد عبدالسلام حبيب، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، العدد الثاني والثلاثون، ط٣، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

١٥- تنظيم الإسلام للمجتمع: الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د. ت .

١٦- رد المحتار على الدر المختار: ابن عابدين، دار الفكر- بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٧- الضمان الاجتماعي في الإسلام ونماذج من القوانين المعاصرة: د. إبراهيم الدَّبو، دار المناهج- الأردن، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

[1] بدء ترتيب المصادر والمراجع بالقرآن الكريم، وبقيتها على حروف المعجم .

١٨- العلمانية والمذهب المالكي: مصطفى السلاوي، جريدة السبيل– المغرب، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
١٩- قضايا إسلامية: محمد متولي الشعراوي، دار الشروق – القاهرة، ١٩٧٧م .
٢٠- المذهب الاقتصادي في الإسلام: د.محمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢١- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة– القاهرة، ط٥، ١٩٨٦م.
٢٢- معالم الفكر الاقتصادي عند الدكتور محمد شوقي الفنجري: د. علي سيد إسماعيل، بحث مقدم لجائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي لعام ٢٠١٥م.
٢٣- الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي: د. عبدالله مختار يونس، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٤- منهاج الصالحين إلى معرفة أوامر ونواهي رب العالمين: محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة، د. ت .
٢٥- موسوعة الإمام الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، جمع وتحقيق: ش. محمد عبدالحكيم القاضي، أخبار اليوم- القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
٢٦- النظام الاقتصادي في الإسلام: د. عمر المرزوقي، وغيره، مكتبة الرشد – الرياض، ط٢، ١٤٢٧ه.

أصول الفقه أسلوب حياة

دكتورة/ وفاء عبد العزيز أحمد عبد العزيز
مدرس أصول الفقه
كلية البنات الإسلامية بأسيوط – جامعة الأزهر

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

الحمد لله الذي أعلى منازل الأصوليين والفقهاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، ومخرج الأمة من الظلمات إلى النور والضياء، وعلى آله وصحبه السادة النجباء، شموس الهداية ونجوم الاهتداء ... وبعد :

فإن علم أصول الفقه من أشرف العلوم الشرعية حيث ازدوج فيه العقل والنقل، واصطحب فيه الرأي والشرع، فإنه يأخذ من صفوة الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول، ولا هو سنن على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل الفقهي، ويرسم الطريق للمجتهد كي يستطيع استنباط الأحكام من النصوص الشرعية الإسلامية الغراء .

وهذا العلم مليء بالدروس الأصولية التي نستطيع أن نستنبط الحكمة من كل درس فيها، ويتبين من خلال تلك الدروس أن أصول الفقه قادر على تكريس الأمن الفكري للفرد المسلم وحفظ الاتزان النفسي له ، والذي يؤدي بدوره إلى حفظ السلم المجتمعي بين الأفراد في المجتمعات الإسلامية .

وقد عرضت في ورقة العمل هذه مجموعة من الدروس الأصولية وبينت الحكمة المستفادة منها، وهذه الدروس خمسة أعرضها كما يلي :

الدرس الأول : أقسام الحكم التكليفي :

الحكم الشرعي : هو خطاب الله – تعالى – المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع .

وينقسم إلى قسمين : حكم تكليفي وحكم وضعي ، والذي يعنينا هنا هو الحكم التكليفي .

إذًا فالحكم التكليفي هو خطاب الله – تعالى – المتعلق بالاقتضاء أو التخيير.

كلمة « بالاقتضاء » في التعريف تعني الطلب ، والطلب : إما طلب فعل وإما طلب ترك ، وطلب الفعل : إما طلب جازم أي على سبيل الحتم والإلزام، وهو الفرض أو الواجب على خلاف بين الحنفية والجمهور في ذلك، وإما طلب فعل غير جازم وهو المندوب.

وطلب الترك : إما طلب ترك جازم وهو الحرام، وإما طلب ترك غير جازم وهو المكروه.

إذًا يتضح مما سبق أن لدينا أربعة أقسام : الفرض أو الواجب – المندوب – الحرام – المكروه .

والتخيير : بمعنى التسوية بين الفعل والترك وهي الإباحة .

وبذلك تكون أقسام الحكم التكليفي باعتبار أثره خمسة كما عند الجمهور : الواجب – المندوب – الحرام – المكروه – المباح .

والحكمة من أن الشارع لم يجعل درجات الطلب في الحكم التكليفي على مستوى واحد، كأنها تنبيه إلى الأولويات؛ لانتظام الحياة والعلاقات .

وأن ما فيه أجر على الفعل وعقاب على الترك أولى بالاهتمام، كما أن درجات الطلب في التحريم ليست على درجة واحدة، حتى لا يقع المكلف تحت ضغط شديد وحرج ومشقة، فإن أصول الفقه إذا يربي الإنسان على الاهتمام بما هو أهم، فالواجبات أهم من المندوبات والمحرمات أهم من المكروهات، وهذا أحد مقاصد الشريعة .

وهذا التدرج في أقسام الحكم التكليفي فيه رد على دعاة التعصب والتطرف الذين لا يرون إلا أن أحكام الشرع كلها محصورة بين الواجب والحرام فقط، افعل ولا تفعل على سبيل الحتم والإلزام، دون أن يكون بينهما درجات في طلب الإتيان

بالفعل، أو طلب في الكف عنه، أو حتى المباح والذي يشغل المساحة الكبرى من أفعال المكلفين مقارنة بالواجب والحرام.

كما أن فيه رد أيضًا على دعاة التساهل في أحكام الشريعة الإسلامية وأنها كلها على الإباحة، لا أمر فيها ولا نهي .

فالتدرج في أقسام الحكم التكليفي إذًا يحفظ الاتزان النفسي للمكلف حتى لا يقع في حرج وضيق ومشقة، ويكرس الأمن الفكري داخله .

الدرس الثاني : الرخصة :

الرخصة : هي ما قابلت العزيمة، وهي ما شرع ثانيًا وكان مبنيًا على أعذار العباد .

وللرخصة أربعة أنواع :

النوع الأول : رخصة حقيقية تامة، وهي ما استبيح مع قيام الدليل المحرم والحرمة ، مثل : جواز إجراء كلمة الكفر على اللسان في حالة الإكراه لمن كان قلبه مطمئن بالإيمان، والأخذ بالعزيمة في هذا النوع أولى، فإذا صبر ولم يتلفظ بكلمة الكفر وبذل نفسه حسبة لدينه كان أولى لما في ذلك من رعاية حق الله – تعالى – صورة ومعنى، فإذا قتل فهو شهيد .

النوع الثاني : رخصة حقيقية ليست أحق، وهي ما استبيح مع قيام الدليل المحرم دون الحرمة، وتسمى الرخصة الناقصة. مثل : جواز الإفطار في نهار شهر رمضان للمسافر والمريض رخصة، والأخذ بالعزيمة في هذا النوع أولى عند الحنفية ، بخلاف الشافعية .

النوع الثالث : الرخصة المجازية الأتم في المجازية، أي بعيدة كل البعد عن كونها رخصة، ولكنها سميت رخصة مجازًا . مثل : ما وضع عنا من الإصر والأغلال التي كانت مفروضة على الأمم السابقة، كاشتراط قتل النفس لقبول التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وغير ذلك.

النوع الرابع : رخصة مجازية ليست أتم في المجازية، أي أقرب إلى حقيقة الرخصة، وهو ما سقط عنا مع كونه مشروعًا في الجملة ، مثل : جواز أكل الميتة وشرب الخمر في حالة الاضطرار، فقد سقطت حرمتهما مع ثبوتهما في الجملة، لقوله – تعالى – : { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ} [الأنعام: ١١٩]، وأيضًا مثل قصر الصلاة في السفر، فهي رخصة إسقاط عند الحنفية .

والرخصة إنما شرعت لأسباب هي الضرورة ورفع الحرج والضيق ، وحسبنا في هذا المقام القاعدة الفقهية التي تقول : (المشقة تجلب التيسير) .

ويستفاد من هذا الدرس :

الرخص إنما شرعت للتخفيف على أصحاب الأعذار كجواز إجراء كلمة الكفر على اللسان عند الإكراه عليها مع اطمئنان القلب بها، وكجواز الإفطار في نهار رمضان للمسافر والمريض والقضاء في أيام أخر، وقصر الصلاة الرباعية للمسافر في مدة سفره فكل واجبات الشريعة تسقط مع الحرج الشديد أو المشقة غير المعتادة أو الضرر العام أو العجز التام، وحمل الناس جميعًا على العزيمة وأخذهم بالشدة في موضع الرخصة يتصادم مع مقاصد الشريعة ورفع الحرج عن الأمة خاصة في نوازلها الكبرى من خصائص هذه الأمة .

وكأن المشرع عندما شرع الرخص يربت على كتف المسلم في حالة كربه واضطراره وشدته ويقول له : رب العباد معك في شدتك، ويخفف عنك الفرائض المفروضة عليك والواجبات مراعاة للضرورة والمشقة التي ألمت بك.

ولكن لا يُسقط عنك التكاليف بالكلية في تلك الظروف حتى لا تجف ينابيع الإيمان في نفسك أيها المؤمن، وتظل في علاقة دائمة ومستمرة مع بارئك – جل في علاه – وهذا مصلحة عظيمة لك .

فتطمئن بذلك النفس البشرية وتركن إلى التشريعات السماوية التي تراعيه وتيسر عليه في وقت شدته وعسرته ؛ لأن الشريعة قد رفعت في أحكامها جميع أنواع الحرج الحسي والمعنوي ، وفي ذلك مراعاة للجانب الوجداني للنفس البشرية، وتلك هي الحكمة من تشريع الرخص.

الدرس الثالث : حكم خبر الواحد ، وحكم النسخ :

حكم خبر الواحد :

السُنة عند الأصوليين : هي كل ما صدر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير ، وتنقسم باعتبار السند، أو باعتبار طريق ورودها إلينا إلى ثلاثة أقسام :

السنة المتواترة : وهي ما رواه جمع عن جمع ويستحيل تواطؤهم على الكذب .

السنة المشهورة : وهي ما رواه عن النبي (ﷺ) عدد آحاد لم يبلغ حد التواتر، ثم اشتهر في الطبقة الثانية والثالثة .

السنة الآحاد : وهو ما رواه عدد آحاد لا يبلغ حد التواتر في الطبقات الثلاث .

وقع الخلاف في حكم السُنة الآحادية :

- فجمهور العلماء يرون أن خبر الواحد حجة يوجب العمل، وقد وقع العمل به فعلاً في الأحكام الفرعية العملية لا الاعتقادية .
- وذهب الرافضة ومن وافقهم إلى عدم وجوب العمل به .
- واستدل الجمهور بأدلة على وجوب العمل بخبر الواحد، وذكر الرافضة أيضًا أدلة على عدم وجوب العمل بخبر الواحد، ذكرها علماء الأصول في كتبهم وقاموا بتفنيدها والرد عليها ودحضها .

حكم إثبات النسخ وأوهام منكريه :

- اتفق أهل الشرائع على جواز النسخ عقلاً وعلى وقوعه شرعًا .
- خالف من المسلمين في ذلك أبو مسلم الأصفهاني ، فإنه منع من ذلك شرعًا وجوزه عقلاً .
- وافترقت اليهود في ذلك على ثلاث فرق، ففرقة الشمعونية ذهبوا إلى امتناعه عقلاً وسمعًا ، والعنانية ذهبوا إلى امتناعه سمعًا لا عقلاً ، والعيسوية ذهبوا إلى جوازه عقلاً وسمعًا، وهم يعترفون ببعثة سيدنا محمد (ﷺ) ولكن إلى العرب خاصة لا إلى الأمم كافة.

واستدل الجمهور بأدلتهم ، واستدل أبو مسلم الأصفهاني وفرق اليهود الثلاث بأدلة أوردها علماء الأصول في مصنفاتهم وقاموا بتفنيدها والرد عليها ودحضها .

ويستفاد من ذلك :

تأسيس ثقافة الحوار العلمي الهادف، فعلى الرغم من أن جمهور العلماء وكل المسلمين يتفقون على حجية خبر الواحد وأنه يوجب العمل، ولم يخالف في ذلك إلا الرافضة ومن على شاكلتهم، وعلى الرغم من عدم الاعتداد بقول هؤلاء أصحاب العقيدة الباطلة، وعلى الرغم من علمنا أنهم على باطل فيما ذهبوا إليه وفيما استدلوا به، إلا أن علماء الأمة الإسلامية الأجلاء – رحمهم الله تعالى – عمدوا إلى تأسيس ثقافة الحوار العلمي الصحي السليم الهادف الذي يتسم بتعدد الأقطاب، وإن كان القطب المخالف ضعيفاً ورأيه لا يعتد به ومنقوض بالأساس ، إلا أنهم – رحمهم الله – لم ينفردوا بالحوار ويستأثروا به ولم يجعلوه أحادي القطب أحادي

الـرأي، حتـى لا يعطـوا الفرصـة لخـصومهم الـذين لا يؤبـه بـرأيهم ولا يعتـد بـه أن يتهموهم بالاستبداد بالرأي والغطرسة .

وأيضا نرى علماء الأصول قد مشوا على هذا الهدى في مسألة جواز النسخ.

وأرى أن علمائنا الأجلاء – رحمهم الله – بهذا الصنيع قد كفونا الكلام عند التحدي أمام الكفرة والمشركين، وأمام العلمانيين ومن على شاكلتهم من قرآنين ومجددين وعصرانيين من صنوف الملاحدة في عصرنا هذا .

الدرس الرابع : الأدلة المختلف فيها :

١ . الاستحسان :

وهو: عدول المجتهد بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه يقتضي هذا العدول .

ويكثر في المذهب الحنفي الاستدلال به والاعتماد عليه، ويقول به بعض الحنابلة وينسب إلى المالكية القول به، وينكره الإمام الشافعي – رحمه الله – ظنًا منه أنه إنما ينبني على الرأي والتشهي من غير دليل شرعي .

ويتنوع إلى أنواع كثيرة حسب الدليل الذي يثبت به، منها :

- الاستحسان الثابت بالنص، مثل خيار الشرط .
- الاستحسان الثابت بالإجماع ، مثل عقود الاستصناع .
- الاستحسان الثابت بالضرورة، مثل القول بطهارة البئر التي وقعت فيها نجاسة.
- الاستحسان الثابت بالعرف، مثل من حلف لا يأكل لحمًا فأكل سمكًا لا يحنث استحسانًا .
- الاستحسان الثابت بالمصلحة المرسلة، مثل عدول الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – عن الأصل العام بمنع إعطاء بني هاشم الزكاة، وأجاز إعطائهم من الزكاة استحسانًا رعاية لمصالحهم وحفظًا لها من الضياع .

٢ . سد الذرائع :

الذرائع : هي الوسائل في اللغة .

واصطلاحًا : سد الذرائع هي المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل المحرم.

حجية سد الذرائع :

سد الذرائع أصل من أصول التشريع أخذ به الفقهاء جميعًا مع اختلاف في مقدار الأخذ به.

فقد أكثر من الأخذ به المالكية والحنابلة ، وكان دونهما في الأخذ به الشافعية والحنفية، وأنكرها الظاهرية .

وتأخذ الذرائع حكم المقاصد، فما كان ذريعة أو وسيلة إلى فرض أو مندوب، كان فرضًا أو مندوبًا، وما كان ذريعة أو وسيلة إلى حرام ، كان حرامًا.

٣. العرف :

وهو ما تعارفت عليه العقول، وتلقته الطباع السليمة بالقبول ، وله انقسامات متعددة باعتبارات مختلفة :

فينقسم باعتبار الصحة والفساد إلى : عرف صحيح مقبول شرعًا، وعرف فاسد مردود شرعًا ، وله شروط منها :

١- ألا يصطدم مع الشرع، بحيث لا يعارض نصًا من كتب أو سنة وإلا كان عرفًا فاسدًا مردودًا .

٢- أن يكون مطردًا، أي مستمرًا جاريًا على أغلب الحالات المشابهة .

٣- يشترط أن يكون مقارنًا للحادثة التي يراد الحكم فيها، لا طارئًا بعدها.

حجية العرف :

أخذ الفقهاء على اختلاف مذاهبهم بالعرف واعتبروه مصدرًا للأحكام الشرعية، فباستقراء مذاهب الأئمة المجتهدين نجد فيها الكثير من الأحكام التي روعي فيها العرف الصحيح .

٤. المصالح المرسلة :

هي المحافظة على مقصود الشرع من المصالح النافعة التي وضعها وحدد حدودها لا على مقتضى أهواء الناس وشهواتهم .

وأنواع المصالح ثلاثة :

النوع الأول : المصالح المعتبرة شرعًا ، وهي كل مصلحة ثبت الحكم المؤدي إليها بالنص أو بالإجماع أو بالقياس ، وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ . مصالح ضرورية : وهي التي لا غنى للإنسان عنها وهي : حفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال .

ب . مصالح حاجية : وهي التي يحتاج إليها الإنسان لرفع الحرج والمشقة عنه، كالرخص.

جـ - مصالح تحسينية : وهي التي لم يكن للإنسان بها حاجة وإنما هي متممة ومزينة لحياته، فهي متمشية مع مكارم الأخلاق كالطهارات وستر العورات .

النوع الثاني : المصالح الملغاة شرعًا : وهي كل مصلحة قام النص أو الإجماع أو القياس على إلغائها وعدم اعتبارها، لما فيها من تحقيق الضرر و المفاسد، وذلك مثل إلغاء الشارع وإهداره لمصلحة آكل الربا في زيادة ثروته .

النوع الثالث : المصالح المسكوت عنها : وهي المصالح التي سكت الشارع عنها ولم يشهد لها لا بالاعتبار ولا بالإلغاء، وخوَّل أمر الحكم فيها إلى ولي الأمر، فيما يعود بالنفع على عامة المسلمين .

حجية المصالح المرسلة :

- هناك من اعتبر أن المصالح المرسلة حجة حتى في التشريع وبناء الحكم عليها كالإمام مالك وأحمد – رحمهما الله – وبعض الفقهاء .
- وهناك من يرى أنها ليست بحجة شرعية، وإلى ذلك ذهب الشافعية والحنفية والظاهرية .

شروط العمل بالمصالح المرسلة :

من أجاز العمل بالمصالح المرسلة اشترط لها شروطًا منها :

١- أن تكون المصلحة حقيقية قطعية، وحقيقية أي غير متوهمة، وقطعية أي مقطوع بأهميتها بأن يترتب عليها جلب نفع أو دفع ضرر محقق .

٢- أن تكون ملائمة لمقاصد الشارع ، فلا تصطدم مع أصول الشريعة ولا دليل من أدلتها .

٣- أن تكون كلية عامة ، أي عائدة بالنفع على جميع المسلمين، لا على فئة دون الباقين.

أمثلة للمصالح المرسلة : توثيق عقود الزواج وتوثيق المواليد وتخطيط المدن العمرانية والمجمعات الصناعية، وقوانين المرور، وكل ما يتعلق بالأمور العامة المستحدثة والمستجدة في حياتنا فإنه يخضع لقاعدة أصولية تسمى بالمصالح المرسلة.

ويستفاد من ذلك :

هذه الأدلة المختلف فيها هي من أسباب مرونة الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، ومن أهم الوسائل لتجديد الخطاب الديني ، فبها لا تقف الشريعة جامدة متقولبة في قالب صلب جامد لا يقبل الأخذ والرد ، وإنما

تجعل الشريعة الإسلامية مرنة صالحة لكل زمان ومكان ولكل الأحوال ولكل الأشخاص.

فلا بد من مراعاة الأعراف التي تتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان عند إصدار فتوى في حكم شرعي .

ولقد اشترط علماء الأصول في المجتهد أن يكون عالمًا بعرف البلدة التي يستفتي فيها، حتى لا يفتي بفتوى تصطدم مع عرف هذه البلدة فيقع الناس في حرج شديد ومشقة، وقد يضطرون في بعض الأحيان إلى تغليب سطوة العرف فوق صوت الشرع .

وبهذا الشرط والذي اشترطه علماء الأصول ، نجد أن الشريعة الإسلامية قد راعت الجانب الاجتماعي والوجداني للأفراد وللجماعات داخل المجتمع المسلم، حتى أنها وضعت أعرافهم – المقبولة شرعًا – وعاداتهم وتقاليدهم موضع الاعتبار، فتطمئن بذلك نفوسهم تجاه شريعتهم المتجددة، والمتألقة دائمًا والتي تحفظ لهم هيبة عاداتهم وتقاليدهم.

وليس معنى أن الفتوى تتغير حسب تغير العرف أن الحكم يتغير من أساسه، وإنما معناه أن حكم الحادثة يخرج من كلي قد اندرج تحته ليدخل تحت كلي آخر، فالحكم إذًا لا يتغير بل هو ثابت .

وبالمصالح المرسلة تكون الشريعة قادرة على التقنين لكل ما تتطلبه مقتضيات العصر الحديث ومصالح العباد، فحفظ النظام وجلب المصالح ودرء المفاسد من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، وهذا من أسباب مرونة الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لاستيعاب كل المستجدات الحياتية للإنسان .

ولعل في هذا الرد على العلمانيين دعاة الفصل بين الدين والدولة، والتخلص من التراث الإسلامي بحجة أنه لا يتماشى ومتطلبات العصر الحديث، فتلك الأدلة تجعل أصول الفقه أهم آلة لتجديد الخطاب الديني ودحض مزاعم هؤلاء ومن على شاكلتهم .

وكذا العمل بالاستحسان وسد الذرائع يكسب الشريعة الإسلامية مرونة وقابلية للتجديد ولمواكبة مستجدات العصر من أحداث ونوازل وترتيبات وتقنيات .

الدرس الخامس : الاجتهاد والإفتاء :

الاجتهاد : هو استفراغ الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي ، والمجتهد له شروط :

الأول : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .

الثاني : أن يكون عالمًا باللغة العربية .

الثالث : أن يكون عالمًا بآيات الأحكام في القرآن الكريم .

الرابع : أن يكون عالمًا بأحاديث الأحكام في السُنة المطهرة .

الخامس: أن يكون عالمًا بمواقع الاجتهاد، حتى لا يجتهد في مسألة قد انعقد الاجماع على حكم فيها .

السادس: أن يكون عالمًا بالناسخ والمنسوخ، حتى لا يجتهد ويفتي في حكم قد سبق نسخه.

السابع : أن يكون عالمًا بمقاصد الشريعة وأسرار التشريع .

الثامن : أن يكون عالمًا بأصول الفقه، فإنه أساس الاجتهاد الذي يقوم عليه بناؤه .

التاسع : أن لا يكون مبتدعًا مائلاً إلى الهوى فاسد الاعتقاد .

الإفتاء : هو قيام المفتي بالجواب عن المسائل الشرعية التي يعرضها عليه المستفتي .

فالمفتى هو من يتصدر للفتوى بالجواب عن أحكام المسائل الشرعية .

وبين المجتهد والمفتي عموم وخصوص، فكل مفتي لا بد وأن يكون مجتهدًا، وليس كل مجتهد مفتي، فلا يجب على كل مجتهد أن يتصدر للإفتاء .

ويستفاد من ذلك :

المستفتي وهو العامي الذي يطلب الحكم في مسألة شرعية، إذا علم أن المفتي المجتهد لا بد أن تتوافر فيه شروط حتى يكون أهلاً للإفتاء، اطمأنت نفسه إلى العلماء، وعلم أن دينه الحنيف يضع له سياجًا آمنًا يحمي قضاياه الشرعية ويحترم رغبته في الاستفسار عن أمور دينه ويقدسها، فهذه الشروط تحكم العلاقة بين المفتي والمستفتي وتزرع بداخله الطمأنينة في أن من يجلس في هذا المنصب ويصدر نفسه للإفتاء هو أهلٌ له.

وهذه الشروط لمن علمها كفيلة بأن تجعله قادرًا على التمييز بين العلماء الربانيين وبين أهل البدع والأهواء الذين يفتون بغير علم ويأتون في فتواهم بالعجائب .

فيكون بذلك العامي مطمئنًا وآمن فكريًا عند طلبه للفتوى من علماء الشريعة الإسلامية، ويستقر في نفسه أيضًا أن من توافرت فيهم هذه الشروط من

العلماء المجتهدين علماء ربانيين وأمناء على دين الله الحنيف في الأرض وعلى تطبيق شريعته .

ختامًا : نتيجة وتوصية :

النتيجة : بعد عرض هذه النماذج من دروس أصول الفقه، يتضح أن الإنسان المسلم بكل أفعاله وحركاته بل وسكناته يخضع لقواعد أصول الفقه، فأصول الفقه هو الذي ينظم سلوكيات المسلم تنظيمًا شرعيًا ، ويهذبها بالشكل الذي يرضى به الله عنه .

وأصول الفقه يلعب دورًا أساسيًا في تربية المسلم تربية دينية واجتماعية سليمة، للدرجة التي يتحقق معها الأمن الفكري للفرد المسلم، والذي ينعكس بدوره في حفظ السلم المجتمعي داخل المجتمعات الإسلامية .

التوصية : أوصي بأن تدرج مادة باسم « دروس اجتماعية لعلم أصول الفقه» تدرس على طلبة المرحلة المتوسطة وطلبة الكليات بمختلف الجامعات، يتم فيها شرح القاعدة الأصولية وبيان انعكاس تلك القاعدة على سلوكيات المسلم ، وعلى انتظام الحياة والعلاقات بين الأفراد، وعلى حفظ السلم المجتمعي داخل المجتمعات الإسلامية .

مقدمته

د/ وفاء عبد العزيز أحمد

مدرس بقسم أصول الفقه

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر

خامسًا:

دراسات بلاغية

إقصاء الآخر في شعر النقائض، والشعر السياسي في عصر بني أمية ــ دراسة نقدية

دكتور/ فلاح بن مرشد بن خلف العتيبي
أستاذ الأدب والنقد المشارك – قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب بالمخواة
جامعة الباحة

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد..

فإن الأمن الفكري، والسلام المجتمعي غاية يسعى إليها العالم أجمع؛ كي يعيش حياة اتزان واستقرار، وإن اللغة أداة لها أثرها القوي في تحقيق التوازن وعدمه.

والشعر ضرب من التفكير الذي يؤثر في المحيط، ويتأثر به سلبًا وإيجابًا، وهذه الأداة البيانية قد تؤجج نار الفتنة التي لا تقتصر على طرفي الخصومة بل تتعدى إلى أطراف أخرى.

وقد ظهرت في أدبنا العربي القديم ملامح إقصاء الآخر في صور عدة؛ مؤثرة في التفكير الجمعي، وقد أدت إلى اختلال الاتزان الفكري والأمني.

ومن أبرز العصور التي حدث فيها صراع فكري على نطاق واسع عصر بني أُمية؛ إذ كان لشعر النقائض، والشعر السياسي كبير الأثر في إقصاء المخالفين، والسعي لتهميشهم، وقد تعدى أثر ذلك التفكير إلى العصور التابعة لذلك العصر، وفتح ضروبًا أخرى من الصراع والجدل الفكري، وقد جاء هذا البحث بعنوان:

إقصاء الآخر في شعر النقائض، والشعر السياسي في عصر بني أُمية – دراسة نقدية

كي يدرس ظاهرة إقصاء الآخر في هذين الفنين، واقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة: حوت خطة البحث، ومنهج الدراسة، وتمهيد يتحدث فيه الباحث عن تحرير المصطلحات، ويبين القيمة الفنية والأدبية لشعر النقائض، والشعر السياسي، ومبحثين:

المبحث الأول: إقصاء الآخر في شعر النقائض.

المبحث الثاني: إقصاء الآخر في الشعر السياسي.

ثم خاتمة حوت النتائج والتوصيات، ومن أبرز النتائج: التداخل الكبير بين شعر النقائض والشعر السياسي؛ إذ يعمد شعراء كل حزب إلى نقض حجج خصومهم من الأحزاب الأخرى، ونبذ أفكارهم، وتُعد النقائض الشعرية أداة جدلية، وصراع أدبي فكري قوي في زمنه، وقد ركز الشعراء في الشعر السياسي على المنطلقات العقدية والفكرية للأحزاب السياسية المتصارعة في العصر الأموي، وكان الشعر السياسي سببًا من أسباب الاضطراب الأمني والفكري في تلك الفترة، وجاءت لغته لغةً مباشرة؛ لغاية الإقناع والتأثير المباشر في التفكير الجمعي، وبعد ذلك خُتِم البحث بثبت المراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحة: الشعر – التفكير - النقائض – السياسة – الإقصاء - الأمن.

المقدمة:

أهمية الدراسة:

- الكشف عن الحالات الإقصائية في شعرنا العربي، وأثرها في توجيه التفكير الجمعي.
- رصد الأساليب الإقناعية التي استخدمها شعراء النقائض، وشعراء الأحزاب السياسية في تسويق أفكارهم.
- الرغبة في خدمة اللغة العربية وآدابها.

أهداف الدراسة:

- التعرف على قوة اللغة الشعرية في الخطاب الموجه للمجتمع.
- التعرف على قوة الشعراء في الإقناع، وتأكيد الحقائق أو سعيهم لزعزعتها في نفوس الجماهير.

الدراسات السابقة:

لم تظهر للباحث دراسات تناولت الحالات الإقصائية في هذين الفنَين إلا ما جاء من دراسات عامة لشعر النقائض، والشعر السياسي دون التعرض للتأثير في التفكير الذي نتج عن هذين الفنَين في العصر الأُموي، وما تلاه من العصور.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي التطبيقي الذي يهتم بعرض القضية الأدبية، ويتتبعها بالدراسة والتطبيق.

مشكلة البحث:

تتبلور المشكلة في دراسة الحالات الإقصائية في شعر النقائض، والشعر السياسي في العهد الأُموي؛ التي من خلالها شكل الشعراء فكرًا جديدًا آمن به أناس، وعارضه أناس آخرون، وسبب هزة فكرية أمنية في التوجه العام.

هيكل الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أنْ تأتي على مبحثين تناولا إقصاء الآخر في شعر النقائض، والشعر السياسي في العصر الأُموي، وسبقتهما مقدِّمة، وتلاهما خاتمة حوت النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة.

التمهيد:

الشعر حالة فكرية لها تأثيرها القوي في الذاكرة العربية، وهي وعاء يحوي أفكار الشاعر وتوجهاته، وهذه الأداة الفكرية القوية تسببت في إيجاد الصراع الأدبي والفكري منذ العصر الجاهلي، وما تلاه من العصور، وكثيرًا ما جاء الشعر نوعًا من أنواع الجدل والمحاجَّة.

ويعد العصر الأُموي بداية الشرارة التي حركت الشعر بعد ركوده في زمن البعثة، وزمن الخلفاء الراشدين؛ بسبب انبهار العرب بالقرآن الكريم، وانشغالهم بالفتوحات الإسلامية.

ولما تولى الأُمويون الحكم فتحوا أمام الشعراء أبواب المدح والمفاخرة، وعادت العصبية القبلية إلى سابق عهدها، وتنافس الشعراء في إبراز مكانتهم، ومكانة قبائلهم، وإقصاء الآخرين من قبائل وأفراد، وظهر إثر ذلك فنٌّ جديد عُرف فيما بعد بفن النقائض؛ الذي استعرت حربه قرابة نصف قرن من الزمان لمعت فيه أسماء مجموعة من الشعراء؛ فثبت بعضها وسقط بعضها الآخر، وقد استوى على عرش هذا الفن جرير والفرزدق والأخطل، وقد صاحب هذه الحركة الفكرية القبلية حركة فكرية سياسية، وذلك بوجود الأحزاب المتصارعة على الحكم؛ كحزب الشيعة الذي يرى أحقية الخلافة في علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وذريته من بعده، وحزب الخوارج الذي يرى أن الخلافة يجب أن تكون عامة في أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحزب الزبيرين الذي يؤيد عبد الله بن الزبير ــ رضي الله عنه ــ ويرى أن الحكم يجب أن يكون في قريش عامة، وليس خاصًا ببني أمية أو غيرهم من القرشيين، هذا إضافة إلى حزب بني أمية الحزب الحاكم، وقد تزاحمت هذه القوى لإثبات حقها، ونشر فكرها، وإقصاء الأحزاب المعارضة.

إذن العصر الأموي كان عصرًا مضطربًا عصبيًّا وسياسيًّا، وقد لعبت الحزبية والعصبية دورًا بارزًا في توجيه الحركتين الأدبية والفكرية، وانعكس ذلك على الناحية الأمنية، وكان الشعر الوسيلة الإعلامية التي اتخذها الشعراء لتسويق أفكارهم القبلية والسياسية، والدفاع عن مبادئهم وأفكارهم، ومجابهة خصومهم؛ متخذًا من المنهج الجدلي أسلوبًا يسير عليه.

وقبل أن نشرع في البحث يجدر بنا أن نتعرف على مفهوم الإقصاء، ومفهوم كلٍّ من شعر النقائض، والشعر السياسي، وهما فنَّان متقاربان في النشأة، ومتقاطعان في بعض المعاني والمفاهيم.

فالإقصاء هو: الإبعاد، وفي لسان العرب: والقَصْوُ :البعد، والأَقْصى: الأَبعد[١].

ويقول ابن فارس، قصو – قصي القاف والصاد والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلُّ على بُعدٍ وإبعاد. من ذلك القَصَا: البُعْد. وهو بالمكان الأقصَى والنَّاحيةِ القُصوَى[٢].

والنقائض في اللغة من النقض، وهو: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء[٣]، وفي الاصطلاح؛ هي: ضرب من الشعر يقوم على التهاجي في الدرجة الأولى ثنائية الطابع، مفردها نقيضة، والنقيضة: قصيدة يرد بها شاعر على شاعر آخر بادره بالهجاء؛ فينقض معانيه المعنى تلو الآخر فيقلب فخره هجاءً، ويفخر بنفسه وبقومه على نفس الوزن والقافية[٤]، أي لابد في النقيضة من وحدة الموضوع، ووحدة البحر والقافية.

والسياسة في اللغة من السَّوس: والسَّوسُ: الرِّياسَةُ، يقال: ساسوهم سَوساً، وإذا رأَسُوه قيل: سَوَّسُوه وأساسوه، وسَاس الأَمرَ سِياسةً: قام به، ورجل ساسٌ من قوم سادة وسوَّاس؛ أنشد ثعلب:

سادَة قادة لكل جَمِيعٍ ساسَة للرجال يومَ القِتالِ

وسَوَّسَه القومُ: جَعَلوه يَسُوسُهم، ويقال: سُوِّسَ فلانٌ أَمرَ بني فلان أَي كُلِّف سِياستهم، وسَوَّسَه القومُ: جَعَلوه يَسُوسُهم[٥]، وقال: الجوهري: سُسْتُ الرعية سِياسَة. وسُوِّسَ الرجلُ أُمور الناس[٦].

والسياسة في الاصطلاح: هي مجال السلطة، والعمل السياسي هو الصراع من أجل القوة[٧] وقيل: هي فن حكم البشر[١].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، لبنان، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م. مادة: قصو.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، م٤، (د. ط). ص٥٨٠.

(٣) لسان العرب، مادة: نقض.

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م، ص٣٦١..

(٥) لسان العرب، مادة: سَوَسَ.

(٦) الصحاح، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، باب السين فصل السين.

(٧) السياسة بين الأمم، هانز مورجنتاو، ترجمة: خيري حمّاد، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة ١٩٧٥م، ص٨٢.

أما الشعر السياسي في الاصطلاح: فهو ذلك النمط الذي يصور كل ما يتعلق بتدبير شؤون الأمة وما يشجر حولها من خلاف[٢].

وتُعد كل من النقائض، والشعر السياسي من الفنون الأدبية الإثرائية ذات القيمة الأدبية التي أثْرَتْ الأدب العربي، وظهر من خلالها أسماء شعراء لم يكن يعرفهم المجتمع بالإضافة إلى الشعراء المعروفين الذين كان لهذين الفنين كبير الأثر في نشر نتاجهم على نطاق واسع.

وتلتقي النقائض مع الشعر السياسي في بعض المعاني الشعرية كالفخر، والمدح، والهجاء؛ فكل منهما مسمى لجملة أغراض، وذلك بحسب الحال الذي قيلت فيه القصيدة، "ولا ننكر أن شعراء المناقضات قد أضافوا إلى الشعر العربي فنًّا جديدًا هو فن الشعر السياسي"[٣]، كما كان لاشتداد العصبية القبلية في العصر الأموي دواعٍ سياسية[٤].

---

(١) مبادئ العلوم السياسية، مجموعة من أساتذة الاقتصاد والعلوم السياسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص٤.

(٢) في الأدب العربي القديم، محمد الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، حائل، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٧٦.

(٣) الموضوعاتية في شعر النقائض، أشعار جرير والفرزدق – أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٦م، برقية بلال، ص٣٥.

(٤) ينظر: العصبية القبلية، وأثرها في الشعر الأُموي، إحسان النص، درا الفكر، ط٢، ١٩٧٣م، ص٢٥٧.

المبحث الأول: إقصاء الآخر في شعر النقائض.

يُعد شعر النقائض نتيجة من نتائج الصراع القبلي، والحزبي، والشخصي، وهي في الحقيقة امتداد لشعر الهجاء، ولكنها تختلف عنه في التزام الشعراء ببحر واحد، وقافية واحدة في نقائضهم.

عندما لَحُم التهاجي بين جرير بن عطية الخطفى، وغسان بن ذُهيل السُّليطي ثار غسَّان على بني كُليب، وحاول ـ في شعره ـ أن يقصيهم ويبعدهم عن مكارم العرب، ولعلم الشاعر أن من أقوى ما تهجو به العرب بعضها بعضًا صفة البخل، رماهم بذلك، فقال[1]:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها	جرير لقد أخزى كليبًا جريرُها
وما يذبحون الشاة إلا بميسر	طويلا تناجيها صغارًا قدورها

فغسَّان السليطي يُقصي جريرًا عن المكارم؛ متخذًا من القسم وسيلة لإقناع المتلقي، وهو قوله: لعمري، ويصمهُ بالخزي، ويجعله سببًا في خزي قبيلة كليب كلها، ويعمد إلى إلصاق جرير بهم عندما أضاف اسم جرير إلى الضمير (الهاء) الذي يعود على كليب، ثم يصف قبيلة كليب بأسوأ أنواع البخل؛ فيقول: "يشتركون في الشاة كما يشترك الأيسار في الجزور، وتناجيها: تشاورها"[2]، فهم من شدة بخلهم لا يذبحون الشاة إلا بعد مناجاة وتشاور، فكيف لو كان المذبوح بعيرًا؟!

وفي وصفه للقدور بأنها صغيرة إمعان في رميهم بالبخل؛ إذ كلما كَبُرت القدور كان ذلك دليلًا على كرم أصحابها، وكثرة ضيوفهم، وكلما صَغُرت كان ذلك دليلًا على بخلهم.

وغسَّان الذي يعلم أن خير ما تُمدح به العرب الكرم والشجاعة أراد إقصاء بني كُليب عمَّا تحبه العرب، وهذا النوع من الإقصاءات أثَّر في التفكير الجمعي ليس في زمن الشاعر بل في ما تبعه من الأزمنة؛ إذ أصبح بعض دارسي الأدب والتاريخ يزدرون قبيلة كليب، وينتقصون من شأنهم فيما بعد، وهذا تأثير في التفكير.

---

(١) كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، تأليف أبي عبيدة بن المثنى التَّيمي البصري، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١١.

(٢) نفسه ، ص١١.

وغسَّان السليطي ــ وإن كان يظن القارئ أنه قد أفحم جريرًا وجزره بهذا الهجاء اللاذع ــ لم يكن ندًّا لجرير، وليس بمقدوره مجاراته والتفوق عليه! والحقيقة أنه جنى على نفسه وعلى قومة بني سُليط جناية لا تُغتفر، ومن ذا الذي يُقارع جريرًا أو يجرؤ على الوقوف في وجهه؛ إذ رد عليه بنقيضته التي مطلعها[1]:

ألا بَكَرَت سَلمى فَجَدَّ بُكورُها وَشَقَّ العَصا بَعدَ اجتِماعٍ أَميرُها

وهي قصيدة فيها إقصاء لبني سُليط ونسائهم عن المكارم، وقد أجحف جرير في حق هذه القبيلة، ورماهم بأسوأ الهجاء وأقذعه، وكان أول أنواع الإقصاءات في قصيدة جرير أن ازدرى قبيلة بني سُليط ولامها؛ إذ لم تجد من يدافع عنها إلا غسان بن ذُهيل، وهذا من أشد أنواع الاحتقار والازدراء، وفيه تأليب للقبيلة على شاعرها، وذلك في قوله[2]:

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جارًا يجيرها

ويبالغ في احتقاره؛ حتى يثير عليه قبيلته؛ فيقول[3]:

ونبئتُ غسَّان بن واهصة الخصى يُلجلج مني مضغةً لا يُحيرها

ولا يخفى ما في البيت من شناعة وإقذاع في الهجاء؛ إذ يصف غسان بأنه ابن تلك التي تشدخ الخصى؛ لكي تلين، ثم تشويها وتأكلها، وهذا الأسلوب رغم ما فيه من إقذاع ــ ينبو عنه صاحب الخلق السوي ــ إلا أنه أسلوب ذكي من الشاعر في تقليل مكانة خصمه أمام قبيلته؛ حتى تنبذه القبيلة وتُقصيه، وهي طريقة من طرق التأثير في تغيير تفكير قبيلة سُليط تجاه شاعرها غسَّان؛ إذ أيقن بنو سُليط أن غسَّان لم يكن ندًّا لجرير، وليس بمقدوره أن يدافع عنهم أمام هذا الطوفان، وهذا الأسلوب العنيف من جرير جعل غسَّان السليطي يخشى على نفسه من قبيلته؛ لأنه تقدم باسمها ولم ينصرها، وقبيلة سليط وإلَّم يفعلوا شيئًا من ذلك فقد يحدث قول جرير خللًا في

---

(1) ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢٢٦.

(2) نفسه، ص٢٢٦.

(3) هذا البيت لم يرد في الديوان، وأورده أبو عبيدة بن المثنى في كتاب النقائض، ج١، ص١٢.

تفكيرهم تجاه شاعرهم، ومن الأساليب التي انتهجها شعراء النقائض التهكم والتندر؛ لإضحاك الملتفين حول الشاعر على خصمه؛ لذا حملت النقيضة بعض الألفاظ النابية والمضحكة، وهي ألفاظ لها دلالاتها التي تثبت في تفكير السامع والمتلقي.

ولم يقف جرير عند هذا الحد فقد تعرَّض لسُليط، ووصفها بأنها من شدة بخلها، ودناءتها تأكل ما يترفَّعُ عنه الآخرون، وأنهم ليسوا كأصحاب الهمم العالية؛ فيقول(١):

عضاريط يشوون الفراسن بالضُّحى إذا ما السرايا حث ركبًا مُغيرها

والعضاريط هم الأتباع الذين لا رأي لهم، ولاطموح عندهم، ولا همة لديهم، فهم قوم ضعفاء يرضون من كل شيء بالدون.

وقد تعرَّض جرير في إقصاءاته لأسماء معينة؛ كجُحيش بن زياد، وصائد السُّليطي، وعيساء جدة غسَّان حينما قال(٢):

عجبتُ من الداعي جُحيشًا وصائدًا وعيساءُ يسعى بالعلاب نفيرها

ولعل من أقوى إقصاءات جرير لقبيلة سليط قوله(٣):

وما السليطي إلا سوأة خلقت في الأرض ليس لها سِتر يواريها

فهو لم يكتفِ بجعل خصمه سوأة؛ بل جعلها سوأة مكشوفة مفضوحة لا يسترها شيء، وقد اتخذ من النفي مع الاستثناء أسلوبًا لحصرهم في مساحة ضيقة لا يكادون يتعدونها، وهذا القول المقذع من أشد أنواع الإقصاءات التي انتهجها جرير مع غسَّان

(١) ديوان جرير، ص٢٢٧.
(٢) نفسه، ص٢٢٧.
(٣) نفسه، ص٤٩٦.

الذي كثيرًا ما يصف جريرًا بابن المراغة، وهي صفة لعل أول من وصمه بها الخليفة الأُموي عبد الملك بن مروان عندما أنشد جرير بين يديه قصيدته التي مطلعها[١]:

أتصحو أم فؤادك غير صاحِ عشية هم صحبك بالرواح

فقال له عبد الملك: بل فؤادك يابن المراغة!

وفي هذا المعنى يقول غسَّان[٢]:

يرجو سِقاطي ابن المراغة للعدا سفهًا تمنى ضلَّة الأحلامِ

وعلى كلٍّ فإن القبيلة في هذه الحالة ربما تنقم على شاعرها الذي جر عليها هذا الهجاء، وأصبح مُلصقًا بها، وهنا قد لايأمن الشاعر على نفسه؛ فالتغيير في التفكير قابله هزة أمنية سببها هذه الملاسنات.

والعجيب أن هذه الثورة، وهذه الإقصاءات بين الشاعرين كانت بسبب تنازع القبيلتين على ماء غدير كانوا يتواردون عليه، ولكنها في الحقيقة كانت حربًا خاسرة بالنسبة لغسَّان الذي لم يكن في مستوى جرير الذي جابه ثمانين شاعرًا في عصره.

ولم يكن غسان السليطي الوحيد الذي جنى على نفسه، وعلى قبيلته، فقد أورد أبو عبيدة حديث الراعي وعرادة النميري، قال: كان عرادة النميري نديمًا للفرزدق فقدم الراعي البصرة، فاتخذ عرادة طعامًا وشرابًا ودعا الراعي، وقال: فلما أخذت الكأس منهما قال عرادة:

يا أبا جندل، قل شعرًا تفضل الفرزدق على جرير. فلم يزل يزين له حتى قال[٣]:

يا صاحبيَّ دنا المسير فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

وكانت هذه الحادثة وبالًا على الراعي النميري، وعلى قبيلة بني نُمير برمتها؛ إذ نتج عنها قصيدة جرير التي مطلعها[٤]:

---

(١) نفسه، ص٧٦.

(٢) كتاب النقائض، ج١، ص١٨.

(٣) نفسه، ج١، ص٣٠٧.

(٤) ديوان جرير، ص٥٨.

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي عن أصبت لقد أصابا

ومنها البيت المشهور[1]:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبًا بلغت ولا كلابا

فجرير ـ في هذا البيت ـ وجه الأمر الذي يفيد الازدراء والاحتقار للراعي النميري، وأعقبه بأسلوب التوكيد بإن، ثم النفي، وهي أساليب قوية متتابعة أثرت على تفكير المتلقي،؛ فطار هذا البيت، وأصبح شاهدًا على ألسنة الناس يستشهدون به في كثير من الحوادث، وكانت تلك النقيضة سببًا في أن نبذ بنو نُمير شاعرهم، وهي قصيدة بدأها جرير بهجاء الفرزدق؛ فقال:

لقد خزي الفرزدق في معدٍّ فأمسى جهد نصرته اغتيابا

ثم ثنَّى بهجاء عرادة قائلًا:

أتاني عن عرادة قول سوءٍ فلا وأبي عرادة ما أصابا

ثم توجه بهجائه إلى الراعي النميري، وإن مكانة الفرزدق وشرف نسبة، وكذلك مكانة قبيلة نُمير لم تشفع لهم عند جرير الذي صب جام غضبه على خصومه، وعمل على إقصائهم وإبعادهم عن كل مكرمة، ولعل بيت جرير الذي قاله في نمير من أقوى أبيات الهجاء التي أثَّرت في التفكير الجمعي، ورسمت في ذهن المتلقي صورة ليست حسنة عن بني نمير.

وكثيرًا ما يرمي الشعراء جريرًا باللؤم مستغلين بذلك هوان أبيه، وضعف نسبه، ومن الشعراء الذين تعرضوا لجرير الشاعر البُعيث المجاشعي، وفي ذلك يقول[2]:

كليبٌ لئام الناس قد تعلمونه وأنت إذا عُدَّتْ كليبٌ لئيمها

(1) ديوان جرير، ص٦٣.
(2) كتاب النقائض، ج١، ص٨٤.

وواضح ما في البيت من إقصاء للشاعر وقبيلته، وما يُقال عن غسَّان السليطي يقال عن البُعيث؛ فقد أدخل نفسه في حرب خاسرة مع جرير الذي رد عليه بنقيضة منها قوله[1]:

لـــه أم ســـوء ســـاء مـــا قـــدمت لـــه إذا فـــارط الأحـــساب عُـــد نـــديمها

وازدرى قبيلة مجاشع التي تراهن على البُعيث، وتراه شاعرًا يستطيع نصرها أمام الخصوم؛ فيقول[2]:

لئـــن راهنت عـــدوًا عليـــك مجاشـــعٌ لقـــد لقيَتْ نقصًـــا وطاشت حلومهـــا

فالنقيضة في منهجها صورة مكررة من نقيضته مع غسَّان السليطي؛ إذ اتخذ من ضعف البُعيث في مقارعة الشعراء مدخلًا لسب قبيلته التي لم تجد من يدافع عنها إلا هذا الشاعر الضعيف، وعد هذا نقصًا في عقول القبيلة، ومن الواضح أن جريرًا أراد التأثير في تفكير قبائل أولئك الشعراء حتى تكفيه مؤونة إقصاء شعرائهم؛ فتقيم عليه حربًا بالوكالة، ولذلك نظائر كثيره في شعر جرير.

وهؤلاء الشعراء لايمثلون شيئًا في نظر جرير قياسًا بالفرزدق ثم الأخطل؛ لأن قوة هذين الشاعرين ليست كقوة بقية الشعراء؛ إذ نرى الفرزدق يقصي جريرًا من الإنسانية، وكثيرًا مايلحقه، ويُلحق أباه بالكلاب، ومن ذلك قوله[3]:

بلـــى وأبيـــك الكلـــب إنـــي لعـــالمٌ بهـــم فهـــم الأدنـــون يـــوم التـــزاحمِ

ويقول[4]:

وهـــل يـــابن ثفـــر الكلـــب مثـــل ســـيوفنا ســـيوف ولا قـــبص العديـــد القمـــاقم

---

(1) ديوان جرير، ص٤٥٠.

(2) ديوان جرير، ص٤٥١.

(3) ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر، ج٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٣١٣.

(4) هذا البيت لم يرد في ديوان الفرزدق، وأورده أبو عبيدة في كتاب النقائض، ج١ ص٢٧٤.

وقد تكرر وصف جرير بالكلب في كثير شعر الفرزدق وغيره؛ حتى جسَّد ذلك صورة سيئة عن جرير في تفكير المتلقي والدارس، وهذا التأثير مبعثه العداوة التي استعرت بين الشاعرين قرابة نصف قرن من الزمان، وهي عداوة شعرية شرسة أحدثت أثرًا كبيرًا في تفكير المتلقي وصل في بعض المواقف إلى درجة الإقناع بسبب ما فيها من إقصاءات وتحديات.

والفرزدق الذي يكثر الفخر بآبائه وأجداده كثيرًا ما يعقد مقارنات بين أجداده، وأجداد جرير؛ كي يقصي أجداد جرير عن المكارم؛ فهو عندما ذكر أجداده: زرارة، ومجاشع، ونهشل، في قوله[(١)]:

بيتًا زرارة محتبٍ بفنائه ومجاشع وأبو الفوارسِ نهشلُ
يلجون بيت مجاشع وإذا احتبوا برزوا كأنهم الجبالُ المُثَّلُ

وقد أقصى أجداد جرير عن أن يكونوا أهل مجد وعز، ومكانة بين العرب؛ فقال[(٢)]:

لايحتبي بفناء بيتك مثلهم أبدًا إذا عُدَّ الفَعَال الأفضلُ

ومن الواضح إصرار الشاعر على إقصاء خصمه؛ إذ نفى أن يوجد أمثال أجداده في أجداد جرير، ويُصرُّ على ذلك بقوله: أبدًا؛ التي تفيد توكيد الزمن في المستقبل.

ولكن جريرًا وجه له نقيضته اللاميَّة التي جاءت على نفس البحر الذي طرقه الفرزدق (الكامل)، ولكنها خالفتها في حركة حرف الروي؛ إذ جاءت قصيدة الفرزدق مضمومة، وجاءت نقيضة جرير مكسورة، يقول جرير فيها[(٣)]:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعًا وبنى بناءك في الحضيض الأسفلِ
بيتًا يُحمم قينكم بفنائه دنسًا مقاعده خبيث المدخلِ

(١) ديوان الفرزدق، ج٢، ص١٥٥.
(٢) نفسه، ص١٥٥.
(٣) ديوان جرير، ص٣٥٧.

وكثيرًا ما يعمد جرير في إقصاءاته إلى جمع عدد من خصومه في بيت أو بيتين، ومن ذلك قوله[١]:

إن الفـــــرزدق والبعيـــــث وأمـــــه وأبـــا البعيـــث لـــشر مـــا إســـتارُ[٢]

فهو يقول: إن الفرزدق، والبعيث، وأمه، وأباه شر أربعة.

ومن الإقصاءات القوية لجرير قول الأخطل يهجو جريرًا[٣]:

جـاءت بـه معجلًـا عـن غـب سـابغةٍ مـن ذي لهالِـهَ جهـم الوجـه كالقـارِ

أمٌ لئيمـــة نجـــل الفحـــل مقرفـــة أدي لفحـــلٍ لئـــيم النجـــل شـــخارِ

فالشاعر استغل حالة ولادة جرير خديجًا، وجعلها نقصًا فيه؛ كي يقصيه عن الكمال البشري الذي يبدأ باكتمال الحمل تسعة أشهر، فهو ناقص منذ بدايته، ثم يرميه بتهمة كبيرة، وهي أن أباه غير معروف، ثم يرمي أمه أيضًا باللؤم والفحش، وفي استغلال الأخطل لنقص فترة حمل أم جرير به أثر في إقناع المتلقي بأنه شخص ناقص منذ بدايته؛ فهي حجة عقلية من السهل قبولها والتسليم بها عند كثير من الناس.

ونلاحظ في إقصاءات الشعراء في شعر النقائض أنهم اعتمدوا على اللغة القوية، وكثفوا الألفاظ ذات الدلالات المباشرة ؛ كي ينالوا من خصومهم، ويؤثروا في تفكير المتلقي تجاه الخصم، ولأن الشعر هو وسيلة الإعلام الوحيدة في ذلك الزمن فقد أحدثت النقائض مشاحنات بين القبائل، وهزت أمنها الفكري؛ محدثةً بذلك شيئًا من الحقد والضغائن، وإن كانت هذه الضغائن لاتتعدى كونها فنًّا عند بعض الشعراء كما عند جرير والفرزدق؛ إذ نرى جريرًا يبكي على الفرزدق ويرثيه بعد موته، لكنها عند بعض الشعراء الآخرين كانت حربًا ضروسًا أقوى من حرب السنان، وقد حملت النقائض الكثير من الافتراءات والاتهامات التي وإن قُبلت فنيًّا فليس من العقل قبول بعضها خُلقيًّا.

---

(١) نفسه، ص٢٤٥.

(٢) إستار: أربعة، وهي معرَّبة من الفارسية، ينظر: ديوان جرير.

(٣) ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٦٨-١٦٩.

المبحث الثاني: إقصاء الآخر في الشعر السياسي.

واجهت دولة بني أمية منذ قيامها الكثير من الثورات والمعارضات التي لم تجعل خلفاءها يهنؤون بالعيش طوال فترة حكمهم التي امتدت من سنة ٤١هـ، وهو عام الجماعة الذي بايع فيه الحسن بن علي معاوية بالخلافة ــ رضي الله عنهم جميعًا ــ حتى سقوط الدولة الأُموية علي أيدي بني العباس سنة ١٣٢هـ، وقد خرجت قوى وفرق معارضة للحكم الأُموي، وهي أحزاب تقاتلت بالسنان واللسان على حد سواء.

وكان للمعارك والحروب الطاحنة التي وقعت في ذلك الزمن كبير الأثر في سل الشعراء سيوف ألسنتهم على خصومهم وإقصائهم دينيًّا وفكريًّا ومجتمعيًّا، ومن أكبر تلك المواقع موقعة الجمل[١]، وموقعة صفّين[٢]، التي أسفرت عن أحزاب ثلاثة: الأمويين، الشيعة، الخوارج، أما حزب الزبيرين فلم يظهر إلا بعد موت يزيد بن معاوية، ولم يدم طويلًا إذ بدأ سنة ٦٣هـ، وخبت ناره بمقتل عبد الله بن الزبير ــ رضي الله عنهما ــ سنة ٧٣هـ، ولكن كان لحزبه في تلك الفترة القصيرة شعراؤه الذين كانوا لسانًا للحزب.

وقد حرصت تلك الأحزاب السياسية على استقطاب الشعراء وإكرامهم؛ لعلمها بمكانتهم بين المجتمع، ولأن الشعر هو المنصة الإعلامية في ذلك الزمن، وكذلك لمعرفة مدى تأثيرهم على الفكر العام؛ فوقف لكل حزب شعراؤه الذين ينافحون عنه، ويسعون لإقصاء غيره من الأحزاب الأخرى؛ " لذا نهض شعراء بني أمية ليجردوا خصومهم السياسيين من كل فضيلة، ويدمغوهم بكل نقيصة في الخلق والسيرة والدين"[٣]، وسعى شعراء الأحزاب المناهضة للنيل من بني أُمية، ومن الأحزاب الأخرى، وقد أحدث ذلك الشعر فُرقةً ونزاعاً كبيرين، وأثرت في الأمن الفكري عند المجتمع، وأصبح الناس لا يأمنون على أنفسهم، ولا على عقولهم حتى من كان محايدًا.

---

(١) وقعت سنة ٣٦هـ.

(٢) وقعت سنة ٣٧هـ.

(٣) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ط١، مصر، القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٨٦م، ص١٤٦.

ومن شعراء الحزب الأموي الذين سعوا لإقصاء خصوم بني أمية الأخطل النصراني الذي قرَّبه عبد الملك بن مروان بسبب موقف قبيلة تغلب النصرانية مع بني أُمية، وقد ثار الأخطل على الأنصار؛ لأنهم ناصروا عليًّا ــ رضي الله عنه ــ وتحامل عليهم في صورة إقصائية مجحفة حينما أقصاهم عن المكارم، وجعلهم أهل زراعة لايُحسنون إلا حمل مساحيهم، ولم يكتفِ بذلك بل وصفهم باللؤم، وجعل اللؤم مجتمعًا تحت عمائمهم، فالشاعر حشد جملة من الألفاظ الإقصائية مثل: خلوا المكارم، لستم، اللؤم... إلخ في إصرار منه على الإبعاد لهؤلاء القوم، وقد آثر الباحث عدم ذكر شيء من تلك الأشعار التي قيلت في الأنصار رضي الله عنهم جميعًا.

والحقيقة أن الأخطل شاعر نصراني معاقر للخمر بذيء اللسان غير مؤمن برسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا يُعتد بقوله في حق الأنصار ــ رضي الله عنهم ــ ويكفيهم فخرًا أنهم ناصروا محمدًا ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه دعا لهم، ولأبنائهم، ولأبناء أبنائهم، أما إقصاءات الشاعر فكانت لأغراض سياسية بحتة، وكان أول من يعلم أنه ليس منصفًا، وأنه مفترٍ بنو أمية أنفسهم.

ومن الإقصاءات الباطلة تلك التهمة التي ألصقها بعض شعراء الحزب الأموي بعلي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ بسبب مقتل عثمان، وهو بريء منها، وقد وقع بعض الشعراء من الصحابة ــ رضي الله عنهم جميعًا ــ في شراك هذه الفتنة، ولا داعي لذكر شيء من تلك الأشعار؛ حفاظا على مكانة الصحابة الذين شرَّفهم الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أجمل ما قيل في شأن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب ــ رضي الله عنهما ــ قول عروة بن الزبير إذا ذُكر مقتل عثمان قال: " كان علي أتقى لله من أن يعين في قتل عثمان، وكان عثمان أتقى لله من أن يعين في قتل علي"[1].

ولكن هذه الإقصاءات أحدثت هزة كبيرة في التفكير الجمعي، وجعلت الناس شيعًا وفِرقًا متناحرة، وكان الشعراء هم من قدح الشرارة التي اشتعلت نارها، ولم

[1] الكامل في اللغة والأدب، المبرد، طبعة المكتبة التجارية ج٢، ص٣٨.

تخمد طوال خلافة علي ــ رضي الله عنه ــ وحكم بني أمية، ويتضح ذلك في قصيدة الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط التي منها قوله[١]:

فــلا تــرجُ عنــد الــواترين مــودةً ولا تــأمنِ اليــوم الــذي أنــت راهبُــه

فقد كان الوليد بن عقبة في تلك القصيدة يحرِّض معاوية على علي _ رضي الله عنهم جميعًا _، ومهما قيل حول هذه الفتنة فإنها لاتنقص من قدر الصحابة _ رضوان الله عليهم جميعًا _ ، وعلى الدارس توخي الحيطة والحذر في ذلك.

وقد سعى بعض الشعراء إلى المبالغة في إقصاء خصومه، وجاءت إقصاءاته شديدة حتى أن الأرض ــ في نظره ــ لا تقبلهم بعد موتهم، وفي ذلك يقول يزيد بن مفرِّغ الحميري يهجو عبيدالله بن زياد بعد مقتله[٢]:

لا تقبــل الأرض موتــاهم إذا قُــبروا وكيــف تقبــل رجــسًا بــين أثــوابِ

فالشاعر الذي بالغ في الإقصاء جعل الأرض تلفظ أجسادهم؛ لأنهم في نظره رجس عندما كانوا أحياءً، محاولًا عن طريق الاستفهام الإنكاري أن يُقنع المتلقي بقبول فكرته الإقصائية.

ومن أساليب الإقصاءات عند الشعراء في تلك الحقبة إجراء المقارنات والموازنات بين الأحزاب، وهي موازنات قائمة على تفضيل حزب الشاعر على خصومه، وغير خاضعة لمقياس معين إلا مقياس الولاء لحزب دون غيره، ومن ذلك قول أبي عطاء السندي[٣] الذي يوالي بني هاشم، ويتشيع لهم:

إن الخيــار من البريــة هاشــمٌ وبنــو أميــة أرذل الأشــرارِ
وبنــو أميــة عودهم مــن خــروع ولهاشــمٍ في المجــد عــود نــضارِ
أما الدعــاة إلــى الجنــان فهــاشمٌ وبنــو أميــة مــن دعــاةِ النــارِ
وبهاشــمٍ زكــت البــلاد وأعشبت وبنــو أميــةَ كالــسراب الجــاري

---

[١] الأغاني لأبي الفرج الصفهاني، ج٥، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٢٢، وروائع الشعر الأُموي، أنس بدوي، وآخرون، لبنان، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٥م، ص٥٣.

[٢] يزيد بن مفرغ الحميري، حياته وشعره، عبد القدوس أبو صالح، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص١٤٨.

[٣] شعراء الدولتين الأُموية والعباسية، حسين عطوان، لبنان، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١م، ص٦٢.

والمتأمل في هذه الأبيات يجد أن كل بيت من هذه الأبيات جاء عبارة عن كفتين إحداهما تمدح بني هاشم، والأخرى تهجو بني أمية؛ فأينما وضع الشاعر اسم بني هاشم مالت الكفة نحو المدح، وأينما وضع بني أمية طاشت الكفة، واتجهت نحو الهجاء، وهي أبيات قامت على لغة التضاد والطباق: الخيار، أراذل، عود خروع، عود نضار، الجِنان، النار، ... إلخ.

وقد حشد الشاعر جملة من الألفاظ الإقصائية؛ ليُبعد بني أمية عن كل خيرية وفضيلة، وليس من المعقول أن بني أمية جميعهم أراذل وأشرار، وليسوا جميعهم دعاة فسق وضلال، وإنما هم بشر كأي بشر منهم المحسن ومنهم المسيء، والسابق بالخيرات، والمقتصد، والظالم لنفسه، بل بعضهم صَحِب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكن الشاعر تحامل عليهم تحاملًا كبيرًا، ولاشك أن الموجة السياسية في ذلك الزمن كان لها كبير الأثر في توجيه التفكير.

ومن أعتى الأحزاب في ذلك العصر حزب الخوارج الذين عُرفوا بالفتك وقوة البأس، وقد ثاروا على جميع الأحزاب التي عاصرتهم، وأولهم بنو أمية، يقول عمران بن حطان هاجيًا لهم[1]:

يا للرجال لداءٍ لا دواء له وقائدٍ ذي عمى يقتاد عميانا

فقد عمد إلى إقصاء الرعية والراعي عن البصيرة، ووصفهم بالعمى، ولا شك أن السبب الذي دفع الشاعر إلى هذا القول دافع سياسي استقاه الشاعر من أفكار حزبه الذي خرج على الأمه، وامتد فكره السيء حتى أيامنا هذه؛ لأن الخوارج حزب مارق يرى أن قتل طوائف المسلمين جهادًا.

وهذا قطري بن الفجاءة أحد شعراء وفرسان الخوارج الذين عُرفوا بالفتك والقوة والجبروت يُقصي خصومه ويخرجهم من دائرة الإسلام، ويعدهم كفَّارًا، ويصف النصر عليهم، واستباحة حريمهم؛ فيقول[2]:

فلو شهِدَتْنَا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريمِ

---

(١) في الشعر الأموي، قراءة في الإبداع، ونقد الإبداع، محمد العزب، ط١، المنصورة، دار والي، ص١١٥.

(٢) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، أحمد الشايب، لبنان، بيروت، دار القلم، ١٩٧٦م، ص٢١٧.

وهذا الإقصاء بلغ بالشاعر الخارجي أن يفخر باستباحة حريم أولئك المسلمين الذين يراهم كفَّارًا، وما ذلك إلا لمخالفتهم لحزبه وفكره، والخوارج أنفسهم لم يبقوا على تفكير واحد بل تفرقوا فكانوا فرقًا وشيعًا(١)، وترى بعض فرقهم أن من يخالفهم كافرًا، وترى بعض فرقهم أن من يخالفهم مشركًا، وهذا الفكر أثر في الأجيال اللاحقة وانتشر؛ خاصةً أنهم تفرقوا في الأرض، ولا زالت الأمة تعيش ويلات هذا الفكر الضال منذ خروجهم على علي ـ رضي الله عليه ـ إثر حصول الاتفاق على التحكيم بين علي، ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ سنة ٣٧ للهجرة، وقد وقف الشعر إلى جانب هذا الفكر يشعل النار، ويؤجج نار العداوة، وإن كان فكر الأحزاب السياسية الأخرى قد انتهى بنهاية أصحابها، أوضعف فإن فكر حزب الخوارج لازال مستمرًا؛ " فقد ورد أنهم لايزالوا يخرجون حتى زمن الدجال كلما قطع منهم قرن ظهر آخر، ويبدو أن خروجهم يكون في أوقات الفتنة أو الفرقة"(٢).

ويُعد هذا الفن ـ عند الخوارج ـ فنًّا طائفيًّا مذهبيًّا أكثر من الأحزاب الأخرى؛ لأن الخوارج اختلفوا مع علي ـ رضي الله عنه حول تفسير قوله تعالى: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " سورة الحجرات، أية: ٩.

فقالوا: إن الله قال: فقاتلوا، ولم يقل: حاكمهم، وهم البغاة(٣) منكرين بذلك على علي ـ رضي الله عنه ـ قبول التحكيم.

وكان كل حزب من الأحزاب في ذلك العصر يرى أنه على حق، وأن غيره خارج مارق عن منهج الأمة؛ فيسعى لإقصائه، وفي ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات

(١) فرق الخوارج: المُحكِّمة، الأزارقة، النجدات، الصَّفريَّة، الإبَّاضية.

(٢) المختصر في الأديان والفرق، عيسى بن عبد الله السعدي، دار الأوراق الثقافية، ط٢، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص١٦.

(٣) ينظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، (الخوارج والشيعة)، أحمد محمد جلي، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٣.

شاعر حزب عبد الله بن الزبير في شأن حزب الخوارج ، وهم العدو الثاني لحزب عبد الله بن الزبير بعد الحزب الأموي العدو الأول [١]:

إذا نحن شيئنا صادفتنا عصابةٌ حروريةٌ أضحت من الدين مارقةْ

فابن الرقيات أقصاهم من الدين، وإن كان الخوارج مارقين حقًّا فإن الشاعر أقصاهم لخروجهم على حزبه الذي يواليه؛ لسبب سياسي بالدرجة الأولى.

وختامًا فإن الشعر السياسي كانت له بعض الجذور في العصر الجاهلي وقد " انعكس على معلقتين هامتين من السبع المعلقات، يتمثل ذلك في علاقة بكر وتغلب بعمرو بن هند ملك الحيرة، فقد قام الحارث بن حلزة البكري، وعمرو بن كلثوم التغلبي بدور هام عن قبيلتيهما أمام الملك من أجل كسب وده"[٢] ولكن الشعر السياسي لم يستوِ فنًّا له خصائصه إلا في عهد بني أُمية بعد تعدد الأحزاب السياسية، ويُعد هذا الفن من الفنون التي أثرت في تفكير الأمة؛ بسبب ما صحبه من التوجهات والمعتقدات المذهبية والطائفية التي لا زال خطر بعضها يحيط بالأمة، وينخر في جسدها بين الحين والآخر.

وقد كان الشعر السياسي في تلك الفترة سببًا في انحراف كثير من الناس عن الوسطية والاعتدال في الجوانب الدينية والسياسية، وقد قاد كثيرًا منهم إلى التنطع والغلو والتكفير، وقد سفكت دماء، وأُزهقت أرواح وربما كان سببها قصيدة شاعر أو تأييد شاعر لرأي متعصب أو تفكير منحرف.

---

(١) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، ص١٦٢.

(٢) في الأدب العربي القديم، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، المجلد الأول، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٢٩.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، وطرحت بعض التوصيات التي يرى الباحث أنها جديرة بالعناية.

أولًا: النتائج:

- كانت فترة حكم بني أُمية فترة مضطربة فكريًّا وسياسيًّا؛ وكان للشعراء دور كبير في إذكاء نار الفتنة والطائفية.
- تُعد النقائض الشعرية أداة جدلية، وصراع أدبي فكري قوي في زمنه زاد من حدة الخلاف وشدة النزاع الحزبي والقبلي بين الأطراف المتنازعة، وقد امتدت آثار هذا الفكر إلى ما بعده من الأزمنة، وكانت هي النواة الأولى للشعر السياسي.
- بالغ الشعراء في ازدراء خصومهم، وتجاوزوا الحد في ذلك؛ مما شكل صورتين ذهنيتين في تفكير المتلقي؛ إحداهما: سوء المهجو، والثانية: قلة ورع الهاجي.
- صحب أساليب الإقصاءات التي انتهجها الشعراء في شعر النقائض أساليب أخرى كان من أبرزها التندر والشتم الذي بلغ درجة العبث.
- امتاز كلٌ من جرير والفرزدق والأخطل في إقصاءاتهم بقوة الحجة، وقوة الإقناع بخلاف غيرهم من الشعراء الذين يُعدون درجة ثانية في شعر النقائض.
- أججت النقائض نار الفتنة بين القبائل، وأصبح الشاعر كمن وقع بين المطرقة والسندان فمن جهة خصمه، ومن جهة أخرى قبيلته التي تنظر إليه هل ينصرها أو يكون سببًا في هزيمتها، وقصائها.
- ركز الشعراء في الشعر السياسي على المنطلقات العقدية والفكرية للأحزاب السياسية المتصارعة في العصر الأموي.
- جاءت لغة الشعر السياسي لغة مباشرة؛ لغاية الإقناع، والتاثير المباشر في التفكير الجمعي.
- كان الشعر سجلًّا حاملًا لملامح الفكر الذي تدعو إليه الأحزاب المتصارعة على البقاء.
- سعى شعراء كل حزب لتقديم حزبهم وإثبات أنه الحزب المُختار، أو حزب الفرقة الناجية، وحشدوا كثيرًا من الحجج والبراهين التي أثرت في تفكير بعض شرائح المجتمع.

- لم يقف شعراء الأحزاب المُعارضة لبني أمية في وجه حزب بني أمية الحاكم؛ بل وقفوا في وجوه جميع الأحزاب الأخرى، ويتضح ذلك جليًّا في موقف حزب العلويين (الشيعة) من حزب الخوارج، وكذلك موقف الزبيريين من الخوارج.
- أحدث الشعر السياسي خللًا في التفكير في ذلك الزمن، وكان من نتائجه حدوث انحرافات فكرية وعقدية وأخلاقية وثقافية وأمنية، ولا زال تفكير بعضها يتجدد بين الحين والآخر.
- يتداخل الشعر السياسي مع شعر النقائض في بعض المعاني؛ إذ يعمد شعراء كل حزب إلى تسويق أفكارهم، ونقض حجج خصومهم من الأحزاب الأخرى، ونبذ أفكارهم، وتنحو النقائض في بعض الأحيان منحى سياسيًا كما حصل بين جرير والأخطل؛ حيث كان الأخطل يؤلِّب الدولة على القيسيين، ويشيد بمواقف قبيلة تغلب النصرانية مع بني أُمية؛ الأمر الذي جعل بني أمية يجعلون الأخطل النصراني شاعر البلاط رغم وجود شعراء مسلمين.
- يلتقي كل من النقائض والشعر السياسي في معنى الصراع، وتميل النقائض إلى الصراع الأدبي بينما يميل الشعر السياسي إلى الصراع السياسي.
- الشعر حرب كلامية قد تؤثر في التفكير، وتكون سببًا في نشوب حرب حقيقة ينتج عنها سفك دماء، وإزهاق أرواح، واضطراب أمني وفكري.

ثانيًا التوصيات:

- توصي الدراسة بضرورة إجراء المزيد من الدراسات النقدية حول النقائض الشعرية، والشعر السياسي، وتجاوز الدرسات التاريخية والفنية إلى الدراسات المقارنة بين هذين الفنَّين.
- كما توصي الدراسة بتوخى الحذر الشديد في التعامل مع النصوص الشعرية التي قالها الصحابة الأخيار ـ رضوان الله عليهم ـ في تلك الفترة المضطربة، أو قيلت في حقهم؛ لما لها من حساسية دينية.

ثبت المصادر والمراجع

- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ط١، مصر، القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٨٦م.
- الأغاني لأبي الفرج الصفهاني، ج٥، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.
- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، أحمد الشايب، لبنان، بيروت، دار القلم، ١٩٧٦م.
- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، (الخوارج والشيعة)، أحمد محمد جلي، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر.
- ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر، ج٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- روائع الشعر الأُموي، أنس بدوي، وآخرون، لبنان، بيروت، دا\ار المعرفة، ٢٠٠٥م.
- السياسة بين الأمم، هانز مورجنتاو، ترجمة: خيري حمّاد، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة ١٩٧٥م.
- شعراء الدولتين الأُموية والعباسية، حسين عطوان، لبنان، بيروت، دار الجيل، ١٩٨١م.
- الصحاح، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
- العصبية القبلية، وأثرها في الشعر الأُموي، إحسان النص، درا الفكر، ط٢، ١٩٧٣م.
- في الأدب العربي القديم، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، المجلد الأول، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- في الشعر الأموي، قراءة في الإبداع، ونقد الإبداع، محمد العزب، ط١، المنصورة، دار والي.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، طبعة المكتبة التجارية ج٢.
- كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، تأليف أبي عبيدة بن المثنى التَّيمي البصري، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، لبنان، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م.
- مبادئ العلوم السياسية، مجموعة من أساتذة الاقتصاد والعلوم السياسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م.

- المختصر في الأديان والفرق، عيسى بن عبد الله السعدي، دار الأوراق الثقافية، ط٢، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام هـــــــــارون، دار الجيل - بيروت، م٤، (د. ط).
- يزيد بن مفرغ الحميري، حياته وشعره، عبد القدوس أبو صالح، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.

الرسائل الجامعية

- الموضوعاتية في شعر النقائض، أشعار جرير والفرزدق – أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٦م، برقية بلال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

د. فلاح بن مرشد بن خلف العتيبي
الأستاذ المشارك في الأدب والنقد
جامعة الباحة
كلية العلوم والآداب بالمخواة
قسم اللغة العربية

المنظوم من معاني كلام رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم- على لسان الشعراء (كتاب جامع بيان العلم وفضله ، لأبي عمر، يوسف ابن عبد البر ت: ٤٦٣هـ أنموذجًا).

الباحثة/ إسراء محمد محمود الجبالي
باحثة دراسات عليا- كلية الآداب- جامعة دمنهور

الملخص:

في هذا البحث أسعى إلى الوقوف على المنظوم من كلام سيد الخلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم- على لسان الشعراء في كتاب جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف ابن عبد البر (ت: ٤٦٢هـ)، وإنَّ نظم المنثور من كلام رسول الله- عليه الصلاة والسلام- واقع ومستعمل في اللغة، إذ أنَّه لا يوجد معنى من المعاني إلّا ومتاحٌ نقله من النثر إلى النظم أو العكس، ولذلك أثره في صناعة الكلام وإثراء الفكر، وإن من يقوم بعملية نقل المعاني من النظم إلى النثر، يحتاج إلى بعض الآلات،والإمكانات لكي يقوم بتلك الصناعة، وحتى يستحقَّ ما ينظم اسم النَّظم، وإنَّني قد وجدت في كتاب جامع بيان العلم وفضله، بعض ما نظمه الشعراء من منثور رسول الله - صلى الله عليه وسلم- . ومن هذا المنظوم ما يدخل في باب العَقد– أي نظم المنثور- ، ومنه ما ليس من العقد في شيء.

وبناءً على ما سبق فإنَّني أحاول أن أجيب عن بعض الأسئلة من خلال هذا البحث المتواضع، وهي: هل يمكن نقل المعاني من المنثور إلى المنظوم؟ وهل يمكن نقل معاني كلام رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم- ونظمها شعرًا أو عقْدِ كلامه - صلَّى الله عليه وسلم- ونقله إلى النظم؟ وما هي شرائط ذلك حتى يستحق ما ينظم اسم النظم أخذًا عن المنثور؟ والسؤال الذي أراه مهمًا أيضًا؟ هل عملية نقل معاني كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم- تُعَدَّ من السرقات؟. وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقني في الإجابة على هذه الأسئلة، وتحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث، وهو نعم المولى ونعم النصير.

Research Summary:

In this search, I seek to capture the order of creator. From the poets of the catechism of science of Omar Yousef of AbdulBir(Date 46 2 H)

Scattered systems are the words of god's messenger. It is used in the language, since there is no meaning except that it can be transcribed from systems to systems or vice versa, and there fore it has influenced the speech industry and enriched thought. Whoever transforms meaning from systems to systems needs some tools and resources to make this industry and even deserve what regulates the name of the systems. I found some.

So I try to answer a few questions from this humbles search:

Can our suffering be transmitted from dispersed to the system?

Could the meaning and organization of the word of god's messenger be transplanted by poetry or by contract of speech

y and into systems? And. What are the topes so that what regulates the systems name deserves to be taken for granted? And the question I see is important too? You transcribe the meaning of the word of god's messenger.

You're a burglar? I ask god and almighty to grant me permission to answer these questions and to pursue the goals of search, namely, the yes of the lord and the yes of the champion.

المقدِّمة:

إنَّ عملية نقل المعاني في اللغة العربية بشكلٍ عام واقعة؛ فيُنقل المعنى من المنثور إلى المنظوم، والعكس، ولهذا أثرٌ بارز في صناعة الكلام وإثراءالفكر، من خلال وجود تراكيب جديدة واستعمالات مختلفة تُسبك فيها الألفاظ على معانيها. وإنَّ بذل الجهد، وإعمال العقل في صناعة النظم والنثر يفتح المجال للابتكار والإبداع في الإجادة في تلك الصناعة.

وإنَّ من وجوه نقل المعاني الواقعة في الكلام، نقل معاني كلام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى النظم. وإنّ الشعراء عندما يتوجهون إلى نقل أو نظم معاني كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وتناولها؛ فإنَّ ذلك لأنَّ كلامه- صلَّى الله عليه وسلم- أفضل الكلام الذي زكاه ربه تبارك وتعالى،وقد نُزِّه عن التكلُّف، وجَلّ عن الصنعة، ومعانيه خير المعاني، وألطفها، وأنفعها.

وفي هذا البحث أتحدَّث عن المنظوم من معاني كلام رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم- على لسان الشعراء في كتاب جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر، يوسف ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، فإنَّني حين نظرت في صفحات هذا الكتاب الجليلقد وجدتُ أنَّ مؤلفه قد نصَّ وأثبت بعضًامما أخذه الشعراء أو نظموه من منثور كلام رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم- ، ولا يقوم بذلك إلّا من يكون لديه رصيد كبير من الاطلاع على دواوين الأدب، ومعرفتها، وحفظ الكثير عن الشعراء الذين أجادوا في النظم وبرعوا فيه.

وبناءً على ما سبق فإنه يوجد عدد من الأهداف التي أجتهد في توضيحها من خلال هذا البحث المتواضع، ومنها:

١- الإشارة إلى أثر عملية نقل المعاني في صناعة الكلام والفكر.

٢- تتبع ما نظمه الشعراء من منثور كلام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على نحو ما أثبته ونصَ عليه ابن عبد البر في كتابه، بقوله: أخذه أو نظمه بعض الشعراء أو من صرَّح بذكر أسمائهم.

٣- معرفة ما يدخل مما نقل معناه من منثور كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في باب العَقْد، أم ما ليس منه في شيء.

٤- معرفة ما إذا كانت عملية نقل المعاني تلك من السرقات أم لا؟.

- **منهج البحث:** المنهج المعتمد هو المنهج الاستقرائي، مع الاستعانة الجزئية بالمناهج الأخرى مثل: التاريخي والتحليلي.

- **خطة البحث:**

- **المقدمة:**وفيها الإشارة إلى فكرة البحث وأهدافه، ومنهجه وخطته.

٢٧- **التمهيد:**ويشتمل على ثلاثة مطالب:

٢٨- **المطلب الأول:** التعريف بابن عبد البر [٣٦٨ - ٤٦٣ هـ / ٩٧٨ - ١٠٧١م] وكتابه.

٢٩- **المطلب الثاني:** التعريف بالمنظوم، وما يحتاجه من نقل المعاني من النظم إلى النثر.

٣٠- **المبحث الأول:**

٣١- **المنظوم من كلام رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - ويدخل في باب العَقْد، ويحتوى على مطلبين:**

٣٢- **المطلب الأول:** عن كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونقله إلى المنظوم.

٣٣- **المطلب الثاني:** تعريف العَقْد في اللغة والاصطلاح.

٣٤- **المطلب الثالث:**ما عقده الشعراء من الحديث النبوي على نحو ما أثبته ابن عبد البر.

٣٥- **المبحث الثاني:**

٣٦- المنظوم من كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وليس من العَقْد في شيء.

٣٧- **ثم الخاتمة**، وأذكر فيها النتائج التى توصَّلت إليها من خلال البحث.

٣٨- **وأخيرًا**:قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في بحثي هذا.

التمهيد:

٣٩- **المطلب الأول: التعريف بابن عبد البر [٣٦٨ - ٤٦٣ هـ / ٩٧٨ - ١٠٧١ م][(١)] وكتابه:**

٤٠- أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي القاضي، المعروف بابن عبد البر.

٤١- وُلِدَ بقرطبة سنة ثمان وستين وثلاثمئة من الهجرة، وتوفي بشاطبة سنة ثلاث وستين وأربعمئة من الهجرة.

٤٢- كان عالمًا فاضلًا،فقيهًا متقنًا، محدِّثًا بارعًا، مصنِّفًا معانًا متفنِّنًا،أديبًا بارعًا،ناظمًا مجيدًا.

٤٣- أخذ العلم عن والده عبد الله بن محمد الفقيه المعروف ، وعبد الرحمن ابن خالد الوهْراني، وأبي عمر أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوي، وأبي الوليد بن الفَرَضِي الحافظ، وأبي عمر الطّلمنكي، وأحمد بن القاسم التاهرتي، وغيرهم.

٤٤- رحل عن قرطبة في الفتنة، فجال في غرب الأندلس مدة، ثم تحول إلى شرقيها، وسكن دانية من بلادها، وبلنسية و شاطبة في أوقات مختلفة. واشتهر، فرحل إليه الناس وسمعوا منه. ثم لحق ببلاط بني الأفطس ببطليوس، وعينه الملك المظفر بن الأفطس قاضيًا لأشبونة، ثم شنترين، ثم توفى بشاطبة.

٤٥- **من تلامذته:** أبو عبد الله الحميدي، وأبو محمد بن حزم، وأبوعلي الحسين ابن محمد الغساني الجيّاني، وأبو بحر سفيان بن العاص، ومحمد بن فتوح الأنصاري، وأبو الحسن بن مُغَوِّز، وغيرهم.

---

(١) ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي: ١٨/ ١٥٣- ١٦٣، الأعلام خير الدين الزركلي: ٢٤٠/٨، ٢٤١، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، د. قاسم علي سعد: ١٣٨٧/٣، ١٣٨٨، ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض:٧٤٦/٢، ٧٤٧.

٤٦- وقال أبو محمد ابن حَزْم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثلَه فكيف أحسن منه؟"[١]. وقال القاضي عياض (ت:٥٤٤هـ):"شيخ علماء الأندلس، وكبير محدّثيها في وقته، وأحفظ من كان بها لسنة مأثورة"[٢].

مصنَّفاته:

له العديد من التصانيف النافعة الجليلة التي تدلُّ على توسُّعه في العلوم المختلفة، ومنها: كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، وكتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، وكتاب الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء:مالك والشافعي وأبي حنيفة، وكتاب الكافي في الفقه، وغير ذلك من التصانيف الفائقة.

التعريف بالكتاب وسبب اختياره :

موضوع الكتاب يدور حول العلم وفضله وحَمْدِ السعي فيه، والعناية به، كما يدلَّ على ذلك العنوان، وقد ذكر فيه ابن عبد البر آداب التعلم، وما يلزم العالم والمتعلم التخلق به، والمواظبة عليه، والمراحل التي يمر بها طالب العلم، وما يحتاجه من علومٍ أساسية ؛ لتعينه على فهم كتاب الله عزَّ وعلا، وكلام رسوله –صلَّى الله عليه وسلم- ، يضاف إلى ذلك ما نقله ابن عبد البر في كثير من الأبواب من الأشعار، والأخبار، وأقوال الحكماء والبلغاء، ملتزمًا في نقولاته بالرواية على طريقة المحدِّثين، ولا يقف الأمر عند ذلك، وإنَّما نجده في كثير من المواضع ناقدًا وشارحًا ومستنبطًا القواعد من النصوص، وعلى الرغم من أنَّ الكتاب يدخل في الآداب الشرعية والتربويَّة إلَّا أنَّه اشتمل في تضاعيفه على نقولات كثيرة ومادة أصيلة في العلم وفروعه وآدابه، وكذلك اشتمل على ما يناهز ثلاثمئة ترجمة لبعض الشعراء والأدباء، وغيرهم.

أمَّا عن صاحب الكتاب فكان مصنِّفًا، بارعًا، موفقًا، واسع العلم، كثير التأليف، ذا بصر في المعاني، جيد الحفظ، قال القاضي أبو الوليد الباجي:" لم يكن

---

[١] سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي: ١٨/١٥٨.

[٢] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى: ٨/١٢٧.

بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب"[(١)]، وقال شمس الدين الذهبي (ت:٧٤٨هـ):" كان إمامًا دينًا، ثقة، متقنًا، علَّامة، متبحِّرًا، صاحب سنة واتباع...، ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن..." [(٢)]. وغيرهم من العلماء الذين قالوا في حقِّ هذا العالم الكثير والكثير.

وعلى ذلك فنحن أمام كتاب اشتمل على الكثير من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على حسب ما جاء من أبواب هذا الكتاب، وكذلك أمام عالم مجيد، ومحدِّثٍ متقِنٍ، يغوص على استخراج المعاني، ويستدل عليها بالأحاديث النبوية الشريفة والأشعار والمأثور من كلام الحكماء والبلغاء؛ فهذا كان دافعًا إلى اختيار هذا الكتاب- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)- ؛ ليكون مجالًا للبحث عن المنظوم من كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ومعرفة ما يدخل منه باب العقد، وما ليس منه في شيء.

المطلب الثاني: التعريف بالمنظوم، وما يحتاجه من نقل المعاني من النظم إلى النثر:

أولًا: تعريف المنظوم:

- **في اللغة:**

قال الفيْروزآبَادي (ت: ٨١٧هـ):"النَّظْمُ: التأليفُ، وضَمُّ شيء إلى شيءٍ آخَرَ، والمَنْظُومُ.."[(٣)]، إذًا المعنى اللغوي يدو حول الضم والجمع لما كان متفرِّقًا،حتى يمثِّل شيئًا واحدًا مُؤلّفًا.

- **أما في الاصطلاح :**

فقد قال: قال أبو البقاء الكفوي (ت:١٠٩٤هـ):": ضم بعض ذَلِك إِلَى بعض ضمًا لَهُ مبادٍ ومقاطع ومداخل ومخارج، يُقَال لَهُ: المنظوم"[(٤)].وقيل:"المنظوم: هو الكلام المقفَّى الموزون بأوزان مخصوصة"[(٥)].

---

(١) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم ابن بشكوال: ص٦٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٥٧/١٨.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ص١١٦٢.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ص٢٨٨.

(٥) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم الهاشمي: ٤٠/١.

- **ثانيًا: آلات تأليف النّظم:**

إنَّ القيام بعملية النظم بشكل عام، تحتاج إلى إمكانات وآلات؛ حتى يستحقَّ ما ينظم اسم النَّظم، قال أبو الفتح محمد الجزري، المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ): "اعلم أن صناعة تأليف الكلام، من المنثور والمنظوم، تحتاج إلى أسباب كثيرة، وآلات جمة، وذلك بعد أن يركب الله تعالى في الإنسان الطبع القابل لذلك، المجيب إليه، فإنه متى لم يكن ثم طبع لم تفد تلك الآلات شيئًا البتة....، وتنحصر آلات التأليف في قسمين: **(الأول) يشترك فيه النظم والنثر**. وهو سبعة أنواع: **(الأول)** معرفة علم العربية من النحو والتصريف والإدغام. **(الثاني)**معرفة ما يحتاج إليه من اللغة. **(الثالث)** معرفة أمثال العرب وأيامهم. **(الرابع)** الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة، المنظوم منها والمنثور، والتحفظ للكثير من ذلك. **(الخامس)** معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة والفضاء وغير ذلك. **(السادس)** حفظ القرآن الكريم والممارسة لغرائبه، والخوض في بحور عجائبه. **(السابع)** حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم.

وأما القسم الثاني فإنه **يخص النظم** دون النثر، وذلك علم العروض والقوافي، الذي يقام به ميزان الشعر"[(١)]. فمما سبق نلاحظ أنَّ النظم صناعة تحتاج إلى آلات جمة، ومعرفة علوم مختلفة، من خلالها يتحقق النظم.فليس الأمر سهلًا ميسورًا، وإن الأساس الذي يُبنى عليه ولا يُستغنى عنه،هو الطبع القابل لذلك، المجيب إليه. ثم يُتفاضل في مستوى معرفة تلك العلوم والتحصيل فيها، فربما لا يمتلك بعض من ينظم الشعر معرفة الأحكام السلطانية في الإمامة والإمارة والفضاء وغير ذلك؛ لكنه يستطيع نظم الشعر، فالأساس المهارة والملكة أو ما سمَّاه ابن الأثير الطبع القابل لذلك، المجيب إليه الذي يركبه الله تبارك وتعالى في الإنسان.

(١) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ص٦- ٢٠.

المبحث الأول: المنظوم من كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ويدخل في باب العَقْد:

المطلب الأول: عن كلام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ونقله إلى المنظوم:

إنَّ الله تبارك وتعالى قد زكى نطْقَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال سبحانه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى❖ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) [النجم٣- ٤]، فليس بعدّ هذا الفضل فضل، فلذلك كان - صلى الله عليه وسلم- أفصح العرب لسانًا، وأبينهم لهجة، وقال القاضي عياض (ت:٥٤٤هـ) :"وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول فقد كان- –صلى الله عليه وسلم- من ذلك بالمَحَلِّ الأفضل، والموضع الذى لا يُجهل سَلاسةَ طبْعٍ، وبراعةَ منزع، وإيجازَ مقْطَعٍ، ونصاعةَ لفظٍ، وجزالة قولٍ، وصحة معانٍ، وقلَّةَ تكلُّفٍ. أُوتي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع الحِكَمِ، وعلم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويُباريها في مَنْزَعِ بلاغتها، حتى كان كثيرٌ من أصحابه يسألونه في غير موطنٍ عن شرح كلامه وتفسير قوْلِه"[1]. فكلامِ رسول الله– صلى الله عليه وسلم- منزَّه عن التكلُّف، بعيدٌ عن الغرابة، معهود حدوثه، لذلك فمعانيه خير المعاني وأوفاها، قال السَّري بن الرفاء (ت: ٣٦٢هـ):"وخير المعاني ما وُجد كائنًا وقوعه ومعهودًا حدوثه"[2].

وعن لغته وفصاحته- صلى الله عليه وسلم- أيَضًا، قال أبو العباس، أحمد بن محمد الجرجاني (ت: ٤٨٢هـ) :" جعل لغته- صلى الله عليه وسلم- أحسن اللغات وأفصحها، وعبارته أبينَ العبارات وأوضحها، فأنزل بها القرآن العربي، وأنار بها المعجز النبوي"[3]. والكلام عن كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لا ينفَد، ولا يُملَّ ، لكن في الإشارة ما يغني عن العبارة.

وقد صنَّف بعض أهل العلم في هذا الباب كتبًا ظهر فيها التَّوسع في نظم كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الله عليه وسلم، ومنها:

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض:١/ ٧٠.

(٢) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: ١/ ٢١.

(٣) كنايات الأدباء وإشارات البلغاء: ص٣٣.

- الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٤٥هـ)، فكان يسوق في كتابه الحديث ثم ينظمه.

- الازدهار في ما عقده الشعراء من الحديث والآثار، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، قال في مقدمته: هذا جزء جمعت فيه الأشعار التي عُقد فيها شيء من الأحاديث والآثار، سميته بالازدهار. وله فوائد: **منها الاستدلال به على شهرة الحديث في الصدر الأول وصحتها**، وقد وقع ذلك لجماعة من المحدّثين. **ومنها إيراده في مجالس الإملاء**. ومنها **الاستشهاد به في فن البديع: في أنواع العقد والاقتباس والانسجام.**

- جزء فيه المنظوم والمنثور من الحديث النبوي، لأبي الحسين، عفيف بن محمد الخطيب البوشنجي (ق٥هـ)، قال محقق الكتاب: قد جمع فيه حديثه ثم نظمه شعرًا، ولم يلتزم في هذه الأحاديث نهجًا معيَّنًا باختياه لها، وليست هي مرتبة على أبواب معيَّنة[1]).

- أربعون حديثًا في فضل العلم الشريف، لأحمد بن محمد المنصوري، قال في مقدِّمته:" وقرنت بكل حديث شعرين من الأشعار، التي هي خيار الخيار، من منشئات الأخيار، ليكونا شاهدين على لفظه، وقائدين إلى حفظه..."[2]).

المطلب الثاني: تعريف العقْد:

في اللغة:

قال أبو جعفر الطَّبري (ت: ٣١٠هـ):" وأصلالعقدعقد الشيء بغيره، وهو وصله به، كما يعقد الحبل بالحبلِ، إذا وصل به شدًّا. يقال منه:"عقد فلان بينه وبين فلان عقدًا..."[3])؛ وقال السَّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ):" وأصل العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء. ثم يستعمل

(١) ينظر: جزء فيه المنظوم والمنثور من الحديث النبوي، لأبي الحسين البوشنجي: ص٥- ٧.

(٢) السابق نفسه: ص٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ٤٥١/٩.

للمعاني نحو عقد البيع والعهد والنكاح وغيرها"[١].وقال محمد بن علي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ):" بالفتح وسكون القاف في الأصل الجمع بين أطراف الجسم"[٢].إذًا فالمعنى اللغوي يدور حول الجمع بين أطراف الشيء لينتظمَ على حالة واحدة.

أمَّا في الاصطلاح:

فقد قال إبراهيم ابن عربشاه(ت:٩٤٣هـ):" أما العقد: فهو أن ينظم نثر، لا على طريق الاقتباس[٣].وقال صدر الدين ابن معصوم(ت: ١١٢٠هـ):"أن يعمد الشاعر إلى من كلام الله، أو كلام رسوله، أوالسلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم، أو كلام الحكماء المشهورين؛ فينظمه بلفظه ومعناه، أو معظم اللفظ فيزيد فيه، وينقص منه ليدخل في وزن الشعر، فإن نظم المعنى دون اللفظ لم يكن عقدًا، بل نوعًا من السرقة، خلافًا لمن أدخله في العقد"[٤]. ومن خلال كلام ابن معصوم يتبيَّن إشارته إلى أنَّ العقد أساسه نظم المنثور كله بلفظه ومعناه، أو معظم اللفظ إذ أن بعض التغيير بسبب الوزن لا مانع ، لكن يكون التغيير قليلًا بحيث تظهر، وتتضح صورة اللفظ في المنظوم.

المطلب الثالث: ما عقده الشعراء من الحديث النبوي على نحو ما أثبته ابن عبد البر:

في هذا المطلب سأقف على ما أورده ابن عبد البر في كتابه«جامع بيان العلم وفضله»، مما عقده الشعراء من كلام رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَم- ، أي: ما نقله الشعراء بلفظه ومعناه من المنثور من كلام رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم- إلى المنظوم، كما أثبته ونصَّ عليه ابن عبد البر، وذلك على النحو الآتي:

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٣/١٠٤.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:

(٣) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١/١٢٧.

(٤) أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين ابن معصوم: ٦/٢٩٦. وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي التهانوي:٢/١١٩٢.

- في باب[جامع القول في العمل بالعلم] ...، فصل من هذ الباب: [في كسب طالب العلم المالَ وما يكفيه من ذلك].
- الحديث الوارد:عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- :«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»(1).

معناه: قال أبو الحسن ابن بطال (ت: ٤٤٩هـ):"يريد ليس حقيقة الغنى عن كثرة متاع الدنيا؛ لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه فى المال يكون فقير النفس لا يقنع بما أعطى فهو يجتهد دائبًا فى الزيادة، ولا يبالى من أين يأتيه، فكأنه فقير من المال؛ لشدة شرهه، وحرصه على الجمع، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، الذى استغنى صاحبه بالقليل، وقنع به، ولم يحرص على الزيادة فيه، ولا ألحّ فى الطلب، فكأنه غني واجد أبدًا، وغنى النفس هو باب الرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمره، علم أن ما عند الله خير للأبرار، وفي قضائه لأوليائه الأخيار"(2).

أمَّا عن نقله معنى الحديث إلى النَّظم، فقد قال أبو عمر ابن عبد البر:" ولقدْ أحْسَنَ عثْمَانُ بنُ سَعْدَانَ المَوْصِلِيُّ في نظْمِهِ معْنَى هذا الحديثِ حيْثُ يقول:[الطويل]

تَقَنَّعْ بِمَا يَكْفِيكَ وَاسْتَعْمَلِ الرِّضَا فَإِنَّكَ لَا تَـــــدْرِي أَتُصْبِحُ أَمْ تُمْسِي
فَلَيْسَ الْغِنَى عَـــنْ كَثْرَةِ الْمَـــالِ إِنَّمَا يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ

وأخذهُ الخَليل بن أحمد أيضًا فقال في جوابه سُليمان بن حبيب بن المُهَلَّب: [البسيط]

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ وفِي غِنًى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالِ
سَخِيٌّ بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هَزْلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالِ
الرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لَا الْعَجْزُ يَنْقُصُهُ وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلُ مُحْتَالِ

وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ تَعْرِفُهُ كَذَا يَكُونُ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ(3).

---

(١) حديث صحيح الإسناد ينظر: مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم ٧٣١٦: ١٢/٢٦٧.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال:١٠/١٦٥.

(٣) جامع بيان العلم وفضله:١/ ٧٤٢- ٧٤٤.

التعليق:

عند التدقيق في المنظوم، يلاحظ أن صورة لفظ الحديث ومعناه واضحة في نظم عثْمَانُ بنُ سَعْدَانَ المَوْصِلِيُّ، فمن«**ليس الغنى عن كثرة العَرَض**» إلى«**ليس الغنى عن كثرة المال**»، فأرى أنَّ هذا من باب العَقد،بحيث إذا قريء أو سُمع الحديث علِمَ أنَّه منه، من خلال نظم اللفظ ومعناه كله أو معظمه.

وعند النّظر إلى نظم الخليل بن أحمد، تظهر أيضًا صورة لفظ الحديث فمن «**الغنى غنى النفس**» إلى «**الغنى في النَّفس**»، وأرى أيضًا هذا من باب العقْد؛ فالشاعر غيَّر من لفظِ الحديث ، لكنَّه أتى بمعظمه، وصورة اللفظ ومعناه واضحة في النظم.

وإنّني حين طالعت هذا الكتاب – جامع بيان العلم وفضله- ووجدت فيه ما يدل على نظم المنثور من كلام رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – على لسان الشعراء، لم أرجِّح غير هذا المثال ليدخل في باب العَقد، ويقترب كثيرًا من شروطهالتي يتفق فيها الجمهور من البلاغيين على نحو ما سبق ذكره.

المبحث الثاني: المنظوم من كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وليس من العَقْد في شيء:

في هذا المبحث أذكُر ما أثبته يوسف ابن عبد البر في هذا الكتاب النافع، من منثور كلام رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم –على لسان الشعراء، ونصَّ عليه بقوله: أخذه، نظمه أحد الشعراء سواء صرَّح باسمه أم لا، ووجهة نظري أن ما يأتي ليس من باب العَقد في شيء وإنما نقل للمعاني.

- **في باب قوله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا حسد إلَّا في اثنتين.**

الحديث الوارد: عن صالح المُريَّ، عن الحسن، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«الْحِكْمَةُ تَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا وَتَرْفَعُ الْمَمْلُوكَ حَتَّى تُجْلِسَهُ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ»[1]).

معناه: أي أنَّ من رزقه الله الحكمة وهي: عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تعالى المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس والأخلاق وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك على حدِّ قول الإمام النووي. وتزيد الشريف شرفًا، أي: شريف الحسب تزيده رفعة وعلوًا لأنها كمال إلى كماله. وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك، أي: لحكمته ترفع قدره في نفوس الناس فتكون منزلته عندهم منزلة الملوك[2]).

قالَ أبُو عُمَرَ ابن عبد البر بعد أن أثبت الحديث:"**أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ:** [الكامل]

الْعِلْمُ يَنْهَضُ بِالْخَسِيسِ إِلَى الْعُلَا وَالْجَهْلُ يَقْعُدُ بِالْفَتَى الْمَنْسُوب[3]).

التعليق:يلاحظ أنَّ المنظوم لا يتحقق فيه صورة المنثور من ناحية اللفظ، فلم ينقل الشاعر اللفظ إلى النظم، وإنَّما المعنى هو المتحقق، وهذا ليس من العَقد في شيء، وإنما نقل الشاعر المعنى اللطيف في منثور الكلام وجعله شعرًا.

---

(١) قال أبو نعيم (ت:٤٣٠هـ): غَرِيبٌ مِنْ حدِيث الحسَن تفَرَّدَ به عمْرٌو عنْ صالح، ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١٧٣/٦.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ٨٤/١، ٨٥.

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير، محمد بن إسماعيل الحسني: ٤٢٧/٥. (بتصرف)

- في باب: جامع في فضل العلم:

الحديث المثبت: حدثنا الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الزُّهْرِيُّ،عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ عَلَيَّ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يُقَرِّبُنِي مِنَ اللَّهِ فَلَا بَلَّغَنِي اللَّهُ طُلُوعَ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ»[1]).

معناه:أي أنَّه إذا مرَّ يومٌ لا اكتسب فيه علمًا نافعًا يحصل به التقرب إلى الله تعالى، ومعرفة شريف صفاته، وطول التفكر في بديع صنعه، وعجائب ملكه، فإنّي أدعو الله تبارك وتعالى أن تطلع عليَّ شمس هذا اليوم، والحديث فيه حثٌّ على طلب العلم النافع وألا يمر يومٌ دون اكتسابه وتحصيله قدر المستطاع.

قَالَ أَبُو عُمَر بعد ما أورد الحديث:" أَخَذَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ الْبُسْتِيُّ فَقَالَ: [البحر الطويل]

دَعُونِي وَأَمْرِي وَاخْتِيَارِي فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِمَا أُبْدِي وَأُبْرِمَ مِنْ أَمْرِي
إِذَا مَا مَضَى يَوْمٌ وَلَمْ أَصْطَنِعْ يَدًا وَلَمْ أَقْتَبِسْ عِلْمًا فَمَا هُوَ مِنْ عُمْرِي[2]).

التعليق:

يلاحظ أنَّ الشاعر هنا نظم معنى الحديث- على نحو ما ذكر ابن عبد البر من إسناد الحديث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، واللفظ لم نره في المنظوم كله أو معظمه؛ لذلك هذا ليس من العقد في شيء وإنما نظم للمعنى.

- في باب: [جامع القول في العمل بالعلم] ...، فصل من هذا الباب: [في كسب طالب العلم المالَ وما يكفيه من ذلك].

الحديث المذكور:عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَسَعْدَ بْنَ مَالِكٍ، عَادَا سَلْمَانَ قَالَ: فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: عَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

---

(١) قال أبو أحمد بن عدي (ت: ٣٦٥هـ): هَذَا الْحَدِيثُ لا يرويه، عنِ الزُّهْرِيّ غير الحكم هَذَا، والحكم هَذَا هُوَ الحكم بْنُ عَبد اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ الأيلي وله، عنِ الزُّهْرِيّ بهذا الإسناد أحاديث بواطيل ...، وهذا حديث منكر المتن، وَهو، عنِ الزُّهْرِيّ منكر لا يرويه عَنْهُ غير الحكم". ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال: ٢/ ٢٧٤، وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ):" هذَا حدِيث لَا يَصحُّ عَنْ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر: الموضوعات: ١٤٣/٣.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ٢٦٠/١.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحْفَظْهُ مِنَّا أَحَدٌ قَالَ: «لِيَكُنْ بَلَاغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ»[1]).

معناه: هذا الحديث فيه وصية من النبي محمد- صلَّى الله عليه وسلم- إلى أصحابه من بعده ولنا، أن يكون زاد الإنسان من الدنيا وحرصه فيها كزاد الراكب؛ لأنّ الدنيا ليست بدار مقام ولا محل جمعٍ لأن العبد سيترك ما جمعه.

قَالَ أَبُو عُمَرَ ابن عبد البر: أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ:[البحر الطويل]

إِذَا كُنْتَ بِالدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا بَلَاغُكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمُسَافِرِ

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ:[البحر الرجز]

إِذَا كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ يُغْنِيكَ

وَأَحْسَنَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ، أَخَذَهُ وَقَالَ:

إِذَا كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَا فَكُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا لَا يُغْنِيكَا[2]).

التعليق:

وإنَّك حين تنظر في هذا النظم، تجد أن أبا العتاهية وأبا حاتم قد نظما المعنى اللطيف من منثور الكلام، وهذا لا يدخل في باب العقد، لأن شرائطه لم تتحقق في المنظوم .

وبعد الوقوف على المنظوم من منثور كلام رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم – على نحو ما أثبته ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله، بقوله: أخذه، أونظمه ...إلخ، وقد وقفنا على ما يدخل في باب العَقد وما ليس منه في شيء، على نحو ما سبق تفصيلًا، لكن السؤال الذي قد يُطرح، هل نظم المنثور بشكل عام، وما يدخل منه في باب العقد بشكلٍ خاص يدخل في باب السرقات الأدبية أم لا؟

الإجابة: إنَّ عملية الإتيان بالمعاني وإبرازها في صورة المنظوم ليس بالأمر السهل الذي يمكن أن يفعله الجميع، وإنَّما عملية النظم للمنثورالذي تستحقُّ اسم

---

(١) حديث إسناده حسن: ينظر: شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، باب الزهد وقصر الأمل ، حديث رقم ٩٩٠٩: ٣٤/٣.

(٢) جامع بيان العلم وفضله:١/ ٧٣٩، ٧٤٠.

النظم، تحتاج إلى آلات جمة من طبع مجيب أو مقدرة على نظم الشعر وفق قواعد اللغة العربية وعلم العروض، وغير ذلك مما ذُكر في تضاعيف هذا البحث على النثر.

وإذا نظرت في التراث القديم تجد أن عددًا من أهل البلاغة يجعلون عملية نقل المعاني من النثر إلى النظم والعكس، أو ما اصطلحوا عليه باسم الحل والعقد ، في بابمستقلٍ بعد الحديث عن السرقات، أو يصنفون كتابًا مستقلًّا في ذلك ومنهم : الثعالبي (ت: ٤٢٩ه) الذي صنَّف كتابًا أسماه: نظم النثر وحل العقد، وكأنَّه بهذا الكتاب يقرٍّ أن عملية نقل المعاني أو نظم النثر وحل العقد – على حدٍّ قوله- لونٌ من ألوان الأدب، وفنونه، ولا يُعدُّ شكلًا من أشكال السرقات، وأنَّ من يقوم بعملية النقل فإنّه يبذل جهدًا في توظيف التراكيب ومعانيها في نصوص وسياقات أخرى لها أثرها في صناعة الكلام وإثراء الفكر وتنوعه.

وإنَّ من يدقق في مفهوم التناص في العصر الحديث، يجد تقاربًا بين ما ذهب إليه بعض البلاغيين من جعل الحل والعقد بابًا مستقلًا يتم توظيف المعاني، والتراكيب من خلال وعي الشاعر وتجربته، وبين ما يعنيه مفهوم هذا المصطلح اليوم الذي: يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى"[1]. على حدٍّ قول الدكتور صلاح فضل، و"« التناص » مصطلح ألسني حديث ، اتضح مفهومه في « كتابات كرستيفا » وجماعة « تيل كيل» وهو بتعريف« فيليب سولرس» : « كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدة، فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها، واحتدادًا وتكثيفا ونقلا وتعميقًا» بهذا يصبح النص بتعبير «بارت»« جيولوجيا كتابات» تعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها في نص مركزي يجمع بين الحاضر والغائب في

(١) مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل: ص١٥٤.

نسيج متناغم مفتوح، قادر على الإفضاء بأسراره النصية لكلِّ قراءة فعالة تدخله في شبكة أعم من النصوص"[1]).

وإجمالًا أرى : أنَّ مفهوم السرقة يتلاشى من معنى نقل المعاني من النظم إلى النثر بشكل عام ومن العقد بشكل خاص، وأن السرقة ليست مرادفًا تامًا للتناص، لكن أشكالها الموظفة تعد ضمن الحالات التي يتضمنها هذا المصطلح الحديث فهو أعم وهي أخص، وهو لغوي أدبي، وهي في بعضها لغوية، وهي حكم خارجي على بناء يتسم بالنشاط الخيالي، وهو صفة ملازمة لهذا البناء الخيالي الذي يتجاوز فيه الحاضر مع الماضي، وهي تعتمد على المشابهة، أما هو فيعتمد أكثر على التضاد"[2]).

إذًا نقل المعاني بشكل عام والعقد بشكل خاص،صناعة تحتاج إلى مهارة ومقدرة على النَّظم، وتوظيف للتراكيب وتصريف للمعاني في عبارات مختلفة لها أثرها في اللغة وإثراء الفكر، ويمكن قبول تلك الصناعة على أنها تدخل ضمن علم التناص حديثًا، وهذه وجهة نظري الخاصة، الله أعلم بالصواب، والحمد لله رب العالمين.

(١) السابق نفسه.

(٢) التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، د. مصطفى السعدني: ص٨.

الخاتمة:

الحمد لله وكفى، فقد عُني هذا البحث بدراسة المنظوم من معاني كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم – على لسان الشعراء على نحو ما نصَّ عليه أوأثبته، أبو عمر يوسف ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) في كتابه جامع بيان العلم وفضله ، وبعد الوقوف على ذلك، قد توصلت إلى بعض النتائج، ومنها:

١- أنَّ نقل المعاني من المنثور إلى المنظوم واقع ويتيح ظهور تراكيب لغوية جديدة.

٢- أنَّ هناك فرقًا بين نقل معاني المنثور إلى المنظوم، وبين نقل معاني المنثور ولفظه إلى المنظوم؛ إذ يدخل الأخير في باب العَقْد الذي يقتضي نقل اللفظ ومعناه أو معظمه.

٣- من خلال الأمثلة التي استخرجتها من كتاب جامع بيان العلم وفضله وهي التي نصَّ عليها ابن عبد البر بقوله: أخذه فلان، أو نظمه بعض الشعراء..إلخ، فإني لم أرجح إلا مثالًا واحدًا ليدخل في باب العقد.

٤- أنَّ ما يدخل في باب العقد أو نظم المنثور لا يدخل في باب السرقات وإنَما يدخل في مجال الابتكار والإبداع في صناعة النظم.

٥- أنَّ عملية نقل المعاني أو باب الحل والعقد يتقارب مع ما يتضمنه مصطلح التناص حديثًا.

٦- أنَّه لا توجد مقايسة بين كلام رسول الله- عليه الصلاة والسلام- وبين كلام الشعراء، فالمحل الأفضل لكلام رسول الله- صلى الله عليه وسلم – من ناحية الإيجاز الذي هو من أعلى درجات البلاغة، وسمو المعاني وجمالها.

المصادر والمراجع:

- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، طبعة وزارة الإرشاد والإنباء الكويت.
- التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، د. مصطفى السعدني، منشأة المعارف ، الإسكندرية، ١٩٩١م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ) ، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المملكة المغربية،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- التَّنوير شَرح الجَامع الصَّغِير، أبو إبراهيم، عز الدين، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ) تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م: ٤٢٧/٥.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت:٣١٠ه)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ ه - ٢٠٠٠م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٧ه)، د. مصطفى جواد، د. جميل إسماعيل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥ه- ١٩٥٦م.
- جزء فيه المنظوم والمنثور من الحديث النبوي، لأبي الحسين، عفيف بن محمد الخطيب البوشنجي (ق٥ه)، تحقيق : محمد صباح منصور، دا البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، د. قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١٤٢٣،١هـ - ٢٠٠٢م.
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة ، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
- الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤٢٠،١ هـ ١٩٩٩ م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخُسْرَوْجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د/عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلًا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ) الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت: ٨٧٣ه_)، دار الفكر، ١٤٠٩ه- ١٩٨٨م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت:٥٧٨ هـ) ، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ١٩٩٧م
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت:١٠٩٤هـ)، تحقيق:عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العباس، أحمد بن محمد الجرجاني (ت: ٤٨٢هـ)، تحقيق: د. محمود شاكر القطان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، السَّري بن أحمد الرفاء (ت: ٣٦٢هـ)، تحقيق: مصباح غلا ونجي، مجمع اللغة الربية بدمشق، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسن ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)؛ تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١٩٩٦،١م.
- الموضوعات، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط١،جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، جـ ٣: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

الكتابة النّسوية بين ثنائية التّحدي والممارسة.

الدكتورة / يمينة بن سويكي

جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي – الجزائر

(ملخّص المداخلة)

تعدّ النظريّة النّسوية من بين النظريّات الفلسفيّة النّقدية البارزة في منظومة نقدنا العربي الحديث، وذلك للعناية الّتي يوليها لها بعض من الدّارسين من أجل الاهتمام بكتابة المرأة الإبداعيّة والبحث عن مزاياها وخصوصيّتها. لكن في الآن ذاته يوجد من النّقاد والباحثين من يتجاهل هذه النظريّة ويعمل على طمس معالمها، بحجّة أنّ الأدب ظاهرة إنسانية، ولا مجال لتخصيص المرأة عن الرّجل.

اختلاف كتابة المرأة عن كتابة الرّجل في مستويات الفكر والانشغال بقضايا معيّنة واللّغة والجماليّات وهو أمر عادي ناتج عن اختلافات طبيعة المرأة عن الرجل. وحديثنا عن هذه الإشكاليّة، يندرج في المساهمة في تقليص الهوّة بين الجنسين، فسنّة اللّه في خلقه قائمة على الاختلاف، وهذا لا يعني الدّعوة للصّراع بين المرأة والرّجل بقدر ما يعني ترسيخ أفكار السّلم المجتمعيّ الّذي يقوم على قبول الآخر والاختلاف معه، وذلك في مجال النّقد الّذي يعّد من أهمّ روافد الأدب.

تتغيّا هذه الورقة البحثيّة الحديث عن الكتابة النّسوية والتّعرف على آراء النّقاد الّذين اختلفوا بين قبولها ورفضها بغرض تحقيق السّلم والتّصالح الفكريّ بين الاتّجاهين.

١/ مشروعيّة الطّرح:

الكتابة فعل حضاريّ تسهم في ترقيّة الإنسان وتطوّره في شتّى الميادين الأدبيّة والثقافيّة والعلميّة والاقتصاديّة والسيّاسية ولم يعد الإنسان بقادر على عدم ممارستها بعد اكتشاف أهميّتها في نقل التّراث والمعارف وإلى الأجيال وفي الرّبط بين أنحاء المعمورة؛ "فالكائن في هذه الحضارة كائن كتابيّ، لا يقول كلامه، ولكن تقوله النّصوص التّي حلّت به واخترعته جسداً".[١]

[١]- منذر عياشي: الكتابة الثّانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، لبنان المغرب، ط٠١، ١٩٩٨، ص٢٢، ٢٣.

من هنا أصبحت الكتابة سلوكاً حضاريّا راقيّا يتمّ من خلالها إدراك الكون، والتّعرف على كثير من القضايا المبهمة، والتّوسع في فتح قنوات التّواصل مع الآخر. وقد تكون السّلطة الوحيدة التّي ابتكرها الإنسان، وحين لا يحسن استغلالها تنقلب ضدّه، لهذا أدركت المرأة خطورة هذه السّلطة، حيث "أكّدت الكتابة النسائيّة حضورها في سيّاق التّطور الثّقافي والحضاري؛ لقد أتى على المرأة حين من الدّهر كانت فيه ممتلكة للحكي الشفهيّ، فيما استأثر الرّجل بالكتابة التّي اندرجت فيها المرأة كقيمة ثقافية، فمثل الجدّات، حكت شهرزاد حكايتها شفهيّا. وتكفّل الرّجل بكتابتها؛ باعتبار الكتابة ممارسة تخصّه وحده، غير أنّ الشّفهي وجد زمنه في اللّيل، في حين وجدت الكتابة زمنها في النّهار. عندما يلوح الصّباح تسكت شهر زاد/الجدة عن الكلام المباح. في النّهار يكون الفعليّ والواقعيّ أمّا في اللّيل فيكون القوليّ والخياليّ الّذي يرتبط بالأذن، أي بالسّماع، فيما ترتبط الكتابة بالعين، أي القراءة." [1]

وحين أنقدت "شهرزاد" بنات جنسها بالحكي الشّفاهي، تزايد عددهنّ وأصبحن يشكّلن قوّة، فأدركن أنّ تغيير طريقة القول واجب، وبذلك دخلن إلى عالم الكتابة ليكافحن من جديد " لقد خرجت المرأة عمليّا من مرحلة الحكي ودخلت إلى زمن الكتابة ولكنهّا تدخل إلى أرض معمورة بالرّجل أو هي مستعمرة ذكوريّة، والمرأة لا تدخل الكتابة بوصفها سيّدة النّص إذ أنّ السّيادة النّصوصية محتكر ذكوريّ. وتأتي المرأة بوصفها ناتجاً ثقافيّاً جرت برمجته وجرى احتلاله بالمصطلح المذكّر والشّرط المذكر. ولذا فإنّ المرأة تقرأ، أو تكتب حسب شروط الرّجل، فهي –لذا –تتصرّف مثل الرّجل أو بالأحرى تسترجل".[2]

ليس عيباً أن تسير المرأة على خطى الرّجل في الكتابة الإبداعيّة، ذلك أنّها في البدء بحاجة إلى نموذج تقتفي أثره، وتشكّل عن طريقه خصوصيّاتها، ولا يعدّ هذا استرجالاً –في رأيّي- لأنّها فيما بعد سوف تعمل على ابتكار لغتها، وطريقة تعبيرها، لكنّه هو (الرّجل) سوف لن يقرأها، ويحتقرها، ويهمّشها، لذلك سوف يزداد إصرارها على دخول عالم الكتابة، تلك المملكة الّتي ظنّ أنّها تخصّه وحده، "لقد قاومت شهرزاد الموت المحقق، وإنقاذ بنات جنسها من خلال فعل الحكيّ والسّرد، وهذا

---

[1]– لحسن أحمامة: (حكي الذّات وسلطة اللّغة أجنحة للمحكيّ نموذجا)، ضمن كتاب: الكتابة النسائيّة، محكيّ الأنا محكيّ الحياة، مجموعة من الكاتبات والكتّاب، منشورات اتّحاد المغرب، ط١٠، يوليو٢٠٠٧، ص٣٢.

[2]– عبد الله محمّد الغذّامي: المرأة واللغنة، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط٤٠، ٢٠٠٨، ص٤٠.

يؤكّد مشروعيّة الخصوصيّة في الكتابة والإبداع النّسائي كمجال للمواجهة والمقاومة. ويتشكّل الوعيّ الأنثويّ عبر إدراك خصوصيّة عالم المرأة المليء بالتّفاصيل، ممّا يسهم في خلق علاقة إبداعيّة بين المرأة والكتابة في أشكالها المختلفة."[1]

إنّ إصرارها على الحريّة واسترجاع مكانتها، وتكوين هويّتها كان دافعاً قويّا لديها لممارسة فعل الكتابة؛ لأنّها أدركت أنّ زمن الحكيّ، والمخاتلة ليلاً قد ولىّ، ولهذا كانت ترمي إلى إخراج الكتابة إلى زمن النّهار، والضوء ليكون لها حضور فعّال، لكن ظلم الرّجل طالها، فلم تعجبه هذه النّقلة النسويّة النّوعية، لذلك "إذا كانت الكتابة عموماً تعبيراً عن أزمة، وتهدف إلى التحرّر من قوى الظّلم، فإنّ كتابة المرأة ذات بنية مضاعفة أو ازدواجية، أي أنّها تبحث عن تحرّرين: **الأوّل** خاص بها وحدها، وهو حرّيتها في سياق الرّجل/المجتمع الذّي استعبدها، و**ثانيًا** حرّيتها الإنسانية مثلها مثل الرّجل المضطهد، أو المجتمع المضطهد الذّي يتوق إلى التحرّر من قوى الاستبداد، أو الاستعمار، أو الاستغلال، أو ما إلى ذلك وفق المفاهيم الاستعماريّة والطّبقية والعنصريّة".[2]

الرّغبة في التحرّر من السّلطة البطريركية كان حلم النّساء جميعاً، ولمّا كانت المرأة مخلوقا ضعيفا لا يقوى على مجابهة الصّعاب بمفرده، كان لزاما عليها أن تبتكر وسائل دفاعيّة دون إعلان الحرب أو الصّراع مباشرة مع الرّجل، وأهمّ هذه الوسائل هو ابتكار خصوصيّتها في فعل الكتابة، "فالخصوصيّة هي منطلق الكتابة، وبنار هذه الخصوصيّة يتوهّج العامّ، لكن تغيير العالم أو التّأثير في العالم أو العامّ هو مبتغاها. من هنا كانت الكتابة لدى النّساء وكلّ تعبير صادر عن النّساء كتطلّع إلى تغيير العالم أو إعادة تشكيله (أي كفنّ)، هي أنسنة للخصوصيّة وخروج بها إلى أفق التّفاعل والفعل والفاعليّة، أو خروج من المشترك العام."[3]

---

[1]- هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، السّرد النّسوي بين النظرية والتّطبيق، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط٠١، ٢٠١٤، ص١٦٢.

[2]- حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، وجدار للكتاب العالمي، الأردن، ط٠١، ٢٠٠٧، ص١٦٢.

[3]- خالدة سعيد: في البدء كان المثنّى، دار السّاقي، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠٠٩، ص١٨٧.

من هنا لم يكن للفحولة أن تدع المرأة وشأنها، بل عملت على إخضاعها، وجعلها تحت الوصاية الذّكورية، ومن أجل الخروج من هذا المأزق كان لا بدّ "أن تكون للكاتبات نوايّا واعيّة وأفكارا تحرّرية سياسيّة وفلسفيّة وأدبيّة، لكن طريقة الرؤية التّي يرين بها أو يحسسن بها بالعالم من حولهنّ هي التّي تجعل علامات الاستفهام تتناسل حول هواجس الكتابة عندهنّ."[1]

إنّ اختلاف أحاسيس المرأة ورؤيتها لعالم الرّجل، إضافة لاختلافها النّفسي والبيولوجيّ، جعلها تكتب نصّا مختلفا، ممّا أثار غضب السّلطة الفحوليّة ضدّها، وهي التّي تعهّدتها بالمراقبة، وفرض النّموذج الواحد الّذي ينبغي أن يحتذى به، "ويمكن رصد الاختلاف الحاصل في الكتابة الأدبية بين المرأة والرّجل، على كلّ المستويات منها: الصّوتي، اللّفظي، النّطقي، والدّلالي والسّلوك اللّغوي غير اللّفظي، من حيث إن هناك تعبيرات خاصة بالرّجال تفهم النّساء سياقاتها، ولا يستطعن التّلفظ بها، لأنّها تعتبر خاصّة بجنس الرّجال، كما أنّ هناك كلمات وعبارات تستعملها النّساء فقط، ومن يوظّفها من الرّجال يعرّض نفسه للهزء والاحتقار، ويصفه النّسق الذّكوري بالأنثوي والنّسوي، كما أنّ سبب الاختلافات في الاستعمالات اللّغوية بين الرّجل والمرأة لا يعود لكونها أنثى وذكراً، بل يرجع بالأساس إلى طرق الحديث والأغراض المقصودة منه هي المقياس الأمثل لقياس الاختلافات اللغويّة."[2]

عملت الثّقافة العربيّة الذّكورية على ترسيخ التّطابق في الكتابة والتّفكير من خلال تكريس مبدأ الفحولة العربيّة؛ لأنّها عقليّة تربّت على الحفاظ على النّمط الواحد منذ حفظ القصيدة العموديّة –(كنموذج أوّل للإبداع العربيّ)- لقواعد كتابتها التّي لا ينبغي الخروج عنها، لذلك حين كتبت المرأة والرّجل تقبّلت المرأة الرّجل كما هو، ورفضها هو، وتحايل على الأسباب المبرّرة لرفضه؛ "المرأة التّي تكتب يكون لها حظوظ كبيرة لأن تتأمّل وضعها الخاص وتسجّل استنكارها وطموحاتها، وهي بذلك مهيّأة لامتلاك وعي ما عن استلابها تحاول أن تحذّر من خلاله مسؤوليّة

---

[1]–عبد النّور إدريس: النّقد الجندريّ، تمثّلات الجسدالأنثوي في الكتابة النّسائيّة، فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٣، ص٥٣.

[2]– المصدر نفسه، ص١٥٣.

الآخر وواجب الذّات."[1] وقد يكون مثل هذا الوعيّ الذّي تحلّت به الكاتبة هو الذي شكلّ عنصر استفزاز للسّلطة الذّكورية، التّي تعوّدت على الرؤية الحريميّة للمرأة؛ والتّي تجعلها شيئا في يد الرّجل يتصرّف فيه كما يشاء.

ولولا اعتراف من بعض الفحول بحقّها في الكتابة وبإمكانيّة تميّزها فيها، لغابت ربّما نصوصها مثلما غابت نصوص العديد من المبدعات في القديم والحديث، " إنّنا من القائلين بأنّ من الأدب ما هو نسائيّ متميّز عن الأدب الرّجالي، ومنطلقنا في هذا الرّأي ليس منطلقا سياسيا، بل هو منطلق أسلوبيّ لغويّ مجمله أنّ المبدع الحقّ مبدع مفرد وإن كتب بلغة المجموعة وعبّر عن هموم المجموعة وآلامها وآمالها. والإبداع في القصيدة الواحدة، أو القصّة الواحدة حامل لجينات مشتركة بينه وبين إخوته من النّصوص المنتسبة إلى المبدع الواحد أو المنتسبة إلى الجنس الواحد من الأجناس الأدبيّة، ولذلك يتكلّم الدّارسون على أسلوب محمود المسعدي مثلاً، وأسلوب طه حسين."[2]

الاختلاف إذن جوهر العمليّة الإبداعية وقد يكون عند الكاتب الواحد، ولا أدري لماذا يتّهم الفحول كتابة المرأة بالنّمطية في حين يعدّونها أمراً عادياً عند أصحابهم من الكتاب الذكور؟

٢/ الكتابة النّسوية وإشكاليّة الهويّة:

الحديث عن الخصوصّية في الكتابة النسويّة هو حديث عن الهويّة والكيان النّسوي في حدّ ذاته، غياب الأوّل يفترض غياب الثانيّ؛ أي لو كانت المرأة تكتب كالرّجل فما جدوى الحديث عن الأدب النّسوي أصلا؟، " إنّ لدينا –من وجهة نظرنا- كتابة نسويّة مختلفة إلى حدّ كبير عن الكتابة الذّكورية، لأسباب عديدة ناتجة عن اختلاف المرأة عن الرّجل في الظّروف الاجتماعيّة، والنّفسيّة والاقتصاديّة،

---

[1]- حميد لحميداني: كتابة المرأة من المونولوج إلى الحوار، الدّار العالمية للكتاب، الأحباس، المغرب، ط١، ١٩٩٣، ص٢٤،٢٥.

[2]- الهادي الجطلاوي: (في خصائص الغزل النسائيّ من خلال ديوان "قصائد حب" سعاد الّصباح)، ضمن كتاب: جماليّات الصّورة في الإبداع النّسائي العربيّ، المرأة واصفة المرأة موصوفة، تأليف: محمد لطفي اليوسفي وآخرون، مؤسّسة سعيدان، سوسة، منشورات مهرجان سوسة الدّولي، الدورة ٣٩، ١٩٩٧، ص١٣٧.

والثقافية، و الشّكلية، والتّاريخية ..."[١]

قد يكون البحث عن الخصوصيّة من صميم عمل النّقاد المشتغلين في حقل النسويّة، لأنّها قضيّة تنقل اهتمام الدّارسين من خارج النصوص الإبداعية –(البحث في الفروقات الجنسيّة) - إلى داخلها وهو مطمح تسعى له الكاتبات اللاّتي همّشن بسبب جنسهن لا أكثر، "ومن هنا فالتّساؤل عن خصوصيّة للأدب النسائيّ يعدّ تساؤلا مشروعا. وهي خصوصيّة محتملة ينبغي البحث عنها في جانبيّ العمليّة الإبداعية أي المضامين والتقنيّات الخاصّة بالجنس الأدبيّ.

وإذا كانت الأفكار والمضامين تتوارث، وتكتسب، فأساليب الكتابة وتقنيّاتها تكتسب بالتّعلم والاطّلاع على نصوص الأدب، وهذا يعني أنّ البحث عن خصوصيّة نسائيّة محتملة في هذا المجال تتطلّب جهدا كبيرا واستقراء نصوص كثيرة، ولذلك افترضنا أنّ المضامين قد تكون مجالا لخصوصيّة أجلى وأظهر، وهو افتراض تأكيده أو نفيه مرهونان باستقراء النّصوص المنجزة فعلا. وهو على ذلك، افتراض له، في الواقع المعيش، ما يبرّره".[٢]

ولّما كانت كتابة نصّ إبداعي تعدّ مغامرة - (لاسيّما إذا كانت الكاتبة أنثى)- فالتّعامل مع هذا الإبداع سيصبح مغامرة أكبر، لأنّ "نفسية المرأة بصفتها نفسيّة خاصة متفرّدة، إشكاليّة إبداعيّة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كاتب مذكرّ مهما تكن براعته، ومن ثّم تشكّل هذه النّفسية محوراً فاعلاً لتبرير مشروعيّة الكتابة النسويّة والنّقد النّسوي من جهة، ولتفعيل الرؤى المنهجيّة النّفسيّة من جهة أخرى".[٣] هي كائن لا يعطي سرّه بسهولة، ومادامت تكتب بوعيّ، فالتّعامل مع نصّها يحتاج إلى حساسيّة خاصة، لأنّ الكتابة جعلتها تشعر بذاتها تعبّر عمّا أرادت بعيداً عن القوالب الّتي وضعها الذكور. "إنّ عمليّة الكتابة في حدّ ذاتها لا تختلف بين الجنسين، لكن الموضوعات وزوايا النّظر والحساسيّات تختلف لذلك نجد الكتابة لدى الرّجل تتأثر بخصوصيّات غير خصوصيّات المرأة، فإذا كانت الكتابة تتلوّن وتتأثّر بعوامل تكوّن الشّخصية الفرديّة والجماعيّة، فإن من نتائجها أن تكون كتابة

---

[١]– حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص٠٦.

[٢]– محمّد نجيب العمّامي: (خطاب الحريّة في رواية المرأة)، ضمن كتاب: الكتابة النسويّة التّلقي، الخطاب والتمثّلات، إشراف: محمد داود وآخرين، منشورات المركز الوطني في الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية،٢٠١٠، ص٦٥.

[٣]– حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص١٧٤.

المرأة مختلفة عن كتابة الرّجل في هذه التّكوينات الخاصة، وللمرأة زوايا نظرها وموضوعاتها ومواقفها التّي أكسبتها إيّاها تجربتها الفرديّة داخل المجتمع."[١]

إذا تعلّمت المرأة من تجاربها في المجتمع، وقد يكون معلّمها واحد من الفحول، لكن التميّز في كتابتها لا يضرّه في شيء، بل بالعكس هو علامة صحيّة، لأنّ المتعلّم قد يفوز على المعلّم، وليس عيبا في ذلك، ولا ينبغي للمعلّم أن يشعر بعقدة أو نقص. وإذا مازال هنالك من الدّارسين من يحاكم المرأة بعدم نضج تجاربها الحياتيّة، وبالتّالي عدم صلاحيتها للكتابة، باعتبارها مازالت تحتاج إلى التخمّر لتكتب أفضل، تردّ إحداهن على هذا الطّرح بأنّه " من العسير على كائنات تمّ إقناعها كليّا بقصورها، وعجزها ونقصان عقلها أن تحّرر لنا خطابا أنثويا جادا، أو مثقلا في ماهيّته بعلائق نصّ الأنثويّ الّتي تدرك معنى(الكائن هنا)، فخطابها الإبداعي مهمّش تمّ تشذيبه حتىّ لم يبق منه إلاّ علامة استفهام حائرة، وهو أن يتبدّى اليوم سؤلا حادّا عن الهويّة، فإنّه ليس إلاّ حضورا ألف مكمن البقاء، لا ممكنه ... ويبدو أنّ استخلاص المفهوم الّذي يفرّق بين "النّحن"، ولماذا نحن لا تزال آخر ... يبدو ملتبساً وفاقد الحماسة في مكمن غامض وبعيد" [٢] .

لكن يبدو لي أن المرأة قد تجاوزت بعض الشيء- سؤال الهويّة في كتابتها تقريبا إذ لم نعد نقرأ عن كتابة/كاتبة مازالت تطرح سؤال النّحن هذا.

يرى "حسين المناصرة" أنّه " أخيراً أنشأت حساسيّة الكتابة النسويّة الّتي تنصّ على أنّ المرأة لم تجد وعيها الخاص وثقافتها شبه المتحرّرة، وكتابتها الذّاتية إلاّ مع النّهضة الحديثة في القرن العشرين في سيّاق التّحول الثّقافي الاجتماعيّ في الغرب أولا، ثمّ في الشّرق بعد ذلك، حيث نالت المرأة بعض حقوقها المستلبة من الآخر/الرجل (المجتمع) عن طريق تعميم التّعليم للجنسين، وشيوع أفكار التحرّر، وخروج المرأة للعمل، وانتشار الكتابة النسويّة الصحفيّة بشكل فاعل، ممّا ساهم في نشوء نظريّة نسويّة في الكتابة والحياة، لا مناصّ للهروب من التّفاعل معها[٣]. ومحاولة ضبط مصطلحاتها، ومناهج الدّراسة الّتي تخصّها، والعمل على تنقيح ما

---

[١]–محمّد معتصم: المرأة والسّرد، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط٠١، ٢٠٠٤، ص١٣١.

[٢]–سالمة الموشي: الحريم الثّقافي بين الثّابت والمتحوّل، دار نينوى، دمشق، سورية، ط٠٢، ٢٠١١، ص١٤٢.

[٣]– حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص٧٢.

تراكم فيها من أفكار ورؤى لا تتّصف بالموضوعيّة لأنّها قد تعيق عملها الّذي تتغيّاه .

الكتابة هي الوجود بالنّسبة لهنّ، لقد أدركن أنّ الكائن المعاصر كائن كتابيّ، وأنّ الكتابة فعل حضاري، فوعي المرأة بكتابتها كان وعياً متطوّراً من درجة إلى أخرى، ها هي الكاتبة الفلسطينيّة "سحر خليفة" تصرّح بثقة كبيرة: "في البداية كنت أحقّق ذاتي عبر الكتابة، أما الآن فصرت أكتب نتيجة شعوري بالمسؤوليّة، لديّ آداة طوّرتها، وأشعر الآن أنّني قادرة من خلالها على خدمة القضايا العادلة، عندما أنقطع عن الكتابة أشعر بالتّقصير، لكنّني أخطّط دائماً لكتاباتي بحيث إنّني أبرمجها ولا أتركها لضغوط اللّحظة أو الانفعالات"[1].

لا تكتب المرأة كيانها المتضمّن في أحاسيسها ومشاعرها وعواطفها وانفعالاتها كما كان يعتقد بها سابقا، بل هي تعمل على ترقيّة كتابتها لتعبّر عن قضايا إنسانية عادلة، وعن اتّهامها بأنّها لم تقدّم شيئا سوى تقليدها للمرأة الغربيّة تردّ الكاتبة: " إملي نصر الله": " تكتب المرأة ذاتها، إلاّ أنّ من يصنّفن كاتبات نسويّات، تأثّرن، دون شكّ، بالثّورة النسويّة كما هي في الغرب ... بل لنقل تشجّعن بها، وانطلقن أحيانا، مفاخرات، بجرأتهنّ، وهي محسوبة لهنّ بالطّبع، ولكنّها جاءت عن البعض، على حساب المفهوم الفنيّ والإبداعيّ، كما أنّها لدى البعض الآخر، حاولت تشويه العلاقة بين الرّجل والمرأة. ونحن نعلم، أنّ تلك الثّورة، فيما هي حافز قويّ دفع المرأة إلى تحصيل بعض حقوقها المهضومة، غير أنّ الانحراف الّذي عرفته وأعلن عنه في وسائل الإعلام، أساء إلى العلاقة الأساسيّة بين الرّجل والمرأة. ومن هنا اختلاف وجهة نظري ورؤيتي للتحرّر الجنسيّ، عن مفهومه الغربيّ، وأرجو أن تكون كاتباتنا واعيات لذلك[2]".

كثيرا ما اتّهمت الكاتبة العربيّة بأنّها بممارسة فعل الكتابة تهدف إلى التحرّر الجنسيّ كما فعلت بعض كاتبات الغرب، لكن المرأة العربيّة لاسيّما الكاتبة كانت واعيّة بأنّ مثل هذا الفعل المخلّ بالأخلاق قد يزيد الطّين بلّة بممارسته وقد يزدريها الرّجل أكثر فأكثر، وهي الّتي تبحث عن السموّ بذاتها وكيانها عن طريق الكتابة.

---

[1]– سحر خليفة: حاورتها: صيداوي رفيف، كتاب: الكاتبة وخطاب الذّات، حوارات مع روائيات عربيات، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط١، ٢٠٠٥، ص٩١،٩٢.

[2]– إملي نصر الله: حاورتها صيداوي رفيق، في كتاب: الكاتبة وخطاب الذّات، ص٦٦.

"وكان على المرأة/ الكاتبة وفق هذا المنظور أن تناضل طويلا؛ ليعترف بها المجتمع، ويقبل بتميّز تجربتها الأدبيّة، وأصبح الأدب النّسائي أدبا إشكاليا يثير جدلا واسعا حتىّ بين الكاتبات أنفسهنّ مابين مؤيّد وموافق على تجربة المرأة وخصوصيّتها الأنثوية، وبين مستهجن ورافض للتّقسيم الجندريّ في الأدب"[١].

وفي خضّم سعيها لإثبات تجربتها وقعت المرأة العربيّة في مطبّة الجندريّة، واعتقدت أنّ تقسيم الكتابة حسب جنس مؤلّفها إهانة لها، ولم تتفطّن إلى أنّها إذا رفضت التّصنيف الأدبيّ إلى كتابة نسويّة وكتابة عامّة، سوف تلغي خصوصيّتها، وتميّزها وقد تجعل الفحول يتّهمونها بالاسترجال.

الكتابة "عند المرأة المبدعة تمثّل رغبة جامحة في إفراز المكبوت أو المسكوت عنه، الكتابة جهد ومشقّه وألم كما هي مخاض وولادة إن لم نقل تفاعلا ومضاجعة مع النّص المكتوب إلى درجة الذوبان والانصهار"[٢] هذا الّذي يؤدّي إلى اعتبار المرأة هي الكتابة والكتابة هي المرأة، لأنّها متنفّسها الوحيد وأكسوجينها وذاتها وكيانها، فكيف ترفض تسميّتها بالنسويّة تمييزا لها عن الكتابة الذّكورية التّي قد تكون مجرد هواية فقط يمارسها بعض الفحول أحياناً؟!

وحتى "على صعيد التّجربة –مثلا – وحدهنّ النّساء يعايشن تلك التّجارب الحياتيّة الأنثويّة (الدّورة الشهريّة، المخاض، التّبويض) لذا فهنّ الوحيدات اللاّتي يستطعن الحديث عن تلك التّجارب وعلاوة على ذلك، فإنّ تجارب المرأة تتضمّن حياة عاطفيّة وإدراكات حسيّة، ولديهنّ أفكار ومشاعر–حتما– مختلفة بشأن ما هو هام أو غير هام"[٣].فتعيين كتابتهنّ بالنسويّة أو حتىّ الأنثويّة لا يضّر في شيء، فحياتهنّ وتجاربهنّ مختلفة عن الذّكور، فمن البديهيّ أن تختلف كتاباتهنّ أيضاً، والتّعيين هو حفاظ على التميّز والخصوصيّة فقط.

---

[١]– هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، ص٣٣.

[٢]– الأخضر بن السّايح: (نصّ المرأة وعنفوان الكتابة)، ضمن كتاب: الكتابة النسويّة التلقيّ، الخطاب، والتمثّلات، ص٢٧.

[٣]– هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، ص١٥٢.

٣/مراحل الكتابة النّسوية:

ولّما كانت المرأة تتّهم بأنّها لا تكتب إلاّ ذاتها وأنّ كتاباتها نمطيّة تشبه بعضها بعضاً، وأنّها تحذو حذو الرّجل، ولم تستطع أن تجدّد في كتاباتها، لجأت إحدى الكاتبات إلى تصنيف الكتابة النّسوية العربيّة منذ ظهورها إلى أربعة اتّجاهات:

"**أوّلها**: مرحلة متقدّمة نضطّر إلى أن نعود إلى التّاريخ كي ندلّل عليها، واتّسمت بوعي ذكوري يتّخذ كتابة الرّجل نموذجاً، مثلما كتبت الخنساء، وليلى الأخيليّة، ورابعة العدويّة، وولاّدة بنت المستكفي"[١] .

وهي مرحلة لا بدّ منها، بدأت بالاحتذاء، ثمّ انتقلت شيئاً فشيئاً إلى البحث عن الاختلاف، "**ثانيها**: كتابة الرّائدات في بداية عصر النّهضة حيث كانت الكتابة سعيا حثيثا نحو التّحرر والانعتاق من ربقة الهيمنة الذّكورية، وأبرزها كتابة الرّائدات ما بين نهاية القرن التّاسع عشر وحتّى منتصف القرن العشرين تقريبا"[٢].

لقد قفز هذا التّصنيف قفزة كبيرة، ما بين العصر القديم إلى رائدات عصر النّهضة مباشرة!!، هل يعقل أن يحدث اختفاء للكاتبات خلال هذه الفترة؟ ثمّ إنّ القارئ لا يدري لماذا لم تذكر أسماء كاتبات تميّز هذه المرحلة؟

أمّا "**ثالثها**: الكتابة الّتي راهنت على محاربة الثّقافة الذّكورية مثل كتابات كوليت خوري، نوال السّعداوي، وغادة السّمان، وسحر خليفة، وليلى العثمان، وفاطمة المرنيسي ولطيفة الزّيات وسلوى بكر ونعمات البحيري وابتهال سالم وهالة البدري وسلوى النّعيمي وأحلام مستغانمي* وغيرهن"[٣] .

هي مرحلة التّميز والخصوصيّة بعد تحقيق التّحرر المنشود، حتّى وإن كان نسبياً.

"**رابعها**: كتابة الجيل اللاّحق من النّساء، وهي كتابة اتّسمت بالحداثة والتّجريب، وبدت مع النّصف الثّاني من تسعينيّات القرن الماضي، وحتىّ اليوم، ومن أبرز كاتباتها: ميرال الطّحاوي ومي التّلمساني ونورا أمين وعفاف السّيد وصفاء

---

[١]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[٢]- المصد نفسه، الصّفحة نفسها.

* كان من الأفضل، لو صنّفت " أحلام مستغانمي"، ضمن كاتبات المرحلة الرّابعة اللاّتي عرفن بالتّجريب، لأنّ"أحلام " قد تعدّ الكاتبة لأولى الّتي كتبت بضمير مذكّر في العصر الحديث.

[٣]- هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، ص١٥٧.

عبد المنعم وغادة الحلواني ومنال السيّد ونجلاء علاّم والباحثة وغيرهنّ من الأجيال الأحدث سنّاً."[1]

ما يسجّل على هذا التّصنيف أنّه من جهة سكت عن العديد من الأسماء، ومن جهة أخرى لم يذكر الأسماء التي ميّزت المرحلة الثّانية الناديّة بالتحرّر، والّتي دفعن فاتورة ذلك كبيرة مثل: الكاتبة: مي زيّادة الّتي انتهت إلى مصحّة عقليّة، وكذا باحثة البادية، وفدوى طوقان الشّاعرة الفلسطينيّة الهادئة، وكذلك الرّائدة: نازك الملائكة الّتي نظّرت لقصيدة التّفعيلة ولاقت ما لاقت من صدّ الفحول آنذاك ...، لولا جهودهنّ لما برزت على الإطلاق كاتبات المرحلة الثّالثة والرّابعة.

٤/ الكتابة بالاسم المستعار:

تعتبر الكتابة بالاسم المستعار خاصيّة وتقنيّة رمزيّة يلجأ إليها المبدعون في بداية تجربتهم الإبداعيّة؛ إمّا أن يكون السّبب وراء ذلك هو عدم الكشف عن حقيقة الاسم، لأنّه إذا أخفق في تجربة الكتابة فإنّه لا يتمّ معرفة اسمه، وبالتّالي بإمكانه تكرار المحاولة، وهو ما يجعله قادرا على تجاوز المحنة، ومن ثمّ البدء في الكتابة من جديد، وقد يكون السّبب التّخفي لا سيّما إذا تعلّق الأمر بالمرأة، لأنّ الثّقافة العربيّة الذّكورية في كثير من الأحيان لا تسمح للمرأة بالظّهور على السّاحة الأدبيّة نظرا لعادات وتقاليد تنظر إلى المرأة وكأنّها مخلوق ليس له الحقّ في الإبداع، ولهذا ظلّت المرأة "الشّرقيّة تعاني من حصار ثلاثيّ؛ حصار كونيّ لأنّها امرأة، وحصار اقتصاديّ لأنّها تنتمي إلى العالم الثّالث، وحصار ثقافيّ لأنّها شرقيّة."[2]

أمّا المرأة الغربيّة فقد وقعت في استعارة أسماء لامعة كما هي الحال بالنّسبة إلى الكاتبة "جورج صاند" وهو الاسم الذّي اختارته الكاتبة "أماتين أورو لوسيل دوبيين" (Amantine Aurore lucie Dupin) * حينما استعارت اسم عشيقها "جورج صاند"(George Sand)، واستعارة الكاتبة اسما ذكوريّا، ربّما يكون الدّافع وراء ذلك هو أن تحمل اسماً كبيراً بإمكانه كسب الشّهرة. وكذلك ما وقع ل

---

[1] المرجع نفسه، ص١٥٧.

[2]- حفناوي بعلي: مدخل في نظريّة النّقد النّسوي وما بعد النّسوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط٠١، ٢٠٠٩، ص٢٥٩.

* .Depin luciel Aurore Amantine ولدت في ٠١ جويلية ١٨٠٤م وتوفيّت في ٠٨ جوان ١٨٧٦م، روائيّة فرنسيّة.

"فولتير"(Voltaire) وهو اسم مستعار للكاتب الفرنسيّ "فرنسوا ماري أوريه"(F rançoise–Marie Arouet) وكذلك "جورج إليوت"(Thomas Stearns Eliot) الإنجليزي هو اسم "ماري إيفانز"، والأخوات"برونتي"(Les Sœurs Bronte) كنّ يكتبن باسم "الإخوة بل"، لأنّ الثّقافة الغربيّة كانت رافضة لظهور اسم المرأة.

وقد تكون هذه الحصارات هي الّتي جعلت المرأة الكاتبة تلجأ إلى القناع في الكتابة بالاسم المستعار، في عالم يحكمه الفحول، منذ القديم، وربّما تكون "الخنساء" أولى امرأة عربيّة استعارت لذاتها اسما –يعرف الجميع أن اسمها "تماضر بنت عمرو السلميّة"- ليسمح لها الفحول بدخول مملكتهم لتقول شعرا وكان شرطهم أن يكون في الرّثاء فقط، فهو النّوع الوحيد الّذي لا يناسبهم، فترك لها من أجل تحقيق التّوازن بين الأغراض الشعريّة آنذاك، لتظهر في العصر الحديث الكتابة باسم مستعار، وكأنّ العقل العربيّ لم يتطوّر، ولم يتح للمرأة الحقّ والحريّة في التّعبير "فكثيرات هنّ الكاتبات اللّاتي اضطررنّ إلى الاختفاء وراء اسم مستعار أو التّوقيع بحروف، نذكر على سبيل المثال : عائشة عبد الرّحمن(١٩١٢م- ١٩٩٨م) التّي كانت توقّع مقالاتها متخفّية وراء عبارة "بنت الشّاطئ" الّتي تعكس استراتيجيّة استبدال الهويّة الاجتماعيّة بهويّة رمزيّة تلوذ بالمطلق الطّبيعيّ الّذي يستغرق الخاص ولا يفضحه".[١]

سمح للمرأة بالكتابة، لكن اشترط عليها التّخفي، وكأنّ بروز اسمها فيه إساءة للفحولة، لذلك ألزمتها الثّقافة الذّكورية بالتستّر كما حدث مع "بنت الشّاطئ"، وهي ليست الوحيدة في ثقافتنا العربيّة الحديثة، بل هناك العديدات، ممّن قمن بهذا التّخفي، كما فعلت " "ملك حفني ناصف" (١٨٨٦- ١٩١٨ م) عندما تقنّعت وراء عبارة "باحثة باديّة" التي تعزّز مرّة أخرى هذا الاحتماء بالمكان المبهم والتّأكيد على الهويّة الثّقافية "الباحثة"، ولا شكّ أنّ اختيار المغربيّة "مالكة الفاسي" (١٩١٩م) بدورها لعبارة "الفتاة" التّي تؤشّر على مطلق الأنوثة تارة، وعبارة "باحثة الحاضرة" تارة أخرى، يعكس استراتيجيّات توالد هذه الأقنعة الأدبيّة انطلاقاً من تواجدها في

---

[١]- جليلة الطّريطر: (الهويّة الأنثويّة من الحكيّ الشّفاهيّ إلى الحكيّ الذّاتي)، ضمن كتاب، الكتابة النسائيّة محكيّ الأنا محكيّ الحياة، مجموعة من الكاتبات والكتّاب، منشورات اتّحاد المغرب، ط٠١، يوليو٢٠٠٧، ص٠٩.

سيّاقات متقاربة تاريخيًا وما يلحقها من تنويعات تجعل منها منظومة نصيّة مصاحبةparatextuelle جديرة بأن تكشف دراستها المعمّقة عن وجود تمثّل الكاتبات العربيّات لهوياتهنّ وتطوّر هذه التمثّلات في سيّاق انتقالي كان مشكليًا بالنّسبة إلى تحولهنّ القلميّ هذا."[1]

إنّ التّخفي وراء اسم مستعارٍ لا يدلّ على هويّة الكاتبة الحقيقيّة، بقدر ما يعكس هويّة غائبة تمثّل الذّات الكاتبة الحقيقيّة، وقد يفسّر هذا الفعل بأنّ الكاتبة كانت مدركة لأسرار عقليّة الفحول الّتي استدعت استراتيجيّة المخاتلة بأن تتدرّج المرأة في عمليّة الكتابة خطوة؛ إذ الخطوة **الأولى** تمثّلت في الكتابة، والخطوة **الثّانية** التخفّي باسم مستعار، أمّا **الثّالثة** فهي رفع كل الحجب والكتابة باسم حقيقيّ دون خوف أو خجل، وكانت هي مرحلة القوّة في الكتابة النّسوية.

وعلى الرّغم من أنّنا نعيش في زمن الحداثة، وأنّ جميع الطّابوهات قد كسرت ولم يعد من مبرّر لهذا القناع في الكتابة، إلاّ أنّنا نلاحظ أنّ بعض الفحول قد تحوّلوا إلى التّخفي وراء اسم مستعار والأمر الغريب أن نجد الاسم المستعار أنثويّاً! وهو ما عبّر عنه "يوسف وغليسي" متعجّبا بقوله: " لكن الغريب في السّاحة الأدبيّة الجزائرية أن تنقلب أمور " الأسماء المستعارة " رأسًا على عقب بين النّساء والرّجال، فتصبح أسماؤهن لباسًا لهم، ويغدو الاسم المؤنّث قناعًا للنّص المذكّر؛ حيث تتنكّر بعض الأقلام الرّجالية في أزياء أسماء نسويّة، وإذا كان الأمر مبررًا بالنّسبة إلى الرّوائي العالميّ محمّد مو لسهول بوصفه ضابطًا عسكريًّا استعار اسم زوجته يمينة خضرا الّتي تحرّفت إلى (ياسمينة خضرا)؛ إذ حتّمت عليه هويّته المهنيّة أن يتقنّع بهذا الاسم المؤنّث حتىّ لا يحرج المؤسسّة العسكريّة التيّ ينتمي إليها، فإنّ المثير للانتباه أن يفعل الفعل نفسه كتّاب آخرون وهم في سعة من الأمر،..."[2]

ليكتب "هو" ولا يحرج المؤسسّة الّتي ينتمي لها لا بأس أن يستغلّ "هي" ويستعير اسمها لتحقيق أمنٍ ما، "هي" تحقّق الفائدة له "هو"، فالشّعور بالأمن يستدعي فعل التّخفي هذا بمنحه اسم المرأة للرّجل بالرّغم من أنّه عارض وجود كتابتها سابقا،

---

[1]- المرجع نفسه، ص٠٩.

[2] – يوسف وغليسي: خطاب التّأنيث، دراسات في الشّعر النّسوي الجزائري، وزارة الثّقافة، جسور للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط٠١، ٢٠١٣، ص٥٨.

وألزمها على التّخفي باسم مستعار مؤنث، لكنّها لم تستعر هي اسمًا مذكّرًا، وكانت مصرّة على تاءِ تأنيثها، أكثر من إصراره هو على فحولته.

وقبل أن أنهي الكلام عن الاسم المستعار، ينبغي أن أذكّر أنّ هذا الفعل لم يكن خاصًا بالمرأة لوحدها أو الرّجل الجزائريّ فقط، بل هو ظاهرة في الأدب العربيّ بشكل عامٍ، من قديمة إلى حديثه، وهنا تجدر الإشارة إلى الرّواية الّتي عدّها بعض مؤرّخو الأدب الأولى في العصر الحديث، لقد "كتب محمّد حسين هيكل روايته "زينب" وذيّلها باسم مستعارٍ هو" فلاّح مصريّ"[1].

إنّ ظاهرة تبنّي القناع بوصفه أداة للتخفّي، حين يمارس الكاتب(ة) فعل الكتابة، هو شكل من أشكال تفادي الصّراع مع الآخر (القارئ/النّاقد/المجتمع) سواء كان أصحابه من الرّجال أو النّساء، فهي ظاهرة أدبيّة عامة، ولا تخصّ الكتابة النّسوية لوحدها، ومن الخطأ أن يتمّ الاعتقاد أنّ المرأة لوحدها تخاف الظّهور والضّوء والنّهار والنّقد، لذلك "يجب على الثّقافة الأدبيّة أن تتجاوز انتقاص كتابة المرأة وتحقيرها والتّشكيك بها، كأنّ توصف بأنّها مزوّرة مكتوبة بأقلام الرّجال، أو أن تعدّ تافهة كتفاهة المطبخ والأطفال في العرف الذّكوري!!"[2].

٥/ جماليّة اللّغة في الكتابة النّسوية:

كثيرا ما تساءل النّقاد عن المرأة حين رفعت القلم، وبدأت تخطّ حروفها الأولى، هل ستحقّق اختلافا بكتاباتها أم أنّها سوف تكتب بلغة الرّجل وتحقّق تراكما في الكتابة الذّكورية/العامة؟

لقد "جاءت الكتابة لتكون نمطا مفتعلا في صناعة اللّغة وتقنية الخطاب، والشّاهد التاريخيّ يشير إلى أنّ الرّجل هو سيّد الكتابة، ولا يحفظ التّاريخ أيّة أمثلة عن وجود نسويّ فاعل مع اللّغة المكتوبة. ومن هنا فإنّ الرّجل وجّه مسار الملفوظ اللّغوي نحو وجه خاص تحكمّ الذّكور فيه وخلّدوه عن طريق نقشه وحفره في ذاكرة الحضارة، وصار الحضور المذكّر هو جوهر اللّغة وتعمّقت الذّكورة في اللّغة عبر الكتابة حتّى صارت وجهها وضميرها."[3]

---

[1] - زينب العسّال: النّقد النّسائي للأدب القصصيّ في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ٢٠٠٨، ص٤٦.

[2]- حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص٧٢ .

[3]- عبد اللّه محمّد الغذّامي: المرأة واللّغة، ص٢٧.

تعلّقت الذّكورة بالكتابة وتعلّقت الكتابة بالّذكورة وصارت "من أهمّ الأشكال التّي تنبني فيها القوّة وتتركّز، بل لعلّها المرتكز الأهمّ، الّذي يتاح لها أن تتمدّد فيه وتنغرس، ومن هنا كانت السّلطة تحرص على إدارة هذه المؤسّسة وحمايتها وصيانة سننها"[1]، بهدف أن يضع الفحول قواعد الكتابة، وأن يكون تاريخها مقرونا بالذّكورة وكأنّه لا يسمح للمرأة بأن تكون قويّة إلّا في إطار ما يسمح لها به الفحول، وربّما "كانت معظم الأشكال الأخرى لممارسة القوّة تنبثق في اللّغة، وتنحلّ في نسيجها، وتعمل من داخلها، وهذا ما يمنحها التّسويغ اللاّزم، ويشكل ضمانا لها، لأنّ رسوخ القوّة في بنية اللّسان يهيّئ لها إمكانيّة الفعل على نحو أشمل. فهي بأثر هذا الاستقرار، ترتدّ إلى كونها حدثا أوّلا. له تمكّن الطّبيعة والأصل. وتتبدّى القوّة في اللّغة، من خلال ما تفرضه على الجماعة من خضوع لها، وامتثال لقواعدها."[2]

خضع الرّجل قديما لقوّة اللّغة في السّرد؛ حينما كانت "شهرزاد" تحكي لتنقد جنسها النّسوي بدهاء من القتل الّذي مارسه "شهريار"، رمز الفحولة التّاريخية، ولمّا تغيّر شكل اللّغة من الشّفاهي إلى الكتابيّ، أراد الرّجل ممارسة هذه القوة وحرمان المرأة منها، وكأنّ في الأمر عقابا لها على فعلها التّاريخي الّذي أدّى إلى تزايد النّساء في العالم بعدد أضعاف الرّجال.

ظهرت النظريّة ما بعد السوسيريّة لتبدأ "من تحليل للّغة يقترح أنّ اللّغة ليست شفّافة؛ فهي ليست مجرّد وسيط يتبادل به الأفراد المستقلّون نقل رسائلهم عن عالم الأشياء المكوّن تكوينا مستقلاّ. بل على العكس، فاللّغة هي الّتي تتيح إمكانيّة بناء عالم الأفراد والأشياء، وإمكانية التّمييز بينها. وشفافيّة اللّغة وهم من الأوهام."[3]

من هنا دخلت النّسوية عالم الكتابة، لتحمّله بكلّ أحلامها ومكبوتاتها وطموحاتها، وخيالها وأفكارها وحتّى أحاسيسها، فجاءت اللّغة متنوّعة في صياغتها الجماليّة؛ تقرأ قراءات مختلفة، "ثمّ إنّ هذه اللّغة النّسائية لغة تستمدّ أنساقها

---

[1]- وفيق سليطين: الكتابة السّالبة من المتابعة إلى الحوار، دار الحوار اللاّذقية، سوريا، ط٠١، ٢٠٠٦، ص١٩.

[2]- المرجع نفسه، ص١٩.

[3]- بيليسي كاترين: الممارسة النّقدية، ترجمة: سعيد الغانمي، المدى للثقافة والنّشر، دمشق، سوريا، ط٠١، ٢٠٠١، ص١١.

وأصواتها من وهج الأنوثة في عنفوان اهتياجها النّفسي والجسدي ممّا يضفي عليها طابع الغنائيّة المنبثقة عن رؤية رومانسيّة للواقع والأشياء."[1]

وذلك أنّ أنوثتها لا تسمح لها سوى بإظهار هذه الرّقة والأناقة في الكتابة بعيداً عن التقعّر الّذي قد يرتبط بالرّجل أكثر من المرأة ، فـ"اللّغة المؤنثة هي تلك الهويّة والخصوصيّة التّي تبحث عنها المرأة منذ الأزل وباكتشاف هويّتها وخصوصيّتها تحقّق الأنثى مصالحتها مع ذاتها وقبولها الاختلاف من منظور تكامل وغنى لا منظور انتقاص ودونيّة، يكسب الأنثى ثقتها في ذاتها الكاتبة ويمنح قلمها جرأة أكثر واقتحاماً أوسع ورؤية أكثر رحابة للحياة والعالم."[2]

هو سّر اللّغة المتمكّن في القوّة، أدركته قديماً في شكله الشّفاهي، فكان مخلّص جنسها، وأدركته كذلك بعد زمن في شكله الكتابيّ وكان سلاحاً في يدها، "تغدو اللّغة حقلا للمواجهة ومساحة للصّراع تتسرّب الأنوثة في فراغاتها، وتضخّ محتواها في الممكن من قنواتها، لتطهرّها من العنف الأبويّ الّذي يسكنها، وهذا الفعل الّذي يهدف إلى إعادة بناء اللّغة والوعيّ على نحو مغاير، يحمل معه وعدا بالتّأنيث."[3]

أدركت المرأة أنّ الكتابة عملية تطهير وعلاج تلجأ إليها لتتصالح مع ذاتها ومع الآخرين، لأنّها تكسبها الجرأة والقدرة لاقتحام العالمين الخياليّ والواقعيّ، والوعي هو محرّكها، ويكفي أن نذكر أنّ في لغتنا العربيّة يغلّب المذكّر على المؤنّث، حتىّ وإن كان واحداً والمؤنّث مئة، فيخاطبوا الجمع بضمير أنتم أو هم ولا يصحّ أن يقال أنتنّ أو هنّ على الإطلاق.

لعلّ ردّ ذلك إلى هيمنة الفكر الرّجوليّ عند العرب، من هنا خضع النّحو إلى هذا التّفكير والأمر نفسه بالنّسبة لباقي العلوم، هذا يدلّ على أنّها من ابتكار عقل الإنسان، وأنّها قابلة للرّد وإعادة التّفكير في مفارقاتها الّتي تحتاج إلى تبرير!!! "وانضواء ضمير المؤنّث هي "she" تحت ضمير المذّكر"HE" في الوثائق القانونيّة والتّعميمات...له مضامين مشابهة، وليس من المصادفة، أن تتحدّى النّساء هذه

---

[1]- بوشوشة بن جمعة: الرّاوية النسائيّة المغاربيّة، المغاربية للطّباعة والنّشر والإشهار، تونس، ط٠١، ٢٠٠٣، ص١٥٠،١٥١.

[2]- وفاء مليح :(أنا اكتب، أنا موجودة ...)، ضمن كتاب: الكتابة النّسائية، التّخييل والتّلقي، تنظيم المكتب المركزي لاتّحاد كتّاب المغرب، بتنسيق مع فرع الاتّحاد بأسفي وبتعاون ودعم من جهة دكالة عبدة والمجلس البلدي لمدينة أسفي، (دط)، (دت)، ص ٢٠٢،٢٠٣ .

[3]- وفيق سليطين: الكتابة السّالبة من المتابعة إلى الحوار، ص٢٠.

الاستعمالات اللّغوية بالإصرار على ضمائر التّذكير والتّأنيث، في حقبة يزداد بها وعيهنّ لآثار التّراتب الّذي تمليه اللّغة"[1].

ولمّا كانت اللّغة سلطة في حدّ ذاتها، كان لزاما على النّسوة وهنّ يتعاملن مع هذه اللّغة أن يؤسّسن لعلامات خصوصيّة تلائم كيانهنّ الذّي يبحث عن التّحرر من كلّ القيود السّلطوية ليواجه لغة الفحول.

بهذه الصّفات التّي تتميّز بها اللّغة وجدت المرأة الكاتبة تشابها بين الكتابة وبين جسدها المفطور على التّمدد والجريان والعطاء والحياة، فكان عليها أن تحققّ انسجاما بين الكتابة وبين ذاتها، فجاءت لغتها "لغة تتوفّر على علامات حساسيّة نسويّة تجعلها تختلف عن تلك الّتي يستعملها الرّجل في كتابته بحكم ما تتميّز به من دفق شعوريّ ودفء وطابع شاعريّ غنائيّ، ونزوع إلى الإيحاء من خلال المزاوجة بين الواقع والحلم، الحقيقة والخيال، الحسيّ والمجرّد"[2].

لذلك من الخطأ أن نعتبر المرأة لا تكتب إلاّ ذاتها، وأنّ كتاباتها تدخل في إطار السّيرة الذّاتية فقط، وحتّى إن كتبت سيرة ذاتية، فبمزجها بين الخياليّ والواقعيّ، وقدرتها على التّخفي والمراوغة، تجعل القارئ لا يتفطن أنّها تكتب ذاتها فقط، "تطلّ الذّات الكاتبة المبدعة على العالم لتخوض تجربة الكاتبة الّتي هي تجربة شديدة الخصوصّية، لا تنتسب إلاّ إلى الذّات المعبّرة، تخترع باللّغة عوالم بديلة افتراضيّة أكثر صدقا وجمالا وحقيقة من العالم الواقعيّ القبيح، لتصير اللّغة في هذا المعنى، بديلا من العالم ومن الحقيقة."[3]

ولذلك كانت الكتابة الرّوائية أقرب إلى نفسيّة المرأة من الشّعر والأجناس الأدبيّة الأخرى، لما تسمح به من ذكر للتّفاصيل والاحتفاء بها " وتتجلىّ هذه الخصوصيّة اللّغوية في الكتابة الرّوائية النّسائية في عدد من العلامات منها ما تعمّدت فيها الكاتبات استخدام لغة مرسلة في شبه عفويّة وطلاقة ونفس بعيد عن القوالب المنحوتة أو الرّصف الهندسيّ إلاّ نادرا، فهنّ لا يعمدن إلى التّجويد في الكلام

---

[1]– بيلسي كاترين: الممارسة النّقدية، ص٦٠.

[2]– بوشوشة بن جمعة: الرّواية النّسائية المغاربيّة، ص١٥٣.

[3]– يسرى مقدّم: الحريم اللّغوي، شركة المطبوعات للتّوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠١٠، ص٦٩.

بقصد التأنّق ولا يتلاعبن كثيرا بالأبنّية، ممّا يجعل بلاغة اللّغة التّي يكتبن بها في أنّها ترفض البلاغة".[١]

باعتبار البلاغة قواعد وضعها الفحول، وأصبحت تشبه الأصنام التّي ينبغي أن تكون سيّدة في كلّ نص، ولهذا جاءت فلسفة النّسوية رافضة لكلّ صنم ومصرّة على وضع البديل النّافع الّذي يلائم هويّتها. فكان اللّجوء إلى اللّغة البسيطة إحدى خصوصيّات هذه الكتابة "فأكثر الألفاظ هي من المتداول، كلمات قريبة المعنى ومأخوذة إجمالا من قاموس اللّغة العصريّة وتداخلها في بعض المواضع مفردات دارجة، فهنّ يكتبن بكلمات عصرهنّ وأدناها إلى فهم القارئ، ويبدو ذلك صادرا عن مذهب فنيّ في الكتابة قوامه اللّغة الوسيطة بين الفصيح والدّارج خاصّة في الحوار".[٢] وهذا التّوصيف لا ينسحب على جميع الكاتبات، بقدر ما يكون مرتبطا ببعضهنّ فقط.

إنّ حضور الكتابة ولا سيّما النسويّة منها "وإنجازها لنفسها، يعدّ تهديدا لمركزيّة حضور العقل، ومركزيّة حضور السّلطة ومركزيّة حضور الجسد خارجها. وإذا كان ثمّة حضور للحقيقة، فإنّه يتمثّل في تفكيك الكتابة لكلّ هذه المراكز لا لتكون مركزا بديلاً ولكن لتكون قراءة يطلّ منها الغائب، والممتنع، وما لم يفكّر فيه، والهامشيّ، والمنفيّ وما لم يتخلّق جسدًا على: المحتمل، والممكن، والكائن من غير ابتداء، والصّائر من غير انتهاء."[٣]

إنّ فعل الكتابة هذا يشبه عمل السّحر في الخيال والواقع وعلى النّفس والعقل؛ فهي وحدها القادرة على الوصول إلى نقاط لا يصل إليها غيرها. كما أنّها وحدها القادرة على تغيير الكائن أو الذّات من موقف إلى آخر، وليست العبرة في البساطة أو التّعقيد بقدر ما يكون المضمون هدفا في الكتابة، ولكن " إيثار البساطة في نظم الكلام جعل لغة الكتابة النسائيّة تتميّز بسرعة الإيقاع الذّي يعكس انفعالات داخل الأنثى ويكشف عن أحوالها عند التّناغم أو التّنافر. فالجمل في الأغلب قصيرة، متعاطفة أو متلازمة، تنسحب أحيانا ليعوّضها نوع من كتابة البياض تعبّر عنه علامات تعجّب أو استفهامٍ أو نقاط متتابعة. وهو ما يسم نسقها بالتّدقيق الذّي يجسّد حال توتّر

---

[١]– بوشوشة بن جمعة: الرّواية النّسائية المغاربيّة، ص١٥٠.

[٢]– المصدر نفسه، ص١٥٠.

[٣]– منذر عيّاشي: الكتابة الثّانية وفاتحة المتعة، ص٢٧.

الذّات الكاتبة وهي تمارس فعل الإبداع. ومن علاماتها تقطع العبارة بانعدام الرّوابط وتسارع الوتيرة والتّرجيع الغنائيّ وتقسيم الكلام إلى وحدات إيقاعيّة متساويّة."[1]

من هنا كان الاحتفاء باللّغة وببساطتها، بفراغاتها على البياض، باستفهاماتها وتعجّباتها وتدفّقها الشّعوري النّسوي هدفا من أجل إبداع نصّ غير مألوف؛ "فيتداخل بذلك السّردي والشّعري، الحواريّ والغنائي، إلى حدّ يعسر معه تمييز حدود الرّواية عن تخوم الشّعر لغة وإيقاعا ومتخيّلا. ولعلّ هذه السّمة نجد تعليلها في أنّ الشّعر يجد صداه في النّسيج النّفسي للمرأة إذ يعدّ من الفنون التّي تؤثرها إن لم يكن أكثرها في نفسها. ثم إنّ عددا مهمّا من كاتبات هذه الرّواية المغاربيّة قد مارسن الكتابة الشعريّة قبل أن تستهوينهنّ الرّواية، فيخضن مغامرة كتابتها."[2]

ولقد شكّلت الكاتبة النّسوية الرّوائية منحى تصاعديّا من خلال ازدياد عدد الكاتبات كمّا ونوعا. وتعدّ الكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي" من أبرز الكاتبات المغاربيّات اللاّتي خضن تجربة الكتابة الشّعرية ثم انتقلن نقلة نوعيّة إلى ممارسة الكتابة الرّوائية التّي كانت سببا في العالميّة والتّفرد.

إنّ اللّغة سلاح ذو حدّين بإمكانه أن يرفع الإنسان وبإمكانه أن يحطّ من قيمته، وتعامل اللّغة مع المرأة والتّأنيث لم يكن عادلا بأعين بعض من الكتّاب والكتابات على حدّ سواء، "فحتّى اللّغة قللّت من قيمة المرأة ومن قدرتها ووزنها وألجمتها على التّجوال في تفاصيل الكلمة ودقائقها بينما أتيح للمذكّر مجال التّحرك بشيء من الحريّة الممكنة."[3]إذ يصل الأمر إلى حدّ إن كتب المذكّر عن الطّابوهات مثلا، عدّ الأمر عاديّا، وإن كتبت الأنثى عن ذلك يصبح الأمر غريبا ومخالفا للتّقاليد، وخروجا صريحا عن الأخلاق والقيّم، وتبقى الكتابة النّسوية في تحدّ لتجاوز كلّ السّلطات سواء كانت ذكوريّة أو لغويّة أو اجتماعيّة أو سيّاسية أو ..، والمشكلة الأكبر الّتي ينبغي أن يتنبّه

---

[1]- بوشوشة بن جمعة: الرّواية النّسائية المغاربيّة، ص١٥٠.

[2]- المصدر نفسه، ص١٥٠،١٥١.

[3]- الأخضر بن السّايح: (نصّ المرأة وعنفوان الكتابة)، ص٢٧.

لها الجميع هي أنّ " تاريخ السّلطة الأبويّة المهيمنة محفوظٌ محروسٌ باللّغة داخل اللّغة."[١]

ومن ثمّ على المرأة أن تتّخذ من اللّغة الوسيلة والهدف في الآن ذاته، باعتبار اللّغة السّلطة التي تخفي خلفها كافة السّلطات. وإذا كان جمع المذكّر السّالم يستوجب أن يكون من "علم مذكّر عاقل خالٍ من تاءِ التّأنيث الزّائدة"[٢]، فكذلك جمع المؤنّث السّالم يرفض أن تكون فيه علامة تذكير واحدة.

٦/ الكتابة النسويّة والجسد:

إن ارتباط التّعبير بالجسد فكرة جوهريّة تبرز لنا الحكمة التّي من أجلها خلق المولى عزّ وجلّ هذا الجسد الإنسانيّ والمتمثّلة في التّعبير والتّواصل بوصفه كائنا اجتماعيا بالدّرجة الأولى لا يمكنه أن يعيش وحيدا في عزلة عن أخيه الإنسان. ومن هنا أخذت تيمة الجسد في الكتابة النسويّة عدّة دلالات زئبقيّة صعب حصرها؛ فتناولها النّقد النّسوي من زوايا مختلفة؛ حيث نظر بعض النّقاد إلى الكتابة بالجسد على أنّها ميزة في الكتابة النّسوية تستحقّ أن تكون أداة للغوص في خبايا النّص الأنثوي، ونظر إليها بعضهم الآخر على أنّها غواية ولفت نظر ومجرّد تحريك قلم !! و"التّعرف على الجسد، ومحاولات اكتشافه ليست جديدة، بل قديمة قدم الإنسان، غير أنّ الرّؤية الذّكورية هي التّي تسلّطت على جوانب هذه الثّقافة، وأخضعتها لقوانينها، حيث حضرت المرأة في النّص المتوارث رديفا للنّقص والخطيئة والمحظورات ممّا أدّى إلى أن تتجلّى صورتها في النّصوص الأدبيّة موضوعا ومفعولا به وليست ذاتا فاعلة". [٣]

تحكّم الفحول في اللّغة بوضع قواعدها، ثمّ سخّروا السّلطة اللّغوية في القرآن الكريم لخدمة ما يناسب مزاجهم، ثمّ ذهبوا إلى التّاريخ ليسجّلوا فيه ما أرادوا ويوّاروا المرأة وكأنّها كائن غير موجود معهم.

لقد "ظهر مصطلح "كتابة الجسد، ليشير إلى تلك الكتابة النّسائية المنطلقة من الجسد، والمصطلح أطلقته جوليا كريستيفا عام١٩٧٤م في كتابتها (ثورة اللّغة في الشّعر) ومن ثمّ تحوّل الجسد في الثّقافة النسويّة إلى رمز للتّعبير عن وعيّ المرأة

---

[١]- يسرى مقدّم: الحريم اللّغوي، ص٦٩.

[٢]- عبد الله محمّد الغذّامي: المرأة واللّغة، ص٢٥.

[٣]- هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، ص١٥٧.

بذاتها ورغبتها في الاستقلال، ومقاومة سلطات القهر الذّكوري عبر التّاريخ، ممّا جعله بؤرة الإبداع المعاصر."[١]

اشتغلت الكتابة المعاصرة على تيمة الجسد في الشّعر والرّواية، ممّا جعلها تيمة بارزة في الخطاب النّقدي المعاصر، لا سيّما في مجال النّقد النسوي، إذ " لم تعد إشكاليّة الجسد الأنثويّ في الكتابة محدودة إنّها تعدّ أهمّ إشكاليّات النّقد المعاصر في سيّاق مناهجه كافة، وخاصّة مع انتشار الكتابة السّردية انتشارا لافتا، ومن ثمّ صار الجسد أهمّ بكثير من أيّة بنية واقعيّة أو موضوعيّة يمكن أن يوصف بها إنّه غدا بنية تخييليّة كبرى في الإبداع من جهة، وفي تلقي الإبداع من جهة أخرى، وهكذا صار الخطاب الأدبيّ أو الثقافيّ سابحا في جغرافيّة الجسد الأنثويّ الممتلئ بالدّلالات والإيحاءات..."[٢]

ويعدّ الجسد الأنثوي "قيمة ثقافيّة وجماليّة كبرى بإمكانها أن تجعل الخطاب الإبداعيّ النّسويّ خطابا مغايرا للخطاب الذّكوري؛ وذلك انطلاقا من خصوصيّة بيولوجيّة وطبوغرافية* هذا الجسد أولاّ، وممّا أقيم حوله من تيمات وعلاقات أسطوريّة وواقعيّة وإشكاليّة عديدة...جعلت هذا الجسد المشبع بتصوّرات الموت والجمود محور النصّ، الأكثر حياة وإثارة وقابليّة للتحوّل، بصفة هذا الجسد قيمة جماليّة تميّز الأنثى تحديدا ؛..."[٣] مشكلة الجسد الأنثوي أنّ نظرة الفحول إليه تتغيّر بين ثنائيّة المدنّس والمقدّس حسب تغيّر أهوائهم ودون مبّرر، فمن جهة هو جسد جميل ذو قيمة في حياة الرّجل، ومن جهة أخرى هو مدنّس ينبغي أن يقمع ويحاصر وتمارس عليه مختلف السّلطات اللّغوية والدّينة والتّاريخية والاجتماعية و... لذلك تصرّ إحدى الباحثات على أن" الكتابة بالجسد تكسب الذّات النسويّة هويّتها، تلك الهويّة الّتي تنقاد مرغمة للسّائد الاجتماعي والأعراف المجتمعيّة. هكذا تتأرجح الذّات بين الإحساس المؤلم لما هو سائد والاعتراف به كواقع وبين

---

[١]- المرجع نفسه، ص١٥٧.

[٢]- حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة و الإبداع، ص١٦١.

* Topographie. : المقصود بها جغرافيّة أو تضاريس الجسد، وهو نقل من عالم الجغرافيا إلى عالم النّقد الأدبيّ.

[٣]- حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص١٥٧.

الإنصات إلى رغبات الجسد السّالبة عبر قدرة المرأة على كشف المسكوت عنه من خلال الكتابة، وتعمد إلى محاولة التّعبير عن الذّات، لا أقصد تعبير الذّات عن المشاعر والأحاسيس فقط، أو عن الأفكار التّي تدور في داخلها، بل التّعبير كما ينطوي عليه الجسد، عبر الإيحاءات والإيماءات."[١]

تبتكر المرأة لغتها وتحمّلها بكلّ هواجسها وتستخدم جسدها ومشاعرها فهي كلّ يعمل ككائن يصغي إلى ذاته وإلى الآخرين، ويتغيّا الكتابة التّي تحقّق الانسجام مع العالم بكلّ ما فيه من سلطة فحوليّة وحصار واضطراب، إنّه "يصعب أن نفصل جسد المرأة عن وعيها ونفسيّتها وخيالها وتصرّفاتها، وكلّ ما ينتج عنها من علامات واعيّة أو غير واعيّة تّجاه ذاتها والآخر ومكوّناتهما من حولهما؛ لكنّنا ندرك أنّ التّعامل مع هذا الجسد بصفته جسدا أنثويّا يفرض خصوصيّة طافحة على النصّ النسويّ الذّي أخذ على عاتقه إعادة الاعتبار إلى هذا الجسد، من خلال تفعيل إنسانيّته، وحريّته، وجماليّته، وتصوير غربته واستلابه، ومن ثمّ تختلف الكتابة النسويّة عن كتابة المجتمع الذّكورية التّي تعاملت مع هذا الجسد من خلال استلابه عن طريق التّدنيس أو التّقديس أو التشيّئ أو التّرميز..."[٢]

لم تكن المرأة تريد ممارسة الإغراء باقتحامها عالم الكتابة، بجسدها بل أرادت فقط التّعبير عن إنسانيّتها التّي جعلها الفحول تشعر بغربتها لمّا أرادوا طمس خصوصيّتها ونفي ذاتها بمحاولة منعها الكتابة، فأصبح " الجسد وثقافته وسيلة من وسائل التّعبير ومعطى ينتج دلالته، وربّما تكون الكتابة السّردية هي المنطقة الأكثر قدرة على تمكين المرأة من ذلك، فمن خلال السّرد يمكن للمرأة أن تعيد إنتاج الأحداث كيفما تشاء من زاويّة رؤية مختلفة عن تلك الرّؤية الذّكورية التّي شكّلت التّاريخ."[٣] لاسيّما أنّ السّرد هو الكتابة الّتي تحتفي بالتّفاصيل والجزئيات عكس الشّعر الذّي يعتمد على الومضات وعلى تكثيف المعنى، لذلك كتبت الكثيرات الشّعر في البداية ثم استقرّ قلمهنّ على كتابة السّرد، فالمرأة الأولى "شهرزاد" كانت تحكي ولم تكن شاعرة.

---

[١]– هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، ص١٦٦.

[٢]– حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص١٥٨، ١٥٩.

[٣]– هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، ص١٦١.

وذهبت "خالدة سعيد" إلى أنّ " التأمّل في بعض الأعمال الإبداعيّة النّسائية، لا سيّما في مجال الرّواية بصورة أوضح، يكشف كيف تتلامح سمات ونظرات تفتح الثّغرات في جدران النهائيّات والمسلّمات التماسا لرؤى أعمق التزاما بالبحث عن الحقّ والخير، وأكثر تطلّعا لآفاق إنسانيّة بلا سجون مموّهة أو حتّى نهائيات إيديولوجيّة فكريّة أحاديّة مقفلة؛ رؤى تتمثّل بحثا لاهفا عن معنى حركيّ متجدّر للإنسان قوامه، التّواصل والتّكامل، التّعدد والتّجاوز لا التّناي وتبادل الإلغاء."[1]

هو بحث عن الخصوصيّة في الكتابة، بحث عن الحياة المليئة بالحركة والتّفاعل والتّجدد لذلك تضمّنت هذه الخصوصيّات في الرّواية فهي وحدها المجال الرّحب لاستقبال كلّ ما يدور في خاطر الكاتبة دون قيود.

لا تختلف الكتابة النسويّة "عن الرّقص(فنّ الحركة) والوشم(فن الزّينة) في كونها (الكتابة والرقص والوشم)علامات نسويّة تنشر الدفء في الحياة في الجسد الميّت وتبرزه للآخر؛ لتؤسّس لامرأة مختلفة؛ تتجاوز وجودها الخاص وتعطي لذاتها حقّ مساءلة طبيعة هذه الرّغبة التّي يلحقها الرّجل بجسدها، فالمرأة الّتي تكتب (باللّغة والوشم والرّقص) تغيّر أماكن التّمويه بجسدها وتعبّر عن رغبة لا تتكلّم اللّغة نفسها التّي يبرّر فيها الرّجل رغبته بالذّات عن طريق سلطتي العقل والقضيب،..."[2] وإذا عدّ جسد المرأة(بالرّقص والوشم) لغة لا تتكلّم لغة الرّجل، فالكتابة كانت أبلغ لغة سعت إليها المرأة لأنّها لم تكتف بلغة الرّقص والوشم اللّتين كثيرا ما اعتقد الرّجل أنّها ابتدعتهما من أجل أن تحقّق رغبته في المتعة فقط !!

إذا فعل الكتابة "لدى النّساء، بشكل أخصّ، هو عمليّة تحرّر من حيث إنّه وعي وموضعة وكشف لتجارب ومعانيات وتصوّرات وحاجات وأحلام طال عهدها بالصّمت والخفاء، والكتابة تبلورها، تخرج بها إلى مدار العّام، تسمح بتشكّل خصوصيّاتها تشكّلا داخل قوانين العامّ كمتخيّل جماعيّ وقضايا ولغة وتصوّرات ومنظومة إشاريّة قيميّة وموروثات. هذه الموضعة تطمح إلى تدخّل الكتابة (النسائيّة) في تشكيل المفهومات وتشكيل المتخيّل والتّأثير في منظومة القيّم والمصطلحات."[3]

---

[1]- خالدة سعيد: في البدء كان المثنّى، ص١٨٤.

[2]- حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص١٦٠.

[3]- خالدة سعيد: في البدء كان المثنّى، ص١٨٧.

إذا تسعى الكتابة النسويّة إلى إحداث عمليّة التّأثير في الأفكار والمنظومات والقيّم وفي ما هو سائد من الكتابة بغرض تقويض ما وضعه الفحول من مسلّمات في كلّ المجالات و"جاءت جرأة المرأة في الكتابة عن جسدها لتستفزّ المفاهيم الذّكورية عن المرأة إنسانة مبدعة"[1] تحكّم طويلا الرّجل في جسدها واستغله وفق مصالح الرّغبة والكسب ودون أن ينتبّه إلى الشّرخ الذّي سببّه لها عبر الزّمن "وامتدّ الأمر إلى فنون التّشكيل والدّعاية والنّحت إلى السّينما، حيث صار جسد الأنثى وسيلة لجذب المشاهدين، وكثيرا ما تظهر الدّعايات للأفلام وفيها صّور لامرأة عاريّة أو شبه عاريّة، حتىّ وإن كان الوضع الحقيقيّ في الفيلم ليس كذلك".[2]

ومهما بلغت المرأة من الوعي في كتاباتها فإنّ المرأة التّي لا تكتب بمعنى أنّها تغترف من مجالات الحياة الأخرى، مازالت تستغلّ باسم التّحرر والمساواة، فالمرأة تكتب بجسدها "مالا يستطيع النّظام الرّمزي الذّكوري تفكيكه أو فهمه"[3]. فللكتابة النسويّة أسرار، أدركتها النّساء فعملت على تمويه الفحول الذّين اعتادوا على كتابة أخرى مختلفة عن كتابة المرأة فعيّنوها بأنّها نسويّة، فجاء تعيينها خصوصيّة في حدّ ذاته.

لقد كتبت المرأة في كلّ المواضيع مثلما كتب الرّجل "فزعم بعض النّقاد أنّ جرأة الكتابة لدى المرأة بتجاوزها الخطوط الحمراء واقتحامها المناطق المحرّمة والمواضيع التّي ظلّت دائما تنتمي إلى مجال المحرّم (كالاستمناء، التحرش الجنسي، زنا المحارم، الجنسيّة المثليّة) والتحّدث عن علاقات تعدّ في قائمة الطّابو أي ما يسمى بالأدب المكشوف، هي نوع من لفت الانتباه وتسليط الأضواء على الشخصيّة المبدعة ونوع من الإغراء الذّي تمارسه المرأة منذ أزمنة خلت، هي عملية أنثويّة تستهدف الجذب بما تمتلك المرأة من سلطة إغراء كسلطة وحيدة."[4]

ثنائية(المرأة/الإغراء) هي الأسطورة التوراتيّة المشوّهة لحقيقة خروج آدم من الجنّة واستمرّت كنسق مضمر يتحكّم في عقليّة الفحول حين فوجئوا بكتابات المرأة، فلم يجدوا من التّهم ما يرمونها به إلاّ اتهامها بأنّها مازالت عاكفة على ممارسة

---

[1]– وفاء مليح: (أنا اكتب أنا موجودة ...)، ص٢٠٥.

[2]– عبد اللّه محمّد الغذّامي: المرأة واللّغة، ص٣١.

[3]– حفناوي بعلي: مسارات النّقد ومدارات ما بعد الحداثة، ترويض النصّ وتقويض الخطاب، أمانة عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧، ص١٦٥.

[4]– وفاء مليح: (أنا اكتب أنا موجودة ...)، ص٢٠٥.

الإغراء بكتاباتها وبالمواضيع التّي تكتبها، "إنّ قراءة الجسد النّسوي تفضي إلى إشكاليّات في الرؤى والجماليّات، وهنا يمكن الحديث عن قراءات مفتوحة وإمكانيّات متعدّدة، بحيث يغدو الجسد نسقاً محوريّا في الثّقافة والإبداع وعلى وجه الخصوص في الكتابة السّردية النّسوية".[1] التّي تحتفي بتفاصيل هذا الجسد أيّما احتفاء.

ومع كلّ الخصوصيّات المبتوتة في الكتابة النسويّة والأساليب المتنوّعة والمواضيع المطروقة، ...وهذه الجهود المبذولة لرفع شعار النسويّة عاليا بعيدا عن العقد والحطّ من قيمتها، إلاّ أنّ هناك من الفحول من يشهد لها بأنّ " ليس بإمكان المرأة التّي منعت في زمكانيات عديدة من ممارسة الإبداع أو الكتابة بحريّة مماثلة لحريّة الرّجل وبسبب القيود المفروض على جسدها تحديدا؛ إلاّ أن تجعل جسدها إشكاليّة نسويّة حقيقيّة في كتاباتها، ردّا على كون هذا الجسد متناقضا، مقدّسا في الوقت نفسه في الكتابة الذّكورية ،..."[2]

هو تضاد في شكل ثنائيّة (المقدّس والمدنّس) أراد الرّجل أن يضع المرأة الكاتبة فيه ليشوّش ذهنها، ويحرمها متعة الكتابة الّتي ترنو إليها، " ومن غريب التّناقضات التّي تكتنف كيان المرأة، هذا الازدواج في جسمها: فهو نجس، والعلاقة الجسديّة، لاسيّما خارج مؤسّسة الزّواج خطيئة مميتة أو من الكبائر التّي تستحقّ عليها الرّجم، وجسم المرأة بكلّ ما يطرأ عليه من عوارض يعدّ نجسا، مع ذلك فإنّ هذا الجسد نفسه يتمتّع بأهميّة لا مثيل لها، ويحاط بهالات وطقوس، والمساس به مساس بطابو الأسرة أو القبيلة، وهو انتهاك عقوبته القتل غسلا للعار في حمى القوانين أو تساهلها"[3] .

الجسد يحمل التّناقضات–حسب رؤية الفحول– في ذاته وفي التّعامل معه– من طرف الفحول– لذلك كانت إشكاليّات الكتابة النسويّة ليس في المصطلح والمنهج فقط، بل في المواضيع وفي الرؤى وفي الخصوصيّات وفي التّعامل مع الخطابات الإبداعية والنقديّة النسويّة وفي.. كلّ ما يحيط بها من استفهامات، لذلك "اتّخذت الكاتبة لنفسها في ممارسة الكتابة الأدبيّة المعاصرة أسلوبين رئيسيين أحدهما أسلوب إبداعيّ على نحو إنتاج كتابة نسويّة متعدّدة الأجناس، والموضوعات، تسعى إلى أن

---

[1]– حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص١٦١.

[2]–المصدر نفسه، ص١٥٨.

[3]– خالدة سعيد: في البدء كان المثنّى، ص٨٦.

تكون متمرّدة على الرؤى الذّكورية وهيمنتهم على العالم، وعلى أساليبهم المألوفة والمهيمنة في كتابتهم، والآخر أسلوب نقديّ متنوّع ومتعدّد المدرسيّة، أبرز ما فيه أنّه دعا إلى إعادة قراءة كتابة المرأة التراثيّة والمعاصرة (وأيضا قراءة الكتابة الذّكورية والثّقافية عموماً) من منظور إيديولوجيا جماليّات (ورؤى) النّقد الأدبّي النّسوي (Féministe literary critias)"[1].

وإذا كانت إعادة قراءة الكتابات (الإبداعية والنّقدية) النّسوية والذّكورية تأتي بفائدة تصحيح الرؤى وإعادة بناء الإيديولوجيات التّي تناسب النصّوص النّسوية أكثر، فهي حلّ لا مفرّ منه من أجل إعادة الاعتبار للخطاب النّسوي. وهذا ما ذهبت إليه "بثينة شعبان" مؤكّدة بقولها: "المشكلة هي أنّ الرّجال والنّساء يكتبون بشكل مختلف لأنّهم مخلوقات تحمل تجارب تاريخيّة ونفسيّة وثقافيّة مختلفة، مثلما يكتب الأستراليون والأفريقيون بشكل مختلف حتىّ ولو كانوا يكتبون باللّغة نفسها. وهذا لا يعني طبعاً أنّ جميع النّساء يكتبن بالطّريقة نفسها، أو أنّ جميع الرّجال يكتبون بالطّريقة نفسها، ولكن هناك خصائص عامة يحتمل وجودها في كتابات النّساء أكثر من كتابات الرّجال، وميزات أخرى تميّز كتابات الرّجال أكثر من كتابات النّساء. ويجب ألاّ يجري تفضيل أيّ منهما، طبعًا، بسبب جنس الكاتب"[2]

ينبغي أن تتدرّب العقليّة الفحوليّة على التّعامل مع النصوص بدلاً من محاكمة أصحابها من أجل إنتاج نقد موضوعيّ في منهجه، وفكره، ومصطلحه. وتضيف "بثينة شعبان"؛ "أنّ عددًا كبيرًا من الكاتبات لم ينلن حقّهن في التّقييم فقط لأنّهن نساء، وبالتّركيز على الأعمال التّي كتبتها النّساء نحاول فقط إعادة التّوازن عن طريق القيّام بالعمل الّذي كان على الرّجال أن يقوموا به منذ وقت طويل، لو أنّهم كانوا يتحلّون بالحدّ الأدنى من الموضوعيّة وعدم التحيّز ضدّ النّساء"[3].

---

[1]– حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص٦٦.

[2]– بثينة شعبان: ١٠٠ عام من الرّواية النّسائية العربية، دار الآداب للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٩٩٩، ص١٣.

[3]– المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

الكتابة النسويّة بحاجة إلى الإقرار بوجود خصوصيتها مقارنة مع ما هو موجود من كتابة عامّة، و"الحقيقة أنّ اختلاف الكتابة النسويّة في بعض الأشكال والمضامين كان جوهريًا منذ نشأة هذه الكتابة، وهذا ما يبرّر حديثًا نشوء النّقد النّسوي الذّي تبنىّ ضرورة إعادة قراءة التّاريخ الثّقافي كلّه على ضوء القراءة النسويّة الّتي تحتفي بالكتابة النسويّة، وأيضًا بصور المرأة وعلاقاتها في الأدب عمومًا سواء تحتفي بالكتابة النسويّة، وأيضًا بصور المرأة وعلاقاتها في الأدب عمومًا سواء أكان هذا الأدب ذكوريّا أم نسويّا."[١]

ومن ثمّ كان "الرّهان الحقيقيّ للدّراسات النّقدية النسويّة منصبّا حول اكتشاف جماليّات العمل الإبداعيّ الّذي يميّز كتابات النّساء عن كتابة الرّجل، فلا يكون الأمر مجرّد خلاف إيديولوجي، ولا قضايا وموضوعات تطرحها المرأة"[٢] إذ تعدّ جماليّات الكتابة النسويّة جوهر الخصوصيّة التي تميّز كتابة المرأة عن كتابة الرّجل، و" تختلف المرأة في جماليّات التّفاعل مع المكان، والزّمان، والحدث، والجسد، والمعجم اللّغوي العام، والأطر الاجتماعيّة والسياسيّة والثّقافية.."[٣]

القضيّة قضيّة تفاعل مع ما يؤثث النصّ من جسد ولغة وأطر مختلفة... لأنّ الرّجل والمرأة مختلفان بيولوجيّا، ونفسيّا فمن المنطقيّ أن يختلفا في تفاعلهما مع كلّ تفاصيل هذا العالم الّذي نعيش فيه. لا سيّما أنّ "الكتابة صانعة لقوانينها، مبتدعة لنظمها، بانيّة لأنساقها. وهي المتصرّفة في الكلمات وما تخبر عنه بها."[٤]

ولّما تمكّنت المرأة من توظيف اللّغة بطريقتها الخاصّة جاءت كتاباتها مختلفة، "وهناك كتابات نسويّة مهمّة في ثقافتنا، فلدينا أصوات نسويّة تستحقّ التقّدير، لأنّها قائمة على أساس جماليّ متميّز، وفي المقابل هناك كتابة نسويّة حظيت بشهرة في وسائل الإعلام، والحقيقة أنّها اشتهرت لأسباب غير إبداعيّة أو ثقافيّة؛ لذلك يجب وضع علامة تنصيص حول "المبدعات الشّابات" الجميلات، كما يجب أن نضع

---

[١]– حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص١٠٨.

[٢]– هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، ص١٤١.

[٣]– حسين المناصرة: (تفاعلات النقد النسوي في الرّواية العربيّة)، ص١١٠٥.

[٤]– منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، ص٣١، ٣٢.

العلامة نفسها حول "المبدعين الشّباب" الاستفزازيين، وأيضا يجب أن نضع علامة تنصيص كبيرة حول "المبدعين الأصنام"!![1]

وحسب رأييّ الشخصيّ، أنّه ممّا جنى على النّقد الأدبي هو تحوّله إلى خطاب محاباة مع بعض المبدعين والمبدعات، حيث أصبحنا نقرأ أحياناً نصوصاً لا تمتّ بصلة إلى الأدب، ولذلك أقول: حريّ بالنّقد أن يعود إلى دوره الفصل في التّمييز بين الأدب واللاأدب كما وضع أصوله نقادنا القدماء والمحدثون.

إنّ الّذين رفضوا خصوصيّات واختلاف الكتابة النسويّة عمّا هو سائد من كتابة، كانت حجّتهم غير مقنعة "ومن أمثلة ذلك أنّ بعضهم جزم بانضواء ما كتبت النّساء من أدب في توليفة نصيّة واحدة متطابقة متجانسة بحكم اشتراك المبدعات في الجنس الواحد، ثمّ لم يتردّد في أن يعيب عليهنّ الرّتابة والتّكرار في مادة الرّوايات ولغتها النّاتجتين - في نظره- عن اشتراك المبدعات كلّهن في "الخصوصيّة الأنثويّة " وهذا من غريب المفارقات الكاشفة في نظرنا عن بعض الحيرة في التّعامل مع ما كتبت المرأة والموقف منه."[2]

هي أحكام مسبقة تدّل على نسق فحوليّ مضمر مخبوء في عقليّة الرّجل النّاقد الّذي يحطّ من قيمة المرأة حتّى وإن كان لا يشعر، فهل كان سيعجبه الأمر لو قالت الكاتبات: بتشابه ما يكتب الرّجال باعتبارهم جنساً واحداً، كما قال هو عن كتابتهنّ؟

وخلاصة ما يمكن إثباته في شأن مدى توفّر الكتابة النّسائية على الخصوصيّة والاختلاف هو "أنّها تتضمّن علامات خصوصيّة وملامح اختلاف متعدّدة تتجاوز هواجس الكتابة لتتّصل بشواغل الفكر، وأشكال التّعبير، ومستويات الكلام، ومسالك التّخييل حتّى وإن تعمّدت النّساء الكاتبات أنفسهّن نفي علامات الخصوصيّة ودلائل الاختلاف استنادا إلى خلفيّة تروم تحقيق المساواة مع الرّجل في فعل الكتابة بمنأى عن التّصنيف الجنسيّ له."[3]

---

[1]- حسين المناصرة: النسويّة في الثّقافة والإبداع، ص ٠٦، ٠٧.

[2]- نجوى الرّياحي القسنطينيّ: النّسائية من محافل الغربة، مركز النّشر الجامعي، منوبة تونس، (د.ط)، ٢٠٠٩، ص١٣٦.

[3]- بوجمعة بن شوشة: الرّواية النّسائية المغاربيّة، ص٢٩.

ولعلّ من الأصوب أن يكون الموقف النّقدي في الحكم - على أيّة تجربة إبداعيّة سواء أكانت رجاليّة أو نسائيّة- موضوعيّا، خاليّا من التعصّب المبنيّ على الاختلاف في الجنس (ذكر- وأنثى) لأنّ هذا لا يخدم الحركة الإبداعيّة ولا النّقدية، بل قد يكون إسهاما في تشظّي الكتابة النسويّة، وقد آن الأوان أن نستجمع قوانا من أجل هدف علميّ نبيل هو أن نحقّق في أفعالنا النّقدية قصديّة إبراز جماليّة الكتابة بغضّ النّظر على أن تكون صاحبتها امرأة، ولا يمكن أن يمتدّ إلينا الإحساس بالنّقص أثناء قراءة أيّ عمل إبداعيّ نسويّ، لأنّه في الأوّل والأخير هي تجربة إبداعيّة تنصبّ في حركيّة التّأريخ للمسار الإبداعيّ العربيّ.

دور الشعر في تصويب الفكر وتحقيق السلام

الأستاذ/ موسى حبيب
أستاذ محاضر
جامعة مصطفى اسطمبولي/ معسكر- الجزائر

١- توطئة:

لا تُقدّر الأفكار الصحيحة بثمن، ولا يضاهيها مال؛ لأنها بنات العقل الراجح الذي يؤثّر في النفوس بالأفكار السديدة الصحيحة، ولا يتأثّر بالأفكار المنحرفة غير الصحيحة؛ فشتّان ما بين عقل راجح، منير صاحبه متنعم وناجح، وبين عقل ضال منحرف، يشقى صاحبه في جهالة غير منعم بحياته :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِه وَأَخُو الجَّهَالَة فِي الشَّقَاوَة يَنْعَمُ[١]

فالعقل هو مصدر الأفكار ومنبعها، الأفكار تنبع من العقل، والعقل هو الذي يوجهها ويصوّب طريقها، ويحميها من الزيغ والانحراف، بل ينوّر هذه الأفكار بأضواء من الحكمة. والمفكر هو الذي تنبع أفكاره من صميم العقل، ويتأمل الأشياء، ويتوخى الحكمة في الأمور ويستأنس بتجارب الحياة وسبلها الناجحة.

٢- أهمية الشعر عند العرب:

صوّر الشعر حياة العرب تصويرا دقيقا، وجسّد أيامها ووقائعها، ومثّل حياتها السياسية والدينية والخلقية والعلمية واللغوية أحسن تمثيل، فكان نهجًا أمثل يضع بين القارئ المتمعّن دستورا أو سجلاّ تاريخيا فيه من الشواهد الشعرية الخالدة، والحكم النادرة ما يمكن أن يستأنس به في توجيه مسار حياته، التي ترنو إلى كل أنماط العيشة المستقرة الرغيدة، وتنأى عن أسباب الشقاء والتعاسة والجهالة والضلال.

---

(١) - المتنبي، الديوان، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ج١، ص١١٤٢.

ولكن بين هذا وذاك كان لابد من دستور ربّاني يتمّم هذه المكارم الأخلاقية، ويوجّه هذه العادات والسنن الشعرية الوجهة الصحيحة، ولم يكن ذلك إلا القرآن العظيم.

٣- دور الشعر في تحقيق السلام:

ولا يخفى على أحد ما للشعر من دور كبير في **نهضة الشعوب، وتحقيق السلام وتصويب الفكر الإنساني**، وإذا قلنا الشعر، فإننا نقصد بذلك **الحكمة الشعرية** الخالدة التي ترويها الأجيال وتردّدها الألسنة مع الأيام، وقد صدّق القرآن الكريم والحديث النبوي كثيرًا من الحكم والأمثال الجاهلية من مثل قول زهير بن أبي سلمى:

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صُورَةَ اللَّحْمِ والدَّمِ[١]

قال عليه الصلاة والسلام:" **الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ: قَلْبُهُ ولِسَانُه**".[٢]

ولنا في تاريخ الجاهلية نزر غير يسير من المواقف الشعرية التي كان لها دور كبير في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلم المجتمعي؛ يقول زهير:

وَمَا الْحَربُ إلاَّ مَا عَلِمْتُم وذُقْتُم وَمَا هُو عَنْها بالْحَدِيثِ الْمُرجَّم
مَتَى تبعَثُوها تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتضْرَ إذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فتضرم
فَتَعْرُكُكُم عَرْك الرَّحى بثِفَالِهَا وَتَلْقَحْ كِشَافًا ثُمَّ تُنتج فَتُتْئِم
فتُنتِج لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهم كَأَحْمر عَادٍ ثُمَّ تُرضِعْ فَتَفْطِمِ[٣]

وقد أثنى على الرجلين الذين أصلحا في حرب داحس والغبراء ثناء جميلا؛ إذ قال:

يَمِينًا لَنِعْمَ السيِّدَيْنِ وُجِدتُما على كُلِّ حالٍ من سَحِيلٍ ومبرَمِ[٤]

وفي صدر الإسلام، حينما التقى عمر بن الخطاب بولد هرم بن سنان، قال: أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال:" لقد كان يقول فيكم فيحسن، قال: يا أمير

---

(١) - الزوزني، شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢٠٠٥، ص١٢٧.

(٢) - وقد روي أيضا: المرء بأصغريه: لسانه وجنانه. ذكره العجلوني فقال: قال النجم: ذكره السيوطي في مختصر " النهاية" من زيادته عليها، ونقل تفسيره المذكور- أي زيادته بلسانه وقلبه- الفارسي وابن الجوزي، ينظر كشف الخفاء٢/٢٩٦.

(٣) - الزوزني، شرح المعلقات السبع، الصفحات: ١١٦- ١١٨.

(٤) - نفسه، ص١١٢.

المؤمنين، إنا كنا نعطيه فنجزل، قال عمر: ذهب ما أعطيتموه، وبقي ما أعطاكم"[١].

وكأني به يؤكد على قيمة الحكمة وأفضليتها على المال؛ لأن الحكمة الشعرية باقية غير ماضية، وقد تكون سببًا في إصلاح ذات البين، **وتوجيه الفكر إلى جادّة الصواب**، وهذا ما لا تستطع الماديات أن تصنعه.

ولهذا، استطاع الإسلام أن يوجّه الفكر الإنساني ويحقّق السلم والسلام في المجتمع العربي قديما على ما كان عليه من قساوة البيئة، وصعوبة العيش، خاصة وأنه كان غارقا في أوحال العصبية، وقد كان شعار هذا النزوع العصبي قول القائل:

وَمَا أنا إلاّ من غُزَيّةَ إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرْشُد غُزَيَّةَ أَرْشُد[٢]

لكن الإسلام بسماحته ، وحكمته استطاع أن يهذّب الأخلاق، وأن يقيم التسامح والتعاطف والألفة مكان التعصب والتنافر والفرقة، عملا بقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم

(واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ولا تفرَّقوا واذكُروا نِعْمَةَ اللهِ عليكم إذ كُنتم أعْداءً فألَّف بين قلُوبِكم فأصبَحْتم بنِعْمتِهِ إخْوانا).[٣]

لقي عمر بن الخطاب رجلا يقال له (الزبرقان بن بدر) غاضبا، فقال له: ما خطبك؟ قال الزبرقان: لقد هجاني الحطيئة بقوله:

دَعِ المكَارِمَ لا تَرحلْ لبُغْيَتِهَا واقْعُدْ فَإِنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

لكن عمر- رضي الله عنه - بحكمته أراد أن يصرف الرجل عن دلالة البيت الهجائية؛ كي لا تعود الضغائن كما كانت في الجاهلية، فقال: لا أرى هجاء في البيت، وإنما هي معاتبة، لكن الرجل أصرّ، فنادى عمرُ حسانَ بن ثابت . وكان في

---

(١) - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١، ص٨١.

(٢) - دريد بن الصمة، الديوان، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص٥٧.

(٣) - سورة آل عمران، الآية:١١٣.

المسجد . ثم قال له: أتسمع هجاء في البيت فقال حسان: بل سلح في هجائه. وقد سجنه عمر بعد ذلك عقوبة له.[١]

ومن ثَمَّ، أقام الإسلام مجتمعا لا فرقة فيه ولا تمييز، تجمعه كلمة التوحيد، ويتفاضل بالتقوى والإيمان:(**إِنَّ أَكْرَمَكُم عند الله أتقَاكُم**)[٢] (**لا فَرْقَ بين عَرَبيٍّ وعَجَمِيٍّ إلا بالتَّقْوَى**).[٣]

والشعر الذي أقره الإسلام هو الذي ينبذ العنف والعدوان، ويحارب الجهل والطغيان؛ فقد سمع النبي . صلى عليه وسلم . شاعرا ينشد:

وَلاَ خَيْرَ في حِلْمٍ إذَا لَمْ تَكُن لَه بَوَادِرٌ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَّدرَا

وَلاَ خَيْرَ في جَهْلٍ إذَا لم يَكُن لَه حَلِيمٌ إذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

فدعا له رسول الله . صلى الله عيه وسلم . قائلا:" **لا فضّ فوك** "، وفي رواية :" **لا يفضض الله فاك**"، فعاش ثلاثين ومائة سنة، ولم تسقط له ثنية.[٤] وهذا من بركة دعوته . صلى الله عليه وسلم . "وقد تأثّر في هذين البيتين بقوله تعالى: (**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**) وكذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" **لَيس الشَّديد بالصّرْعة إنَّما الشَّديدُ الذي يمْلِك نفسه عند الغَضَب**"[٥].

إضافة إلى أنه . صلى الله عليه وسلم . كان يسمع السيدة عائشة تنشد:

ارفَع ضَعيفَكَ لا يجرْ بِكَ ضعْفُهُ يومًا فَتُدرِكُهُ عَواقِبُ مَا جَنَى

يُجْزِيكَ أو يُثْنِي عليَكُمْ فإنَّ من أَثْنَى عَلَيْكُم بِمَا فَعَلْتم كَمَنْ جَزَى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **صدق يا عائشة؛ لا يشكر الله من لا يشكر الناس**"[٦]

---

(١) - محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، مطبعة النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص(ق) من مقدمة الكتاب

(٢) - الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) - الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٦، ص١٩٩.

(٤) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ، دط، دت، ج١، ص١٥.

(٥) - ابن عبد ربه، العقد الفريد، مرجع سابق، ج١، ص١٥.

(٦) - الأندلسي، تفسير الموطأ، تحقيق حسن صبري، ط١، ٢٠٠٨، ص٢٧٦.

كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الأمة، وهاديا إلى صراط الله المستقيم، وقد أحلّ الأخوة الإنسانية مكان العصبية، وحارب كل أشكال الضغائن والأحقاد التي كانت في الجاهلية؛ لذلك كانت المحاربة للعصبية في الشعر أمرا طبيعيا متفقا مع رسالة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويبدو هذا جليا حين سمع الرسول كعب بن مالك ينشد:

ألاَ هل أتَى غَسَّانَ عَنّا وَدُونَهُم مِنَ الأَرْضِ خَرْق غوله مُتَتَعْتَعُ
مُجَالِدنَا عَن جِذْمِنا كلَّ فَحْمَة مُدرّبة فيهَا الْـقَوانِس تَلْمَعُ

فيعكس قوله "**جذمنا**" رُوحًا قبلية، أحسَّ بها الرسول، فوجهها قائلا: لا تقل عن جذمنا، وقل: عن ديننا، فكان كعب يقرأ ذلك ويفخر قائلا:" ما أعان الرسول أحدا في شعره غيري »[1] وبهذا تشعر أن النبي صوّب الفكر ، بمحاربته لضغائن الجاهليين.

ومثلما حارب العصبية وأشكالها، وأحلّ محلها الروح الإسلامية نجد النبي يوجّه الشعراء إلى اجتناب الفخر الذي يثير الحفائظ، وذلك حين سمع عبد الله بن رواحة يقول:

فَخبِّرُوني أثْمانَ العَبَاءِ متَى كُنتم بطاريقَ أو دَانت لَكُم مُضِر

قال عبد الله راويًا: فكأني عرفت في وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكراهية أن جعلت قومه أثمان العباء فقلت على الفور:

نُجَالِدُ النَّاسَ عَن عِرْضٍ فنَأْسَرُهُمْ فِينا النَّبي وفِينا تَنزِلُ السُّوَرُ[2]

وبهذا نفهم أن النبي الكريم أحال الشعر القبلي إلى شعر إسلامي تتمثل فيه المعاني الإسلامية، حريصا كل الحرص على توجيه الشعراء لنشر المبادئ الإسلامية وتمثلها في شعرهم؛ فإذا أحس برجوع إلى الجاهلية وفخرها بالأنساب والأحزاب في الشعر، وجّه كما لمّح في قصيدة النابغة الجعدي التي أنشدها:

أَتيتُ رَسُولَ الله إذْ جَاءَ بالْهُدى وَيتْلو كِتابًا كالْمجَرَّة نيّرا
بَلَغْنا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجُدُودَنَا وإنَّا لَنَرْجُو فوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فيوحي (**فوق ذلك**) بنزعة جاهلية يحس بها الرسول فيستفسر منه أولًا قائلا:

---

(١) - ابن هشام، السيرة النبوية، مطبعة الحلبي بمصر، ط١٩٣٦، ج٢، ص١٣٣.

(٢) - ابن سلام، طبقات الشعراء، ص٥٥.

إلى أين يا أبا ليلى؟ فيجيبه النابغة قائلًا: إلى الجنة يا رسول الله، فيعجب الرسول بجوابه الذي مثّل روح الإسلام ويقول: إلى الجنة إن شاء الله.[١]

٤- الشعر بين موافقته للنقل والعقل:

كان النبي . صلى الله عليه وسلم . يستحسن كل شعر يتوافق مع القرآن وتشريعاته، حتى ولو صدر ذلك من مشركي مكة. ثبت في صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد أنه قال: ردفت النبي . صلى الله عليه وسلم . فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: هيه فأنشدته بيتا حتى أنشدته مائة بيت فقال: "**إنه كاد ليسلم في شعره**" وأوردها صاحب الخزانة كما وردت في بلوغ الأرب للألوسي.[٢]

ويروى أن الرسول لما سمع :

الحَمْدُ لله ممْسَانَا ومصْبَحَنَا بالْخير صَبّحَنَا ربِّي وَمَسَّانا

رَبُّ الحنفيّة لم تنفد خَزَائِنُهُ مملؤة طِبْقَ الآفَاقِ سُلْطَانَا

قال:" **إن كان أمية ليسلم**"[٣].

ويروي صاحب (الشعر والشعراء) أن أمية أخبر أن نبيا يخرج قد أطل زمانه، وأنه يأمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج النبي كذبه حسدا. ولما أنشد النبي شعره قال الرسول:" **آمن لسانه وكفر قلبه**"[٤].

وبهذا نفهم أن النبي لم يتحرج في سماع شعر أمية، وعليه فالإسلام يدعو سماع الشعر الذي ينطق فيه صاحبه بالحكمة والفائدة، ولو لم يكن مسلما، لأن ذلك الشعر قد يحمل رسالة فيها تصويب للفكر الإنساني مطلقا، ويمكن أن ينفع به صاحبه الأمة جمعاء.

ويعدّ أمية بهذه المواقف الشعرية الخالدة واحدًا من الموحدين العظماء الذين عزفوا عن عبادة الأصنام في جاهليتهم على غرار زيد بن عمرو وورقة بن نوفل، وكلاهما ثار على عبادة الأصنام ودعا لله، تمثل هذه الثورة في استهزاء قول زيد بن عمرو بن نفيل:

---

(١) - الأصفهاني، الأغاني، ج٥، ص٠٩.

(٢) - الألوسي، بلوغ الأرب، ط٣، ١٣٠٤هـ، ج٢، ص٢٥٣

(٣) - الخضري، تهذيب الأغاني، دط، دت، ج١، ص٤٠

(٤) - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ط١٣٣٢هـ، ص١٠٨.

أَرَبًّا واحـدا أم ألْفُ ربّ أدِينٌ إذا تَقَسَّـمَتْ الأُمُورُ
عَزَلْتُ اللاَّت والعُزَّى جَمِيعاً كَذَلِكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبُوُر
فَلاَ العُزَّى دينٌ ولا ابنَتَيْهَا وَلاَ صَنَمي بني عَمْرُو أَزُورُ
وَلاَ هُبلا أَزُورُ وكَانَ رَبًّا لَنَا فِي الدَّهْرِ إذ حُلْمي صَغيرُ

فهذه الأبيات فيها هداية العقل وتصويبه، كيف لا؟ وقد اعتمدت على الحجج العقلية للعبادة الحقة التي تقتضي عبادة الإله الواحد حتى لا تختلف الشيع وتتقسم الأمور.

ثم يتّجه الشاعر إلى عبادة الله وحده:

ولَكِن أَعْبُدُ الرَّحْمَن ربِّي ليغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَتَقْوَى الله رَبُّكم احْفَظُوهَا كَذَلك يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُوُر
تَرَى الأَبْرارَ دارُهُم جِنَانٌ وللْكُفَّارِ حَاميَةٌ سَعِيرُ[1]

لقد تأثر الشعر بالقرآن الكريم؛ لأن القرآن هو أفضل الكلام، وقد أنزل على صفوة الأنام ولذلك، جرت ألسنة الشعراء متأثرة إلى حد كبير بألفاظ القرآن ومعانيه:

يروي أبن إسحاق لزيد، وهي في الحقيقة لأمية قوله:

أَسلَمْتُ وجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ له الأرض تَحمِلُ صَخْرًا ثِقَالاَ
دَحاها فلما رآها استوت على الماء أَرْسَى عَلَيْها الْجِبَالاَ
وَأَسْلَمْتُ وَجْهي لِمن أَسْلمَتْ لَهُ الْمُزنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلاَلا
إذا هي سيقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا[2]

فهذه الأبيات فيها تأثر واضح بألفاظ القرآن ومعانيه لقوله تعالى: (إني وجّهتُ وَجهي للذي فَطَرَ السَّماوات والأرضَ حَنيفا).[3] (والأرضَ بعْد ذلك دحَّاها)[4]، (وهُو الذي خَلَقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ في ستَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ علَى المَاءِ)[5]، (والله الذِي

(١) - ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٤١.
(٢) - نفسه، ج١، ص٢٤٧.
(٣) - الأنعام، الآية ٧٩.
(٤) - النازعات، الآية ٣٠.
(٥) - هود، الآية ٧.

أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاه إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحيينا به الأَرْضَ بعْدَ موتِهَا كذَلِكَ النُّشُورُ)[1]

إن الإسلام هو دين السلام، استطاع أن يوحّد الأديان، ويوجههم إلى عبادة الواحد الديان والسلام هو الأمان وحفظ الكرامة وتوفير الحياة الكريمة والعمل على وجود مصالح مشتركة، تحقق قيام حضارة، تقوم على احترام الذات وتقدير الآخر والتمسك بالعدل واحترام العدالة وتوفير الرقي لجميع الأجناس البشرية على وجه الأرض، بل وتهدأ بوجوده جميع الكائنات الحية؛ فالسلام إذن عملة صعبة المنال. والذين يقرّون بالإسلام يقرّون بالسلام، ويدركون قيمته في كل ماض أو أوان.

وقد جرّب عمرو بن معد يكرب الزبيدي الحرب في الجاهلية، وكان أحد فرسانها الذين لا يشقّ غبارهم، يشاركه في ذلك عنترة بن شداد، ودريد بن الصمة، وبعد تجارب مريرة مع الحرب، وخوض غمارها ، وإدراك ما تجره من ويلات ، سأله عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن الحرب، فقال: مرة المذاق، إذا قلصت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف عنها تلف، ثم أنشد:

الحَرْبُ أَوَّلَ ما تَكُونُ فُتَيَّـة تَسْعَى بزينتَها لكُلّ جَهُول
حتَّى إذَا اسْتَعَرَتْ وشَبَّ ضِرَامُها عادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذاتِ خَلِيل
شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَها وتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقبيل[2]

وهنا يشبّه الشاعر الحرب بامرأة حسناء تستهوي بجمالها كل غافل، وتستدرجه إلى المزالق؛ إذ سرعان ما تنقلب هذه الصغيرة الشابة إلى عجوز قبيحة المنظر، مفركة مكروهة، غير مرغوب فيها، مثلها الحرب تشتعل ويشتد لهيبها، بعد أن لم يكن لها من هذه الصفات شيء.

---

(1) - فاطر، الآية ٩.

(2) - أبو فرج الأصفهاني، الأغاني،ج٥، ص٩.وقد نسبت الأبيات إلى امرئ القيس بن حجر، ينظر: الديوان، إعداد محمد عبد الرحيم، دار الراتب الجامعية، لبنان، ط٥، ص٢٠١٥.

❖ قال الأصمعي: منشم ، بكسر الشين ، اسم امرأة عطارة كانت بمكة ، وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم فكان يقال أشأم من عطر منشم . يضرب في الشر العظيم

أما آن لنا أن نستفيد من هذه الخبرات التراكمية، والإفادات الثرية من شعراء خبروا الحرب وويلاتها، وأن نوظف ذلك لتحقيق الأمن والسلام الاجتماعي في عصر الحضارة والتقدم التكنولوجي والعلمي، أم أننا دقينا بيننا **عطر منشم ؟!**❖.

وإذا كنا قد فعلنا ذلك، فمعناه أننا أعلنَّا حربا على أنفسنا قبل إخواننا، وآثرنا الفوضى والشقاق على الهدوء والاستقرار، ولم يبق لنا إلا أن نتحمل مسؤولية تهوّرنا وعدم ثباتنا.

٥- أهمية السلام:

للسلام أهمية كبرى في حياة الإنسان، فهو نقيض للحروب، وحُقَّ بنا أن نقول:" ما أجمل السلام وما أروعه ! وما أفج الحرو وأبشعها ! فالسلام كلمة حلوة ونغمة عذبة تطرب لها الآذان وتسعد لها القلوب؛ لأن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، وهذه الكلمة تعنى في الحقيقة الأمن والتسامح والرخاء والاستقرار وديننا الحنيف الإسلام ومن السلام؛ فقد حث الله ـ تبارك وتعالى ـ على أن يعيش الناس في سلام دائم؛ لقوله تعالى: **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم)**[١] وقوله سبحانه: **(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)**".[٢]

٦- السلام مطلب لجميع الشعوب:

السلام مطلب ضروري لكل الشعوب، وخاصة الشعوب العربية التي تعيش تحت وطأة الاستعمار منذ زمن بعيد، وأول ما يشغل زعماء العالم كله هو السلام القائم على العدل بين الشعوب، والسلام هو سلوك حيوي لعيش إيجابي ينبع من قيم المجتمع واتجاهاته يحقق الأمن والرخاء بتبادل المنافع والأفكار، ولن يصل المجتمع إلى مفهوم السلام إلا بالتفاهم وحل المشكلات بالحسنى واستخدام لغة الحوار والدعوة إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى **(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ**

---

(١) - الأنفال: الآية ٦١.

(٢) - الفرقان: الآية ٦٣.

محمود شاور ربيع، موضوع: أهمية السلام com.ahlamontada.shanaway.www

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[1].

حقّاً حقًّا، إن السلام لابد له من قوة تحميه؛ فلا يعني السلام الاسترخاء، بل لابد أن ندعم السلام بقوة تحميه؛ يقول (أحمد شوقي) أمير الشعراء:

الْحرْبُ في حقٍّ لديك شَرِيعَة وَمِنَ السُّموم النَّافِعَاتِ دَوَاءُ[2]

فلولا الحرب ما تحقّق السلام .

ومن الجدير بالذكر القول بأن السلام سلوك جماعي يرتقي بأحوالنا إلى الأحسن، كالرد على العنف والإرهاب بالحوار والمشاركة في أنشطة حماية البيئة. والسلام لا يتحقق إلا بالتربية، وهي مسؤولية جماعية، تشترك فيها الأسرة والمدرسة والمساجد والأصدقاء ووسائل الإعلام، لذلك لابد أن نربّى أبناءنا على حب السلام واحترام حقوق الغير وعدم الحقد والتطلع إلى ما في يد الغير.

إن السلام مطلب أساسي لكل شعوب العالم، وهو سبب الاستقرار والرقي والازدهار في كل المجتمعات، خاصة المجتمعات المستعمرة أو المستدمرة، التي تسعى إلى التحرر من قبضة الاستعمار؛ فهي تناشد الحرية في كل حَدَبٍ وصوبٍ، وتدعو إلى الاستقلال، وترفع شعار السلام في كل وقت، فحريّ بهذه الشعوب أن تتحرّر، وحُقّ لأجلها السلام؛ لذلك يقول الشاعر محمود شاور ربيع:

تَحيَّاتِي لِمُجتَمَعِ السَّلاَم
وَكَفَى مُمْسِكٌ بِيَدِ الْحُسَام
فإن جَنَحُوا لِسِلْمٍ فَهُوَ سِلم
ترف عليه أسْرَابُ الحَمَام
وإن مَالوا لحَرْبٍ فَهي حَرْبٌ
تَشيب لِهَوْلِها رَأْسُ الْغُلاَم
فإنَّا قد بَلَوْنا الْقَوْمَ قبْلاً
وخُضنا في العَداوَةِ والْخِصَام

---

(١) - النحل، الآية:١٢٥.

(٢) - أحمد شوقي، قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ينظر موقع:
com.katarapoet.www

وقَدْ ذُقنَا لَهم من قبلُ غَدراً
فلن نرضَى بمعسُول الْكَلاَمَ[١]

هذا هو المجتمع الإنساني الذي يحيا بالسلام، ويعيش لأجل السلام، ولا يمكن أن يكون هناك أمن وأمان دون سلم وسلام، لذلك لابد من اجتناب كل ما يعكّر السلام ويحول دون أمن واستقرار المجتمع الإنساني في كافة أنحاء العالم، كأن يتراجع الزعماء عن استخدام الأسلحة المدمرة والقنابل والذرة التي تهدد الأخضر واليابس، وأن ينتشر العمران وبناء المدارس والمصانع والمستشفيات وعمارة الكون عملا بقوله تعالى: **(ومَا خَلَقْتُ الإنسَ والْجِنَّ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ)**[٢]

٧- **الشعر يدعو إلى الحذر ومناصرة الإسلام والمسلمين:**

حملت الحروب والفتوح في العصر العباسي سمات الروح الإسلامية التي تمجّد التسامح واللين والرحمة مع المسلمين، وتدعو إلى مناصرة بعضهم عند الشدائد، وحمل الكلّ عن بعضهم، ولكن في الوقت نفسه كانت الغلظة والشدة والقساوة على الكفار والأعداء، أمرًا ضروريًّا وحتميًّا، وهذا ما نجده في التنزيل: **(مُحَمَّدٌ رسولُ الله والذين معه أشدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)**.[٣]

سمع المعتصم بالله امرة مسلمة تستغيث **"وامعتصماه"**، فجهّز جيشا عظيما لنصرتها، وحتى الشعر الذي نظم في مدح المعتصم في ذلك الزمن إنما هو تزكية للإسلام وأهله، وفيه نبذ لكل أنماط الشرك والعبودية؛ قال أبو تمام:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إنباءً مِنَ الْكُتُبِ في حَدِّهِ الْحَدُّ بين الْجِدِّ واللَّعِبِ

إلى أن قال:

تَدْبِيرُ مُعتَصِمٍ، بِاللهِ مُنتَقِمٍ لله مُرْتقِبٍ في الله مُـرتَغِبِ[٤]

---

(١) - محمود شاور ربيع، موضوع: أهمية السلام com.ahlamontada.shanaway.www

(٢) - الذاريات، الآية ٦٠ .

(٣) - الحجرات، الآية ٢٩.

(٤) - أبو تمام، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ج١، ص٣٥- ٧٤..

ففي هذه الأبيات تأكيد واضح على أن المسلم هو الذي يناصر أخاه، ويغيثه وقت ما استغاث ويدافع عنه وقت الشدّة، ويبعد عنه كل أشكال الذل والهوان.

أما مدحيات أبي الطيب المتنبي على ما فيها أحيانا من الغلو والإسراف المعنوي، إلا أنها في مناح عدة تعبّر عن شخصية المسلم السمح القوي الحذر، يقول أبو الطيب:

إذَا أنت أكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَه وإن أنت أكْرَمْت اللَّئيم تمردا[1]

ويقول:

وَمَنْ يجْعَل الضرغَامَ للصيد بَازَهُ تصيَّدَهُ الضِّرْغَامَ فِيمَا تَصَيَّدَا

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلاَ مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

وَمَا قَتْلُ الأحْرارِ كَالْعَفْوِ عنهُم ومَن لَك بالْحُر الذي يحْفَظُ الْيَدَا[2]

هذه الأبيات وغيرها تضع بين يدي القارئ صورة مشرقة للمسلم السمح اللين وقت اللين الشديد القوي وقت الشدة، الحذر في كل وقت وحين.

يقول أبو الطيب:

إذَا كُنتَ تَرضَى أن تَعيشَ بِذِلَّةٍ فَلا تَسْتَعِدَنَّ الْحسَامَ الْيَمَانِيَا[3]

فالأبيات- إذا تأملنا- تشير إلى أمر هام ومهم، فهي زيادة على أنها حكمة في ذاتها، رسالة إلى بني البشر حتى يحفظوا ذواتهم وبلدانهم من كل خطر قد يحدق بهم، بل إن هذه الأبيات وغيرها في الحكمة قد صدرت من عقل راجح متدبر لتصل إلى عقل راشد متذكر: (إنما يتذكر أولو الألباب).[4] وعاطفة المسلم التي تحترق شوقا إلى سعادة إخوانه واكتمال فرحتهم بلمّ شمل بعضهم ونشر الألفة والتسامح فيما بينهم، والحذر كل الحذر من كل خطر قد يحدّق بهم، هي مواقف كمواقف الإباء الخالدة التي يرويها تاريخ شعرنا العربي القديم، يقول الشاعر :

يَا قومِ إنَّ لَكُم مِن عِزِّ أوّلكُم مجْدًا قَدْ اشْفَقْتُ أنْ يَفْنى وَيْنقَطِعَا

قُومُوا قِيَامًا علَى أمْشَاطِ أرْجُلِكُمْ ثُمَّ افْزَعُوا قد ينَالُ الأَمْن مَن فَزِعَا

---

(١) - المتنبي، الديوان، شرح عبد الرحمن البرقوقي، ج١، الصفحات:٣٢١- ٣٢٢- ٣٢٣.

(٢) - المتنبي، الديوان، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، ج١، ص٣٢٣.

(٣) - نفسه، ج٢، ص ١٢٧٢.

(٤) - سورة الرعد، الآية ١٩.

مَالِي أَرَاكُمْ نِيَامًا فِي بُلَهْنِيَةٍ وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الْحَرْبِ قَدْ سَطَعَا[1]

فهذه الأبيات- بلا شك ودون هوادة - توضح حقيقة العربي الوفي المخلص لأبناء جنسه، وهي شعار ومثال واضح لكل عربيّ غيور على وطنه، محبّ لإخوانه، يهمه أمرهم، ويؤرقه همهم؛ إذ لا يمكن أن يعيش بدونهم أو يحيا من دونهم، حتى وإن جاروا عليه في بعض الأحيان:

بِلاَدي وإن جَارَتْ عَليَّ عَزِيزة وقَوْمِي وإنْ ضَنُّوا عَليَّ كِرَامُ[2]

ولكن الأسف كل الأسف على من لا يؤازر إخوانه في كل مكان، ولا يهمّه أمرهم، وهو قد سقط في معنى قول الشاعر:

وَمَا أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ[3]

وقول أبي فراس:

تَنَاسَانِيَ الأَصْحَابُ إلاَّ عُصَيْبَةً سَتَلْحَقُ بالأُخْرَى غَدًا وَتَحُولُ
أَكُلُّ خَلِيلٍ هكَذَا غَيْرُ مُنصِفٍ وَكُلُّ زَمَانٍ بِالْكِرَامِ بَخِيلُ[4]

٨- الشعر ودوره في تصويب الفكر:

لا سبيل إلى تصويب الفكر، دون تمسّك بتعاليم الإسلام التي فيها صلاح للأمة في حاضرها ومستقبلها، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولا يمكن تصويب الفكر، وتسديد طريقه إلا بالتزام ما ينبغي أن يلتزم به من الأخلاق والقيم والآداب، والمحافظة على العلاقات الانسانية التي تربط بين الأشخاص في كل زمان ومكان.

---

(١) - عبد الرحمان شيبان، المختار في الأدب والنصوص والبلاغة، السنة الخامسة من التعليم الثانوي، المعهد التربوي الوطني ١٩٧١، الجزائر، ص٢٢.

(٢) - هذا البيت لأبي فراس الحمداني فهو شاعر وأمير عربي من الأسرة الحمدانية، ابن عم ناصر الدولة، وسيف الدولة الحمداني. حارب الروم وأسروه، واشتهر بقصائده المعروفة بالروميات. اسمه الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، وأبو فراس كنيته وُلد في الموصل ٣٢٠هـ.

(٣) - هذا البيت وغيره من القصيدة مختلف في نسبته، فمنهم من ينسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب، ومنهم من ينسبه إلى الشافعي، ومنهم من نسبه إلى آخرون، ينظر الموقع: tne.aljazeera.learning

(٤) - أبو فراس الحمداني، الديوان، حسب الرواية المغربية، مراجعة عبد العزيز محمد جمعة، ط ٢٠٠٠. ص١٨٠.

ولهذا حمل الشعر عبر مراحله التاريخية رسائل إلى الإنسان، تنفعه في حياته، وتنير له طريق الصواب، وتحفظه من الزيغ والضلال، وتمكّنه من الاستقرار في حياته.

أ- الشعر مصدر الخير ومستودع الحكم:

يعد الشعر مصدر الخير ورسول الإصلاح والهادي إلى جادّة الصواب؛ كما قال الشاعر:

ولولا خلالٌ سَنّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى بُناة العُلى مِنْ أيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمِ[1]

وهو ذخيرة للمعروف، محفوظة على مرّ الزمان؛ يقول الشاعر :

الشّعر يحفظ ما أودى الزَّمان به وَالشِّعْرُ أَفْخرُ ما يُنبِي عَن الكَرَم

لَوْلاَ مقالُ زهير في قَصَائده ما كنتَ تَعْرِفُ جُودًا كَانَ فِي هَرَمِ[2]

وقد وُجد في موروث شعرنا العربي من المعاني الأخلاقية الخالدة ما يؤكد قيمة الشعر في تنظيم حياة الإنسان، وتصويب أخلاقه والسمو بها عن كل أشكال الحقارة والدناءة، وقد أثنى على هذه القيم غير واحد من المسلمين وغيرهم، يقول نيكلسون:" وليس ألصق بطباع العربي وثنيا كان أو مسلما من الشهامة والتضحية بذاته تضحية لا يرجو من ورائها شيئًا في سبيل أصدقائه؛ فالشعر القديم يضع بين أيدينا الدليل على أنهم كانوا يجزعون أشد الجزع إذا رأوا جارًا ينكث بعهد جاره".[3] ؛ لأن ذلك ينقص من المروءة، ولا يمتّ إلى الأخلاق والشجاعة بصلة.

ب- استثمار الذات في خدمة الغير:

إن نزوع الشاعر العربي القديم إلى تمجيد الذات على ما في ذلك من الغلو والإسراف أحيانا، إلا أن في ذلك ما يدل على المروءة والشهامة والأنفة... من جوانب أخرى، مثل ما نجد طرفة بن العبد يقول:

وَلَسْت بحَلاَّلِ التِّلاع مخَافَةً وَلَكن مَتَى يَسْتَرْفِد القَوْم أَرفد

كما يبرز هذه الأخلاق العالية في صورة المدافع عن الضعفاء الذي لا ينسى تحقيق متعه الحسية:

---

(1) - عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٧١، ص٣٨

(2) - وروي تلتمسني، بدل تقتنصني، ينظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص٨٢.

(3) - عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الرسول، ص٣٩.

فإنْ تَبْغني في حلْقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَني وَإنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الْحَوانيتِ تَصْطَدِ
وإن أُدعَ إلى الجلَّى أكن من حُمَاتِها وإن يأتِك الأَعْداءُ بالجَهْدِ أَجْهَدِ
إذا ابْتَدر الْقَوْمُ السلاح وَجدتني منيعًا إذا بلَّت بِقَائِمِه يدي[1]

ج- الذات في موضع الدفاع:

إذا كانت الذات تبرز أحيانا بصفة الشجاعة والاعتزاز والمروءة، فإنها تبرز في ناحية أخرى بمظاهر النجدة والدفاع؛ يقول زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ لاَ يذُدْ عن حَوْضِهِ بِسِلاحِه يُهدَّم وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

ونجد هذا المعنى في قول حرب بن مسعر:

عّطّفْتُ عَلَيْهِ الْمَهر عَطْفَةَ بَاسِلٍ كميٍّ ومَن لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

كما تحسّه عند عمرو بن براقة:

وكنتُ إذا قومٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُم فهَل أنَا في ذاَ يَا لهَمْدَان ظَالِم
مَتىَ تجمَّعَ القَلْبُ الذَكِيُّ وصَارِمًا وَأنفا حميا تجتَنِبْكَ الْمَظَالِم[2]

هذا إلى جانب أن الشعراء دعوا إلى الشجاعة، وأثنوا عليها في قصائدهم، بل جعلوها ظاهرة اجتماعية، متوارثة؛ فقد كان الأمهات يأخذن أبناءهن بالشجاعة؛ لينشأ الفتى والرجولة ملء إهابه، والعزة يفيض بها فؤاده، والأنفة ترتسم على صفحات وجهه؛ فهذه شيماء ترقص محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بادية بني سعد فتقول:

يَا ربُّ أبْقِ لَنَا مُحَمَّدًا حَتَّى أَرَاهُ يافِعًا وَأَمْرَدَا
ثُمَّ أَرَاهُ سيِّدًا مُسْوَدًّا وَأَكبُتُ أعَادِيهِ مَعًا والْحُسَّدا
وَأَعْطِهِ عِزًّا يدُومُ أَبَدًا[3]

ونجد فكرة الشجاعة ونيل الملذات والدفاع عنها كانت تسيطر على الشعراء في حياتهم، وكذا في تصوراتهم بعد موتهم، يقول الشنفرى الأسدي:

فَلاَ تّقْبَـرُونِي إنَّ قَبْري مُحَرَّمٌ عَلَيْكُم ولكن خَامِرِي❖ أمُّ عَامِرِ❖

(١) - الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص٩١.
(٢) - عمر الفروخ، تاريخ الفكر العربي، ط١، ١٩٦٢، ص١١٣.
(٣) - عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، ص٣١.

إذَا مَضَى رَأْسٌ وفي الرَّأس أكْثَرِي وَغُودِرَ عند الْمُلتَقَى ثم سَائـري
هُـنَالِكَ لاَ أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّني سَجِيسُ اللَّيالي مُبسلاً بالْجَرَائِرِ[1]

والأنا نجدها لا تفارق الشاعر حتى في أوقات الموت العصيبة؛ يقول عمرو بن كلثوم:

وإنّا سَوْفَ تُدْرِكُنا المَنَايا مُقَدَّرَةً لنا وُمقَدَّرِينا[2]

ولذلك نقل الشعر إلينا في **صفحاته التاريخية حكما لا تنسى**، تعبّر عن ذلك **العقل الراجح المُصوّب**، الذي يتأمل الحياة والوجود. يقول طرفة:

أرى المَوْتَ يَعْتَام الكرام ويَصْطَفِي عَقِيلةَ مالِ الفاحِشِ الْمُتَشدِّدِ
لَعَمْرُكَ إنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتى لَكَالطِّوَلِ الْمُرْخىَ وِثْنْيَاهُ بالْيَدِ[3]

تمدح الشعراء لصالح الإنسان، وتمدّحوا بالكرم في سبيل هذا الإنسان، حتى أنهم صمدوا في الحرب مع نفوسهم ومع أهلهم في إنفاق المال وأنه لا يفقر:

ذَرِينِي فإنَّ الْبخْلَ لا يُخْلِدُ الفتى وَلاَ يُهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُو نَائِلُهُ[4]

فليس في البخل خلود، ولا في الكرم فناء؛ لقوله تعالى: (**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه**)[5]

كما يرد على أمِّه قائلًا:

أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هزْلاً لَعلّني أرى ما ترين أو بخيلاً مُخَلَّدًا[6]

وهذا معناه أن الشاعر يؤكد قيمة الكرم في الحياة، ويذم البخل من ناحية أخرى؛ فالبخل لا يغني، والكرم لا يفقر.

وهكذا نجد تصويب الفكر في أقوال الشعراء وحكمهم، خاصة وأنهم خبروا الحياة، وعرفوا قيمة الأخلاق والقيم في حياة الإنسان، التي لا يمكن أن تستقر وتزدهر بدونها.

---

(١) - نفسه، ص٣٢.

❖ **خامري**: خالطي. **أم عامر**: الضبع. **سجيس**: دائم. **مبسلا**: معاقب على جرائره.

(٢) - عمر الفروخ، تاريخ الفكر العربي، ط١، ١٩٦٢، ص١٠٤.

(٣) - الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص٨٩- ٩٠.

(٤) - عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية، ص٣٤.

(٥) - سبأ، الآية ٣٩

(٦) - عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، مرجع سابق، ص٣٤..

٩- خلاصة لأهم النتائج:

- **الأفكار السديدة الصحيحة بنات العقل الراجح**، لا تقدّر بثمن ولا يضاهيها مال، وهي أنجع سبيل لتصويب حياة المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان.

- يعد الشعر **مرجعًا موثوقًا لكلام العرب**؛ فقد وجد فيه من الحكم ما يستأنس به لتحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي، مُصوِّرًا حياة العرب تصويرا دقيقا، ومُجسِّدًا أيامها ووقائعها، ومُمثِّلًا حياتها السياسية والدينية والخلقية والعلمية واللغوية أحسن تمثيل؛ فكان نهجًا أمثل يضع بين القارئ المتمعن دستورا أو سجلا تاريخيا فيه من الشواهد الشعرية الخالدة، والحكم النادرة، ما يمكن أن يستأنس به في توجيه مسار حياته، التي ترنو إلى كل أساليب العيشة المستقرة الرغيدة، وتنأى عن أسباب الشقاء والتعاسة والجهالة والضلال.

- **الحكمة الشعرية** باقية غير ماضية، وقد تكون سببا في إصلاح ذات البين، وتوجيه الفكر إلى جادّة الصواب، وهذا ما لا تستطيع الماديات أن تصنعه.

- استطاع الإسلام أن **يوجّه الفِكر الإنساني وجهة صحيحة**، ويحقق **السلم والسلام** في المجتمع العربي قديما على ما كان عليه من قساوة البيئة، وصعوبة العيش، خاصة وأنه كان غارقا في أوحال العصبية. والإسلام بسماحته وحكمته استطاع أن يهذّب الأخلاق، وأن يقيم التسامح والتعاطف والألفة مكان التعصب والتنافر والفرقة.

- لقد **تأثّر الشعر بالقرآن الكريم**؛ لأن القرآن هو أفضل الكلام، وقد أنزل على صفوة الأنام ولذلك، جرت ألسنة الشعراء متأثرة إلى حد كبير بألفاظ القرآن ومعانيه.

- **لا سبيل إلى تصويب الفكر**، دون تمسك بتعاليم الإسلام التي فيها صلاح للأمة في حاضرها ومستقبلها، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، كما أنه لا يمكن تصويب الفكر، وتسديد طريقه، إلا بالتزام ما ينبغي أن يلتزم به من الأخلاق والقيم والآداب، والمحافظة على العلاقات الإنسانية التي تربط بين الأشخاص في كل زمان ومكان.

المصادر والمراجع:

أولًا . الكتب :

١- أبو تمام، الديوان، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

٢- الألوسي، بلوغ الأرب، ط٣، دت.

٣- الخضري، تهذيب الأغاني، دط، دت.

٤- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ط١٣٣٢هـ.

٥- عبد الرحمان، شيبان، المختار في الأدب والنصوص والبلاغة، السنة الخامسة من التعليم الثانوي، المعهد التربوي الوطني، ١٩٧١.

٦- أبو فراس الحمداني، الديوان، حسب الرواية المغربية، مراجعة عبد العزيز محمد جمعة ط ٢٠٠٠.

٧- عبد الرحمن خليل إبراهيم، دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٧١.

٨- عمر الفروخ، تاريخ الفكر العربي، ط١، ١٩٦٢.

٩- دريد بن الصمة، الديوان، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، الثاهرة، ١٩٨٥.

١٠- الزوزني، شرح المعلقات السبع، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٠٠٥.

١١- محمد بن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، مطبعة النهضة العربية، بيروت، دط، دت.

١٢- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٦.

١٣- ابن عبد ربه، العقد الفريد، دط، دت.

١٤- الأندلسي، تفسير الموطأ، تحقيق حسن صبري، ط١، ٢٠٠٨.

١٥- ابن هشام السيرة النبوية، مطبعة الحلبي بمصر، ط١٩٣٦هـ.

١٦- أبو فرج الاصفهاني، الأغاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ثانيًا. المواقع:

١- www.alwarraq.com

2- www.katarapoet.com

3- www.shanaway.ahalamontada.com

4- www.learning.aljazeera.net

سادسًا:

جهود العلماء

في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي

جهود علماء الأزهر في مواجهة الفكر المنحرف

دكتور/ محمد البهي نموذجًا

الأستاذ الدكتور/ محمد محمد محمد عيسى
عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن دعوة الإسلام جاءت رحمة للإنسانية وهدياً للبشرية، إنها الدعوة العالمية التي نظرت إلى الإنسانية كأسرة واحدة (كلكم لآدم وآدم من تراب) فلا امتياز لجنس على جنس، أو لون على لون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ {الحجرات: ١٣} .

والإسلام لم يكن في يوم من الأيام دين سفك للدماء أو حرب ودمار وفناء، وما حارب أتباعه إلا إعلاء لكلمة الله ودفاعاً عن الحق ونصرة للمظلوم وإرساء للعدالة والسلام فوق هذه الأرض .

ومع ذلك فقد واجه الإسلام قوى مختلفة مضادة، حاولت أن تجتث جذوره، وتطفئ نوره، ولا أعدو الصواب إن ذهبت إلى أن ديناً من الأديان لم يلق من الكيد والمقاومة لانتشاره مثل الإسلام .

إن المسلمين وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام التآمر اليهودي، والكيد المجوسي، والحقد الصليبي، وضلالات الفرق الضالة، والفكر المنحرف في الإعلام الدولي وافتراءات كاذبة .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على جهل بالإسلام وتعاليمه وذلك من خلال مصادره الأصلية، وليس قياساً على تصرفات حمقاء من بعض ممن ينتسبون لهذا الدين الحنيف اسماً وزوراً وبهتاناً .

إن مواجهة هذه الأفكار المنحرفة والهجوم الشرس على الإسلام وتعاليمه في حاجة إلى جهود علمية مضاعفة، وفكر مستنير، وعقل يستطيع الربط بين القديم والحديث والعمل على إبراز صورة الإسلام الصحيحة أمام الرأي العام العالمي .

ومن رحمة الله بنا أن قيض لهذا الدين وعلى مر التاريخ علماء قاموا بواجبهم للدفاع عنه والوقوف ضد حملات التشكيك في الإسلام .

إنهم علماء الأزهر الشريف منارة العلم وقبلة العلماء، الأزهر الشريف صاحب الريادة في إظهار الإسلام بصورته الحنفية السمحة، من خلال علماء أخذوا العلم من شيوخهم لينشروا هذا الدين في بقاع الأرض ومواجهة حملات التشكيك والاتهامات الظالمة للإسلام كل ذلك بصورة قرآنية بينها رب العزة تبارك وتعالى في قرآنه ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ {النحل: ١٢٥} .

إن الأزهر الشريف هو القلعة الشامخة التي حفظت للقرآن لغته وللحديث مكانته، وللدين تعاليمه، وللشريعة أحكامها، وللفقه أصوله وضوابطه، وللأمة الإسلامية تراثها الحضاري الفريد، وأصالتها الفكرية الراسخة في مواجهة محاولات الغزو الثقافي من الخارج، وضد عوامل الاضمحلال والتخلف التي تعرضت لها مجتمعات عديدة حولنا .

إن الأزهر الشريف بمنهجه الوسطي لم يعرف في يوم من الأيام الإرهاب والتطرف بكافة أنواعه، فما خرجت منه الحركات الباطنية والطائفية، ولا عرفت ساحته أفكار الخارجين على إجماع الأمة، أو الداعين إلى اعتزال المجتمع وتحطيم مقوماته، ولا كان دعاته ساعين إلى الفرقة وشق الصفوف، بل كانوا في كل الظروف قوة للبناء وتوحيد الصفوف واتفاق الكلمة، وبذلك فإن الأزهر كان وسيظل نبراساً هادياً لكل أبناء الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ودرعاً يعصمهم من الزلل ويحميهم من الخطر .

إننا لا ننسى علماء الأزهر وقد جلسوا على مدى أكثر من عشرة قرون تعليماً ودرساً، ووفاء للأمة الإسلامية فقهاً في الدين وتوجيهاً للمسلمين .

إن كثيراً من تراث الإسلام حفظه جهابذة صادقون من علماء الأزهر الشريف وقدموه للمسلمين نقياً ذكياً في كتب عظيمة، اتخذها ويتخذها المسلمون مراجع دراستهم وينفعون بها في دينهم ودنياهم .

من بين هؤلاء الأعلام الأستاذ الدكتور محمد البهي . رحمه الله . ١٩٠٥ . ١٩٨٢م، فلم يكن . رحمه الله . رجل من رجال الأزهر الذين تعاقبوا عليه، وعلى قيادة مؤسسة من مؤسساته دون أن يقدم شيئاً لأمته، بل كان الدكتور البهي من قادة الأزهر العظام الذين حافظوا على اسم الأزهر، وأقاموا جسور الثقة بينه وبين الجماهير المسلمة في كل مكان .

يعد الدكتور محمد البهي امتداداً بفكره للشيخ محمد عبده، باعثاً لنهضة فكرية تجديدية في الفكر الإسلامي، وفي الدفاع عن الإسلام وفهمه على أساس سليم من ناحية أخرى .

لقد وقف البهي موقفاً صارماً ضد الفكر المادي التاريخي، وذلك من خلال كتابه (تهافت الفكر المادي) ونقد الفكر الغربي الاستعماري في كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) وحاول الدكتور/ البهي ن يضع حلولاً لحل مشكلات المجتمع الإسلامي وذلك من خلال كتابه (دور الإسلام في حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة) .

لقد تصدى الدكتور محمد البهي لكثير من الآراء المنحرفة، تصدى من يملك الإقناع الملزم عن كفاءة ذات علم وإتقان .

إن الباحث في سير (البهي) الفكرية، يجد الحس الإسلامي الصادق، وحُسن الفقه في معركة الإسلام مع خصومه .

ومن ثَم فقد رأيت أن أبرز هذه الشخصية المرموقة في دراسة علمية باعتباره أحد فرسان الأزهر الذين قاموا بجهد غير عادي في الدفاع عن الإسلام .

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمـة .

المبحث الأول: السيرة الذاتية للدكتور/ محمد البهـي .

المبحث الثاني: جهود الدكتور/محمد البهي في مواجهة الفكر الاستشراقي.

المبحث الثالث: جهود الدكتور/ محمد البهي في مواجهة الفكر العلماني .

المبحث الرابع: جهود الدكتور/ محمد البهي في مواجهة الرأسمالية .

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات .

وبالله التوفيـق؛؛؛

المبحث الأول

السيرة الذاتية للدكتور/ محمد البهي. رحمه الله.

١٩٠٥ - ١٩٨٢م

الأستاذ الدكتور محمد البهي . رحمه الله . من كبار علماء الأزهر المرموقين ومن أعلام المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين، ويعد فكره امتداداً لفكر الشيخ محمد عبده، وإن كان لم يحظ بالجلوس إليه والتتلمذ عليه، فقد ولد الدكتور البهي في العام نفسه الذي رحل فيه الشيخ محمد عبده عن دنيانا .

لقد كان الشيخ محمد عبده باعثاً لنهضة فكرية تجديدية في الفكر الإسلامي، وقد سار الدكتور البهي على نفس الدرب، باعث يقظة فكرية في أوساط تلاميذه ومريديه، ودفعهم إلى أن يكون لديهم طموح ووعي فكري ويقظة عقلية وأفق واسع ليكونوا لبنات صالحة في بناء وطنهم والنهوض به من ناحية، ويكون لهم دور في بناء الفكر الإسلامي وتجديده، وفي الدفاع عن الإسلام وفهمه على أساس سليم من ناحية أخرى .

ولد الدكتور محمد محمد البهي قرقر . رحمه الله . في يوم الخميس الموافق الثالث من شهر أغسطس عام ألف وتسعمائة وخمسة ميلادية (١٩٠٥م) في مطلع القرن العشرين الميلادي، في قرية "أسماتيا" التابعة لمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية .

حفظ القرآن الكريم وأتمه في العاشرة من عمره كسائر أقرانه، يقول سيادته عن هذه الفترة: (أتممت حفظ القرآن الكريم وأنا في سن العاشرة، في كتاب الشيخ محمد الديب، وأرسلني والدي إلى دسوق تبركاً بسيدي إبراهيم الدسوقي، لتجويد القرآن على يد الشيخ سيد الهواري، وفي سن الثانية عشرة انتسبت إلى المعهد البرهامي ومكثت بدسوق ثلاث سنوات، سافرت بعدها إلى طنطا للالتحاق بالمعهد هناك، ولكن لم يستقر بنا الأمر طويلاً، لم نكمل سنة واحدة هناك حتى صدر قرار بتحويل أبناء البحيرة إلى معهد الإسكندرية الديني، وقد وقعت في هذه السنة اضرابات واضطرابات عامة تعبيراً عن الرغبة الوطنية بإنهاء الاحتلال البريطاني لمصر والسودان .

وفي معهد الإسكندرية الديني حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية، وبعد ذلك تابع دراسته بالأزهر الشريف بالقاهرة، وحصل على شهادة العالمية النظامية بعد أن تقدم إلى الامتحان من الخارج مختصراً بذلك المدة الدراسية .

ثم التحق بقسم التخصص في البلاغة والأدب، وأتم دراسته في هذا القسم وحصل على درجة التخصص عام ١٩٣١م، وكان البحث الذي قدم به للحصول على هذه الدرجة بعنوان "أثر الفكر الإغريقي في الأدب العربي نثراً ونظماً" .

وفي سبتمبر ١٩٣١م سافر إلى ألمانيا لدراسة الفلسفة مبعوثاً من مجلس مديرية البحيرة على البعثة التي كانت ممولة إحياء لذكرى الشيخ محمد عبده، وقد حصل على الدكتوراه من جامعة هامبورج عام ١٩٣٦م، وكانت رسالته للدكتوراه في موضوع "الشيخ محمد عبده والتربية القومية في مصر" .

وعاد إلى القاهرة في أغسطس ١٩٣٨م ليشتغل بالتدريس في كلية أصول الدين مدرساً للفلسفة الإسلامية والإغريقية، كما باشر عمله الإضافي مدرساً لعلم النفس في كلية اللغة العربية، ثم نقل عام ١٩٥٠م إلى كلية اللغة العربية أستاذاً ورئيساً لقسم الفلسفة، وعمل بجانب التدريس مديراً عاماً للثقافة الإسلامية بالأزهر، ثم عين أول مدير لجامعة الأزهر بعد صدور قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١م .

وفي سبتمبر ١٩٦٢م عين وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر، وفي مارس ١٩٦٤م عين مرة أخرى مديراً لجامعة الأزهر، فاستقال وعين أستاذاً للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وعندما بلغ سن الستين ترك التدريس وتفرغ للكتابة والتأليف إلى أن وافته المنية في ١٠ سبتمبر ١٩٨٢م وعمره سبعة وسبعون عاماً .

لقد ترك الدكتور البهي أكثر من سبعين مؤلفاً في شتى نواحي الثقافة الإسلامية، فكتب في الفلسفة الإسلامية، والعقيدة والسلوك، والاجتماع، والفكر الإسلامي من جميع جوانبه الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية .

وكشف من خلال ما كتب أساليب أعداء الأمة، ووضع البرامج والأساليب المؤدية لإقامة المجتمع الإسلامي .

لقد تميزت كتابات الدكتور البهي بالصراحة والوضوح، والوسطية الإسلامية، والاعتدال، وسماحة الإسلام دون إفراط أو تفريط، أو أن يجامل في فتوى إرضاء لجهة أو هيئة أو طمعاً في منصب أو مكافأة) [١] .

---

[١] راجع: حياتي في رحاب الأزهر، د/ محمد البهي، بتصرف واختصار، مكتبة وهبة .

المبحث الثاني

جهود الدكتور محمد البهي في مواجهة الفكر الاستشراقي

لقد واجه الإسلام منذ نشأته قوى مختلفة مضادة حاولت أن تجتث جذوره وتطفئ نورة، ولا أعدو الصواب إن ذهبت إلى أن ديناً من الأديان لم يلق من الكيد والمقاومة لانتشاره مثل الإسلام، وكان الاستشراق من بين تلك القوى أعتى بغياً وأبقى عهداً، لقد توارت قوى كثيرة، وذهبت كما يذهب كل باطل يدمغه الحق بيد أن الاستشراق ظل . لأسباب متنوعة . القوى المضادة الوحيدة التي طال عمرها، وحققت ما لم تحققه سواها .

ولست ممن يقولون أن الاستشراق أو المستشرقين يجمعهم حكم واحد أو كلهم على رأي واحد في موقفهم من الإسلام وقضاياه، لا، بل إن الإنصاف يقضي علينا أن نقول إن منهم منصفين للإسلام ولقضايا المسلمين، ولقد أفدنا من دراستهم الكثير حول قضايا الإسلام، وينبغي ألا ننكر ذلك ولا شك فيه، ولكن مما لا شك فيه أن الاستشراق والتنصير كانا من أخطر الوسائل التي سلكها الاستعمار في تنفيذ سياسته في الشرق الإسلامي، ولا أشك في أنهما وجهان لعملة واحدة هو موقف الصليبية المعاصرة من العالم الإسلامي .

وإذا كان الإسلام هدفاً من قِبل المستشرقين، فإن الله (سبحانه وتعالى) قد سخر لدينه من يدافعون عنه، إنهم رجال الأزهر الذين أخذوا على عاتقهم الذود عن حياض الإسلام، والدفاع عن القرآن والسنة، وكان من أبرز علماء الأزهر في هذا الشأن الدكتور محمد البهي الذي واجه بقلمه كل فكر منحرف وأقوال مزيفة، وشبهات باطلة، خاصة أنه يجمع بين عالم الأزهر ورجل الفكر الذي درس في الغرب وتكلم بلغتهم فكان فارساً في الرد عليهم فيما يثيرون من شبهات حول الإسلام، لقد وقف سيادته بالمرصاد لكل تيار يحاول النيل من الإسلام وقيمه ومبادئه .

لقد وقف ضد المستشرقين والمبشرين مبيناً أنهم طلائع الاستعمار، وهم عيونه مهمتهم توطئة ظهورنا لدولهم وشعوبهم .

جهوده في مواجهة الاستشراق:

يبدأ الدكتور البهي في مواجهة الفكر الاستشراقي بتعريفه أولاً فيقول: (بأنه بحوث ودراسات في قضايا التراث الإسلامي في العقيدة، والشريعة، وفي الفقه،

وفي التاريخ السياسي، وفي الإمامة والخلافة وفي الفلسفة وفي الاجتماع وفي اللغة العربية وفي الأدب، قام بها قساوسة ولاهوتيون بتكليف من الكنيسة أو من وزارات الخارجية للدول الغربية أو الشرقية على السواء) [١] .

ويذهب الدكتور البهي إلى أن نشأة الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية يرجع إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تلقى الضوء الكافي على الموضوع، وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد فترة، عهد الإصلاح الديني، كما يشهد بذلك التاريخ في هولندا والدانمارك وغيرهما .

ويرى الدكتور محمد البهي أن سبب الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون بروتستانت وكاثوليك، بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية ولمحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أتت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية .

ومن جهة أخرى رغب المسيحيون بالتبشير بالمسيحية بين أتباع الإسلام .

وبجانب هذا وذاك كانت هناك أسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق، أسباب تجارية، وأسباب سياسية دبلوماسية وأسباب شخصية مزاجية عند بعض الناس .

وقد تركزت أهداف الاستشراق مع تنوعها أخيراً في خلق التخاذل الروحي، وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحملهم من هذا الطرق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية) [٢] .

وإذا ما نظرنا إلى عمل المستشرقين من وجهة نظر الدكتور محمد البهي ، سنجد أنه يركز على نزعتين رئيسيتين:

---

[١] الإسلام في مواجهة المذاهب الهدامة، د. محمد البهي، ص ٣٠ .

[٢] الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص ٤٢٩ . ٤٣١ بتصرف .

النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد بقبول النفوذ الأوروبي والرضا بولايته .

أما مظهر النزعة الأولى فيتجلى:

أولاً: في إضعاف القيم الإسلامية .

ثانياً: في تحديد القيم الغربية المسيحية .

وإضعاف القيم الإسلامية: عن طريق شرح تعاليم الإسلام ومبادئه شرحاً يضعف المسلم تمسكه بالإسلام، ويقوي في نفسه الشك فيه كدين، أو على الأقل كمنهج سلوكي يتفق وطبيعة الحياة القائمة .

فهذا المستشرق الفرنسي "رينان" يصور عقيدة التوحيد في الإسلام بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك، ويضيف "رينان" قائلاً:

ولقد ظهرت على إطلال العالم القديم بعد خمسمائة عام من انقضائه ديانتان: أحدهما ربانية، والثانية بشرية ذينك المذهبين المتناقضين ولكن بتلطيف في التناقض، أما الأولى "الديانة الربانية" فهي الديانة المسيحية الوارثية بلا واسطة آثار الآريين، والمقطوعة الصلات بالمرة مع مذهب السامية وإن كانت مشتقة منه غصناً من دوحته، ومن خصائص هذه الديانة "المسيحية" ترقية شأن الإنسان بتقريبه من الحضرة الإلهية، على حين أن الديانة الثانية "البشرية" وهي الإسلام، المشوبة بتأثير مذهب السامية، تنحط بالإنسان إلى أسفل الدرك، وترفع الإله عنه في علاء لا نهاية له .

هذان الميلان المختلفان يظهران ظهوراً واضحاً في الاعتقاد الأساسي لكلتا الديانتين: وهو أصل الألوهية. أما المسيحي: فيهذب في الأصل إلى الثالوث، أي أن الإله الآب أوجد الإله الابن، واتصل الاثنان بصلة هي روح القدس، وعليه فكون يسوع المسيح إلهاً وبشراً ... هذا الثالوث المشتقة أصوله من ضرورة إله بشري يمحو ذنب الجنس البشري ويفديه من الخطيئة التي اقترفها، يرفضه المسلم الذي يعتقد بوحدانية الرب، ويتمسك بهذا الاعتقاد تمسكاً شديداً حيث يقول: لا إله إلا الله!! غير أن إدراك المسيحيين من هذا القبيل هو أخف وأعلى وأجلب للثقة، إن هو يحملهم على إتيان الأعمال التي تقربهم إلى الله حيث الوسائط بينهم وبين ذاته العلية موصولة، في حين أن المسلمين تجعلهم ديانتهم كمن يهوى في الفضاء بحسب ناموس لا يتحول ولا يتبدل ولا حيلة فيه سوى متابعة الصلوات والدعوات

والاستغاثة بالله الأحد الذي هو مستودع الآمال، ولفظة الإسلام معناها (الاستسلام المطلق لإرادة الله) .

ولكن مجلة (Themus Lim Word) في شرح آية (إلى الله المصير) تقول ما ترجمته: (أن إله الإسلام متكبر جبار مترفع عن البشرية يطلب أن يسير العابد نحوه بينما إله المسيحية عطوف متواضع يتردد للناس، فظهر في صورة بشر، وذلك هو الإله الابن، فعقيدة التثليث في المسيحية قربت الإنسان من الإله، وأعطته نموذجاً رفيعاً واقعياً في حياته يسعى ليقترب منه ... أما عقيدة التوحيد فباعدت الإنسان والإله، وجعلت الإنسان متشائماً من شدة الخوف منه، ومن جبروته وكبريائه) [(١)] .

ويشرح المستشرقون مبدأ الإسلام في عدم قبول المسلم لولاية الأجنبي، بفكرة عدم التعاون مع الشعوب الأخرى، أو بفكرة النفرة من رياسة غير المسلم ولو كان ذا كفاية وأهلية للرياسة والتوجيه أكثر من المسلمين أنفسهم .

أما الجهاد فهو عند هؤلاء فكرة الاعتداء نفسها، أعطاها الإسلام صبغة شرعية ومبنية، كي يدفع بها المسلم لمهاجمة غير المسلم في وقت أمن فيه على نفسه وماله وعرضه، إنها فكرة الغدر أو تشجيع العدوان، ولهذا الشرح أثر سيئ إلى أقصى حد في علاقة الشعوب الغربية بالمسلمين، وفي تصورهم لحياة المسلم وأهدافه في الحياة .

أما عدم زواج المسلمة بغير المسلم، يرى فيها القوم أنها فكرة قائمة على العنصرية والتمييز بين الشعوب بعضها على بعض بدافع العصبية الكريهة أو بدافع الغرور، دون أن يكون هناك مبرر واقعي أو منطقي لهذا التمييز [(٢)] .

وللأسف الشديد وجدنا البعض من المسلمين ينشر هذه الأفكار كأنما هم المستشرقين أنفسهم، بل إننا ليمكننا القول أن هؤلاء النفر ما هم إلا سفراء لهؤلاء المستشرقين يقومون بعملهم خير قيام، حتى أننا لم نقرأ فكرة لمستشرق غربي عن الإسلام إلا وجدنا واحداً من هؤلاء وأمثالهم يتبنى هذه الفكرة في إخلاص، ويدافع عنها بإصرار واستماتة، ويتفنن في الدعوة إليها بكل الطرق والوسائل .

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٤٣ . ٤٧ باختصار .

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨ .

وكانت هذه خطة المبشر الخبيث "زويمر": (إن الشجرة ينبغي أن يقطعها أحد أغصانها) (إن خبرة الصيادين تعرف أن الفيلة لا يقودها إلى سجن الصياد الماكر إلا فيل عميل أتقن تدريبه ليتسلل بين القطيع فيألفه القطيع لأن جلده مثل جلدهم ويسمعون له، لأن صوته يشبه صوتهم، فيتمكن من التغرير بهم، وسوقهم إلى حظيرة الصياد) [1] .

وكان هؤلاء الفيلة هم العملاء المأجورين من قبل المستشرقين ومن هؤلاء الدكتور/ طه حسين، حين ادعى في كتابه "الشعر الجاهلي" أن الإسلام دين محلي لا دين عالمي، وأنه من وضع محمد ﷺ ولا صلة له بالسماء، بل وضعه محمد متأثراً بالبيئة التي عاش فيها .

وهو بهذا يردد أفكار المستشرق الإنجليزي "جب" ويتفق مع جوهر كتابه المسمى "المذهب المحمدي" .

وكما فعل الدكتور زكي نجيب محمود، حين دعا إلى المنهج العلماني الذي يرفض الدين والميتافيزيقيا في كتابه "خرافة الميتافيزيقا" كما دعا إلى العامية في كثير من كتبه .

وكما فعل سلامة موسى، حين دعا إلى إلغاء الفصحى، واستبدل العامية بها، وإلغاء قواعد الإعراب، وقواعد النحو في كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية" .

وكما فعل الشيخ علي عبد الرازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" حين ادعى

أن شريعة الجهاد خصيصة من خصائص الزعامة النبوية موقوتة بوقتها وظروفها، ولذلك فقد انتهى الجهاد بوفاة صاحب الزعامة .

وكما فعل أمين الخولي حين ادعى أن القصص القرآني لا يتفق مع الواقع التاريخي وأنها تدل على جهل الرسول بالتاريخ .

وهؤلاء ومن على شاكلتهم هم كتائب الطابور الخامس الذي يعمل داخل معسكرات المسلمين للإجهاز على الإسلام، نعم غنهم أكاذيب حية لا يملكون شيئاً يقولونه أكثر من ترددهم لأفكار أعداء الإسلام، وهؤلاء أخطر على الإسلام من العداء السافرين، لأن المسلم قد يفكر ألف مرة ومرة في فكرة يقرؤها لمستشرق نصراني

---

[1] احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص ١٢٣ .

أو يهودي، ولكنه قد ينخدع بأي كلام يلقيه هؤلاء الأذيال اعتماداً على أنهم من جنسنا ومن أبناء وطننا ودیننا [١] .

إن هذه الأفكار التي رددها المستشرقون والمستغربون ما كان إلا نتيجة عمل واحد لحق بالمسلمين وهو: الاستعمار .

ففكرة إبعاد الإسلام عن مجال العلاقات بين الأفراد ... من وحي الاستعمار، وإن فكرة توقيت الجهاد بعهد الرسول وبعهد صحابته، أو فكرة إلغائه اليوم ... فكرة استعمارية .

وإن فكرة أن الظروف الدولية تدعو المسلم إلى الولاء لغير المسلم، وإلى رضائه بحكومته فكرة استعمارية .

وإن فكرة أن الإسلام نفسه يتجدد ويخضع لعامل الزمن في تطوره ... فكرة استعمارية.

وتستتبع هذه الفكرة عدم التقيد بتعاليم الماضي في تكييف الحاضر، وأن فكرة أن الإسلام دين فردي شخصي لا يصح أن يتدخل في علاقات الأفراد بعضهم ببعض ... فكرة مسيحية استعمارية .

وهي تستتبع ما يقال من وجوب الفصل بين ما يسمى ديناً وبين ما يسمى دولة .

وإن تأسيس مبدأ الإسلام في عدم زواج المسلمة بغير المسلم فكرة العنصرية ... ومبدأ الجهاد في سبيل الله على نزعة الميل إلى الاعتداء والغزو ... ومبدأ قوامة الرجل على المرأة على الأسرة على فكرة التفوق الجنسي ... وأمثال ذلك من صنع الاستعمار، وأثر من آثار التمهيد للرضا بحكمه بعد ضياع الشخصية الإسلامية [٢] .

النزعة الثانية لعمل المستشرقين:

تتمثل في وجهة نظر الدكتور محمد البهي . ~ . في الهجوم على الإسلام، وإحداث شبهات كثيرة حوله، ليحولوا دون انتشاره وخاصة في الغرب .

---

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د/ سعد الدين السيد صالح، ص ١٢٤، نقلاً من كتاب: ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن التبشير، محمد السليمان الجبهان، ص ١٠٦ .

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٥٢ .

يقول الدكتور محمد البهي . ~ .: (أما النزعة الثانية في دراسة الغربيين للإسلام والثقافة الإسلامية وهي تأكيد الروح الصليبية، فتتضح أيما وضوح في كتابة المستشرقين الفرنسيين، فكتاباتهم لا تنبئ فحسب عن ميل لإضعاف المسلمين بل تنم عن حقد على المسلمين، وعن سخرية وتهكم برسول الله ﷺ ورسالته الإلهية .

نعم ... قام أساس الاستشراق على أن الإسلام من صنع محمد، فالإسلام دين بشري، وعلى أن الرسول لفق فيه من المسيحية واليهودية، وأنه حرف في نقله تعاليم هاتين الديانتين، إما لأنه لم يستطع فهمها . كما يذكرون . وإما لأن نفسه لم ترتفع إلى مستوى عيسى حتى يتصوره على حقيقته، ولذلك أنكر محمد على عيسى أنه ابن الإله، وبالتالي أنكر التثليث وتشبث بالتوحيد وببشرية الرسول .

بهذا يتضح أن المستشرقين يعملون بكل جهدهم حباً لمسيحيتهم، وعيوناً لحكامهم على بلاد الإسلام والمسلمين، ويعد مستشرقي فرنسا هم أشد عنفاً وحدة وبُعداً عن الحق ثم يأتي في المرتبة بعد ذلك الكاثوليك في أوروبا وأمريكا .

ولو فتشنا عن السبب لوجدناه في احتضان فرنسا للكثلكة، وفي زعامتها للحملات الصليبية الماضية لاسترداد بيت المقدس من البرابرة المسلمين، فروح الصليبية لم تزل حية في نفوس الفرنسيين ولم يزالوا يصدرون عنها في أحكامهم عن الإسلام والمسلمين، وفي معاملاتهم للمسلمين كذلك الخاضعين لاستعمارهم أو لسيطرتهم، وفي توجيه سياستهم نحو المسلمين الخارجين عن نفوذهم) [1] .

وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح والحرب، إلى نوع آخر من الحروب وهو معركة الفكر والعقل، إلى العلم والسياسية إلى القلم الدقيق في صوف أحوال الشعوب وذلك وصولاً إلى هدم الإسلام في نفوس المسلمين وإهدار منظومة القيم الإسلامية، والفصل بين الدين والدولة، وبذلك عمل المستشرقون على إحلال مفاهيم جديدة لخدمة أهدافهم .

مواجهة الفكر الاستشراقي:

فمن المؤكد أن الاستشراق يشكل الجذور الحقيقية التي كانت ولاتزال تقدم المدد للتنصير والاستعمار، وتغذي عملية الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وتشكل المناخ الملائم من أجل فرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي

---

[1] المرجع السابق، ص ٥٥ .

وإخضاع شعوبه، فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين بالمواد يسوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته وهدم أفكاره [١] .

(ولابد لنا من أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامي عن معرفة ذاته، فالاستشراق في حد ذاته كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعي العالم الإسلامي ذاته، وينهض عن عجزه، ويلقى من على كاهله أثقال التخلف الفكري والحضاري يومها سيجد الاستشراق نفسه في أزمة، وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام ويومها لن يجد الجمهور الذي يخاطبه لا في أوروبا ولا في العالم الإسلامي، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا أياً كان هذا أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا) [٢] .

إذن لابد من تغيير جذري في أسلوب حياتنا، ولابد من إعادة النظر في ثقافتنا وفي تفكيرنا .

إن قضية التقدم المادي والروحي قضية لا خلاف عليها، واللحاق بركب التطور العلمي والتقني أمر لا جدال فيه ولكن السؤال الجوهري هو: هل نحن حريصون حقاً على الحفاظ على هويتنا، وعقائدنا وتراثنا، واستقلالية شخصيتنا الإسلامية أم لا ؟ .

إذا كانت الإجابة بالإيجاب، فنحن إذن أصحاب قضية يجب أن نعمل من أجلها بكل إمكاناتنا وطاقاتنا، وهي قضية مصيرية من أجل إثبات الذات، قضية صراع حضاري مرير .

والاستشراق طرف في هذه القضية، لأن كثيراً من الدراسات الاستشراقية في مجال الإسلاميات تهدف بطريق مباشر أو غير مباشر إلى طمس معالم هويتنا، والتشكيك في عقائدنا وتراثنا، والتصدي لذلك من جانبنا له أساليب مختلفة ترتكز كلها على شرط جوهري لابد من توفره قبل أن نخطو خطوة واحدة في هذا السبيل، ويتمثل هذا الشرط في الثقة بالنفس والإيمان بالهدف [٣] .

---

(١) مقدمة كتاب الأمة، رقم (٢٧)، د. عمر عبيد حسنة، ص ١١ .

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، ص ١٥٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٥ .

وفيما يلي عرض لبعض الأساليب التي يمكن أن تساعدنا على الوصول إلى أهدافنا المرجوه، يقول الدكتور محمد البهي: أجهزة الدعوة والدراسات الإسلامية عليها إزاء التبشير والاستشراق:

أولاً: أن تساهم في تنقية الحياة المصرية والعربية والإسلامية من رواسب هذين العاملين فتقعد عملاءهما من حياة التوجيه في مصر في جوانبها المتعددة وتكون ذات صلة وثيقة بوزارة التربية والتعليم في الإشراف على حياة مصرية إسلامية أفضل في مدارس المبشرين ، وهي المدارس الدينية التابعة للفاتيكان في طوابعها المختلفة، من فرنسية وإيطالية وإسبانية وألمانية وهلم جرا ... وعلى صلة وثيقة بالصحافة ووزارة الثقافة والإرشاد القومي في توجيه القلم والكتاب .

ثانياً: أن تكون مع المؤسسات التعليمية الإسلامية كالأزهر جهازاً قوياً يلقى به كتب المستشرقين، وبحوثهم في مجلاتهم ومؤتمراتهم في الرد عليهم وشرح القيم الإسلامية، وتقوية أواصر القربى بين الشعوب العربية والإسلامية .

ثالثاً: أن تخرج للمسلمين عاجلاً في مشارق الأرض ومغاربها:

١ . دائرة معارف إسلامية، يكتبها علماء مسلمون متمكنون في فهم التراث الإسلامي من جميع بلاد العالم الإسلامي وتكون مرجعاً للجوانب الثقافية العديدة .

٢ . وأن تقرأ ترجمة في كل لغة من اللغات التي ترجم إليها القرآن فعلاً بعد مراجعتها مراجعة دقيقة من علماء لهم سعة اطلاع في التفسير والعلوم الإسلامية .

٣ . أن تخرج قاموساً للفقه الإسلامي على نمط القواميس العلمية الحديثة في الاجتماع والفلسفة وعلم النفس والاقتصاد، يكون مرجعاً سريعاً لمعرفة المصطلحات الفقهية ومدلولاتها في المذاهب الفقهية المختلفة .

والفرق بينه وبين دائرة المعارف الإسلامية، أن هذه لا تقصر موضوعاتها على الفقه، بل تعالج جوانب التراث الإسلامي كلها كموسوعة علمية عصرية، أما القاموس فمهمته التعريف في صورة مجملة سريعة علمية منظمة بالفقه الإسلامي والمسلم المعاصر ، وبالأخص في البلاد التي تعرف اللغة العربية في حاجة ماسة إلى مثل هذا القاموس .

٤ . أن تصدر مجلة تتبع بحوث الاستشراق التي يوردها الغرب الصليبي للشرق الإسلامي في الوقت الحاضر، سواء في كتبه عن التراث الإسلامي، أو في بحوث

مجلاته العديدة التي تمنى بهذا التراث، وبوضعية المسلمين وتوجيههم، وحركة الغرب في توريده لهذه البحوث حركة ضخمة وسريعة، كما يرى من الدوريات التي تنشرها الجمعيات الاستشراقية في مختلف بقاع العالم بلغات مختلفة [1] .

وأخيراً أقدم الخطة التي اقترحها تلميذه الوفي المخلص لأستاذه الدكتور محمود حمدي زقزوق، والتي تقوم على ما يلي:

١ . موسوعة الرد على المستشرقين، وقد حدد فضيلته لهذه الموسوعة المنهج العلمي الواجب اتباعه في إعدادها من ناحية أسلوب التناول وخطوات تحضير المادة والمراجعة وغير ذلك .

٢ . مؤسسة إسلامية علمية عالمية تقوم على شئون العالم الإسلامي بحيث تكون بعيدة عن الانتماءات السياسية أو الفكرية ويكون ولاؤها لله أولاً وأخيراً .

٣ . دائرة معارف إسلامية جديدة وهي تختلف عن موسوعة الرد على المستشرقين من حيث إن الموسوعة تعرض حقائق الإسلام عرضاً واضحاً ينفي عنه خبث دائرة المعارف التي كتبها المستشرقون .

٤ . جهاز عالمي للدعوة الإسلامية، وهو عبارة عن مؤسسة إسلامية تدعو للإسلام من ناحية، وترعى المسلمين الجدد من ناحية ثانية، وتحمي المسلمين بالوراثة من ناحية ثالثة .

٥ . ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم، وهو عبارة عن مؤسسة إسلامية تبشيرية تدعو للإسلام من ناحية، وترعى المسلمين الجدد من ناحية ثانية، وتحمي الملمين بالوراثة من ناحية ثالثة.

٦ . تنقية التراث الإسلامي من الإسرائيليات والدخيل .

٧ . الحضور الإسلامي في الغرب، وذلك بمحاولة اقتحام مجالات التدريس للعلوم العربية والإسلامية في الغرب عن طريق الاتفاقيات الثقافية .

٨ . الحوار مع المستشرقين المعتدلين بهدف ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار استشراقية .

٩ . دار نشر إسلامية عالمية مهمتها نشر المطبوعات الإسلامية بكافة اللغات الأجنبية.

---

[1] الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٢١، ٤٢٢ .

١٠. إنشاء وكالة أنباء إسلامية تستطيع أن تكون هي المصدر الذي يستقي منه الغرب معلوماته عن العالم الإسلامي، وليس العكس فنحن حالياً نستقي معلوماتنا عن العالم الإسلامي من وكالات الأنباء الغربية التي لا تتحرى الموضوعية والأمانة في عرضها لأخبار العالم الإسلامي، بل تحاول تشويه صورة المسلمين [١] .

هذه هي الخطط التي وضعها مفكرو الإسلام لمواجهة الفكر الاستشراقي وما أكثر التوجيهات والاقتراحات والتوصيات، وما أقل العمل والتنفيذ، لو أن المسلمين ينفذوه عُشر ما يوصون به لما كان حالهم هو هذا الحال، والمسئولية إنما تقع كاملة على عاتق حكام المسلمين الذين يملكون عناصر التحويل وقدرة التنفيذ، وسوف يلقون الله وأعناقهم تبوء بهذه الأعمال الثقال .

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [٢] .

---

[١] الاستشراق والخلفية الفكرية، ص ١٣١ وما بعدها، وانظر: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، سعد الدين السيد صالح، ص ١٣٨، ١٣٩ .

[٢] سورة التوبة، الآية رقم (١٠٥) .

المبحث الثالث

جهود الدكتور محمد البهي في مواجهة الفكر العلماني

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل دين الإسلام آخر وحي السماء إلى الأرض، وأن يختار له سيدنا محمداً ﷺ رسولاً ونبياً، وأن يجعل في هذا الدين صفات الثبات في أصوله وأسسه وحفظ هذه الأصول من التحريف والتبديل، وجعل فيه صفات المرونة واليسر ليساير كل عصر وجيل .

من هنا أدرك أعداء الإسلام أن أصول الإسلام وأسسه المتمثلة في القرآن والسنة هما مصدر القوة الإسلامية، وأنه لا أمل في استعباد المسلمين ما داموا يطبقون إسلامهم على حياتهم كنظام اجتماعي وسياسي واقتصادي وأخلاقي، لذا فقد وضعوا أسلوباً جديداً لمقاومة الإسلام وهو: محاولة إبعاده عن مجال الحياة وإحلال القوانين الوضعية محل القوانين الإسلامية، وهو نظام عرف في التاريخ بالفصل بين الدين والدولة وجعل الدين مكانه الوحيد في المسجد، فالإسلام صلاة وصيام وزكاة وحج فقط ولا مكان له في معترك الحياة فهو دين لا دولة وهو ما يسمى الآن علمياً إمعاناً في التضليل والخداع (بالعلمانية) .

والمقصود بهذا المصطلح هو (العلمانية: هي نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية، هي اعتقاد بأن الدين والشئون الأكليريكية "اللاهوتية والكنيسة" والرهبنة لا ينبغي أن تدخل في أعمال الدولة .

والعلماني: هو ما يتعلق بالحياة الدنيوية المؤقتة وليست له قداسة مقابل الشئون الكنسية، ومنه الموسيقى الدنيوية، مقابل الموسيقى الدينية أو الكنيسة والمدرسة الدنيوية أو المدنية مقابل المدرسة الأكليريكية) [1] .

فالعلمانية إذاً دعوة مناهضة للدين، فالعلمانيون يريدون عزل الدين عن الدولة أو كما يقول الدكتور محمد البهي: (هي فصل بين مجالين في حياة الإنسان، مجال الدنيا وزينتها ومتعها، ومجال الصلة الخاصة بين الإنسان وخالقه، هي فصل بين سلطتين غير متجانستين بين دين أو كنيسة وسلطة زمنية أو دولة، هي

---

(١) الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، د محمد البهي، ص ١٤ .

تفرقة بين طاهر وهو سر الله في الإنسان، ونجس وهو ما يمثل المادة وشرها في الحياة)[1] .

ولقد نشأت العلمانية في المجتمع الأوروبي بعد صراع مرير بين الكنيسة والدولة أو كما يقول الدكتور محمد البهي: (مشكل تنازع السلطة بين الدولة والكنيسة أو بين الدنيوي غير المقدس، والكنسي المقدس، تصور بعض المفكرين حله: في أنه يجب أن يكون الحل النظري على الأقل في توزيع السلطة وتقسيمها بين الطرفين: يكون للدولة مجال، وللكنيسة مجال، تكون للدولة الشئون السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والتشريعية بما لا يمس الكنيسة، وتكون للكنيسة شئون الأسرة في مراسم الزواج، وطقوس الوفاة، ونظام الرهبنة "الأكليروس" وهذا التقسيم أو الفصل بين السلطتين يأخذ اسم العلمانية) [2] .

فالعلمانية إذا إحدى ثورات العقل المسيحي ضد سلطة الكنيسة المسيحية، وقد تجمعت في أوروبا أسباب لنشأة العلمانية أقنعت رجال النهضة بأنه لا سبيل إليها إلا باستبعاد رجال الكنيسة والدين عن مجال التوجيه في الحياة نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة، ووقوفها في وجه كل تفتح فكري أو كشف علمي، وإصدار صكوك الغفران، وقرارات الحرمان وراحت تتاجر بالدين وتتخذه وسيلة للكسب الحرام .

(فجاءت العلمانية فأقصت الدين إقصاء كاملاً من الحياة، ولم تترك منه إلا الحرية لمن أراد أن يعتقد بوجود إله يؤدي له شعائر التعبد على أن يصنع ذلك على مسئوليته الخاصة، وفي مقابلها حرية الإلحاد والدعوة إليه وأن يصنع ذلك بسند الدولة وضماناتها) [3] .

ولقد عمل الغرب على إدخال الفكر العلماني في العالم الإسلامي وذلك بعد فشله في مواجهة العالم الإسلامي بالسلاح فكان هذا الغزو الفكري الذي كان ومازال له تأثير سلبي على واقع الأمة الإسلامية، فالإسلام في البلاد التي نادى أصحاب الفكر فيها بتطبيق هذا الفكر الوافد من الغرب وتم تطبيقه على أرض الواقع لوحظ أن الإسلام أبعد:

---

(١) العلمانية وتطبيقها في الإسلام، ص ٣، ٤ .

(٢) الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ص ١٦ .

(٣) مذاهب فكرية، محمد قطب، ص ١١٢ .

١ . في سياسة الحكم فنظام الحكم اليوم في سيره: إما علماني غربي رأسمالي وإما علماني شرقي .

٢ . وفي سياسية التوجيه والتعليم: يشار إلى الإسلام في بعض مناهج المرحلتين الأولى والثانية، يغفل في التعليم العالي والجامعات، حتى في البلاد التي تعلن رسمياً أنها تمارس الإسلام في حياة المواطنين فيها .

٣ . وفي سياسة التشريع والقضاء: فما لم يلغه الاستعمار من مبادئ الإسلام أو مظاهره، ألغاه الحكم الوطني بعد الاستقلال .

٤ . وفي سياسة المال والاقتصاد لا يعني فيها: إن كانت ملائمة أو غير ملائمة للمبادئ الإسلامية والاتجاه الإسلامي في حياة المسلم .

٥ . لم يبق من الإسلام في المجال العملي للحياة الإسلامية، إلا الأحوال الشخصية "أي أحوال الزواج، الطلاق، الفقه، إلى آخر موضوعاتها [١] .

ولم يقف علماء الأزهر الشريف موقف المتفرج أمام هذا التيار الوافد بل تصدى له العلماء بكل ما أوتوا من علم وفكر عميق يخدم الإسلام ويبرهن أنه لا مكان للعلمانية في المجتمع الإسلامي حيث أنه لا توجد الظروف التي كانت سبباً لظهور العلمانية للمجتمع الغربي.

فعندما أراد الأستاذ توفيق الحكيم، في مقال له ينعي فيه على شيخ الأزهر اعتراضه على تقارير إنجليزية بكلية الآداب تحمل طعناً في نبي الإسلام ورأى ذلك امتداد لسلطان الكنيسة في أوروبا حين حاربت حرية الفكر، وقد وجد الحكيم من يعاضده في اتجاهه، لأن الهجوم على الإسلام في منطق هؤلاء آية من آيات التحرر الفكري، وكان الدكتور البهي أحد الذين جابهوا الحكيم بمقال عاصف قال فيه: (من الذي يقارن مهمة الأزهر في حياته المجيدة التي كلها فخر للشرق بسلطان الكنيسة في العصور الوسطى؟ ومن الذي حدثنا أن جامعة كمبردج أو أكسفورد تضع أمام طلابها للنقاش وأمام البحث العلمي كتباً أو كتاباً تطعن في المسيح من مؤلف شرقي أو غربي، إن الأزهر لا يطلب سلطان كنيسة العصور الوسطى، ولم يطلبه يوماً ما، وإنما يؤدي مهمته الروحية فوق مهمته العلمية، وهي المحافظة على الأمة وشبابها المثقفين، وليس في منع التهجم على الدين فقط، بل في ضمان التدين

---

[١] الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ص ٥٣ .

به، وشيخ الأزهر الإمام المراغي لا يحد من حرية البحث الجامعي إذا ما حاول أن ينزع الأمة وبالأخص شبابها من تحكم فئة تدعي لنفسها من الألقاب الثقافية ما تشاء مستغلة جهل الشعب وعدم سمو المستوى العلمي فيه) [١] .

وعندما صدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبد الرازق، والكتاب دعوة صريحة لفصل الدين عن الدولة .

فقد تصدى لهذا الكتاب كوكبة من علماء الأزهر الشريف بالرد على ما جاء فيه من دعاوى باطلة، فكتب فضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي كتاباً (الإسلام وأصول الحكم) والشيخ محمد الخضر حسين كتب كتاباً بعنوان (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) .

وكتب فضيلة الدكتور محمد البهي كتاباً بعنوان (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) [٢] تناول نقد الكتاب في فصل كامل منه، ويعد هذا الفصل بمثابة الرد القاطع على هذه الأفكار المنحرفة الفاسدة التي قال بها العلمانيون في هذا العصر، والتي مازلنا نكتوي بنارها حتى عصرنا الحاضر .

من هنا أستطيع أن أقول: (إن تناقض العلمانية في فصلها الدين عن الدولة وشعارها في إبعاد الدين عن السياسة لا محل له في الواقع الإسلامي، ولا يصلح تطبيقه في المجتمعات الإسلامية مطلقاً، فالإسلام لا توجد فيه تناقضات عقائدية، والإسلام لا يوجد فيه كهنوت مقدس، أو لاهوت خرافي متناقض، وعقيدة الإسلام تخلو من مثل هذه التفاهات العقائدية والرذائل الفكرية، ودين الإسلام دين العدالة، والسماحة والمساواة ينأى بنفسه عن كل مظاهر الاستبداد والظلم والتسلط والقهر، والجبروت الكهنوتي، ودين الإسلام دين العلم والمعرفة والحقيقة العلمية، لا يحجر على العقل، ولا يحارب العلم، فالمعالم الإلهية للعقيدة الإسلامية تتناقض تماماً وتتعارض مع مقولة العلمانية بفصل الدين الإسلامي عن دولته، أو فصله عن الحكم، أو السياسة، أو العلم أبداً، وتسعفنا الدلائل النصية والعقلية والتاريخية والعلمية في الحكم على ألوهية عقيدتنا، وفعالية وتوازن شريعتنا، وشمولية وكفاءة منهجية الإسلام في معالجة جميع أمور الحياة، وشئون الأفراد الدينية والدنيوية من عبادات

---

[١] النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د محمد رجب البيومي، الجزء الثالث، ص ٢١٢ .

[٢] الفكر الإسلامي الحديث، من ص ١٩٦ ـ ٢٢٧ .

ومعاملات، وعلاقات، وعقوبات، ولجميع النشاطات السياسية والاقتصادية والمالية، لذلك الإسلام يرفض العلمانية) [1] .

[1] الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة، د. محمد البهي، ص ١٥٩ .

المبحث الرابع

جهود الدكتور محمد البهي في مواجهة الرأسمالية

تصدى الدكتور البهي لكل ما هو دخيل على الإسلام من جهة الغرب حيث كان عالماً بلغة الغرب وفكره الإلحادي، فقد تعرض ـ بمؤلفات عديدة يكشف فيها زيف الأفكار الواردة من الغرب ويعلن إفلاسها ويطرح البديل الإسلامي، ومن أهم التيارات الوافدة على العالم الإسلامي "الرأسمالية" فقاومها بالنقد وتحليل أسباب نشأتها مفنداً الأسس التي قامت عليها مبيناً موقف الفكر الإسلامي منها .

فيعرف الرأسمالية بقوله: (هي نظام المال الذي يتحكم في سياسة الحكم، وفي توجيه الفكر في المجتمع، وهو الذي يجعل من المال قوة مسيطرة على جوانب الحياة الإنسانية للأفراد، ويجعل من أصحاب المال "عصابة" تستقل بالحرية الفردية في استثمار المال، وفي توجيه السياسة الداخلية والخارجية للمجتمع لصالح المال، كما تستقل بالتوجيه في توزيع غلة المال وربحه .

وكل وسيلة تؤدي إلى زيادة الربح فهي مشروعة في الرأسمالية:

. الربا: مشروع ويعتبر في نظرها وسيلة رئيسية لربح المال وإنمائه .

. التدليس والرشوة: طريق مأمون غير محفوف بالخطر في الكسب وزيادة المال .

. المقامرة بالأوراق المالية وبأسعار الحاصلات الزراعية الهامة في البورصة غير منكرة في مشروعيتها وفي ربحها .

. والاحتكار في الإنتاج الصناعي أو في بعض السلع الضرورية أمر لا غبار عليه ويعتبر وسيلة مربحة .

وغير ذلك من ضروب تحصيل المال وإنمائه) [1] .

وقد حدد البهي الأسس والمبادئ التي ارتكزت عليها الرأسمالية في أربعة مبادئ هي:

الأول: أن المال ملك لصاحبه على سبيل الحقيقة .

ثانياً: ليس هناك وراء صاحب المال من يشاركه الحق في آية صورة من صور المشاركة، ولو كانت الدولة فضلاً عن الأفراد الآخرين في المجتمع .

---

[1] الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، ص ١١٠، ١١١ .

ثالثاً: أن غلة المال وربحه تعود على صاحب المال وحده، إما أن يحتفظ به لصالحه الخاص، أو ينفقها حسبما يريد، ولو في ترف أو عبث، وما يدفع منها للعمل هي أجور، ثم ما يخرج منها بإرادة صاحب المال وراء أجور العمل، للمؤسسات الخيرية، أو لبعض الأفراد العاجزين عن الكسب يعتبرها القانون في المجتمع الرأسمالي منحاً وتبرعات .

رابعاً: أن الحرية في اختيار وسائل الاستثمار لا تخضع لرقابة أخرى وراء صاحب المال نفسه، ولا تتدخل فيها الدولة طالما أنها غير موجهة للأضرار بفرد معين أو معينين [1] .

وبعد أن استعرض الدكتور محمد البهي الأسس والمبادئ التي قامت عليها الرأسمالية قام بتفنيدها الواحد تلو الآخر .

فيقول سيادته: (وإذا استعرضنا الأسس التي تكون الرأسمالية:

- وجدنا الأساس الأول وهو: أن المال ملك لصاحبه على سبيل الحقيقة لا يمثل النظرة الإسلامية للمال، تلك التي ترى أن المال بيد من عنده المال على سبيل الاستخلاف، وأنه مؤتمن عليه، والأصل في ملكيته الحقيقية أنه لله، ولم تمنع هذه النظرة الإسلامية من بيده المال من التصرف فيه تصرف صاحب المال في ملكه في الإطار العام الذي حدده الإسلام لتحصيل المال وإنمائه .

ويبدو الفرق بين الأساس للرأسمالية والنظرة الإسلامية في تصرف السفيه، فالنظام الرأسمالي إمعاناً في مباشرة الحرية الفردية، لا ينزع المال من يد السفيه إلا بطلب من صاحب المصلحة الخاصة فيه إلى جهة قضائية، بينما الإسلام يعطي الحق للمجتمع في أن ينزعه من يده مع حقه في معاش منه يكمل له الحياة الأدمية السليمة .

- والأساس الثاني وهو: أنه ليس وراء المالك للمال حق أو مشاركة في ماله في آية صورة من صور المشاركة ، لا يتفق مع نظرة الإسلام الأخرى إلى المال: وهو تعلق حث الله به ومشاركته فيه .

---

(1) الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه، ص ١١٢ .

ويبدو الفرق بين ما للرأسمالية هنا والإسلام فيما يخرج من المال في سبيل الله أو في سبيل المصلحة العامة وأصحاب الحاجة في المجتمع، فبينما الإسلام يعتبره حقاً مطلوباً، إذ بالرأسمالية تراه منحة وتبرعاً .

- أما الأساس الثالث وهو: احتفاظ صاحب المال بأرباح المال بعد استقطاع الضرائب وأجور التكلفة لمصلحته الخاصة مهما بلغت، وهو حر تماماً في التصرف فيه ، فالإسلام يطلب طلباً مؤكداً تنمية الميل الاجتماعي في الإنسان صاحب المال، بحيث يقوي هذا الميل على أن يوجه الإنماء في المال تسد حاجات الآخرين دون قهر و إلزام على إنفاقه في تلك الحاجات، ويؤثر إنفاقه فيها على أن يصرفه شهوات أو ملذات، فضلاً من أن يصرفه في عبث أو فساد .

وبهذا يكون للآخرين لمن عدا صاحب المال حق معلوم في ماله، يجب أن يرعاه وأن يؤديه، وإن كان في صورة اختيارية .

- والأساس الرابع من أسس الرأسمالية وهو: حرية الاختيار لوسائل استثمار المال ... فالإسلام قد وضع حدوداً تشكل الدائرة التي يسمح للمال أن يكون فيها سواء في الاستثمار أو تحصيله، وهي الدائرة التي تجنب صاحب المال أو الساعي إلى تحصيله استغلال الضعف في الإنسان، وإهدار كرامته البشرية، ثم من جانب آخر تعلن إيجابيته ونشاطه الإنساني في الكسب .

والفرق هنا بين ما للرأسمالية والإسلام فرق واضح: فبينما "الربا" تعتبره الرأسمالية طريقاً رئيسياً مشروعاً لاستثمار المال، يجرمه الإسلام على سبيل القطع قل أم كثر .

وبينما الإسلام يجعل من ضمير الإنسان وإنمائه رقيباً على تصرفاته في المال، بحيث لا يستغل الفرصة التي تواتيه في كسب غير مشروع ، كأكل الأموال العامة ، أما الرأسمالية لا تحفل إلا بالرقابة الخارجية، وهي رقابة القانون والسلطة المشرفة عليه: فطالما عين هذه الرقابة نائمة، فلا ضير من أكل أموال الناس بالباطل عن طريق رشوة الحاكم [1] .

الآثار المترتبة على تطبيق النظام الرأسمالي على المجتمع البشري:

---

[1] المرجع السابق، ص ١١٥، ١١٦ .

من خلال تطبيق المبادئ والأسس التي قامت عليها على أرض الواقع، تبين من التجربة فشل الرأسمالية في توفير الحياة الكريمة للجميع، وكشفت التجربة عن مآسي كثيرة عانت منها البشرية منها:

١ ـ فقد أدت إلى ضعف الوازع الديني، وطغيان الوازع المادي .

٢ . تثبيط الرغبة في الخدمات الاجتماعية، وهي مترتبة على فقدان الإحساس بالآخرين، وانفصال الطبقة المالكة عن بقية الطبقات المسحوقة، وما يترتب على ذلك من حسد وحقد .

٣ ـ انتشار البطالة وما يترتب عليها من مخاطر اجتماعية وسياسية .

٤ ـ الكساد الاقتصادي: فإن وفرة الإنتاج تؤدي بعد فترة إلى الكساد .

٥ . الاحتكار: وهو واضح في النظام الرأسمالي وله عيوبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ومن صور الاحتكار الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات العابرة للقارات، حيث تقوم هذه الشركات بإنشاء فروع لها ولمصانعها في دول عديدة .

وكذلك يظهر الظلم الرأسمالي في فرضه سعر الفائدة [١] .

من أجل ذلك فإن الإسلام يرفض النظام الرأسمالي رفضاً قطعياً لأنه يتعامل مع الإنسانية بصورة مادية بحتة قائمة على المنفعة الفردية بغض النظر عن الآخرين، والإسلام يرى المال وسيلة وليس غاية، وسيلة من أجل تحقيق الأمن والاستقرار لأفراد المال، فالمال جُعل لنصرة الحق وإعمار الأرض وإسعاد الناس .

---

[١] الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي أبو جريشة، ص ١٤٢، ١٤٣ .

الخاتمـــة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائــج:

(١) يعد الدكتور محمد البهي من علماء الأزهر البارزين في مجال الفكر والإبداع، وقيادياً ناجحاً، شهدت له جميع المناصب والمواقف بالفكر المعتدل وإتقانه لعمله، لا يخاف في الله لومة لائم نظيف اليد عيف اللسان، قوياً بربه، عزيزاً بدينه، شامخاً بفكره .

(٢) تبين من خلال مؤلفاته أنه حمل لواء الإصلاح والتجديد في النصف الثاني من القرن العشرين بكل جدارة واقتدار، وذلك امتداداً لشيخه المجدد الإمام محمد عبده .

(٣) اتخذت القوى المعادية للإسلام مختلف الوسائل والأساليب لتحقيق هدفها وهو القضاء على الإسلام وهدم بنيانه، ومن ذلك تبنى الاستشراق ودعمه، فنشأت مؤسسات استشراقية كبرى بما توفر لها من دعم مادي ومعنوي لإثارة الشبهات ومفتريات حول الإسلام وأصوله .

(٤) لابد من التفريق بين الحكم على الاستشراق كحركة، وعلى المستشرقين بصفتهم أفراد ومدارس، فالاستشراق كحركة، فهو حركة معادية للإسلام، وأما المستشرقون بصفتهم أفراداً، فيجب أن يحكم عليهم من خلال إنتاجهم العلمي وتقويمه بما له أو عليه سلباً أو إيجاباً .

(٥) إن سبب انتشار الفكر المنحرف والحركات الهدامة في ربوع العالم الإسلامي راجع للرواسب الفكرية للبلاد التي ظهرت فيها، وللظروف التي طرأت على العالم الإسلامي من جهة، وتألب القوى الصليبية والصهيونية لإحداث ثغرات في المجتمع الإسلامي وتحريف هدّام لعقيدته وشريعته والحيلولة دون قيام النهضة الإسلامية مرة أخرى .

(٦) أثبت البهي من خلال عرضه للفكر العلماني والرأسمالي فشلهما وعدم مواءمتهما للحياة الآمنة المستقرة في دنيا الناس لمخالفتهما للفطرة البشرية، ومحاربتهما للدين والتدين بكل مظاهره، وفقدان منظومة القيم العليا والأخلاق السامية .

(٧) إن إخفاق هؤلاء الأعداء في زعزعة العقيدة الإسلامية، يثبت لكل ذي بصيرة أن الله حافظ عليها بما أودع فيها من عناصر القوة والخلود التي تولد الفاعلية الإيجابية في زمان ومكان .

(٨) إن الإسلام سيظل تواجهه عقبات أخرى لوقف نموه وانتشاره، وسيجرب معه أهل الباطل كافة الأسلحة، وسوف يكون نصيبهم بأحسن من نصيب من سبقهم، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [1] .

ثانياً: التوصيات:

(١) العمل على إنشاء مراكز متخصصة في رصد كل ما يقال ضد الإسلام ومناقشته وتفنيدها بصورة علمية حديثة تخاطب العقل والوجدان .

(٢) إجراء حوار هادف وهادئ مع كل مخالف للإسلام، ولديه رغبة للحوار والوصول إلى الحقيقة والصواب وذلك من خلال مصادر الإسلام المعتمدة عند أهل السنة والجماعة .

(٣) إعطاء الحرية الكاملة لعلماء الأزهر المخلصين لدينهم ووطنهم في إبداء الرأي بما يتماشى مع الإسلام وأصوله السمحة، بعيداً عن الرقابة والسلطة حتى يتسنى له أداء دوره كما ينبغي أن يكون .

(٤) إبراز جهود علماء الأزهر في خدمة الإسلام والدفاع عنه وذلك من خلال البحوث الأكاديمية والأبحاث العلمية، حتى يتسنى للجيل الجديد معرفة لشيوخه القدامى ومنهجهم في خدمة الإسلام، وهنا يعتبر نوعاً من الوفاء لشيوخنا الراحلين .

والحمد لله رب العالمين؛؛؛

[1] سورة التوبة، الآية رقم (٣٢) .

أهـم المراجـع والمصـادر

(١) حياتي في رحاب الأزهر، د. محمد البهي .

(٢) الإسلام في مواجهة المذاهب الهدامة، د. محمد البهي .

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي .

(٤) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح .

(٥) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق .

(٦) الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة . مشكلات الحكم والتوجيه ، د.محمد البهي .

(٧) العلمانية وتطبيقها بين النظرية والتطبيق، د. محمد البهي .

(٨) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب .

(٩) الإسلام في حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة . الأسرة والمجتمع ، د. محمد البهي .

(١٠) الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، د. محمد البهي .

(١١) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، المستشار. علي أبو جريشة .

جهود أعلام الفقه والأصول
في تحقيق الأمن الفكري والسلمي المجتمعي

دكتور/ محمد نايف اللحام
أستاذ الفقه المقارن
المساعد في كليتي الحقوق والشريعة
جامعة الأزهر – غزة – فلسطين

ملخص البحث

جاء هذا البحث لينبه إلى أهمية الأمن الفكري وضرورته في استقرار المجتمعات وتحقيق السلم الاجتماعي، وبخاصة في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها كثير من المجتمعات العربية والإسلامية. حيث أثبتت التجارب والدراسات إن الانحراف الفكري هو أساس كل القلاقل والفتن والاضطرابات التي تعصف بهذه البلاد، وتعرّض أمنها ووجودها لمخاطر كثيرة، وترهن مستقبلها وتضعها على عتبة المجهول.

وجاء هذا البحث لينبه إلى أنه لا يمكن أن يتحقق الأمن الفكري إطلاقاً إلا بسلوك المنهج الوسطي المعتدل، والاستقامة عليه، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالاعتصام بمنهج الله تبارك وتعالى المتمثل في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالرجوع إلى العلماء الراسخين أعلام الفقه والأصول الذين كان لهم في تاريخ الأمة الإسلامية جهوداً كبيرة في السعي لتحقيق الأمن الفكري، والسعي لحفظ فكر المسلمين والتصدي لكل المذاهب والأفكار الدخيلة الهدامة، والنظريات المستوردة من الخارج والمصادمة لقطعيات نصوص الشريعة الإسلامية ومسلماتها ومقدسات المسلمين وثوابتهم.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن من أكبر نعم الله علينا أن هدانا للإسلام ومنَّ علينا بهذه الشريعة الخالدة التي جاءت بالخير والرحمة، والحب والمودة، والوسطية والاعتدال، وجاءت لتحقيق مصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، وحفظت للناس الضرورات الخمس في دينهم وأنفسهم وعقولهم وأموالهم وأنسابهم، يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – : "فقد اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري..."[(١)].

ومن محاسن هذه الشريعة الخالدة أنها جاءت بحفظ الأمن للأفراد والمجتمعات والأمة، كيف لا! والأمن مطلب أساسي لكل أمة، وغاية ينشرها الإنسان في حياته، وهدف تسعى جميع المجتمعات إلى تحقيقه، ولا يهنأ العيش إلا به ومعه، وقد امتن الله عز وجل به على قريش في قوله تعالى: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[(٢)].

ووعد الله به عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[(٣)].

وتوعد الله المتنكرين لنعمة الأمن بزوالها عنهم، قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[(٤)].

---

(١) الموافقات، الشاطبي، (٣٨/١).

(٢) سورة قريش، الآيتان (٣، ٤).

(٣) سورة النور، الآية (٥٥).

(٤) سورة النحل، الآية (١١٢).

وربط الله سبحانه وتعالى الأمن بالإيمان، فجعله تابعاً وملازماً له، قال تعالى: ﴿ الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُهتَدونَ﴾[1].

وعرَّف النبي صلى الله عليه وسلم المسلم والمؤمن اللذان تتحقق فيهما معاني الأمن بقوله فيما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)[2].

ففي ظلال الأمن تقام شعائر الدين، ويمشي الناس في مناكب الأرض لطلب المعيشة وكسب الرزق وهم مطمئنون، ويأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

هذا، ومن أهم أنواع الأمن: (الأمن الفكري)، لأنه جزءٌ لا يتجزأ من منظومة الأمن العام في المجتمع؛ حيث يُعد الركيزة الأساسية – إن لم تكن الأولى – في تحقيق الأمن والسلم المجتمعي والاستقرار الوطني؛ ولأن الأمم والمجتمعات والحضارات إنما تقاس بعقول أبنائها وأفكارهم، لا بأجسادهم، فإذا اطمأن الناس على ما عندهم من أصول وثوابت، وأمنوا على ما لديهم من قيم ومثل ومبادئ، فقد تحقق لهم الأمن الفكري في أسمى صوره وأجلى معانيه، وإذا تلوثت أفكارهم بمبادئ وافدة وأفكار دخيلة وثقافات مستوردة فقد جاس الخوف خلال ديارهم، ذلك الخوف المعنوي الذي يهدد كيانهم ويقضي على مقومات بقائهم، لذلك حرصت الشريعة الخالدة على تعزيز الأمن الفكري لدى الأفراد والمجتمعات والأمم، وكان لها الدور الريادي في ذلك عن طريق وسائل متعددة أسهمت في حمايته والحفاظ عليه من كل قرصنة فكرية أو سمسرة ثقافية تهزّ مبادئه أو تخدش قيمه أو تمس ثوابته وعقيدته.

والأمن الفكري له أهميته في حياة كل إنسان مسلم؛ لأنه فكر رسالة سماوية لهذه الأمة الإسلامية، ويكون من نتائجه وحدة الاعتقاد والفكر، ووحدة السلوك، وهو التزام واعتدال ووسطية، وشعور بالانتماء إلى ثقافة الأمة وقيمها، وهو حماية عقل الإنسان المسلم وفكره ورأيه في إطار الثوابت الأساسية والمقاصد المعتبرة والحقوق المشروعة، المنبثقة من الإسلام عقيدة وشريعة حياة[3].

---

(1) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(2) صحيح البخاري، (١/ ٨، ٩).

(3) انظر: الأمن في ضوء الإسلام، علي بن فايز الجحني، ص (٢٥٠ ، ٢٥١).

موضوع البحث:

موضوع هذا البحث: جهود العلماء المسلمين في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي "جهود أعلام الفقه والأصول"، ومتناوله الشريعة الإسلامية، ومحوره الإنسان، وأسلوبه الاستقراء والوصف والتحليل، وهدفه السمو بالإنسان إلى الحياة الإنسانية السوية.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

١. إن الأمن الفكري مشروع ثقافي حيوي وضروري، يتوقف عليه استقرار البلاد وأمن العباد وسلامة الشباب الذي يُعد ذخر الأمة ومستودع آمالها من الانحرافات الفكرية الداخلية، والمؤثرات الأجنبية؛ لأنه يؤسس لمنظومة ثقافية مبنية على الوسطية والاعتدال، ومستوحاة من شريعتنا الغراء التي تحترم في الإنسان آدميته وكرامته، وتعصم دمه وماله وعرضه، وتصون عقله.

٢. إن تحقيق الأمن الفكري هو المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته فهو بمثابة التاج لباقي أنواع الأمن.

٣. إن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي إلى تفرق الشعوب، وظهور الأحزاب فيها وتنافر قلوب أبنائها.

٤. إن الأمن الفكري هو الأداة الرئيسة والوسيلة الفاعلة لحفظ وحماية هوية المجتمع من الاستلاب والذوبان والضياع، ولا سيما في عصر العولمة الذي يُعنى باختراق كل مجالات الحياة لفرض الأنموذج العالمي الموحد.

٥. إن الأمن الفكري يوفر مبدأ التعايش الإنساني، ويحقق المعنى الحقيقي للسلام العالمي بين المجتمعات البشرية.

ويرجع السبب في اختيار موضوع البحث والكتابة فيه إلى أمور عدة أهمها ما يلي:

١. الرغبة في المشاركة في المؤتمر الدولي العاشر (دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي) التي اعتزمت جامعة المنيا – كلية دار العلوم عقده في الفترة من ٢٢ – ٢٤ مارس ٢٠٢٠م، وقد أحسنت جامعة المنيا صنعاً ذلك الصرح العلمي الشامخ حيث عنيت بهذا الموضوع ودعت إلى الاهتمام به عن طريق هذا المؤتمر العلمي المهم.

٢. يأتي استجابة لنتائج وتوصيات العديد من الأبحاث والدراسات العلمية والمؤتمرات التي تؤكد على طرق مثل هذه المواضيع الملامسة للواقع، والتي من شأنها ترسيخ مفهوم الأمن الفكري، ونشر ثقافة الوسطية والاعتدال لدى الشباب.
٣. التأكيد على فداحة الأضرار المرتبطة على اختلال الأمن الفكري على الفرد والمجتمع.
٤. يأتي حمايةً وإنقاذاً للأجيال الصاعدة في المجتمعات العربية والإسلامية من مغبة الانسياق وراء التيارات الفكرية المنحرفة والثقافة الغربية الوافدة التي وجدت في تكنولوجيا الاتصال المتطورة بغيتها لتستقطب شباب الأمة فتفرغهم من حمولتهم الثقافية الأصيلة وتعيد تعبئتهم بما يتناسب مع مصالحها وأهدافها.

منهج البحث:

ولكي يجيء البحث مستقطباً كل الجوانب ذات الصلة به، إن أمكن، وإلا فمعظمها، فقد سلكت فيما عالجت المنهج الوصفي التحليلي، بغرض إبراز روائع نظامنا الإسلامي ودقة حكمه وأسلوب علاجه لكل المواقف التي لا تحكمها الأهواء، وإنما تحكمها المقاصد العليا للشرع الإسلامي، وهو ما يجعل ديمومة صلاحيته في الزمان والمكان قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

خطة البحث:

يتألف هذا البحث من: مقدمة، ثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تضمنت موضوع البحث، وأهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج البحث.

المبحث الأول: الأمن الفكري، مفهومه، أهميته، ضوابطه، وسائل تعزيزه، عوامل ضعفه، وقسمته إلى خمسة مطالب:

- ❖ المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري، واشتمل على ثلاثة فروع:
  - الفرع الأول: تعريف الأمن في اللغة والاصطلاح.
  - الفرع الثاني: تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح.
  - الفرع الثالث: تعريف الأمن الفكري باعتباره مصطلحاً مركباً.
- ❖ المطلب الثاني: أهمية الأمن الفكري.

- ❖ المطلب الثالث: ضوابط الأمن الفكري.
- ❖ المطلب الرابع: وسائل تحقيق الأمن الفكري.
- ❖ المطلب الخامس: عوامل ضعف الأمن الفكري.

المبحث الثاني: دور أعلام الفقه والأصول في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي، وقسمته إلى أربعة مطالب:

- ❖ المطلب الأول: غرس العقيدة الصحيحة في النفوس.
- ❖ المطلب الثاني: تطبيق الشريعة وحفظ الضرورات الخمس.
- ❖ المطلب الثالث: العلم النافع.
- ❖ المطلب الرابع: العمل الصالح.

المبحث الثالث: ضمانات تحيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي، وقسمته إلى سبعة مطالب:

- ❖ المطلب الأول: تحقيق الوسطية والاعتدال، وقسمته إلى فرعين:
  - الفرع الأول: الوسطية.
  - الفرع الثاني: الاعتدال.
- ❖ المطلب الثاني: الرجوع إلى أعلام الفقه والأصول وولاة الأمر.
- ❖ المطلب الثالث: الدعوة والاحتساب.
- ❖ المطلب الرابع: التربية الصحيحة، وقسمته إلى ثلاثة فروع:
  - الفرع الأول: تفعيل دور الأسرة.
  - الفرع الثاني: تعزيز رسالة المسجد.
  - الفرع الثالث: قيام المدرسة بدورها الحضاري.
- ❖ المطلب الخامس: وسائل الإعلام.
- ❖ المطلب السادس: فتح قنوات الحوار.
- ❖ المطلب السابع: تطبيق العقوبات والتعزيرات.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الأمن الفكري، مفهومه، أهميته، ضوابطه، وسائل تعزيزه، عوامل ضعفه

المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري:

يعد مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف قديماً في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، وإن كان للشريعة الإسلامية رؤيتها في حفظ الدين، والنفس والنسل والمال والعقل.

ويعد هذا المفهوم ضمن سياق منظومة مفاهيمية متقاربة تتصل بعضها، لتشكل بناءً متكاملاً لا ينفك بعضه عن بعض.

وسوف أتناول في هذا المطلب مفهوم الأمن الفكري من خلال ثلاثة فروع هي:

- الفرع الأول: تعريف الأمن في اللغة والاصطلاح.
- الفرع الثاني: تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح.
- الفرع الثالث: تعريف الأمن الفكري باعتباره مصطلحاً مركباً.
- الفرع الأول: تعريف الأمن في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف الأمن في اللغة:

الأمن في اللغة: هو الشعور الداخلي بالاطمئنان، والإحساس بالسكينة وعدم توقع حصول مكروه في الزمن القريب أو البعيد.

يقال: أَمِنَ فلانٌ يَأْمَنُ أَمْناً وأَمَناً وأَمَنَةً فهو آمِنٌ إذا لم يخف، وقد أَمَّنته ضدَّ أَخَفْتُه، ويقال رجل أَمَنَهُ أي يأمن كل أحد، وقيل يأمنه الناس ولا يخافون غائلته، والمأمن موضع الأمن أو المكان الآمن[(١)].

قال الراغب الأصفهاني: "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف[(٢)]".

وعرفه الجرجاني فقال: "الأمن عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[(٣)]".

وعرفه ابن منظور فقال: أمن: الأمانُ والأمانةُ بمعنى، وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأمْن والأمان.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، (١/ ١٣٤)، لسان العرب، ابن منظور، (١٣/ ٢١)، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، (١/ ٤٨).

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص (٢١).

(٣) كتاب التعريفات، ص (٣٧).

والأمنُ ضدُّ الخوف، والأمانةُ: ضدُّ الخيانة. والإيمان: ضدُّ الكفر. والأَمَنَةُ: الأمن[١].

وكما يكون الأمن: "في الضرورات والحاجات المادية، يكون كذلك في الأمور المعنوية والنفسية والروحية .. وكما يكون للفرد، فإنه يكون للاجتماع الإنساني العام[٢]".

ويتبين مما سبق أن التعريفات اللغوية تكاد تجمع على أن الأمن هو في كل حال ضد الخوف، فهما نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، بمعنى أن الإنسان لا تخلو حياته منهما فهو إما في أمن أو خوف، ولهذا قوبل الأمن بالخوف في القرآن الكريم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٣]، وقوله عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[٤].

وبهذا يرى الباحث أن معنى الأمن في لغة العرب يدور حول أمرين متلازمين، هما: الطمأنينة والشعور بالرضا والاستقرار أولاً، ثم التصديق والثقة وعدم الخوف ثانياً.

ثانياً: تعريف الأمْنُ في الاصطلاح:

عُرف الأمن قديماً وحديثاً، وأكثر التعريفات لا تخرج كثيراً عن معناه اللغوي، فقديماً قالوا: (هو عدم توقع مكروه في الزمان الآتي)[٥].

ثم تطور هذا المفهوم نتيجة لتطور المجتمعات البشرية وتنوع الحاجات الإنسانية، فتعددت الآراء والأقوال بحسب اختلاف المجالات والتخصصات، وبالتالي فهناك تعريفات اصطلاحية للأمن حسب جوانبه وأقسامه وذلك على النحو التالي:

١. **الأمن في الجانب النفسي:** عُرِّف بأنه "الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة والهدوء والاستقرار، والبعد عن القلق والاضطراب[٦]".

---

(١) لسان العرب، (١٣/ ٢١).

(٢) الإسلام والأمن الاجتماعي، محمد عمارة، ص (٥).

(٣) سورة قريش، الآية (٤).

(٤) سورة النحل، الآية (١١٢).

(٥) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص (٣٧).

(٦) الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، أحمد بن علي المجدوب، ص (٥٣).

٢. **والأمن في الجانب الجنائي:** عرف بأنه "هو قدرة المجتمع على مواجهة ليست فقط الأحداث والوقائع الفردية للعنف، بل جميع المظاهر المتعلقة بالطبيعة المركبة والمؤدية للعنف[١]".

٣. **والأمن في الجانب السياسي:** "هو تحقيق كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار التي تهددها داخلياً وخارجياً، وتأمين مصالحها، وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً، لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع[٢]".

٤. **والأمن في الجانب الشرعي:** "هو الاستعداد والأمان بحفظ الضروريات الخمس من أي عدوان عليها، فكل ما دل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والرقي في أي شأن من شؤون الحياة فهذا أمن[٣]".

ومن التعريفات السابقة للأمن يتضح للباحث أن كل تعريف يتضمن جانباً معيناً، وهذا الاختلاف يرجع إلى "تشعب دلالة مفهوم الأمن؛ حيث يتسع هذا المفهوم ليشمل مضامين متعددة في شتى أنظمة الحياة[٤]".

ويتضح أيضاً للباحث أن مفهوم الأمن يدور حول إحساس الفرد والمجتمع بالاطمئنان والاستقرار دون خوف أو قلق من الأخطار والمهددات المختلفة لحياة الإنسان ودينه وعقله وماله وعرضه.

وعليه فإن الباحث يعرف الأمن بأنه "حالة من الشعور بالسلامة والاطمئنان والاستقرار تسود المجتمع فتجعل كل فرد فيه لا يخاف على شيء من ضروريات حياته".

---

(١) الأمم المتحدة ومفهوم الإرهاب، عبد المنعم المشاط، ص (١٩).

(٢) بين الأمن العام والأمن السياسي، علي الدين هلال، ص (٨٤).

(٣) مقومات الأمن في القرآن الكريم، د. إبراهيم سليمان الهويمل، ص (٩).

(٤) دولة تحت مظلة الأمن، خالد بن صالح الشمري، ص (١٩).

الفرع الثاني: تعريف الفكر في اللغة والاصطلاح:

أولاً: تعريف الفكر في اللغة:

جاء في لسان العرب: (الفَكْرُ والفِكْرُ) بالفتح والكسر: إعمال الخاطر في الشيء، والتَّفَكُّر: التأمل، وليس لي في هذا الأمر فِكْرٌ: أي ليس لي فيه حاجة[١].

وجاء في المعجم الوسيط: (فَكَرَ) في الأمر فَكْراً: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وأفْكَر في الأمر: فَكَرَ فيه، فهو مُفكِّر.

و(الفِكْرُ): إعمال العقل في المعقول للوصول إلى معرفة مجهول. ويقال لي في الأمر فِكْرٌ: نظر ورؤية. وما لي في الأمر فِكْر: ما لي فيه حاجة ولا مبالاة. و(الفِكِّير): الكثير التفكير[٢].

وجاء في مختار الصحاح: (فَكَرَ): "(التَّفَكُّر) التأمل، و(أفكر) في الشيء و (فكر) فيه بالتشديد و(تفكر) فيه بمعنى. ورجل (فكِّير) بوزن سكيت كثير التَّفكُّر[٣]".

ويتضح مما سبق أن مفهوم الفكر في اللغة يدور حول معنى واحد تقريباً وهو "إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف بغرض الوصول إلى معرفة جديدة، وهو بهذا عملية يقوم بها العقل أو الذهن بوساطة الربط بين المدركات أو المحسوسات واستخراج معانٍ غائبة عن النظر المباشر[٤]".

ثانياً: تعريف الفِكْرُ في الاصطلاح:

عُرِّف الفكر في الاصطلاح بتعريفات، أهمها:

١- هو "جملة النشاط الذهني وأسمى صور العمل الذهني، بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق[٥]".

٢- هو "حركة النفس نحو المبادئ، والرجوع عنها إلى المطالب[٦]".

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٥/ ٦٥).

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، (٢/ ٧٣١).

(٣) مختار الصحاح، الرازي، ص (٢٤٢).

(٤) أهمية تحديد معاني المصطلحات في فهم الخطاب الإسلامي، معد خالد، ص (١٧٨).

(٥) تنمية التفكير من خلال المنهج المدرسي، رشيد النوري البكر، ص (١٣).

(٦) كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكوفي، (٦٩٧).

٣- هو "جملة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية من القيم والمبادئ الأخلاقية التي يتغذى بها الإنسان من المجتمع الذي ينشأ فيه ويعيش بين أفراده[١]".

٤- "الفكر بعامة هو كل تعميم نظري لتجارب البشر الجزئية – أو بمعنى آخر – هو مجموع الأسس النظرية والمفاهيم والمعاني التي تكمن خلف مظاهر السلوك الإنساني[٢]".

٥- الفكر هو: "إعمال العقل في الجوانب المعرفية والثقافية والشرعية المعلومة للوصول إلى معرفة مضبوطة بالشرع[٣]".

ومما سبق يتضح للباحث أن الفكر مرادف للتفكير لعلاقته الوثيقة بأنشطة الذهن وإعماله العقل في مجال المعرفة، كما أن الفكر ينبع من عقيدة ومبادئ المجتمع ويتأثر بهما ويؤثر فيهما سلباً أو إيجاباً على حد سواء.

الفرع الثالث: تعريف الأمن الفكري باعتباره مصطلحاً مركباً:

إن مصطلح "الأمن الفكري" مصطلح حديث ومعاصر، ولذلك اختلفت عبارات الباحثين ووجهات نظرهم في تعريفه وتحديده، وضبط مفهومه، وسأورد منها ما يلي:

١. "سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة[٤]".

٢. "حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوان، أو ينزل بها أذى؛ لأن ذلك من شأنه إذا حدث أن يقضي على ما لدى الناس من شعور بالهدوء، والطمأنينة والاستقرار، ويهدد حياة المجتمع[٥]".

٣. "سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية والاجتماعية مما يؤدي إلى حفظ النظام العام

---

(١) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، د. عبد الله عبد المحسن التركي، ص (٦٦).

(٢) الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره، مصطفى عبد القادر زيادة وآخرون، ص (٢١).

(٣) الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية، رامي فارس، ص (١٨).

(٤) الأمن الفكري الإسلامي، سعيد بن مسفر الوادعي، ص (٥١).

(٥) الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، أحمد علي المجدوب، ص (٥٤).

وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني[١]".

٤. "أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية[٢]".

٥. "تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ، مما قد يشكل خطراً على نظام الدولة وأمنها، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية[٣]".

٦. "أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة[٤]".

ويتضح مما سبق أن التعريفات التي تناولت مصطلح الأمن الفكري تكاد تجمع على أنه مشروع ثقافي حيوي وضروري، يتوقف عليه استقرار البلاد وأمن العباد وسلامة الشباب الذي يعد ذخر الأمة ومستودع آمالها من الانحرافات الفكرية الداخلية، والمؤثرات الأجنبية الخارجية؛ لأنه يؤسس لمنظومة ثقافية مبنية على الوسطية والاعتدال، ومستوحاة من شريعتنا الغراء التي تحترم في الإنسان آدميته وكرامته، وتعصم دمه وماله وعرضه، وتفتح أمام الجميع أبواب الحوار الهادف البناء، لتتلاقح الأفكار والآراء، وتتضح الرؤى والتصورات وتخضع لميزان الدين والعقل تحت سمع المجتمع وبصره[٥].

هذا، ومن خلال مجموع التعريفات السابقة (للأمن الفكري) يرى الباحث أن الأمن الفكري يمكن تعريفه بأنه: صيانة وحماية فكر أبناء المجتمع، وثقافتهم، وقيمهم، وكل شأنهم من أي فكر منحرف، أو دخيل، أو وافد، أو مستورد لا يتفق – انغلاقاً أو انفتاحاً – مع الثوابت والمنطلقات الرئيسة والأصيلة له.

---

(١) نحو استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، عبد الحفيظ المالكي، ص (١٩).

(٢) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية، د. عبد الله التركي، ص (٥٧).

(٣) الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، حيدر عبد الرحمن الحيدر، ص (٣١٦).

(٤) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، عبد الرحمن السديس، ص (١٦).

(٥) انظر: الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، أ. د. محمد عبد الله زرمان، ص (٢٤، ٢٥).

المطلب الثاني: أهمية الأمن الفكري:

الأمن مطلب أساس لكل أمة، وغاية ينشدها الإنسان في حياته، وهدف تسعى جميع المجتمعات إلى تحقيقه، ولا يهنأ العيش إلا به ومعه، فهو من أعظم الضرورات في حياة البشر؛ لما له من أثر عظيم في استقرار الأوضاع، واطمئنان النفوس، وتنشيط العقول، وتفتح المواهب والملكات، وتسارع وتيرة النمو الاقتصادي، وتهيئة الأجواء المناسبة والمشجعة للإبداع والابتكار، بسبب ما يوفره الأمن للفرد والمجتمع من إحساس عميق بالطمأنينة والسكينة التي تدفع إلى الإعمار والإصلاح في الأرض[(١)].

هذا وتعتبر الحاجة إلى الأمن في حياة الإنسان من الحاجات الأساسية والتي تأتي في الأهمية بعد الحاجة إلى الطعام والماء. وقد كان الأمن هو المطلب الأول لسيدنا إبراهيم عليه السلام من ربه كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[(٢)]، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذ قالَ إِبراهيمُ رَبِّ اجعَل هذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجنُبني وَبَنِيَّ أَن نَعبُدَ الأَصنامَ**﴾[(٣)].

والأمن من النعم العظيمة التي يهبها الله سبحانه لمن يشاء من عباده، وقد منّ الله عز وجل على قريش بهذه النعمة عندما طلب منهم أن يعبدوه نظير هذه النعمة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[(٤)].

وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن أهمية الحاجة إلى الأمن ودورها في الصحة النفسية وفي الشعور بالسعادة في الدنيا، فقال صلى الله عليه وسلم: (من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[(٥)].

---

(١) الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، أ. د. محمد عبد الله زرمان، ص (٢٨).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٦).

(٣) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

(٤) سورة قريش، الآية (٣، ٤).

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب "الزهد"، باب "فيمن أصبح معافاً آمناً"، (١٠/ ٥١٧)، والترمذي (٢٣٤٦)، وهو حديث حسن.

هذا ويشكل الأمن الفكري الجدار المنيع والقوة الحقيقية التي تقف أمام كل مخطط يراد به إخلال الاطمئنان والاستقرار والهدوء لدى المجتمع، والاهتمام بهذا الجانب هو بمثابة الاهتمام بشتى أنواع الأمن الأخرى، حيث يعد الأمن الفكري بمثابة الرأس من الجسد، فهو جزء لا يتجزأ من منظومة الأمن العام في المجتمع؛ حيث يُعد الركيزة الأساسية في تحقيق الأمن والاستقرار الوطني، ويأتي الأمن الفكري على رأس قائمة الأولويات الأمنية لأهميته وحساسيته البالغة من مخاطبته للعقل وعلاقته بجوانب الأمن الأخرى(١).

وقد قدّم القرآن الكريم صورة رائعة للأمن الفكري وآثاره على النفس والعقل، ففي سورة الأنعام مثال واضح على أهمية التحلي بالأمن الفكري النابع من عقيدة الإيمان الراسخة، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يحاجج قومه، وهو يشعر بسلامة الأفكار، وسلامة الفهم والإدراك الصحيح للمشكلة، فحدثت له استنارة وهداية فيقول لهم: ﴿ وَحاجَّهُ قَومُهُ قالَ أَتُحاجّوني فِي اللَّهِ وَقَد هَدانِ وَلا أَخافُ ما تُشرِكونَ بِهِ إِلّا أَن يَشاءَ رَبّي شَيئًا وَسِعَ رَبّي كُلَّ شَيءٍ عِلمًا أَفَلا تَتَذَكَّرونَ ﴾(٢).

إن الشعور بالهداية وبالهيمنة الفكرية، يزيل الشعور بالخوف؛ ولهذا قال إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَحاجَّهُ قَومُهُ قالَ أَتُحاجّوني فِي اللَّهِ وَقَد هَدانِ وَلا أَخافُ ما تُشرِكونَ بِهِ إِلّا أَن يَشاءَ رَبّي شَيئًا وَسِعَ رَبّي كُلَّ شَيءٍ عِلمًا أَفَلا تَتَذَكَّرونَ﴾(٣).

هذا ومن ينظر إلى الأمن الفكري في الإسلام يراه واضح المعالم؛ لأنه فكر رسالة سماوية ثابتة وواضحة، ومحددة الأهداف والغايات، ولهذا كان من نتائج هذا الأمن الفكري وحدة الاعتقاد والفكر والسلوك والعاطفة، وهو التزام، واعتدال ووسطية، وشعور بالانتماء إلى ثقافة الأمة وقيمها، وهو حماية عقل الإنسان المسلم وفكره ورأيه في إطار الثوابت الأساسية والمقاصد المعتبرة والحقوق المشروعة، المنبثقة من الإسلام عقيدة وشريعة حياة(٤).

---

(١) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، د. محمد دغيم الدغيم، ص (٤٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٨٠).

(٣) سورة الأنعام، الآية (٨٠).

(٤) الإرهاب الفهم المفروض للإرهاب المرفوض، د. علي بن فايز الجحني، ص (١٩٥).

من هنا، فإنه يمكننا تلخيص أبرز جوانب أهمية الأمن الفكري في مجموعة النقاط التالية:

١. أن الأمن الفكري يُعد من الركائز الأساسية لبناء الشخصيات والمجتمعات على حد سواء، فهو بمثابة العمود الفقري والمنطلق الرئيس للأمن العام أو الشامل[١].

٢. أن الأمن الفكري يحقق للأمة الإسلامية التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج والغاية.

٣. أن الأمن الفكري غايته استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف، فهو يرسخ المنهج الحق، ووسطية الإسلام، ولذلك فإن الإخلال به يعرض الإنسان لأن يكون عمله هباءً منثوراً لا ثقل له في ميزان الإسلام.

٤. أن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي إلى خلل في الأمن في جميع فروعه، ويؤدي إلى تفرق الأمة وتشرذمها شيعاً وأحزاباً، وتنافر قلوب أبنائها، ويجعل بأسهم بينهم، فتذهب ريح الأمة، ويتشتت شملها، وتختلف كلمتها.

٥. أن الأمن الفكري يتعلق بالمحافظة على الدين، الذي هو إحدى الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحمايتها، والمحافظة عليها، لذلك كان في الأمن الفكري الحماية لهذه الضرورات، والإخلال به إخلال بها، وهو ما يجعل الأمة عرضة للزوال، والتأثر بأديان الأمم الأخرى وثقافاتها.

٦. أن الأمن الفكري وسيلة فاعلة وإيجابية لمنع أي اختراق ثقافي أو غزو فكري أو معلوماتي للمجتمع.

٧. أن الأمن الفكري هو الأداة الرئيسة والفاعلة لحفظ وحماية هوية المجتمع الإسلامية من الاستلاب والذوبان والضياع، ولا سيما في عصر العولمة الذي يُعنى باختراق كل مجالات الحياة لفرض الأنموذج العالمي الموحد[٢].

---

(١) دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري، د. صالح بن علي أبو عرَّاد، ص (٢٣٤).

(٢) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (١٧)؛ دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري، المرجع السابق، ص (٢٣٥).

٨. أن الأمن الفكري عامل رئيس في توفير الاطمئنان النفسي والاستقرار الاجتماعي الأمر الذي يؤدي إلى الإسهام الفعلي في توافر أسباب الرُقي الحضاري والاجتماعي[١].

٩. أن الأمن الفكري يوفر مقومات المستقبل الأفضل، ويُسهم في صناعة حياة الأجيال القادمة على النحو المطلوب فهو "المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته[٢]".

١٠. أن الأمن الفكري يمثل بُعداً استراتيجياً للأمن الوطني في مفهومه الشامل الذي يتمثل في تأمين الدولة والحفاظ على مصادر قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك لارتباطه بهوية الأمة الإسلامية واستقرارها[٣].

المطلب الثالث: ضوابط الأمن الفكري:

يحتاج الأمن الفكري إلى بعض الضوابط التي تعمل في مجموعها على تنظيمه وتحقيق الفائدة المرجوة منه حتى يتحقق ويؤتي ثماره اليانعة في خدمة الأفراد والمجتمعات من خلال تربية النفوس تربية مطمئنة، والعمل على بناء المجتمعات الآمنة المستقرة.

وأهم الضوابط[٤] التي يمكن من خلالها تحقيق الأمن الفكري في المجتمع المسلم ما يلي:

١. أن يكون نابعاً من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ومن المعتقدات الصحيحة الراسخة.

٢. أن يتمشّى مع مقاصد الشريعة الإسلامية وحكمها، وتحقيقها للمصالح ودرئها للمفاسد.

---

(١) دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري، د. صالح بن علي أبو عرَّاد، ص (٢٣٥).

(٢) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (١٧).

(٣) دور المناهج التربوية في تعزيز الأمن الفكري، أ. د. الطيب أحمد المصطفى حياتي، ص (٤).

(٤) انظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (١٨، ١٩)؛ دور هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في تعزيز الأمن الفكري، سعد العريفي، ص (٦)؛ دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري، د. صالح بن علي أبو عرَّاد، ص (٢٣٥ – ٢٣٨)؛ الأمن الفكري: ماهيته وضوابطه، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص (٦٠، ٦١).

٣. أن يحقق الوسطية والاعتدال بفهم الصحابة الأخيار – رضي الله عنهم – والأئمة الكبار.
٤. أن يؤخذ من المصادر الصحيحة، ويتولّى ذلك العلماء الربانيون.
٥. أن يحقق للأمة الإسلامية وحدتها وتلاحمها.
٦. أن يحافظ على ثقافة الأمة الإسلامية ومكونات أصالتها وقيمها، ويحدد هويتها ويبرز شخصيتها.
٧. أن يكون طريقاً لتحقيق الأمن بمفهومه الشامل بعيداً عن الازدواجية والفوضى الفكرية والاجتماعية.
٨. أن يتصف بالحكمة التي يُقصد بها الخضوع للرؤية العلمية العقلية القائمة على الأدلة والبراهين الثابتة الصحيحة.
٩. أن يتصف بالموضوعية التي تعني قدرة الأفراد في المجتمع على الاستقلالية الفكرية بعيداً عن التحيز والذاتية، وعدم الخضوع للأهواء المختلفة والرغبات الشخصية.
١٠. أن يسهم بفعالية في تحقيق الأمن العام والشامل في المجتمع؛ إذ إن اختلال الأمن الفكري مؤدٍ إلى اختلال الأمة في الجوانب الأخرى: الجنائية والاقتصادية وغيرها، فكثيراً ما يكون القتل وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض نتاج أفكار خارجة عن دين الله تعالى وشرعه.
١١. أن يُسهم في إقامة العلاقات الاجتماعية الحسنة، ومدِّ جسور المحبة والألفة بين أفراد المجتمع وفئاته المختلفة من خلال نشر ثقافة التعارف، والتعاون، والتسامح، والتآخي، والتعايش، ونحو ذلك.
١٢. أن يُسهم في ضبط ومعالجة الظواهر السلبية الاجتماعية كالعنف، والجريمة، والتفجير، والإدمان، والتطرف، والإرهاب، ونحو ذلك مما تشتكي منه المجتمعات المعاصرة.
١٣. أن يكون له أثر واضح في غرس قيم الانتماء والولاء للدين ثم الوطن من خلال نشر هذه القيم والحث على التحلي بها والتعامل مع الآخرين من خلالها.
١٤. أن ينطلق من إطار مرجعي ثابت راسخ يمكن أن يعمل على التحكم في سلوك وممارسات الأفراد في المجتمع وضبطها وتنظيمها.

١٥. أن يقوم على مبدأ إتاحة الفرصة للحوار البناء، والنقاش الإيجابي المشترك بين الجميع، وأن يُراعي احترام الآراء ووجهات النظر.

المطلب الرابع: وسائل تحقيق الأمن الفكري[١]:

الأمن الفكري لن يتحقق إلا من خلال عدة وسائل هامة ورئيسة تساعد في بنائه بطريقة صحيحة وتحافظ على استمراره وتطوره ويمكن إيجازها فيما يلي:

١. التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

إن التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيه العصمة من الضلال والانحراف في السلوك أو الفكر؛ لأن كتاب الله جل جلاله: ﴿ **لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[٢]، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هي أيضاً وحي من الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[٣].

فربط الناس بهذين المصدرين هو الأمن الحقيقي الذي يقود إلى الأمن الفكري، وهو صمام أمان للأمة من الزيغ أو الانحراف أو الضلال[٤].

٢. تأصيل العقيدة في النفوس وتربية النَّشْء والأجيال عليها:

لا شك أن تأصيل العقيدة في النفوس وتربية النشء والأجيال عليها من أسباب تحصينهم من الشرور والفساد، وحماية أفكارهم من المذاهب الهدامة، والآراء الضالة، المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في التّلقي والاستدال والمناهج البعيدة عن الهدى والرشاد.

---

(١) انظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، ص (١٩، ٢٠)؛ دور هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في تعزيز الأمن الفكري، سعد العريفي، ص (٦)؛ نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، عبد الحفيظ المالكي، ص (٥١)؛ دور مركز الملك فهد للحوار الوطني في تعزيز الأمن الفكري؛ صالح الحارثي، ص (٤٥)؛ تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، بندر الشهراني، ص (٦٤ – ٦٩).

(٢) سورة فصلت، الآية (٤٢).

(٣) سورة النجم، الآيتان (٣، ٤).

(٤) خطبة الجمعة أهميتها، وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، د. محمد بن عدنان بن محمد السمان، ص (٢٧).

إذن تربية النشء على العقيدة الصحيحة وحماية ذواتهم من العبث الفكري، وبناء الشخصية الإسلامية التي لا تؤثر فيها تيارات التشكيك لهو وسيلة مهمة وفاعلة من وسائل تحقيق الأمن الفكري.

٣. تفعيل وسائل الإعلام المختلفة مع الالتزام بالمنهج الإسلامي حكمة وصدقاً واتزاناً وموضوعية، ووضع الأنظمة والضوابط الحازمة للمطبوعات والمنشورات حتى يتحقق الأمن الفكري المنشود.

٤. دعوة كل القادة من حكام وعلماء ومفكرين ودعاة ومربين لمحاربة تيارات الإلحاد والتطرف والغلو والإرهاب والعنف والفوضوية، والوقوف بحزم ضد كل تيارات الإفساد الديني والاجتماعي والفكري الذي يتعرض له مجتمعنا العربي والإسلامي.

٥. إعزاز جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما يمثله من طوق أمان في الحفاظ على الأمن الفكري.

٦. العمل على ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال، وتطبيق ذلك في حياتنا وسلوكنا وتصرفاتنا، بعيداً عن الغلو والتطرف والإرهاب، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ** ﴾[1].

٧. العناية بتصحيح المفاهيم، وضبط المصطلحات الشرعية، وتنقيتها من المصطلحات المغلوطة والمشبوهة، والتصدي لكل دعوات الانفتاح غير المنضبط والتحرر غير المسؤول.

٨. ربط شباب الأمة بعلمائها الراسخين المؤهلين علمياً وفهماً للواقع ومعرفة بمقاصد الشريعة الإسلامية.

٩. فتح باب الحوار المنضبط بالضوابط الشرعية.

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

المطلب الخامس: عوامل ضعف الأمن الفكري[1]:

على الرغم من أن الأمن هو نعمة من النعم التي أنعم الله عز وجل بها على الإنسان وأنه مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إلا أن هذه النعمة قد تتعرض إلى الضياع وفقدانها والتي يترتب عليها عدد من المشكلات نتيجة لعدد من العوامل التي يمكن إيجازها فيما يأتي:

١. الابتعاد عن الشريعة الإسلامية، واتباع الأهواء المتفرقة والأفكار المنحرفة والتي تُفضي بطبيعة الحال إلى الاختلاف والتفرق والتشرذم.
٢. الابتعاد عن علماء الأمة الربانيين وترك الاقتداء بهم، وعدم الأخذ بعلمهم ومنهجهم واستنباطهم، وخاصة في نوازل الأمة التي يحتاج النظر فيها إلى فهم دقيق وعلم وافر واستنباط صحيح.
٣. الإعراض عن العلوم الشرعية وتعلم العقيدة الصحيحة ووجود الخلل في مناهج التعليم.
٤. القصور في وسائل الإعلام الإسلامية، فلا يوجد ما يقف في وجه التيارات الفكرية المخالفة للدين والتي تبث عبر الفضائيات وشبكات الإنترنت.
٥. إشباع الشهوات والأهواء وظهور المعاصي والجرائم التي تهدد أمن المجتمع فكرياً ومادياً. قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[2].
٦. الانحرافات العقائدية والفكرية والبدع التي تؤدي إلى ظهور الأخطاء والأفكار الفكرية والسلوكية والتي تؤثر سلباً على الأمن الفكري كالتعصب العرقي والغلو الديني، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾[3].

---

(١) انظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٢٢)؛ رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، علي بن فايز الجحني، ص (٢٥٧ – ٢٥٨)؛ العولمة، صالح الرقب، ص (٩)؛ الأمن الفكري – التطورات – الإشكالات، إبراهيم الفقي، ص (٢٨ – ٣٤)؛ الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، عبد الله التركي، ص (١٢٠ – ١٢٦)؛ الحوار الوطني ودوره في تحقيق الأمن الفكري – دراسة نظرية تقويمية، ضرمان آل ضرمان، ص (٧٣ – ٧٥).

(٢) سورة هود، الآية (١١٧).

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٧).

٧. انتشار الفقر والمجاعة والبطالة والوظائف ذات الدخول المنخفضة والمساكن العشوائية.
٨. التقصير في كشف مخاطر العولمة والانفتاح غير الرشيد على الغرب.
٩. التقصير في منع الفوضى الفكرية الناجمة عن الإفتاء بغير علم.
١٠. فقدان العدالة الاجتماعية وانتهاك حقوق الإنسان.
١١. تنامي الفروق الفردية والاجتماعية بين الفقراء والأغنياء.
١٢. ضعف الوازع الديني وتلاشي القيم الأخلاقية بين أفراد المجتمع[١].

المبحث الثاني: دور أعلام الفقه والأصول في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي

مما لا شك فيه أن للعلماء الراسخين المؤهلين علمياً وفهماً للواقع ومعرفة بمقاصد الشريعة الإسلامية دوراً رئيساً وحيوياً في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي، ويمكن ترسيخ ذلك من خلال الأمور الآتية:

المطلب الأول: غرس العقيدة الصحيحة في النفوس:

العلاقة بين الأمن والإيمان:

تشترك مادتا الأمن والإيمان في الأصل اللغوي (أَ مِ نَ)، فقد ذكرت مشتقات هذه المادة أكثر من ثمانمائة (٨٠٠) مرة في كتاب الله عز وجل: فالمؤمنون والإيمان والأمانة والأمين والأمن كلها كلمات تدل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والاستقرار ورغد العيش والبعد عن الخوف والحزن لمن أطاع الله واستجاب لأمره وعكس ذلك لمن عصاه وخالف أمره[٢].

قال تعالى: ﴿ **الَّذينَ آمَنوا وَلَم يَلبِسوا إيمانَهُم بِظُلمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُهتَدونَ** ﴾[٣].

فالأمن الحقيقي الشامل لا يتحقق إلا بالإيمان بالله عز وجل رباً خالقاً مالكاً متصرفاً وإلهاً مستحقاً للعبادة دون سواه ورحماناً رحيماً له الأسماء الحسنى

(١) الأمن الفكري: المفهوم – التطورات – الإشكالات، د. إبراهيم الفقي، ص (٢).
(٢) انظر: أثر الإيمان في إشاعة الأمن والطمأنينة من منظور القرآن والسنة، محمد بن سعد السويعر، ص (١٢١).
(٣) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

والصفات الكاملة العلا، قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

هذا الإيمان هو الطريق المؤدي إلى الأمن والسلامة والنجاة؛ لأنه طريق مستقيم لا عوج فيه، أما غيره من الطرق فيؤدي إلى الضياع والحيرة والاضطراب، ويدعو إلى الخوف على النفس والمال والممتلكات كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبيلِهِ ذلِكُم وَصّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقونَ﴾[2].

ولقد صرح القرآن الكريم بأن الأمن كامن في الإيمان، متعلق به وجوداً وعدماً، وبين كذلك أن الخوف والقلق مرتبط بالكفر، وأن الكافر يتخبط في حياته، ويتقلب فيها كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشقى ۞ وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكري فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنكًا وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيامَةِ أَعمى﴾[3].

قال الحافظ بن كثير: "أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة[4]".

وهذا هو الخوف وعدم الأمن الحقيقي إذا لم ينشرح الصدر وتسكن النفس[5].

ومما سبق يتبين أن الإيمان له أثر عظيم في أمن الفرد والمجتمع، وفي أمن النفوس، وفي أمن البلاد؛ لأن الأمن سمة المؤمن الصادق في إيمانه، فإذا صدق إيمان الفرد، وصدق إيمان المجتمع عاشوا حياتهم آمنين لا يخافون ولا يفزعون، فالإيمان إذاً من مقومات الأمن بفروعه - وعلى رأسه الأمن الفكري – في المجتمع بل هو أساسها وأصلها.

---

(1) سورة الشورى، الآية (١١).

(2) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

(3) سورة طه، الآيتان (١٢٣، ١٢٤).

(4) تفسير القرآن العظيم، (٣/ ١٦٨)؛ محاسن التأويل، القاسمي، (١١/ ٤٢١٩).

(5) انظر: مقومات الأمن في القرآن الكريم، د. إبراهيم سليمان الهويمل، ص (١٤).

المطلب الثاني: تطبيق الشريعة وحفظ الضرورات الخمس:

لتطبيق الشريعة الإسلامية آثار حميدة، ونتائج فريدة تسعد الفرد، وتؤمن المجتمع، وتبعد الفوضى، وقد حفظت الشريعة الإسلامية المصالح الشرعية والأمور الضرورية التي تقوم عليها الحياة، والتي يطلق عليها العلماء: "بالضرورات الخمس".

وباستقراء نصوص الشريعة المتعلقة بالأمن يتضح أن ثمة ترابطاً بين مفهوم الأمن، وحفظ الضروريات الخمس؛ وذلك لأن الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح الخلق ودرء المفاسد عنهم.

يقول العز بن عبد السلام – رحمه الله – : "معظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها[(١)]".

ويقول – رحمه الله – : "الشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من مفاسد؛ حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح؛ حثاً على إتيان المصالح[(٢)]".

وحفظ الضروريات الخمس في المقدمة من هذه المصالح، وهي كما عرّفها الشاطبي – رحمه الله – : "ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين[(٣)]".

و "لقد اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموعة أدلة لا تنحصر في باب واحد[(٤)]".

---

(١) قواعد الأحكام، (٨/١).
(٢) قواعد الأحكام، (٢/ ٧٣).
(٣) الموافقات، (٢/ ٨).
(٤) المرجع السابق، (١/ ٣٨).

ومعلوم أن ثمة ترابطاً ظاهراً بين الأمن وحفظ الضروريات، فأمن الناس لا يكون إلا باستقامة الحياة في جوانبها الضرورية هذه، والاضطراب الأمني إنما هو نتيجة الإخلال بحفظها[١].

ومن أعظم ثمار تطبيق العقوبات الشرعية، استتباب الأمن بفروعه وعلى رأسه الأمن الفكري؛ لأن العقل من الضروريات التي جاءت الشريعة لحفظها، فحفظه مما يخل به ويجنح به عن الطريق المستقيم غاية من غاية الشريعة الإسلامية، وذلك لكونه من الأصول التي تقوم عليها حياة الإنسان في هذه الدنيا[٢].

المطلب الثالث: العلم النافع:

العلم له مكانته العظيمة في الإسلام، به يعرف المسلم كيف يعبد ربه، وهو مقدمة العمل والقول الصالح، قال الإمام البخاري – رحمه الله – : "العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾[٣]، فبدأ بالعلم، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورَّثوا العلم مَنْ أخَذه أخذَ بحَظٍّ وافرٍ ومَنْ سَلَكَ طريقاً يَطْلُبُ به علماً سَهَّلَ الله لهُ طريقاً إلى الجنَّةِ[٤]". وقال جل ذكره: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[٥]. وقال عز وجل: ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[٧].

---

(١) الأمن الفكري: ماهيته وضوابطه، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص (٥٧).

(٢) الأمن الفكري، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص (٣٩)؛ أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع وقوع الجريمة، د. صالح بن ناصر الخزيم، ص (٢٠، ٢١).

(٣) سورة محمد، الآية (١٩).

(٤) صحيح البخاري، (١/ ٢٥).

(٥) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٦) سورة العنكبوت، الآية (٤٣).

(٧) سورة الزمر، الآية (٩).

والعلماء هم المبلغون لهذا العلم، ولهذا يجب الرجوع إليهم وسؤالهم عند الحاجة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرسَلنا قَبلَكَ إِلّا رِجالًا نوحي إِلَيهِم فَاسأَلوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمونَ﴾[1].

ولقد ضلَّ عن جادة الطريق المستقيم فئات من الناس، فلم يأخذوا العلم من أهله المعتبرين، المشهود لهم بالرسوخ في العلم، والوسطية والاعتدال في الفهم، والفقه في الدين، وخاصة في القضايا الكبرى التي تمس الأمة، ومالوا إلى من بضاعتهم قليلة في العلم الشرعي[2].

قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – : "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من علمائهم وكبرائهم وذوي أسنانهم فإذا آتاهم العلم عن صغارهم وسفهائهم فقد هلكوا[3]".

هذا وإن من أهم روافد الأمن الفكري التزود بالعلوم الإيمانية، التي ترشد إلى طريق الهداية والصلاح الذي جاء به القرآن الكريم، وهو الحق المبين، الذي لا يأتيه الباطل، وتدعو إلى الوعي الفكري الناضج، وسلوك الطريق القويم، وأداء الطاعات، وفعل الخيرات، واجتناب المحرمات، تقرباً إلى الله عز وجل، وطمعاً في رحمته وعفوه، وخوفاً من حسابه وعذابه، ولهذا فقد أشاد القرآن العظيم بفضائل العلوم الإيمانية وشرف مكانتها، وعظيم منافعها، وثمراتها التربوية الآمنة، فقال جل جلاله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[4].

ويحقق العلم الإيماني الذي يدعو إليه القرآن الكريم فضيلة الجمع بين التقوى والعلم، ليؤدي العلم النافع أغراضه التربوية في بناء المجتمع الآمن، والاستقامة السلوكية، وإقامة العدل، وأداء الحقوق، ابتغاء مرضاة الله، بعيداً عن الأطماع المادية، والدوافع العدوانية الغاشمة[5].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية (٧).

(2) خطبة الجمعة أهميتها وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، د. محمد عدنان السمان، ص (٢٨).

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (٨/ ٤٩)؛ تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (٢/ ٢٣٩).

(4) سورة الزمر، الآية (٩).

(5) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٢٦).

ولهذا فقد أثنى المصطفى صلى الله عليه وسلم بفضائل العلوم الإيمانية ومقاصدها الخالصة، فقال صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[١].

ومما سبق يتبين لنا مدى الارتباط الوثيق بين العلم وبين تحقيق الأمن الفكري، ومن القضايا المنهجية المهمة في هذا المجال ضرورة أخذ العلم من العلماء الربانيين لأنهم صمام الأمن الفكري فبحسن توجيههم وبيانهم يتحقق الفهم الصحيح للنصوص وقواعد الاستدلال، لا سيما في النوازل والمستجدات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢].

ومن هنا يتبين لنا خطورة القائلين في الدين بلا علم، والخائضين في أمور الشريعة إفتاءً وتحليلاً وتحريماً، وهم ليسوا أهلاً لذلك، مما كان سبباً في تقويض بناء الأمن الفكري وحلول الفوضى الفكرية[٣].

المطلب الرابع: العمل الصالح:

إن المتأمل في الأحكام التكليفية وفيما افترضه الله علينا من الواجبات ليدرك أن جميع هذه التكاليف تعين على تحقيق الأمن الفكري وتوفيره، وتحفظ المجتمع من كل ما من شأنه أن يدخل إليه الفزع والخوف والقلق؛ وذلك لما يرى في جميع التكاليف من التكافل والترابط والتعاون بشكل لا يعرف له مثيل[٤] وهذا يجسد قول

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٥ رقم ٢١٧١٥)؛ وأبو داود في سننه أول كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٤/ ٢٣٧ رقم ٣٦٣٦)؛ والترمذي في جامعه، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤/ ٤١٤ رقم ٢٦٨٢).

(٢) سورة النساء، الآية (٨٣).

(٣) انظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٢٧).

(٤) انظر: مقومات الأمن في القرآن الكريم، د. إبراهيم سليمان الهويمل، ص (١٨).

النبي صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِم وتَعاطُفِهِم كمَثَلِ الجسد إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائرُ الأَعْضاءِ بالحُمَّى والسَّهَر)[1].

هذا ولا شك في أن العمل الصالح المتمثل في القيام بالعبادات آثاراً كبيرة في حياة المسلم، منها: انشراح الصدر، وراحة البال، وسعة الرزق، وسلامة الإنسان وارتياحه، واطمئنانه، وشعوره بالأمان.

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة، وفي السنة النبوية أحاديث عديدة، تدل على تلك الآثار، وعلى أن تقوى الله عز وجل والأعمال الصالحة يترتب عليها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة[2].

قال تعالى: ﴿ وَلَو أَنَّ أَهلَ القُرى آمَنوا وَاتَّقَوا لَفَتَحنا عَلَيهِم بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ وَلكِن كَذَّبوا فَأَخَذناهُم بِما كانوا يَكسِبونَ ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَكُم فُرقانًا وَيُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغفِر لَكُم وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظيمِ ﴾[4].

فهذه الآية الكريمة تدل على أن من اتقى الله عز وجل، وعمل بطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يجعل له فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل، وهذا هو حقيقة الأمن الفكري، ويسير إلى الله عز وجل على بصيرة وعلى هدى وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة فيثيبه بتكفير السيئات ومغفرة الذنوب.

ومما جاء في السنة النبوية في بيان ما يترتب على العبادات من الآثار الطيبة في حياة المسلم ما جاء في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال صلى الله عليه وسلم في تلك الوصية العظيمة:

(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك....)[5].

ومما سبق يتضح لنا جلياً أن الطاعات والأعمال الصالحة سبب لتحقيق الأمن الفكري، وأن المعاصي والمحرمات سبب في الضلال والانحراف الفكري، وسبب في

---

(1) صحيح البخاري، (٧/ ٧٧، ٧٨)؛ صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ١٤٠).

(2) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٢٧).

(3) سورة الأعراف، الآية (٩٦).

(4) سورة الأنفال، الآية (٢٩).

(5) رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (١٢٤)، رقم (٢٥١٦)، وقال: "حسن صحيح".

غرق سفينة المجتمع بتعريض أفراده للخطر في دينهم وعقولهم وأموالهم وأبدانهم وأغراضهم ومكتسبات بلادهم، ذلك أن أرباب الفكر المنحرف لا يراعون حرمة النفس البشرية، ولا عصمة الأموال، والأعراض التي أمر الإسلام بصيانتها والمحافظة عليها؛ إذاً فالأمن الفكري في المجتمع المسلم مرتبط ارتباطاً وثيقاً لا يمكن أن ينفك عن تطبيق الشريعة على الحياة، ولا يمكن الانفصام بينها وبين السلوك الاجتماعي[(١)].

المبحث الثالث: ضمانات تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي

لكي يتم ضمان تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي على أكمل وجه لدى أفراد المجتمع لا بد من تحقيق عدة عوامل هامة ورئيسة والتي تتمثل فيما يلي:

المطلب الأول: تحقيق الوسطية والاعتدال:

من خصائص النظام الإسلامي أنه يقوم على الوسطية والاعتدال في منهجه برمته عقيدة وشريعة ونظام حياة[(٢)]. والالتزام بالوسطية والاعتدال والابتعاد عن الإفراط والتفريط في الدين من أهم الضمانات اللازمة لاستمرار نعمة الأمن والاستقرار في مجتمعاتنا الإسلامية، وسوف أتحدث عن الوسطية بإيجاز في فرع أول، وعن الاعتدال في فرع ثان، وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول: الوسطية:

الوسطية من خصائص الأمة الإسلامية، ومن أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة، والوسطية هي العدل والتوازن والتسوية والإنصاف والاستقامة والأمثل والخير، فإن جميع هذه المعاني تنطبق على كلمة الوسطية[(٣)].

ومن أبرز مميزات الوسطية[(٤)] ما يلي:

١. أن الوسطية تعني التوازن: والتوازن هو الأليق والأكثر ملاءمة لرسالة الإسلام التي صفتها الخلود، وشأنها العموم والشمول، والتي جاءت لتتجاوز بتعاليمها

---

(١) انظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٢٩).

(٢) الإسلام مقاصده وخصائصه، د. محمد عقلة، ص (٥٠).

(٣) انظر: تفسير الماوردي، (١/ ١٦٤)؛ الكشاف للزمخشري مع حاشية الجرجاني عليه، (١/ ٣١٧)؛ تفسير النسفي، (١/ ٧٩)؛ تفسير ابن كثير، (١/ ١٩١)؛ تفسير الطبري بتحقيق محمود شاكر، (٣/ ١٥٢).

(٤) الإسلام مقاصده وخصائصه، د. محمد عقلة، ص (٥٠ وما بعدها)؛ الوسطية في العقيدة الإسلامية، د. ثائر إبراهيم خضير الشمر، ص (٤١ – ٦٠)؛ الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص (١٣١ – ١٣٤).

إطار الزمان، والمكان، ولتكون للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة، فاقتضى ذلك أن تتميز بالتوازن لتوافق حاجات ومصالح الناس على اختلاف طبائعهم وأحوالهم.

٢. أن الوسطية تعني العدالة، فلقد وصف الله عز وجل أمة الإسلام بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)]، وشرط الشاهد العدالة، وقال المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[(٢)] أي أعدلهم قولاً وأصدقهم وأمثلهم[(٣)].

٣. أن الوسطية تمثل الأمان والاطمئنان: وتمثل الوسطية ساحل الأمان والبعد عن الأخطار والمخاوف، فقد جرت سنة الله تعالى في هذا الكون أن تكون الأطراف في كل شيء عادة متعرضة للفساد والهلاك، بينما يحظى الوسط بالحفظ والحماية والصون.

٤. أن الوسطية دليل القوة والصلابة: فمرحلة الشباب التي تمثل مرحلة القوة والحيوية في حياة الإنسان وسط بين ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، والوسط مركز القوة؛ وإنما كانت الوسطية في المسلم دليلاً واضحاً على قوة شخصيته وصلابة إيمانه؛ لأن الوسطية إذا تغلغلت جذورها في الإنسان وتمكنت قواعدها من الرسوخ في ذاته، أضفت عليه قوة كبيرة تنطبع في اتجاهه العقيدي والتشريعي والفكري والسلوكي.

فصاحب المنهج الوسط هو الذي لا تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه، فلا يميل إذا مال الناس، ولا يجنح إلى شيء جنح إليه الناس، بل يبقى راسخاً في مكانه، ثابتاً على أرضيته، بروحه المستقل وفكره النقاد[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٢) سورة القلم، الآية (٢٨).

(٣) تفسير الطبري، (٣/ ١٥٢)؛ تفسير النسفي، (١/ ٧٩)؛ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٨/ ١٠٠).

(٤) الوسطية في العقيدة الإسلامية، د. ثائر إبراهيم الشمر، ص (٥٣، ٥٤).

"وإذا كان الإسلام يدعو إلى الوسطية فإنه يُحذِّر كل التحذير من كل ما يتعارض معها من إفراط وتفريط، فكل من الإفراط والتفريط معول هدم للأمن بفروعه وعلى رأسه الأمن الفكري للفرد والمجتمع؛ لأن كلاً منهما جنوح على الصراط السوي في الاعتقاد والتفكير والتعامل، وخروج عن تعاليم الإسلام ومقاصده[(١)]".

الفرع الثاني: الاعتدال:

جاء في التعريفات "العدل الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط، والعدالة في الشريعة عبارة عن الاستقامة على الحق بالاجتناب مما هو محظور ديناً[(٢)]".

فالاعتدال هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين: الإفراط والتفريط.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٣)].

ففي هذه الآية الكريمة حدَّد الله عز وجل هوية هذه الأمة الإسلامية، ومكانتها بين الأمم، لا إفراط ولا تفريط، لا إهمال ولا تطرف، لا تكاسل ولا غلو، بل اعتدال في كل شأن من شؤون الأمة، (أمة وسطاً) أي: "عدلاً خياراً، وما عدا الوسط: فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين، فلها من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجملها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا (أمة وسطاً) كاملين معتدلين ليكونوا (شهداء على الناس) بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم[(٤)]".

---

(١) متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا، سليمان عبد الرحمن الحقيل، ص (٢٣).

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص (١٤٧).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (١/ ٧٥، ٧٦).

وقال تعالى: ﴿وَمِن قَومِ موسى أُمَّةٌ يَهدونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعدِلونَ﴾[1].

قال ابن الجوزي: "قال الزجاج: وبالحق يحكمون[2]".

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى الارتباط الوثيق بين الاعتدال والأمن الفكري، حيث إن المنهج الشرعي في معالجة المستجدات قائم على النظر في الأدلة ومعرفة مقاصد الشريعة التي تسعى دائماً إلى كل ما يحقق السعادة للمجتمع، وهذا لا يتأتى إلا بلزوم المنهج المعتدل الذي هو في حقيقته خاصية أساسية من خصائص الشريعة الإسلامية، وبالتالي يتحقق للفرد أمنه في فكره، ويقود إلى تحققه في المجتمع.

المطلب الثاني: الرجوع إلى أعلام الفقه والأصول وولاة الأمر:

إن مسؤولية تحقيق أمن الجماعة بجميع فروعه وعلى رأسه تحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع تقع على جميع المسلمين وفي طليعتهم ولاة الأمر المسكون بزمام الأمور والقادرون على اتخاذ القرارات، كما أن المسؤولية تقع بالدرجة نفسها على العلماء والمفكرين والمؤهلين بعلمهم وبصيرتهم، وحرية رأيهم على العمل الإسلامي باعتبارهم الأئمة الحاملين لأمانة الرسالة، وبراهين الحق والذين بإمكانهم تحقيق الأمن الفكري لأفراد المجتمع من الانحلال والانحراف.

إن هؤلاء العلماء هم قادة الخير ورواد الإصلاح وهم المكلفون ببيان الحق للناس وهدايتهم إليه وتلك مسؤولية كبرى تقع على أهل العلم والفقه والأصول والمعرفة، فإن الله جل جلاله حملهم مسؤولية عظمى هي: هداية البشرية، ونشر العلم، وبذل النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإبلاغ الحق، وتعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، ورثوا وظيفة التبليغ والدعوة والإرشاد فعليهم أن يرشدوا ويعلموا، وأن يتولوا القيادة الروحية والفكرية للمجتمع ويسدوا الذرائع أمام الفتن وحماية شباب الأمة من استغلال المستغلين المتاجرين بالدين. فمتى أهمل العلماء هذه المسؤولية العظمى فإن البلدان تخرب، والقلوب تظلم، والنفوس تتيه، والأفكار تزيغ، والباطل يصول، والضلال يجول.

---

(1) سورة الأعراف، الآية (١٥٩).

(2) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٣/ ٢١٠).

إن الحاجة اليوم ماسة إلى علماء يؤمنون بدورهم ومكانتهم قادرين على توعية أفراد الأمة وإزالة ما علق بهم من مركبات النقص ويزيلوا عنهم ما قد يحلق بهم من فتور، فعلى العلماء أن يستعيدوا الثقة بأنفسهم ويتحملوا مسؤولياتهم في الدفاع عن كلمة الحق وتوجيه شباب الأمة إلى ما فيه صلاح الدين والدنيا وإلا فإنهم سيتركون الساحة خالية للذين يأكلون الدين بالدنيا، ويمشون في مواكب الطاغيين والمنحرفين[1].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

إن طاعة ولاة الأمر من الأمراء والعلماء والرجوع إليهم في الملمات والنوازل والأخذ عنهم والاستضاءة بعلمهم وفهمهم واستنباطاتهم ونظراتهم هو السبيل لتحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع. وتحقيق وحدة الأمة واستقرار الدولة وتفرغها لأداء واجباتها في الإعمار والبناء والنماء[4].

ومن أجل هذه الغايات السامية أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة المسلمين بطاعة أمرائهم وولاة الأمر منهم في جميع الظروف والأحوال، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[5].

هذا والمستقرئ لأحوال أمتنا العربية والإسلامية ومستجداتها والمتغيرات الطارئة عليها من الخروج على ولاة الأمر وما تبع ذلك من أعمال العنف والإرهاب

---

(1) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، د. محمد دغيم الدغيم، ص (٦١ – ٦٢).

(2) سورة النساء، الآية (٥٩).

(3) سورة النساء، الآية (٨٣).

(4) انظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. السديس، ص (٣١).

(5) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى، (١/ ١٧٠).

والقتل والتفجير والتدمير والتشريد لم تكن لتحصل لو أن هذا المنهج السليم متحقق لدى هؤلاء مما يجعلنا نؤكد ونشدد على هذا الأمر ونعول عليه ضماناً بإذن الله تعالى لسلامة أمن المجتمع وفكر أبنائه.

المطلب الثالث: الدعوة والاحتساب.

مما لا شك فيه أن الدعوة إلى الله مهمة الأنبياء والمرسلين ورسالة المؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿**قُل هذِهِ سَبيلي أَدعو إِلَى اللَّهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبحانَ اللَّهِ وَما أَنا مِنَ المُشرِكينَ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ**﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)[5].

وأما الاحتساب فهو أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس، ويسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، احتساباً وحسبة ما دام القائم به يفعله ابتغاء مرضاة الله وما عنده من ثواب[6].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم المهمات فهو سفينة المجتمع وشاطئ النجاة، وقد بين الله عز وجل منزلته العظيمة في القرآن الكريم وبين حاجة المجتمع إليه، ففيه التناصح، والتواصي بالحق والصبر عليه، وبه يحصل الأمن والأمان،

---

(1) سورة يوسف، الآية (١٠٨).
(2) سورة النحل، الآية (١٢٥).
(3) سورة فصلت، الآية (٣٣).
(4) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ٢٢٧).
(5) صحيح البخاري، (٤/ ٢٠٧).
(6) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص (١٦٥ – ١٦٧).

وبدونه يحصل الخطر والخوف والكوارث العظيمة، فهو واجب من أعظم الواجبات، ويقود المجتمع إلى طريق الصواب والإصلاح، ويدفع عنه الفساد والنكبات[١].

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول الدين وبه نالت الأمة الإسلامية الخيرية على العالمين، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٣].

ونظراً لما للدعوة والحسبة من مكانة عظيمة جداً في هذا الدين فقد جاءت الشريعة بإعزاز هذا الأمر ووضع الضوابط التي تحقق المصالح الكبرى عنه، وأهم ذلك الإخلاص والعلم والخلق والرفق والحلم والأناة والأسلوب الأمثل.

ومتى ما تحقق ذلك أتت الدعوة والحسبة ثمارها في الحفاظ على الأمن الفكري؛ لأن الدعاة والمحتسبين يقفون على ثغور عظيمة في دعوة الناس وتوجيههم إلى الخير في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ويحذرونهم من كل ما يخالف ذلك، ومنه الانحراف الفكري بنوعيه إفراطاً وتفريطاً[٤].

المطلب الرابع: التربية الصحيحة:

التربية الإسلامية الصحيحة المبنية على الوسطية والاعتدال وعلى الفهم الصحيح لمقاصد الإسلام ومبادئه لها دور كبير في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي وذلك على تعدد آلياتها، وأهمها ما يلي:

الفرع الأول: تفعيل دور الأسرة:

لقد اهتم الإسلام بالأسرة، وعني بها أشد العناية، دعماً لوجودها وتمتيناً للصلات بين أفرادها، وتحصيناً للفرد والمجتمع المسلم؛ فالأسرة هي أول أشكال الحياة المجتمعية، وهي أيضاً نواة المجتمع وقلبه النابض، والمحضن الذي يصنع الأجيال ويضمن للأمة الاستمرارية، ولموروثها الثقافي والتاريخي الامتداد، بواسطة التربية

---

(١) مقومات الأمن في القرآن الكريم، د. إبراهيم سليمان الهويمل، ص (٢٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٣) سورة الحج، الآية (٤١).

(٤) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. السديس، ص (٣٣).

القويمة التي تمارسها منذ الأيام الأولى لحياة الفرد، فتنقل له تدريجياً وخلال سنوات طويلة من عمره المعارف والعادات والخبرات والأنماط السلوكية التي تؤهله للتطبيع الاجتماعي، وتسهل عليه عمليات الاندماج والتكيف والتفاعل والتوافق مع المجتمع، ويصبح بذلك حاملاً لهوية مجتمعه ومتقمصاً لها ومستعداً لأخذ مكانه المناسب فيه وأداء الدور المنوط به[1].

من هنا تكتسب الأسرة أهميتها في تحقيق الأمن الفكري باعتبارها خط الدفاع الأول عن أمن المجتمع، إذ هي المحطة الأولى التي تتم فيها صياغة شخصية الإنسان وإعداد الفرد.

هذا وتعتبر الأسرة المسلمة أعظم مدرسة إيمانية وأقوى حصن تربوي منيع يتم فيه إعداد الأبناء على التحلي والاستقامة والفضيلة، والآداب السامية النبيلة، والسلامة من الزيغ والانحراف[2].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4].

وانطلاقاً من مسؤولية الوالدين المشتركة في تربية أبناءهما على تقوى الله وبر الوالدين والاستقامة الخلقية ووقايتهم من الضلال الفكري والانحراف السلوكي والفساد الاجتماعي الذي تعاني من أخطارها المجتمعات قديماً وحديثاً، فقد جاءت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للوالدين بواجب تحمل المسؤولية الكاملة والرعاية الشاملة لأبنائهما، فقال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راعٍ وكلكم

---

(1) الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، أ. د. محمد عبد الله زرمان، ص (٤٩).
(2) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. السديس، ص (٣٤).
(3) سورة الفرقان، الآية (٧٤).
(4) سورة التحريم، الآية (٦).

مسؤول عن رعيته، فالرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته)[١].

ويؤكد المصطفى صلى الله عليه وسلم على أهمية رعاية الأبوين لأبنائهما منذ نعومة أظفارهم، وعظيم تأثيرهما على حمايتهم من الضلال والانحراف، فقال صلى الله عليه وسلم: (مَا من مَوْلودٍ إلا يُولدُ على الفِطْرَة، فأبواهُ يُهَوِّدانه وَيُنَصِّرانه ويُمَجِّسانِه، كما تُنْتَج البَهِيمَةُ بَهيمَةً جَمْعاء، هل تُحِسُّونَ فِيها منْ جَدْعاءَ)[٢].

هذا ومسؤولية الوالدين المشتركة لتحقيق الأمن الأسري والذرية الصالحة هو الرعاية الإيمانية في غرس العقيدة الصافية في نفوس الأبناء، والشعور بخشية الله تعالى، ومراقبته والاستعانة به وحده، ثم تعويدهم على أداء العبادات، ثم يأتي واجب الرعاية الفكرية والثقافية النافعة، والاهتمام بالتربية السلوكية والنفسية[٣].

الفرع الثاني: تعزيز رسالة المسجد:

كان المسجد وما يزال ذا أهمية بالغة في حياة المسلمين، فهو مؤسسة دينية، تربوية، اجتماعية له دوره الفعّال في تحقيق الأمن الفكري، وفي تنشئة أفراد المجتمع على التربية الإسلامية الصحيحة الشاملة المتكاملة التي أساسها منهج الوسطية التي خصها الله سبحانه وتعالى به[٤].

فرسالة المسجد رسالة مقدسة تتمثل في توصيل المعاني الدينية الصحيحة لأفراد المجتمع؛ لأن هذه المعاني حين تضيع أو يساء فهمها أو تفسيرها تضعف وينتهي بها الأمر إلى السلبية وانطفاء الفاعلية. وهذه الرسالة تخاطب في الناس وجدانهم فتصفي نفوسهم من أكدار الذنوب وأرجاس المعاصي، وتوجههم إلى عمارة الأرض وفق شرع الله الذي يضمن للإنسان طيب العيش في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة، ويبتعد به عن مستنقعات الفواحش ومراتع الجريمة، وتخاطب فيهم عقولهم فتبصرهم بواجباتهم نحو أنفسهم وأهليهم وجيرانهم وأمتهم ووطنهم، وتوقظ فيهم الهمم ليسدوا الثغرات المفتوحة في المجتمع بكدهم واجتهادهم.

---

(١) صحيح البخاري، (٦/ ١٥٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ٢٠٧).

(٣) انظر: الضوابط الأمنية في الأحكام الأسرية، أحمد حسن كرزون، ص، (١٤٢ – ١٤٤).

(٤) انظر: الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن، د. سعيد بن فالح المغامسي، ص (٦٧، ٦٨)؛ خطبة الجمعة أهميتها وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، د. محمد بن عدنان السمان، ص (٣٣).

كما يسهم المسجد أيضاً في حل المشاكل الاجتماعية التي تعرض للناس، فيطرحها الأئمة والعلماء على الملأ أثناء الدروس أو في خطب الجمعة ويبينون أسبابها وخلفياتها ويدلون على الحلول التي تتناسب مع مقاصد الشريعة وأحكامها، ويحذرون من كل ما يهدد بناء المجتمع الديني والفكري من مخاطر ناتجة عن تصورات خاطئة أو أفكار دخيلة أو عادات أجنبية[(١)].

ويسهم المسجد في الوقاية من الانحرافات السلوكية من خلال حث أفراد المجتمع على تلمس حاجات الفقراء والمساكين في المجتمع، ومواساتهم وإعانتهم بالزكاة والصدقات لوقايتهم من ارتكاب الجريمة والاعتداء على حقوق وممتلكات الآخرين.

ويسهم المسجد كذلك في الحث على طاعة ولاة الأمور وتحريم الخروج عليهم درءاً للفتنة وإطفاءً لنار الحروب التي تدمر المجتمع واقتصاده.

ويمكن تشبيه المسجد بجهاز إنذار مبكر ينذر المجتمع بشرور وأخطار تهدد الأمن الفكري والعقائدي؛ فالكثير من الخطباء والأئمة والعلماء بحكم ارتباطهم القوي بحياة المجتمع يستطيعون الكشف مبكراً عن أي انحراف عقدي أو فكري[(٢)].

قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[(٣)].

من خلال ما سبق يتضح لنا جلياً بأن المسجد في الحقيقة هو مركز تربوي، يربَّى فيه الناس على الفضيلة، وحب العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في المجتمع الذي يعيشون فيه؛ فيكون بذلك من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين.

ومن خلاله يحصلون على أمن فكري يجنبهم الوقوع في أوحال الأهواء المنحرفة والأفكار الهدامة، وينمي في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز

---

(١) انظر: الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، د. محمد عبد الله زرمان، ص (٥٢).

(٢) انظر: الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، د. محمد دغيم الدغيم، ص (٦٠).

(٣) سورة النور، الآيتان (٣٦، ٣٧).

بالجماعة الإسلامية، ويبدؤون بوعي العقيدة الإسلامية وفهم هدفهم من الحياة، وما أعد الله لهم في الدنيا والآخرة[١].

الفرع الثالث: قيام المدرسة بدورها الحضاري:

تُعد المدرسة من أهم وأبرز المؤسسات التربوية في المجتمع، ومن أكثرها تأثيراً فيه؛ لأنها تؤدي عملاً حيوياً ومهماً في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره من خلال ما يقوم به النظام التعليمي من نقل معايير وقيم المجتمع من جيل إلى آخر. فالمدرسة هي التي تستقبل الطفل بعد أن يخرج من حضن والديه ودفء أسرته، وعليها تقع مسؤولية تأهيله علمياً، وفتح ذهنه على مختلف العلوم والمعارف التي تكمل مسيرة الأسرة التربوية[٢].

هذا وإن الوظيفة الأساسية للمدرسة في نظر الإسلام هي تحقيق التربية الإسلامية، بأسسها الفكرية والعقدية والتشريعية وبأهدافها، وعلى رأسها تحقيق العبودية لله عز وجل، وتنمية قدرات الناشئة على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، أي صون هذه الفطرة من الزلل والانحرافات الفكرية والسلوكية[٣].

فهدف المدرسة هو بناء شخصية سوية جادَّة مستقيمة، تسير على ما ارتضاه المجتمع من دين وعادات وتقاليد وأعراف لا تخالف الشرع، وترمي إلى الذود عن البلد ومكتسباته، وحماية عقول ناشئته من أي تلوث فكري، وإن تسمى باسم الإسلام[٤].

المطلب الخامس: وسائل الإعلام:

إن التطور المذهل الذي شهده ميدان الإعلام والاتصال قد حول وسائل الإعلام بجميع أنواعها إلى نافذة مفتوحة يطل منها العالم كله على بعضه بعضاً، ويتواصل فيما بينه بأسهل الطرق وأخف التكاليف. ولم يعد للإنسان المعاصر غنى عنها، حيث تحولت بجدارة إلى مصدر هام إن لم نقل رئيسي في تحصيل المعارف، وتوسيع آفاق الفكر، والاطلاع عن كثب على كل ما يجري في بقاع الأرض قاطبة، والأخطر من هذا وذاك أن وسائل الإعلام الحديثة أصبحت تسهم بقسط وافر في تشكيل الرأي

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص (١٢٠ – ١٢١).

(٢) الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، د. محمد عبد الله زرمان، ص (٥٣)؛ الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، د. محمد دغيم الدغيم، ص (٥٨).

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص (١٣٤).

(٤) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٣٧).

العام وتوجيهه، مستغلة في ذلك قدراتها التكنولوجية العملاقة التي تؤثر على وعي الإنسان بالصورة الموحية والتعليق المدروس، واللون والضوء والحركة وما إليها.

ونظراً لتغلغل تأثيرها الكبير في أفراد المجتمع، وانجذابهم القوي إليها، فإن تجنيدها لتكون إحدى الآليات الكبرى لتحقيق الأمن الفكري بات ضرورياً وملحاً، حيث يقع على عاتقها حمل هموم الأمة، والدفاع عن ثوابتها، وترسيخ مقوماتها، وتنمية مشاعر الاعتزاز بها في غير عصبية ولا انغلاق، بدل أن تتحول إلى ثغرة يتسلل منها الغزو الفكري الأجنبي ليحفر في هذه الثوابت والمقومات، ثم يسلمها للمسخ والمحو.

كما يتعين عليها المساهمة في نشر ثقافة الحوار والتواصل، وتطهير المجتمع من النظرة الأحادية الضيقة، والتعصب المقيت الذي يحقر الآخر ويرفض الاقتراب منه لمد جسور التعارف والتبادل، وتعزيز قيم المواطنة وروح التعاون والمحبة، ونبذ أفكار العنف والتطرف، وتشجيع الوسطية والاعتدال والتسامح، كل ذلك من خلال برامج مدروسة دراسة دقيقة، تعتمد على نظريات الإعلام والاتصال الحديثة التي تحدد مواطن التأثير في الإنسان، وتتخير الوسائل التقنية والعلمية التي تمكنها من بث المعلومة وترسيخها في العقل والنفس، وتحويلها إلى اقتناع قوي ينتج سلوكاً سوياً، والابتعاد قدر الإمكان عن التقريرية، والخطاب المباشر الجاف الذي لم يعد يصمد أمام المد الإعلامي العالمي المتطور[1].

هذا ولكي تؤتي وسائل الإعلام ثمارها في توفير الأمن الفكري والسلم المجتمعي لا بد لأصحاب الأقلام الإسلامية من الأئمة والعلماء والخطباء والأدباء وقادة الفكر والرأي الذين وهبهم الله القدرة على الكتابة أو الخطابة أو التأليف أن يتعاونوا مع هذه الجهات بأن يمدوها بإنتاجهم الفكري وأن يشاركوا حين تطلب منهم المشاركة بل يجب عليهم أن يسعوا إلى هذه الوسائل لأنها أمانة في أعناقهم اتجاه دينهم وأمتهم.

فإذا تهيأت هذه الأمور وتضافرت هذه الجهود أسهم الإعلام في توفير الأمن الفكري للشباب وإحاطتهم بسياج قوي من الثقافات الرشيدة المنبثقة من ديننا

(1) الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، أ. د. محمد عبد الله زرمان، ص (٥٦، ٥٧).

الحنيف ومعتقداتنا الراسخة التي تكون درعاً ووقاية لهم مما يرد من الأفكار المنحرفة والمتطرفة ومن ثقافات الإباحية والعلمانية.

كما يحميهم – من ميدان أهم وأخطر – وهو ميدان الجريمة فلا يكونوا دعاة إرهاب وتطرف وعنف وغلو، وغلو مضاد.

ومما يتصدر هذه الوسائل، الوسائل الإعلامية المرئية لا سيما الفضائيات، وشبكات المعلومات "الإنترنت" فكم كانت وما زالت سبباً في الانحرافات الفكرية والخلقية، وكم كانت عاملاً في تقويض الأمن الفكري، مما يحتم الدعوة بإلحاح إلى أن تولي العناية التامة بهذه القنوات بميثاق شرف إعلامي، يحافظ على تعزيز الأمن الفكري في الأمة أمام هذا السيل الجارف والموج الهادر من الإعلام المضاد الذي وصل إلى أن يمتلك بعض الأعداء أكثر من خمسة آلاف قناة إعلامية في بعض الدول الغربية كلها موجّهة ضدّ الإسلام والمسلمين[1].

وإنّ الغيورين ليتطلعون إلى مزيد من القنوات الفضائية والمواقع المعلوماتية في توضيح الفكر الصحيح وحراسة الأمن الفكري، والردّ على كل ما يخالفه بأسلوب علمي موضوعي رصين، بعيداً عن التلاسن واللجاج والتراشق والاتهامات المجردة في الوقت الذي علت فيه هذه الصيحات والحوارات والمنتديات التي تقوض دعائم فكرنا المؤصل وتجعل المتلقي في حيرة فكرية وبلبلة واضطراب وإثارة ثقافية تسهم بلا شك في خلخلة البنى الفكرية الصحيحة وتخرق السياج الثقافي المتميز لأمتنا وتعكر المنظومة الفكرية السليمة لمجتمعاتنا الإسلامية[2].

المطلب السادس: فتح قنوات الحوار:

الحوار فن من فنون الكلام، وصيغة منن صيغ التواصل والتفاهم، وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة، ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة، ومقتضى من مقتضيات العلاقات والتعارف بين بني البشر، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[3].

---

(1) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٣٩، ٤٠).

(2) انظر: الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، أ. د. عبد الله التركي، ص (٩٣ – ٩٧).

(3) سورة الحجرات، الآية (١٣).

هذا ويعد الحوار من حيث الأصل منهجاً شرعياً ومسلكاً نبوياً عُني به القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: ﴿ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

وما ذاك إلا لأن الحوار "الجدال" أسلوب ناجح في بناء المفاهيم الصحيحة، وبيان الحق، والرد على الشبهات، وإذا كان صاحب الفكر، أو من تعاطف معه، يؤمن بمعتقدات خاطئة وهو يظن أنه على الحق، فطريق الحوار طريق ناجع في بيان تلك المعتقدات والرد على ما يصاحبها من شبهات؛ وأسلوب ناجح أيضاً في الحد من انتشار ثقافة التطرف والغلو والتعصب التي ترفض رفضاً قاطعاً المناقشة والمحاورة وإخضاع قناعاتها للبحث والتمحيص، والمبالغة في الانتصار لها على حساب الحق؛ والحوار أيضاً وسيلة من وسائل التبليغ والدعوة إلى الخير وإيصال الحق للناس؛ لأن منهم من عنده شبهة أو تأول فمقارعة الحجة بالحجة خير سبيل لبيان الحق والمحافظة على الفكر السليم وتنقيته من شوائب الانحراف[3].

هذا وقد ذكر القرآن الكريم أمثلة ونماذج كثيرة للحوارات منها ما بين الله عز وجل وملائكته، ومنها حوارات الأنبياء والرسل مع أقوامهم مثل حوارات نوح وإبراهيم وشعيب وهود وصالح، وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وغيرهم ممن قص الله

(1) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(2) سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

(3) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٤٠، ٤١)؛ خطبة الجمعة أهميتها وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، د. محمد السمان، ص (٣٧)؛ الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، أ. د. محمد عبد الله زرمان، ص (١١٩).

علينا أخبارهم مع أقوامهم حواراً صريحاً وجدالاً صحيحاً يرمي إلى الدعوة إلى الحق بأحسن أسلوب وأقوى تأثير وإقناع[(١)].

وهكذا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه بما تزخر به كتب السنة قولاً وفعلاً وتطبيقاً ممن كان له الأثر البالغ في دخول الناس في دين الله أفواجاً.

لكن لا بد من ضوابط الحوار الشرعية وآدابه المرعية حتى يؤتي أكله، فينبغي أن يكون رائد المتحاورين الوصول إلى الحق بأسلوب علمي هادئ رصين بعيداً عن التشنجات والانفعالات فضلاً عن المزايدات والمساومات؛ كذلك لا بد أيضاً من اختيار شخصية المحاور بأن يكون ذا علم واسع غزير ملماً بالشبهات وطريقة الرد عليها، يملك أسلوباً جيداً في الحوار والإقناع، ملماً بوسائل التأثير الحديثة كعلم النفس ونحوه.

وقبل الشروع في حوار حقيقي مع الذين انحرفت أفكارهم عن الحق، يجب إقناعهم بأن يكون لديهم تواضع كاف، بحيث لا يعتبرون آراءهم على أنها أحكام قطعية، وأن يكون لديهم استعداد لتقبل التغيير في آرائهم عند ظهور الحق وثبوت الحجة، وافتراض خطأ الذات واحتمال صواب الرأي الآخر، كما في قول الإمام الشافعي رحمه الله: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب[(٢)]".

واليوم تشهد المرحلة الحاجة الماسة إلى حوار الشفافية والوضوح أولاً مع بني جلدتنا ثم مع الآخر لنصل إلى المحافظة على أمننا الفكري المنشود[(٣)].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلاوي، ص (١٨٥ – ٢١٠)؛ الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، د. محمد الدغيم، ص (٧٠، ٧١).

(٢) الإرهاب الأسباب والعلاج، عصام هاشم الجفري، المؤتمر العلمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ٢٠ – ٢٢ إبريل ٢٠٠٤م؛ الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني، د. محمد الدغيم، ص (٧١، ٧٢).

(٣) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٤١)؛ ولمزيد من التفصيل في موضوع الحوار، راجع: صالح بن عبد الله حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام؛ خالد بن عبد الله القاسم، الحوار مع أهل الكتاب – أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، وآخرون.

المطلب السابع: تطبيق العقوبات والتعزيرات:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بالمحافظة على الضروريات الخمس التي لا تستقيم الحياة بدونها، ولا يستتب الأمن الشامل إلا بها، ومن بين هذه الضروريات المحافظة على حياة الناس وأمنهم؛ لكن تظل فئة من الناس نشاز الفكر والسلوك خبيثة الطبع والدخيلة، قد تأصل الإجرام في نفوسهم وضعفت ذممهم ونشروا فسادهم وضلالهم وسعوا في الأرض فساداً، والله لا يحب الفساد.

لذلك جاءت هذه الشريعة الخالدة بالعقوبات الرادعة والتعزيرات الزاجرة لكل من تسول له نفسه العبث بأمن الناس وتعريض استقرارهم وطمأنينتهم للخطر، فحد القصاص والقتل والرجم والقطع والحرابة والبغي والإفساد في الأرض كلها زواجر للحفاظ على أمن المجتمع الشامل[(١)]، قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[(٣)].

وقال عز وجل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[(٤)].

وقال جل جلاله: ﴿**وَلا تُفسِدوا فِي الأَرضِ بَعدَ إِصلاحِها وَادعوهُ خَوفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحمَتَ اللَّهِ قَريبٌ مِنَ المُحسِنينَ**﴾[(٥)].

ويأتي الأمن الفكري في مقدمة ما حافظت عليه الشريعة الإسلامية التي حفظت عقول الناس وأفكارهم من كل ما يغيّرها ويفسدها ويحيد بها عن الفطرة السليمة والطريقة المستقيمة، فحد الردة وقتال البغاة والخوارج والمحاربين والمفسدين

---

(١) انظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د. عبد الرحمن السديس، ص (٤٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٩).

(٣) سورة المائدة، الآية (٣٣).

(٤) سورة البقرة، الآيتان (٢٠٤، ٢٠٥).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

في الأرض، ومروجي المخدرات، والحجر على المفتي الماجن. كل تلك نماذج من الزواجر حفاظاً على أمن الأمة العقدي والفكري[١].

هذا ومن ثمار تطبيق العقوبات الشرعية، استتباب الأمن وتوطيد دعائمه في البلاد التي تنفذ أوامر الشرع بحذافيرها طائعة منقادة محتسبة لا تأخذها في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٣]، بخلاف الدول الجانحة عن الحق والمحكمة لأنظمة البشر والتي تستبشع القصاص والرجم والقطع، وترى أن ذلك وحشية وهمجية؛ فمتى طبق شرع الله واقتبست منه أساليب العمل وأخذت أحكامه بعين الاعتبار وسير عليه في تنفيذ العقوبات انقطع دابر الإجرام وانقبع المجرمون، وأبكم دعاة الرذيلة وبهت المنحرفون، وامتد رواق الأمن الشامل وتفيأ ظلاله الآمنون، وعاش الناس في ظله إخواناً متآلفين، لا اعتداء ولا ظلم، ولا غش ولا نفرة، ولا غلو ولا تطرف، ولا انحراف فكري، ولا بغي ولا حرابة، ولا خروج على ولاة الأمر ولا تطاول بالقدح أو الذم أو الاستهزاء على العلماء الراسخين في علوم الشريعة والدعاة والخطباء والأئمة والمفكرين، ولا حقد ولا حسد[٤].

وبما سبق يتبين لنا جلياً أن العقوبات والتعزيرات الشرعية إذا طبقت تحقق أمن المجتمع الشامل وعلى رأسه الأمن الفكري وأمن من الاضطراب والخوف مما تعجز بل عجزت عن تحقيقه النظم الأرضية مع ما تملكه من تقدم علمي وتكنولوجي وحربي، فلا شيء يحقق الأمن الشامل، ويحفظه، ويصون الأمة من

---

(١) انظر: الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، عبد الله التركي، ص (٣١ – ٤٢)؛ أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع وقوع الجريمة، د. صالح بن ناصر الخزيم، ص (٢٠ – ٢٥)؛ الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن، د. سعيد بن فالح المغامسي، ص (٤٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٠).

(٣) سورة النساء، الآية (٦٥).

(٤) أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع وقوع الجريمة، د. صالح بن ناصر الخزيِّم، ص (٢٥، ٢٧، ٢٨)؛ مقومات الأمن في القرآن الكريم، د. إبراهيم سليمان الهويمل، ص (٣٠ – ٣٣).

المخاوف والانحرافات الفكرية إلا إقامة وتنفيذ ما شرعه الله عز وجل فهو أعلم بما يصلح للمجتمع.

وكم حاربت الدول هذه الجرائم وهي تزداد يوماً بعد يوم وتنتشر في المجتمع بأساليب متعددة وبخطط ماكرة وما ذاك إلا لعدم تطبيق حدود الله.

وبنظرة واحدة إلى مجتمع المملكة العربية السعودية (كنموذج) الذي أخذت الدولة فيه على نفسها تنفيذ الحدود وإقامتها نجد قلة هذه الجرائم والسبب الوحيد هو تنفيذ الحدود وتطبيق الشريعة الإسلامية نصوصاً ومقاصد انطلاقاً من عقيدتها الصحيحة ومبادئها القويمة وثوابتها المتينة.

والحق ما نطقت به الأعداء حيث صرح كثير من المهتمين بهذا الجانب في الدول الأخرى بأنه لا مجال للمقارنة بين المملكة العربية السعودية وغيرها في وقوع الجرائم[1].

(1) انظر: مقومات الأمن في القرآن الكريم، د. إبراهيم سليمان الهويمل، ص (٣٣).

الخاتمة

تتضمن الخاتمة أهم النتائج والتوصيات، وذلك على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج:

١. أن الأمن الفكري مشروع ثقافي حيوي وضروري، يتوقف عليه استقرار البلاد وأمن العباد وسلامة الشباب من الانحرافات الفكرية والمؤثرات الأجنبية؛ لأنه يؤسس لمنظومة ثقافية مبنية على الوسطية والاعتدال، ومستوحاة من شريعة الإسلام الخالدة التي تحترم في الإنسان آدميته وكرامته، وتعصم دمه وماله وعرضه، وتحفظ عقله.

٢. أن الأمن الفكري هو الشعور بالأمن الروحي والنفسي والجسدي والعقلي والمادي بما لا يتعارض مع الدين والمثل العليا والأخلاق التي يؤمن به الفرد والمجتمع ولا تؤثر سلباً على أفكار وحياة الآخرين.

٣. أن الأمن الفكري هو الأداة الرئيسة والوسيلة الفعالة لحفظ وحماية هوية الأمة الإسلامية من الاستلاب والذوبان والضياع، ولا سيما في عصر العولمة.

٤. لقد تبين لنا دور أعلام الفقه والأصول في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي من خلال عدد من الوسائل والعوامل التي أظهرت دورهم البارز في هذا المجال عن طريق غرس العقيدة والإيمان في النفوس تحصيناً للأمة وحفظاً لأمنها من كل ألوان الغزو الفكري.

وكذا التحصن بالعلم النافع والعمل الصالح ولزوم العلماء الربانيين، وفيه تبين أيضاً دور الأسرة والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام والحوار القائم على الشفافية والوضوح في تحقيق الأمن الفكري، وأنها جميعاً ثغور مهمة وحصون منيعة لحراسة أمن الأمة الفكري.

ثانياً: التوصيات:

١. إن المراهنة على الأمن الفكري لتحقيق السلم الاجتماعي والأمن الإنساني مطلب حيوي ومستعجل، ينبغي أن تتحمل مسؤوليته كل الفعاليات الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والإعلامية، وأن يحظى بمزيد من الجهود التي تتناسب مع خطورة التحديات التي يفرضها الواقع. وهذا السلم الاجتماعي الذي ننشده جميعاً يرتبط إلى حد كبير بمدى استثمارنا في التأسيس للفكر المستنير المستند إلى الوسطية والاعتدال وقيم الحوار والتسامح، ونبذ العنف بكل أشكاله ومظاهره.

٢. استنهاض همم العلماء الربانيين والمفكرين المخلصين والدعاة الصادقين للقيام بدورهم الرائد في تحصين الأمة بالعلم والمعرفة وتسهيل مهمتهم ضد كل ما يخدش أمن الأمة الفكري.
٣. ضرورة التعاون والتنسيق بين أجهزة الإعلام في محاربة الفكر المنحرف ونشر الوسطية والاعتدال في الفكر والسلوك.
٤. ضرورة تكثيف البرامج والأنشطة والمحاضرات والندوات، واللقاءات والحوارات البناءة عن طريق جميع مؤسسات المجتمع التي تهتم بترسيخ القيم والآداب الإسلامية الصحيحة، والفهم الصحيح للإسلام، والاستقامة على الصراط المستقيم والبعد عن الإفراط والتفريط والغلو والجفاء.
٥. ضرورة محاربة المواقع الخليعة في الشبكات العنكبوتية.
٦. ضرورة إصدار اللوائح والأنظمة والقوانين التي تسهم في تحقيق الأمن الفكري.
٧. العمل على إحياء رسالة المسجد والعناية بحسن اختيار الأئمة والخطباء، وإقامة الدورات المكثفة للرفع من مستواهم وتأهيلهم والتركيز على خطبة الجمعة إعداداً ومضموناً وأسلوباً، ومعالجة الظواهر المعاصرة بكفاءة واقتدار.
٨. تفعيل دور المدرسة التربوي والعناية بحسن اختيار المعلم المؤهل عقيدة وفكراً ومنهجاً وسلوكاً والتركيز على المراحل التعليمية المختلفة.
٩. ضرورة اهتمام الجامعة عبر مختلف قنواتها العلمية والبحثية والخدمية بنشر الثقافة الأمنية الواعية عند منسوبيها من الأساتذة والطلاب، ولا سيما فيما يخص الأمن الفكري.
١٠. ضرورة فتح باب الحوار بضوابطه وآدابه حرصاً على مصلحة المجتمع والأمة.
١١. ضرورة إنشاء مراكز علمية متخصصة تهتم بدراسة الفكر المنحرف وآثاره وكيفية مواجهته.
١٢. ضرورة قيام الجهات الأمنية بدور فاعل في حماية الأمن الفكري للمجتمع باعتباره من أهم أنواع الأمن بمفهومه الشامل.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، بدون دار للنشر، ١٩٧٢م.

٢. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن عليّ الأنصاري الرويفعي)، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان.

٣. أحمد بن علي المجذوب، الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، الندوة العلمية الرابعة (نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية)، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٤. إبراهيم سليمان الهويمل، مقومات الأمن في القرآن الكريم، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد (٣٩)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض – السعودية، ١٤٢١ هـ.

٥. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، كتاب الكليات، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٦. إبراهيم الفقي، الأمن الفكري: المفهوم، التطورات، الإشكالات، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بتاريخ ٢٢ – ٢٥ جمادى أول ١٤٣٠ هـ، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

٧. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.

٨. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٩. أحمد حسن كرزون، الضوابط الأمنية في الأحكام الأسرية، دار ابن حزم، ١٤٠٣ هـ.

١٠. بندر الشهراني (٢٠٠٩م)، تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١١. البخاري (محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، محمد أوزدمير – استانبول – تركيا ١٩٨١م.

١٢. الماوردي، تفسير الماوردي، بتحقيق خضر محمد خضر، مطابع مقهوي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٣. النسفي، تفسير النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

١٤. ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار المفيد، بيروت – لبنان.

١٥. الجرجاني (الشريف علي بن محمد)، التعريفات، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٦. الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.
١٧. حيدر عبد الرحمن الحيدر، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، رسالة دكتوراه منشورة، مقدمة في علوم الشرطة، كلية الدراسات الإسلامية بأكاديمية الشرطة، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٢ هـ.
١٨. الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي)، تاريخ بغداد، طبعة الخانجي بالقاهرة، سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م.
١٩. خالد بن عبد الله القاسم، الحوار مع أهل الكتاب – أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، دار المسلم، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
٢٠. خالد (معد) (١٤١٨ هـ)، أهمية تحديد معاني المصطلحات في فهم الخطاب الإسلامي، مجلة التجديد، العدد ٣، الجامعة الإسلامية، ماليزيا.
٢١. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي.
٢٢. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – صيدا، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
٢٣. رشيد بن النوري البكر، تنمية التفكير من خلال المنهج المدرسي، مكتبة الرشيد، الرياض (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٢م).
٢٤. رامي تيسير فارس، الأمن الفكري في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والقانون، قسم الفقه المقارن، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
٢٥. الزمخشري، الكشاف مع حاشية الجرجاني عليه، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.
٢٦. سعيد بن مسفر الوادعي، الأمن الفكري الإسلامي، مجلة الأمن والحياة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، العدد رقم ١٨٧، (١٤١٨هـ).
٢٧. سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، سنة ١٣٩٠ هـ.
٢٨. سعد العريفي، دور هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات)، كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود، في الفترة من ٢٢ – ٢٥ جمادى أول ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٢٩. سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا بدون تاريخ ولا دار للنشر.

٣٠. الشمري (خالد بن صالح)، (١٤١٩ هـ)، دولة تحت مظلة الأمن، مطابع الحميضي، الرياض – السعودية.
٣١. الشاطبي (إبراهيم بن موسى الشاطبي)، الموافقات، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ نشر.
٣٢. صالح بن علي أبو عرَّاد، دور الجامعة في تحقيق الأمن الفكري، (تصور مقترح) المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٥٢، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية السعودية.
٣٣. صالح الحارثي (٢٠١٤م) دور مركز الملك فهد للحوار الوطني في تعزيز الأمن الفكري، رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض – السعودية.
٣٤. صالح الرقب، العولمة، المكتبة الشاملة، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين، الطبعة الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.
٣٥. صالح بن ناصر الخزيم، أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع وقوع الجريمة، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، جمادى الثانية.
٣٦. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، (نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء – الدعوة والإرشاد).
٣٧. صالح بن عبد الله بن حميد، أصول الحوار وآدابه في الإسلام، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، مكة – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
٣٨. الطيب أحمد المصطفى حياتي، دار المناهج التربوية في تعزيز الأمن الفكري، كتاب إلكتروني بدون تاريخ، شوهد عبر الرابط.
٣٩. الطبري، تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر.
٤٠. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، مطابع العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٣ هـ.
٤١. عبد الحفيظ المالكي (١٤٢٧ هـ)، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
٤٢. عبد الرحمن عبد العزيز السديس، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري ضمن كتاب الأمن الفكري، إصدار جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، الطبعة الأولى.
٤٣. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الأمن الفكري ماهيته وضوابطه، في كتاب الأمن الفكري، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٤٤. عبد الحفيظ المالكي (١٤٢٧ هـ) نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية.

٤٥. علي بن فايز الجحني، رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب المجلد (١٤) العدد (٢٧)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، محرم ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٤٦. علي بن فايز الجحني، الإرهاب الفهم المفروض للإرهاب المرفوض، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

- الأمن في ضوء الإسلام، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

٤٧. العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، (ت ٦٦٠ هـ)، بدون طبعة وتاريخ نشر.

٤٨. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة ١٣٩٨ هـ.

٤٩. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر بالإسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م.

٥٠. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٥١. عصام هاشم الجفري، الإرهاب الأسباب والعلاج، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، الرياض ٢٠ – ٢٢ إبريل ٢٠٠٤م.

٥٢. القزويني (أحمد بن فارس)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العربي، ١٤٢٣ هـ.

٥٣. القاسمي، محاسن التأويل، عناية: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٥٤. محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

٥٥. المشاط، (عبد المنعم) (١٩٨٦م): الأمم المتحدة ومفهوم الإرهاب، مجلة السياسة الدولية، العدد (٨٤)، دار الأهرام، القاهرة.

٥٦. مصطفى عبد القادر زيارة وآخرون، الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨ هـ، مكتبة الرشيد، الرياض – السعودية.

٥٧. محمد عبد الله زرمان، الأمن الفكري ورهانات السلم الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٦ – ٢٠١٧م.

٥٨. محمد دغيم الدغيم، الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)، البحث الفائز في مسابقة جائزة مجلس التعاون لدول الخليج العربي للبحوث الأمنية لعام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٩. محمد بن عدنان بن محمد السمان، خطبة الجمعة أهميتها وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات) في الفترة من ٢٢-٢٥ جمادى الأول ١٤٣٠ه، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز للدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

٦٠. محمد بن سعد السويعر، أثر الإيمان في إشاعة الأمن والطمأنينة من منظور القرآن والسنة في الأمن العام وأثره في بناء الحضارة، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٦١. محمد عقلة، الإسلام مقاصده وخصائصه، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٦٢. هلال (علي الدين) (١٤٠٦ه)، بين الأمن العام والأمن السياسي، المركز العربي للدراسات الأمنية، الرياض – السعودية.

السنّة النبويّة
ودورها في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلم المجتمعي
من خلال الصحيحين

دكتور/ عبدالرحمن بن عمر أحمد المدخلي
أستاذ السنّة وعلومها المشارك بكلية الشريعة والقانون
جامعة جازان – المملكة العربية السعودية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان وسعادته إلا إذا كان آمنًا على نفسه، مرتاح القلب، هادئ النفس؛ لا يخاف من وقوع مكروه يهدد أمنه، أو ينتقص دينه، أو ينتهك حرماته،أو يستلب خيراته، أو يفرض عليه ما يتعارض مع دينه وثقافته من أفكار ومذاهب وأخلاق، وبناءً على ذلك فإن على المسلم أن يكون دائمًا يقظ القلب، دائم البحث والنظر،عالي الهمة، موظفًا كل قدراته، باذلاً نفسه وطاقته، مسخرًا قلمه وفكره في سبيل الحفاظ على مقاصد دينه، وتعزيز كيانه، والحفاظ على أمنه من غائلة الأحداث، ومكر الأعداء.

ولا شك أن من أولى ما صُرِفت إليه الجهود، وعُنيت به العقول، واشتغل به أولو العلم والقلم، هو موضوع الأمن الفكري والتعايش السلمي بين الناس.

وقد وُفّق القائمون على كلية دار العلوم بجامعة المنيا في جمهورية مصر العربية على اختيار عنوان عصريّ للمؤتمر الدولي العاشر؛ حيث جعلوا عنوانه:(دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي)، وهو موضوع تمسّ الحاجة إليه.

وقد رغبتُ في المشاركة ببحث علمي متخصص في هذا المؤتمر المتميّز، واقترحت عنوانه بـ(السنّة النبوية ودورها في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام

المجتمعي من خلال الصحيحين)؛ وعرضت خطته على اللجنة العلمية للمؤتمر؛فلقيت كلّ ترحيب من سعادة عميد الكليّة رئيس المؤتمر، ولجنته العلميّة، بارك الله في جهودهم.

فكرة البحث:

تكونت فكرة هذا البحث للمساهمة في إبراز دور السنة النبوية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلم المجتمعي من خلال الصحيحين.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما يأتي:

١_ إبراز حقيقة الدين الإسلامي الوسطي السمح، البعيد عن كل مظاهر التطرف والغلو والإرهاب.

٢- عِظَمُ أهميته، وحسن عاقبته عند توفره، وشدة خطر فقدانه أو الإخلال به.

٣- أن أهمية الأمن الفكري تنبع من ارتباطه بدين الأمة، وأساس ذكرها وعلوها، وسبب مجدها وعزها، وفيه التصدي لحملات التشويه الموجهة ضد الإسلام ومنابعه.

٤- أنه مرتبط بأنواع الأمن الأخرى، وأنه الأساس لها، والركن الأهم في نظم بنائها.

٥- يُعَدُّ الأمنُ الفكري الركيزةَ الأساسيّة في المحافظةِ على الأمنِ القوميّ بشكلٍ عامٍ، وبالتالي حماية المجتمع من الانحراف والضلال والضعف وسهولة اختلاله والسيطرة عليه.

٦- يُعْتَبَرُ سبباً لصلاح المجتمع واستقرار أحواله،وذلك لنشر العلم الصحيح النافع، واتباع منهج السلف الصالح في الاعتقاد والعمل والسلوك.

٧- فيه حماية النشء من الوقوع فيما وقع فيه من ضلّ الطريق الصحيح، ويكون ذلك بالتوجيه الهادف عن طريق المؤسسات الدينية والاجتماعية في المجتمع.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وذلك وفق الآتي:

المقدمة:تحتوي على فكرة البحث،وأهمية الموضوع،والخطة.

والتمهيد:يحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:التعريف بالأمن الفكري.

المطلب الثاني:التعريف بالسلم الاجتماعي.

المطلب الثالث: الغاية من تحقيق الأمن الفكري والسلم الاجتماعي.

وأما المبحث الأول: فهو بعنوان: عناية صحيح البخاري بالأمن الفكري والسلم الاجتماعي وفيه مطلبان:

المطلب الأول:الأمن الفكري والسلم الاجتماعي في صحيح البخاري إجمالا.

المطلب الثاني:أمثلة تفصيلية على الأمن الفكري والسلم الاجتماعي من صحيح البخاري.

وأما المبحث الثاني:فهو بعنوان: عناية صحيح مسلم بالأمن الفكري والسلم الاجتماعي،وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأمن الفكري والسلم الاجتماعي في صحيح مسلم إجمالا.

المطلب الثاني: أمثلة تفصيلية على الأمن الفكري والسلم الاجتماعي في صحيح مسلم.

وأمّا المبحث الثالث: ففيه نماذج من السلم الاجتماعي في العهد النبوي مما ورد في الصحيحين.

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج، وبالله وحده التوفيق.

الباحث:

د.عبدالرحمن بن عمر المدخلي

أستاذ السنّة وعلومها المشارك بكليّة الشريعة والقانون بجامعة جازان

في المملكة العربية السعودية

التمهيد: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:تعريف الأمن الفكري لغة واصطلاحا:

الأمن في اللغة:سكون القلب واطمئنانه؛قال ابن فارس: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب،والآخر: التصديق[1].

وقال ابن منظور: والأمن والأمان: مصدران بمعنى الطمأنينة وعدم الخوف[2].

وقال الراغب: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسمًا لما يُؤْمَنُ عليه الإنسان[3].

ولهذا قوبل الأمن بالخوف في كتاب الله تعالى، قال تعالى: (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)، [قريش:٣]،وقال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ)، [النساء:٨٣].

والأمن اصطلاحا:عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[4].

والفكر في اللغة:إعمال النظر في الشيء[5].

والفكر اصطلاحا:عرّفه جماعة من العلماء بما يلي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة،المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،١/١٣٤.

(٢) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى - ١٣/ ٢١ - باب (أمن).

(٣) المفردات في غريب القرآن،المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب،(المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني،الناشر: دار المعرفة،سنة النشر،مكان النشر لبنان،ص ٢٥

(٤) كتاب التعريفات،المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ،الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٥) القاموس المحيط،المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،==تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م،ص ٤٥٨.

قال ابن الكمال:الفكر:ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول[١].

وقال الأكمل: الفكر حركة النفس من المطالب إلى الأوائل، والرجوع منها إليها[٢].

وقال العكبري: الفكر جولان الخاطر في النفس[٣].

وقال الراغب: الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان لا للحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب[٤].

وقيل الفكر:مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني وهي فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها[٥].

أما مصطلح الأمنُ الفكريّ فهو مصطلحٌ حديث لم يتناوله المتقدّمون، لذا اختلفت آراء الباحثين المعاصرين حولَ مفهومه، وقد عرفوه بعدة تعريفات منها:

١- هو سلامة فكر الإنسان وعقله وطريقة فَهمه من الانحراف عن الوسطيّة والاعتدال فيما يخصُّ الجوانبَ الدينيّة والسياسية ونظرته للكون، بحيث لا تقودُه نظرتُه إلى الغلوّ والتنّطع، أو الإلحاد والعلمنة[٦].

٣- الاطمئنان على طريقة تفكير الشخص والتأكّد من ابتعاده عن الانحراف الذي يهدّدُ الأمنَ القوميّ أو مقوماته الفكريّة، أو العقديّة، أو الثقافيّة، أو الأخلاقيّة، أو الأمنيّة[٧].

---

(١) التعريفات ص ١٧٦.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف،المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة،الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ص ٢٦٣.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٢٦٣.

(٤) المفردات،ص ٣٨٤.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف،ص ٢٦٣.

(٦) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري،عبد الرحمن السديس،ص ٩.

(٧) خطاب الأمن في الإسلام،عبد الله بن بيه،ص ٣٤.

٤- أن يعيشَ الناس في أوطانهم ومجتمعاتهم آمنين على مكوّنات أصالتهم ومنظومتهم الفكريّة وثقافتهم النوعيّة[١].

وهناك مَن اختصّ التعريف بالمسلمين فزاد على التعريف السابق: منظومتهم الفكريّة المستمدّة من الكتابِ والسنة[٢].

وعليه فيمكن أن يقال بأنّ المقصود بالأمن الفكري، هو:

أن تكون عقيدتنا، وشريعتنا، وثقافتنا الإسلامية، وأخلاقنا، وعادتنا الأصيلة،وأمننا، وجميع تعاملاتنا محفوظة مصانة، ومستمدة من كتاب الله تعالى، وسنّة نبيه ﷺ على وفق فهم السلف الصالحين، من القرون المفضّلة، وأن يطبَّق ذلك عن قناعة وإخلاص لله، وأن يكون الناس آمنين على دينهم، وعقولهم، من الأفكار الهدّامة والمبادئ الوافدة، والثقافات المستوردة، مع البعد عن الغلوّ والتنطّع والإرهاب، والتطرف والتمييع والتساهل، وبذلك يتحقق الأمن الفكري في أعلى مقاماته، ويعيش الناس عيشة مطمئنة وحياة سعيدة مستقرة، قائمة على المثل العليا، والسلوك السوي المستقيم، ويأمن الناس على أنفسهم، ودينهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأولادهم، وأموالهم، ويعيشون في أمن في أوطانهم.

المطلب الثاني:تعريف السلم الاجتماعي لغة واصطلاحا:

والسِّلم لغة:من المسالمة، تقول: أنا سِلْم لمن سالمني،وتسالموا: أي تصالحوا، والمسالمة المصالحة[٣].

وقال ابن الأثير:والسلام في الأصل السلامة. يقال سلم يسلم سلامة وسلاما. ومنه قيل للجنة دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات[٤].

---

(١) الأمن الفكري،عبد الله عبد المحسن التركي،ص ٦٦.

(٢) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري،عبد الرحمن السديس،ص ٩.

(٣) لسان العرب ٢٠٧٧/٣،مادة سلم.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر،المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)،الناشر: المكتبة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي،٣٩٢/٢.

وأما السِّلم بكسر السين فهو من السلام أي الصلح وهو ضد الحرب[١].

وقال الراغب: السِّلم: والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة[٢].

وأما السلام لغة:فقال ابن منظور:السَّلامُ والسَّلامَة:البراءة،وتَسَلَّمَ منه أي تَبَرَّأَ، وقال ابن الأَعرابي: السَّلامة العافية[٣].

والعلاقة بين السلم والأمن أن كلا منهما يؤدي إلى تحقيق المصالح المشتركة للدولة والأفراد ؛لكون الأمن من أهم دعائم تحقيق السلم؛ فالأمن أصل طمأنينة النفس وزوال الخوف، ويشترك معه السلم في ذلك، وعلاقة السلم بالسلام أنّ السلم من السلام وكل منهما يدعو إلى نفس المقصد.

الاجتماعي لغة:مصدر اجتمع من الاجتماع والالتقاء ؛يقال رجُل اجتماعيّ: أي مزاول للحياة الاجتماعيّة، كثير المخالطة للنَّاس[٤]،ومنه يوم الجمعة: سمي بذلك لاجتماع الناس فيه.[٥]

واصطلاحا:تقارب الأجسام بعضها من بعض.[٦]

المطلب الثالث:الغاية من تحقيق الأمن الفكري والسلم الاجتماعي:

إن الأمن على العقول لا يقلّ أهمية عن أمن النفوس والأموال، فكما أن للبيوت والأموال لصوصا، فكذلك للعقول؛ بل إن لصوص العقول أعظم خطرا وفتكا، ومن هنا فقد سعى الإسلام إلى حماية الفكر المسلم من الانحراف من جهة التقصير والتفريط، والانحراف من جهة الغلو والتطرف وخروجه عن دائرة الاعتدال والوسطية،(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)، [البقرة ١٤٣]،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس،المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب==بمرتضى،(المتوفى: ١٢٠٥هـ)،الناشر: دار الفكر – بيروت،الطبعة: الأولى /١٤١٤ هـ ،٣٧١/٣٢.

(٢) المفردات ص ٩٧.

(٣) لسان العرب ٢٠٧٧/٣،مادة سلم.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة،المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل،الناشر: عالم الكتب،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ص ٣٩٤ .

(٥) المفردات ص ٩٧.

(٦) التعريفات للجرجاني ص ١٠.

وهذا النوع من الأمن هو الأساس لكل أنواع الأمن في المجتمعات،وبدونه لا يستطيع الناس الانتفاع بحياتهم، ولا دنياهم، ولا أموالهم ولا عقولهم؛ ومن هنا ندرك أن الغاية من تحقيق الأمن الفكري والسلم الاجتماعي هي حفظ الضرورات الخمس، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ليعمّ الأمن والاستقرار والرخاء ويعيش الناس بسلام وأمان.

وفي حرص الإسلام على الأمن الفكري والسلم الاجتماعي دلالة واضحة على كمال الشريعة وشموليتها،وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

وقد وضعت الشريعة قواعد اجتماعية يتعايش الناس من خلالها في سلام وأمان وهدوء واطمئنان،وقد ذكر النبي . صلى الله عليه وسلم . أنّ نعمة الأمن مطلبٌ أساسي في حياة الفرد لينعم بصحته وماله: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم .:(مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذافيرها)[1]،وقد جعل النبي . صلى الله عليه وسلم . مسالمة الناس وكف الأذى عنهم دليل على إسلام المرء، قال صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[2]،وفي رواية:(المسلم من سلم الناس من لسانه ويده)[3]، بل وصل الحدّ إلى وعيد شديد للشخص الذي لا يشعر جاره بالأمان في معايشته؛ فجاء في الحديث: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)[4]، أي شروره وأفعاله

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من أصبح آمنا في سربه، ١٢٧/١ رقم الحديث ٣٠٠ ، وقال الألباني صحيح ،صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ،المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) ،حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني ،الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع ،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان،باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ٩/١ رقم الحديث ١٠،الجامع الصحيح المختصر،المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى: ٢٥٦ هـ،الناشر: دار الشعب – القاهرة،الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان ،بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ،٦٨/١ (٤٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المنكرة،وأبلغ من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (والله لا يؤمن) ـ ثلاثا ـ قيل من يا رسول الله ؟! قال: (من لا يأمن جاره بوائقه)[1]، وقد أرشد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من لا يجد ما يتصدق به أن يكفّ أذاه عن الناس، فإنّها تعدل الصدقة:فعن أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَغْلَاهَا ثَمَنًا)، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَجِدْ؟ قَالَ: (تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ)، قَالَ:فَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ؟ قَالَ:(كُفَّ أَذَاكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَنْ نَفْسِكَ)[2].

وبناءً على ذلك فإن المسلك الأرشد والأقرب إلى الحكمة والصواب، اتكاءً على هذه المعادلة، بالإضافة إلى أرضية الوحدة التي هيأها الإسلام في وجدان وضمير أتباعه ووشائج الأخوة التي أكّدها، بدءاً بأخوّة بني الإنسان، وصعوداً إلى الأخوة في الإيمان بالله الواحد، وعقيدة التوحيد، وقناعة المسلم بأن اختلاف الأجناس والمعتقدات والقناعات والرؤى إنما هو سنّة من سنن الله تعالى في خلقه، وفي حقيقة الاجتماع الإنساني أن ينأى المسلم عن الغلو والتطرف في الآراء والمعتقدات، وأن يسعى للمحافظة على القواسم المشتركة التي تعضّد وحدة الجماعة والمجتمع الذي ينتمي إليه، فلا يكون أبداً معول هدم يسعى في تدميره أو تخريبه، وإراقة دماء أبنائه، واستنزاف طاقته الذاتية في البناء والتطور والرقي، المشروطة أصلاً بتحقّق عامل الأمن والاستقرار والسلام.

ومن هنا كان الأمن الفكري أساسا للمنظومة الأمنية بمختلف أنواعها، وباختلاله تختلّ موازين الأمن العام في المجتمع.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان ،بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ،١/٨٩ (٨٤).

المبحث الأوّل

عناية صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بالأمن الفكري والسلم الاجتماعي

فيه مطلبان:

المطلب الأول: الأمن الفكري والسلم الاجتماعي في صحيح البخاري إجمالا:

لقد أولت السنّة النبوية عموما والبخاري خصوصا هذا الموضوع عناية كبيرة، إجمالا وتفصيلا، فأما الإجمال فإنّه لا يكاد يخلو كتاب من كتب صحيح البخاري، ولا باب من أبوابه، إلا وفيه إشارة لهذا الموضوع، نظرا لمنهجه ـ رحمه الله ـ في تقطيع الأحاديث وتكرارها لمناسبتها للباب، ونذكر منها إجمالا الكتب التي ألمحت لموضوع هذا البحث في تراجم أبوابها، وهي على حسب ترتيب المصنف مايلي:

أولا: كتاب الإيمان: وقد أورد فيه خمسة أبواب تتعلق بالأمن الفكري والسلام الاجتماعي، هي:

١- باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

٢- بابٌ من الدين الفرار من الفتن.

٣- باب إفشاء السلام من الإسلام.

٤- باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه.

٥- باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: الدين النصيحة.

ثانيا: كتاب الصلاة: أورد فيه: باب ما يحقن بالأذان من الدماء.

ثالثا: كتاب الزكاة: أورد فيه ثلاثة أبواب هي:

١- باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة.

٢- باب الزكاة على الأقارب.

٣- باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة.

رابعا: كتاب جزاء الصيد: أورد فيه: باب لا يحل القتال بمكة.

خامسا: كتاب فضائل المدينة: أورد فيه: باب إثم من كاد أهل المدينة.

سادسا: كتاب الصوم: أورد فيه ثلاثة أبواب، هي:

١- باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

٢- باب هل يقول: إني صائم لو شتم؟

٣- باب الصوم لمن خاف على نفسه العُزوبة.

سابعا:كتاب البيوع: أورد فيه أربعة عشر بابا تتعلق بموضوع البحث، هي:

١- باب الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن.
٢- باب كسب الرجل وعمله بيده.
٣- باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع.
٤- بابٌ ومن يطلب حقا فليطلبه في عفاف.
٥- باب من أنظر معسرا.
٦- باب من أنظر موسرا.
٧- باب إذا بين البيِّعان.
٨- باب ما يكره من الخداع في البيع.
٩- باب ما يذكر في بيع الطعام والحُكرة.
١٠- باب بيع الطعام قبل أن يقبض، وبيع ما ليس عندك.
١١- باب لا يبيع على بيع أخيه،ولا يسوم على سوم أخيه.
١٢- باب النجش.
١٣- باب بيع الغرر وحبل الحبلة.
١٤- باب النهي عن تلقي الركبان.

ثامنا:كتاب في الاستقراض وأداء الديون:وقد أورد فيه ستة أبواب، هي:

١- باب حسن القضاء.
٢- باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها.
٣- باب حسن التقاضي.
٤- باب مطل الغني ظلم.
٥- باب الصلاة على من ترك دينا.
٦- باب لصاحب الحق مقال.

تاسعا:كتاب التمني: وأورد فيه بابا واحد، هو:باب كراهة تمني لقاء العدو.

عاشرا:كتاب الأحكام: أورد فيه ستة أبواب، هي:

١- باب قول الله تعالى:(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).
٢- باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية.

٣- باب من استرعى رعية فلم ينصح.

٤- باب من شاق شق الله عليه.

٥- باب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه.

٦- باب الإمام يأتي قوما فيصلح بينهم.

حادي عشر:كتاب الفتن:أورد فيه أربعة أبواب، هي:

١- باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من حمل علينا السلاح فليس منا).

٢- باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ:(لا ترجعوا بعدي كفارا).

٣- باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (سترون بعدي أمورا تنكرونها).

٤- باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما.

ثاني عشر:كتاب المظالم والغصب:أورد فيه أربعة أبواب، هي:

١- باب لا يظلم المسلم المسلم.

٢- باب أعن أخاك.

٣- باب الانتصار من الظالم.

٤- باب قصاص المظالم.

وقد أورد المصنف في صحيحه كُتبا أخرى تعلقت في مجمل أبوابها بموضوع البحث، هي:

١- كتاب الخصومات.

٢- كتاب الجهاد والسير.

٣- كتاب المغازي.

٤- كتاب الحدود.

٥- كتاب الديات.

٦- كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم.

٧- كتاب الفتن.

المطلب الثاني: أمثلة تفصيلية على الأمن الفكري والسلم الاجتماعي من صحيح البخاري.

أما على سبيل التفصيل فلا يتسع المقام لذكرها جميعا،ولكن سأورد أمثلة تدل على المقصود بإذن الله تعالى، فمن ذلك:

١- عن عبد الله بن عمرو . رضي الله عنهما . عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[١].

وجه الدلالة:

يبين رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في هذا الحديث الشريف أصلا عظيما من أصول المعاملات بين المسلمين، ألا وهو الكف عن أذى المسلم لأخيه المسلم بالقول والفعل؛ لأن المسلم الذي يحب أن يكمل عليه إسلامه ينبغي عليه أن يجتنب إيذاء المسلمين؛ لأن الإسلام ليس فقط الإيمان بأركانه والعمل بها وإنما هو منهج متكامل قائم على مراعاة حقوق الله تعالى، وحقوق العباد.

وفي هذا الحديث تأكيد على مراعاة حقوق المسلمين، وعدم التعرض لها لا باليد ولا باللسان لكونهما يقومان مقام القول والفعل الصادر عن المسلم؛ فالإسلام حرّم الاعتداء على المسلمين وغيرهم وإلحاق الأذى بهم، سواء كان الأذى معنويا أم ماديا، وهذا الحديث يؤكد أن الأصل في العلاقات الإنسانية المسالمة بين المسلمين،ومسالمتهم لغيرهم، مما يؤدي إلى أمن المجتمع واستقراره.

٢- عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان،باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ٩/١ رقم الحديث ١٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الإيمان،باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ٢٧/٧ رقم الحديث ٦٠١٨.

وجه الدلالة:

في هذا الحديث نهي صريح عن إيذاء الجار؛ فقد أكد أن الإيمان بالله وبالحساب يجعل المسلم يبتعد عن إيذاء الجار؛ لأن المسلم مأمور بفعل الفضائل وترك الرذائل.

وهذا الحديث يبين أيضا بعض تلك الفضائل وهي: إكرام الضيف، والإحسان إليه، وقول الخير حتى يعم المجتمع الإسلامي المحبة والألفة، وفي الوقت نفسه نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قول الشر؛ لأنه يلحق الضرر به وبغيره، فمن التزم بهذه الفضائل كان مؤمنا حقا، وما جاء به الحديث يؤكد أهمية تحقيق السلم الاجتماعي من خلال فعل كل ما فيه خير للبشرية ونفع عظيم، وترك ما يلحق بها الأذى والضرر.

٣- عن أبي شريح ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن!)، قيل: من يا رسول الله؟ قال: (من لا يأمن جاره بوائقه)[1].

وجه الدلالة:

أن الأمن على النفس والمال والعرض نعمة عظيمة من الله ـ عز وجل ـ على عباده، لذا جعل التعدي عليها موجبا للعقاب، والإسلام يحرص على تمكين العلاقات الجوارية بين المسلمين وتنظيمها، وبما أن الجار قادر على معرفة أحوال جاره، وكشف أسراره ،والمبالغة في إيذائه، فقد نهى عن ذلك، ورتب على ذلك عقوبة غليظة،بسبب أذية الجار، فقد ربط كمال الإيمان بمسالمة الجار وتأمينه على نفسه وعرضه وماله، فعليه مراجعة نفسه والالتزام بالأوامر الشرعية وتطبيقها، كما يبين هذا الحديث أن الأمان ضروري لا بد من تحقيقه، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق السلم الاجتماعي الذي يؤدي إلى استتباب الأمن في المجتمع، وانتشار الطمأنينة فيه، واستقراره.

٤- عن الأحنف بن قيس، قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع فإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان،بَابُ بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ ،٦٨/١ (٤٦).

النار)، فقلت يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: (إنه كان حريصا على قتل صاحبه)[1].

وجه الدلالة:

أن الشريعة الإسلامية حرمت الاعتداء على النفس البشرية بأي وجه كان، ومن باب أولى القتل،كما وردت نصوص شرعية كثيرة من الكتاب والسنة تنهى عن قتل المؤمن وترتب عقابا أليما على من قتل مؤمنا متعمدا؛ لأن هذا يؤدي إلى انهيار الأمن والسلم الاجتماعيين، ومن هنا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن رفع المسلمين السلاح بعضهم في وجه بعض يؤدي إلى استحقاقهم دخول جهنم، وذلك لأنهم انتهكوا حرمات الله، وحرصوا على قتل بعضهم بعضا، وهذه الأفعال المحرمة تؤدي إلى انتشار الفتن في المجتمع التي حذر منها؛ لأنها تهلك الصالح والفاسد، وهذا الوعيد الشديد في الحديث يؤكد مدى أهمية تحقيق السلم الاجتماعي من خلال بسط الأمن والأمان بين الناس وعدم إلحاق الأذى والشر بهم.

٥- ومن السنن الفعلية للنبي ﷺ التي تتعلق بموضوع البحث قصة صلح الحديبية[2]:

يعتبر صلح الحديبية من أهم الوقائع التي حدثت في الإسلام وخاصة مع الرسول الكريمﷺ والصحابة رضوان الله عليهم جميعا، حيث كان له بالغ الأثر في توسع الدولة الإسلامية وقوتها وتماسكها، وما كان ذلك ليتحقق لولا إرادة الله . عز وجل . وتوفيقه لنبيه في إجراء صلح الحديبية مع مشركي قريش، حيث كان أهم بنود هذا الصلح هو إجراء هدنة بين المسلمين والمشركين في مكة وقريش خاصة، تقضي بوقف القتال بينهم مدة عشر سنين، والعودة إلى حالة السلم، وإعطاء الأمن والأمان لجميع الأطراف؛ بمنع التعرض لأي من الفريقين للفريق الآخر، فهذا الصلح يؤكد مدى أهمية تحقيق الأمن والسلم الاجتماعي بين الدول المتصارعة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الإيمان،باب(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)،١٤/١ (٣١).

(٢) صحيح البخاري،كتاب الشروط،باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.٢٥٢/٣ (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

وأثره في استتباب الأمن في المجتمع واستقراره وتماسكه، فإن كان الإسلام حريصا على تحقيق السلم الاجتماعي مع الأعداء عن طريق المهادنة لمدة معلومة، فمن باب أولى تحقيقه بين الدول الإسلامية من جهة وبين أفراد الدولة الإسلامية من جهة أخرى، حتى ينعم المجتمع الإسلامي بنعمة الأمن والأمان التي لها بالغ الأثر في تحقيق السلم الاجتماعي من جهة وإصلاح المجتمع الإسلامي من جهة أخرى لتحقيق غاية الاستخلاف وعمارة الأرض بالشكل الأمثل.

المبحث الثاني

عناية صحيح الإمام مسلم بن الحجاج بالأمن الفكري والسلم الاجتماعي

فيه مطلبان:

المطلب الأوّل: الأمن الفكري والسلم الاجتماعي في صحيح مسلم إجمالا:

اعتنى الإمام مسلمٌ في صحيحه بذكر أحاديث نبوية تتعلق بالأمن الفكري وتُكرِّس السِّلم الاجتماعي، نجدها مذكورة في عدة كتب، وتحتها أبواب متعددة[1]، نذكر منها ما يلي:

أولا :كتاب الإيمان: وفيه تسعة أبواب لها علاقة بموضوع البحث،وهي كما يلي:

١- بَاب بيان تفاضل الإسلام، وأيّ أموره أفضل.

٢- بَاب بيان تحريم إيذاء الجار.

٣- بَاب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

٤- بَاب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده.

٥- بَاب بيان الكبائر وأكبرها.

٦- بَاب تحريم الكِبْر وبيانه.

٧- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .: من حمل علينا السلاح فليس منّا.

٨- بَاب وعيد من اقتطع حقّ مسلم بيمين فاجرة بالنار.

٩- بَاب الدليل على أنّ من قصد أخذ مال غيره بغير حقّ، كان القاصد مهدر الدم في حقّه، وإن قُتل كان في النّار، وأنّ من قُتل دون ماله فهو شهيد.

ثانيا :كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ:فيه خمسة أبواب متعلقة بموضوع البحث، هي مايلي:

١- بَابُ مَا يُبَاحُ بِهِ دَمُ الْمُسْلِمِ.

---

[1] اعلم أن تراجم الأبواب الحالية المشهورة التي في صحيح الإمام مسلم هي من وضع الإمام النووي أثناء شرحه لصحيح مسلم،وقد وضّح ذلك النووي فقال: وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد، إما لقصور في عبارة الترجمة، وإما لركاكة لفظها، وأما لغير ذلك، وأنا . إن شاء الله . أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها. انظر: شرح النووي ٢١/١.

٢- بَابُ بَيَانِ إِثْمِ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ.

٣- بَابُ الْمُجَازَاةِ بِالدِّمَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٤- بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ.

٥- بَابُ صِحَّةِ الْإِقْرَارِ بِالْقَتْلِ، وَتَمْكِينِ وَلِيِّ الْقَتِيلِ مِنَ الْقِصَاصِ، وَاسْتِحْبَابِ طَلَبِ الْعَفْوِ مِنْهُ.

ثالثا: كِتَابُ الْحُدُودِ: فيه بابان لهما علاقة بموضوع البحث، هما:

١- بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ.

٢- بَابُ الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِهَا.

رابعا: كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ: فيه ثلاثة أبواب لها تعلق بموضوع البحث، هي:

١- بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ.

٢- بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ.

٣- بَابُ اسْتِحْبَابِ إِصْلَاحِ الْحَاكِمِ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ.

خامسا: كتاب الجهاد والسير: فيه أربعة أبواب، هي:

١- بَابُ تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا.

٢- بَابُ تَحْرِيمِ الْغَدْرِ.

٣- بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ.

٤- بَابُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

سادسا: كتاب الإمارة: فيه عشرة أبواب كلها لصيقة بموضوع بحثنا، هي:

١- بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ.

٢- بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ.

٣- بَابُ تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ.

٤- بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ.

٥- بَابُ الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ ظُلْمِ الْوُلَاةِ وَاسْتِئْثَارِهِمْ.

٦- بَابٌ فِي طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ وَإِنْ مَنَعُوا الْحُقُوقَ.

٧- بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر.
٨- بَابُ حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ.
٩- بَابُ وُجُوبِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا، وَنَحْوِ ذَلِكَ.
١٠- بَابُ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ كُفِّرَتْ خَطَايَاهُ إِلَّا الدَّيْنَ.

سابعا: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، تحته سبعة عشر بابا، كلّها وثيقة الصلة بموضوع البحث، هي:

١- بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ.
٢- بَابُ تَحْرِيمِ الْهَجْرِ فَوْقَ ثَلَاثٍ بِلَا عُذْرٍ شَرْعِيٍّ.
٣- بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا.
٤- بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ.
٥- بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ.
٦- بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ.
٧- بَابُ نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا.
٨- بَابُ النَّهْيِ عَنِ السِّبَابِ.
٩- بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ.
١٠- بَابُ مُدَارَاةِ مَنْ يُتَّقَى فُحْشُهُ.
١١- بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ.
١٢- بَابُ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ.
١٣- بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ.
١٤- بَابُ النَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ.
١٥- بَابُ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ.
١٦- بَابُ أَمْرِ مَنْ مَرَّ بِسِلَاحٍ فِي مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ لِلنَّاسِ أَنْ يُمْسِكَ بِنِصَالِهَا.
١٧- بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ.

ثامنا:كتاب العلم، فيه ثلاثة أبواب، هي:

١- بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ.

٢- بَابُ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.

٣- بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

تاسعا:كتاب الفتن وأشراط الساعة، فيه ترجمة وثيقة الصلة بموضوع البحث، هي:

١- بَابُ إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا.

عاشرا:كتاب التفسير:فيه باب واحد، هو:بَابٌ فِي نُزُولِ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ.

المطلب الثاني: الأمن الفكري والسلم الاجتماعي في صحيح مسلم تفصيلا.

أما عناية الإمام مسلم في صحيحه بمسألة الأمن الفكري والسلم الاجتماعي على جهة التفصيل فلا يتسع المقام لذكرها مفصّلة،وسأورد أمثلة يسيرة توضح المقصود بإذن الله، هي:

١- عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا)، ويشير إلى صدره ثلاث مرات،(بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه)[(١)].

وجه الدلالة:

في هذا الحديث بيان بعض السلوكيات والأخلاق المذمومة التي ينبغي للمسلم الابتعاد عنها، كالحسد والتباغض والتدابر التي توقع الشحناء والعداوة والقطيعة بين المسلمين، ومنها أيضا: احتقار المسلم، وترك نصرته وخذلانه؛ لأنّ الأصل الالتزام بمبدأ الأخوة، وهذا يقتضي تعامل المسلم مع أخيه المسلم بأطيب الأخلاق وأحسنها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ،بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ ،١٩٨٦/٤ (٢٥٦٤).

كما يبين هذا الحديث: حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فلا يجوز الاعتداء عليها والتعرض لها بسوء، لما فيه من فساد عظيم يلحق بالمجتمع، ويؤثر في استقراره وأمنه.

كما أن هذا الحديث: يؤكد أن تجنب هذه السلوكيات والأخلاق المذمومة يؤدي إلى تماسك المجتمع وتحقيق السلم الاجتماعي فيه، وذلك أن المسلمين تجمعهم رابطة الأخوة التي تساعدهم في المحافظة على أنفسهم وممتلكاتهم.

٢- عن أبي موسى . رضي الله عنه . عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: (إذا مرّ أحدكم في مسجدنا، أو في سوقنا، ومعه نبل، فليمسك على نصالها بكفّه، أن يصيب أحدا من المسلمين منها بشيء)، أو قال:(ليقبض على نصالها)[١].

وجه الدلالة:

دلّ الحديث على عناية الإسلام بحفظ الأمن والمحافظة على أرواح الناس ومقدراتهم، وسدّ كل الطرق التي تسلب من الناس نعمة الأمن وتجعلهم في حالة من الخوف والهلع.

٣- عن عبد الله بن عمرو . رضي الله عنه . قال: هجّرت إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يوما، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يعرف في وجهه الغضب، فقال: (إنما هلك من كان قبلكم، باختلافهم في الكتاب)[٢].

وجه الدلالة:

دلّ الحديث على ترك اتّباع المتشابه، والتجرد من الهوى في تفسير كتاب الله وفهم معانيه،وفي ذلك حماية النبي ﷺ لعقول أتباعه، والمحافظة على وحدة فكرهم من الزيغ واتباع الهوى، وعدم التشويش عليهم باتباع المتشابه،وفي ذلك تكريس

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ،بَابُ أَمْرِ مَنْ مَرَّ بِسِلَاحٍ فِي مَسْجِدٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْجَامِعَةِ لِلنَّاسِ أَنْ يُمْسِكَ بِنِصَالِهَا،٤/٢٠١٨ (٢٦١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب العلم،بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ،٤/٢٠٥٣ (٢٦٦٦).

للأمن الفكري، ومحافظة على الوحدة الاجتماعية بتصحيح الأفهام وسدّ طرق التشويش.

٤- عن عَرْفَجَةَ بن شريح الأشجعيﷺ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (إنه ستكون هنات وهنات[١]، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان)[٢].

وجه الدلالة:

دلّ الحديث على الأمر بقتال من خرج على الإمام، أو أراد تفريق كلمة المسلمين،فيدفع بما يكفّ شرّه، ولو بقتله،وفي ذلك حرص النبي ﷺ على وحدة الصفّ واجتماع الكلمة وحماية الأمة من التشويش الفكري، وحفظ أمنها وسلمها الاجتماعي من الخلل[٣].

وفي الحديث إشارة لطيفة إلى الضعف والفساد الذي يحصل لأجل الانشقاق[٤].

٤- من السنن الفعلية التي أوردها الإمام مسلم في صحيحه قصة فتح مكة[٥]:

لقد امتن الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺبفتح مكة، وهيّأ له أسباب الفتح، بعد أن نقضت قريش أحد بنود صلح الحديبية، حينما أعانوا على قتل بعض المسلمين، فجهّز رسول اللهﷺجيشا كبيرا لفتح مكة، مع أنها قد حرمها الله ﷻإلا أنه أحلّها لنبيهﷺ ساعة من نهار، ومع ذلك فقد جعل النبي ﷺ يوم الفتح يوم أمن وأمان، ونهى فيه عن إراقة الدماء، وشدد على ذلك.

وفي فتح مكة مواقف تؤكد أهمية تحقيق الأمن الفكري والسلم الاجتماعي وتوطيد الأمن والأمان في المجتمع؛ليتحقق الأمن والسلم في المجتمع، فمن هذه

---

(١) أي شرور وفساد. يقال: في فلان هنات. أي خصال شر. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإمارة،بَابُ حُكْمِ مَنْ فَرَّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ،٣/١٤٧٩ (١٨٥٢).

(٣) انظر: حاشية محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ٣/١٤٧٩ (١٨٥٢).

(٤) منة المنعم في شرح صحيح مسلم،المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) الشارح: فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري،الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ٣/٢٦٣.

(٥) صحيح مسلم،كتاب الجهاد والسير،باب فتح مكة ،٣/١٤٠٥ (١٧٨٠).

المواقف: إعطاء الرسولﷺ الأمن والأمان للمسالمين الذين لا يريدون قتال المسلمين، وفي ذلك قال رسول اللهﷻ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن)[1].

وبالنظر إلى فعلهﷺ تتجلى عظمة هذا الدين فقد رفض رسول اللهﷺ ترويع أهل مكة وإخافتهم يوم الفتح، وإنّما منحهم الأمن على أنفسهم والشعور بالطمأنينة، بالرغم من أنهم نقضوا العهد والصلح مع المسلمين، إلا أن الرسولﷺأرشدهم إلى ما يؤدي إلى حفظ نفوسهم من القتل والأذى؛ فجعل دخول بيت أبي سفيان، وترك السلاح، والتزامهم منازلهم علامة على عدم قتال المسلمين، وبالتالي فقد امتنّ عليهم بخلق عظيم حينما أعطاهم الأمان، وهذه إشارات عظيمة في كيفية تحقيق السلم الاجتماعي والعمل على ترسيخه في المجتمع الإسلامي في جميع الظروف؛ فأخلاق المسلم وإيمانه الراسخ بالله تعالى تجعله قادرا على التعامل مع الآخرين بما يعود على المجتمع بالخير والصلاح، وبذلك تنهدم جذور الشر والفساد.

(1) أخرجه مسلم (١٧٨٠).

المبحث الثالث

نماذج من السلم الاجتماعي في العهد النبوي مما ورد في الصحيحين

سوف أذكر هنا نماذج يسيرة يتبين منها تطبيقات السلم الاجتماعي في العهد النبوي، مما ورد في الصحيحين أو أحدهما من التعاملات مع غير المسلمين:

١- فمن ذلك الإحسان إليهم والبرّ بهم، فعن أسماء . رضي الله عنها . قال: قدمت أمي وهي مشركة، في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي . صلى الله عليه وسلم . مع ابنها، فاستفتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم . فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة؟ أفأصلها؟ قال: (نعم، صلي أمك)[١]، قال الخطّابي: فيه أن الرحم الكافرة توصل ببر المال ونحوه كالرحم المسلمة[٢]، وقال النووي: فيه جواز صلة القريب المشرك[٣]، ومن ذلك ماورد عن أبي ذر. رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .: (إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمّة ورحمة) أو قال: (ذمة وصهرا)[٤].

٢- ومن ذلك عيادة مرضاهم، فعن أنس . رضي الله عنه . قال: كان غلام يهودي يخدم النبي . صلى الله عليه وسلم . فمرض، فأتاه النبي . صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطعْ أبا القاسم . صلى الله عليه وسلم . فأسلم، فخرج النبي . صلى الله عليه وسلم . وهو يقول:(الحمد لله الذي أنقذه من النار)[٥]، قال ابن حجر: في الحديث جواز استخدام المشرك، وعيادته إذا مرض، وفيه حسن العهد[٦]،وقال العيني: وفيه: جواز عيادة أهل الذمة، ولا سيما إذا كان الذمي جارا له؛ لأن فيه إظهار محاسن الإسلام وزيادة التآلف بهم ليرغبوا في الإسلام[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

(٢) إعلاء السنن ١٢٨٧/٢.

(٣) شرح النووي على مسلم ٨٩/٧.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

(٦) فتح الباري ٢٢١/٣.

(٧) عمدة القاري ١٧٥/٨.

٣- ومن ذلك تبادل الهدايا معهم؛ فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ شاة فيها سم[١]، وهذه الهدية كانت من زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم[٢]، وقد قِبل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هدية المقوقس، وهدية ملك أيلة أكيدر، وهدية كسرى[٣]، قال ابن قدامة المقدسي: ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب؛ لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل هدية المقوقس صاحب مصر[٤].

وعكس ذلك، فيجوز أن يهدي المسلم لغير المسلم، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: رأى عمر حلة سيراء تباع، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه والبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود، قال: (إنما يلبس هذه من لا خلاق له)، فأُتِيَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها بحلل فأرسل إلى عمر بحلة فقال: كيف ألبسها وقد قلتَ فيها ما قلتَ؟ قال: (إني لم أعطكها لتلبسها، ولكن لتبعها أو تكسوها)، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[٥]، قال النووي: فيه دليل لجواز صلة الأقارب الكفار والإحسان إليهم وجواز الهدية إلى الكفار[٦].

٤- ومن ذلك التعاملات المالية معهم، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعا من شعير[٧]، قال ابن حجر: قال العلماء: الحكمة في عدوله صلى الله عليه وسلم ـ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود؛ إما لبيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذْ ذاك طعام فاضلعن حاجة غيرهم، أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمنا أو عوضا، فلم يرد التضييق عليهم، فإنه لا يبعد أن يكون فيهم إذْ ذاك من يقدر على

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٨).
(٢) انظر: فتح الباري ٤٩٧/٧.
(٣) انظر: صحيح البخاري (١٤٨٢).
(٤) المغني لابن قدامة ٢٠٠/١٣.
(٥) أخرجه البخاري (٥٩٨١)، ومسلم (٢٠٦٨).
(٦) شرح مسلم٣٩/١٤.
(٧) أخرجه البخاري (٢٩١٦).

ذلك وأكثر منه، فلعله لم يطلعهم على ذلك وإنما أطلع عليه من لم يكن موسرا به ممن نقل ذلك، والله أعلم[١].

٥- ومن ذلك الوفاء بالعهود والعقود معهم، والوعيد الشديد لمن نقض العهد واعتدى عليهم، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)[٢]، قال القرافي: عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عِرْض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك؛ فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذمة دين الإسلام[٣]، وأوصى عمر ـ رضى الله عنه ـ الخليفة من بعده بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[٤]، وحصل في زمن معاوية ـ رضى الله عنه ـ أنّ الكفار لمّا نقضوا عهدهم امتنع المسلمون من قتالهم وقالوا: وفاء بغدر خيرٌ من عذر بغدر[٥].

٦- ومن ذلك الملاطفة في مكاتبتهم ودعوتهم للإسلام بالتي هي أحسن، فعن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب، ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، قال: فقرئ، فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد)[٦]، قال النووي: لم يقل إلى هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال:(عظيم الروم)، أي: الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال تعالى:(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، وقال تعالى:(فقولا له قولا لينا)، وغير

---

(١) فتح الباري ٥/٢٤١.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٦).

(٣) الفروق ٣/٢٠.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٢).

(٥) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام للإمام بدر الدين بن جماعة ص ٢٣٤.

(٦) أخرجه البخاري (٦٢٦٠)، ومسلم (١٧٧٣).

ذلك[١]، وذكر السفيري في شرح البخاري أن هذا نوع من الإكرام في المخاطبة، ليكون أخذ بأدب الدين في تليين القول لمن يدعوه إلى دين الحق[٢]، وقد كتب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى هرقل عظيم الروم، وكتب إلى كسرى عظيم فارس، وكتب إلى نجاشيّ الحبشة، وكتب إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية،وكتب إلى غيرهم من الملوك والزعماء[٣].

٧- ومن ذلك احترام جنائزهم، فعبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: كان سهل بن حنيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما إنها من أهل الأرض أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: (أليست نفسا؟!)[٤]، قال ابن حجر: استدل بحديث الباب على جواز إخراج جنائز أهل الذمة نهارا غير متميزة عن جنائز المسلمين، أشار إلى ذلك الزين بن المنير، قال: وإلزامهم بمخالفة رسوم المسلمين وقع اجتهادا من الأئمة[٥].

وصلى الله وسلّم وبارك على نبيا محمد، وعلى آله وصحبه

---

(١) شرح مسلم للنووي١٢/١٠٨.

(٢) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري١/٢٦٦.

(٣) زاد المعاد ٣/٦٩٢، ومجموعة الوثائق السياسية ١٤٦.

(٤) أخرجه البخاري (١٣١٣)، ومسلم (٩٦١).

(٥) فتح الباري ٣/ ١٨١.

الخاتمة

بعد استعراض موضوع البحث وفق ما سبق تبيّن الآتي:

- أن مصطلح الأمن الفكري من المصطلحات المعاصرة ويراد به: أمن المرء على معتقداته وقيمه وأفكاره واجتماعيته ووحدة صفه.
- أن مصطلح السلم الاجتماعي من المصطلحات المعاصرة ويراد به:الاستقرار والتعايش بين أفراد المجتمع، والعدل بينهم في الحقوق والواجبات.
- أن مصطلح السلم الاجتماعي له ارتباط وثيق بمصطلح السلام والأمن الفكري، وله متعلقات أخرى.
- أن في السنة النبوية عموما، وفي الصحيحين خصوصا؛ الحصنُ الحصين من الانحراف الفكري، واللوثات المنحرفة عن الهدي النبوي القويم.
- أن الأمن الفكري والسلم الاجتماعي له شواهد كثيرة في الصحيحين حيث تضافرت النصوص على اعتباره مطلبا أساسيا لتعايش الإنسان، وبناء الأوطان.
- أن الأمن الفكري والسلم الاجتماعي تساهم في المحافظة على مقاصد الشرع وحفظ الضرورات الخمس.
- أن متبعي المتشابه وأصحاب الهوى والمتجرئين على الفتوى بغير علم هم أحد أهم الأسباب في الانحراف الفكري للشباب، والأخذُ على أيديهم أمر ضروري لتحقيق الأمن الفكري.
- أن إعمال الأمن الفكري والسلم الاجتماعي له بالغ الأثر في بناء المجتمع والمحافظة عليه وصون مقدراته.
- بعد استعراض بعض أحاديث الصحيحين السابقة تبين أن تحقيق الأمن الفكري والسلم الاجتماعي يأخذ حكم الوجوب على الجميع، كل في موقعه، حيث تضافرت النصوص الشرعية على وجوب إعماله تحقيقا للمصلحة العامة وحفظا للأمن العام.

أمّا أهمّ التوصيات:

- فأوصي باستمرار عقد مثل هذه المؤتمرات النافعة التي تلامس أمرا في غاية الأهمّية والخطورة.
- إشراك الفئة الشابّة في ورش عمل واقعية لمناقشة مثل هذه الموضوعات المعاصرة.

- تضمين المقررات الدراسية في جميع المراحل الدراسية ماينمّي الوسطية الدينية البعيدة عن الغلو والتطرف والإرهاب، ومايقابلها من التفلّت من الأحكام الشرعية والانحلال.

والله الموفق

المراجع:

- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، توفي ٣٨٨ هـ، المحقق: د. محمد بن سعد آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م.
- الأمن الفكري،عبد الله عبد المحسن التركي،مقال قدم في اجتماع رابطة العالم الإسلامي عام ٢٠٠٨م ونشرته جريدة الرياض ٢٠١٥م.
- تاج العروس من جواهر القاموس،المؤلف: محمّد بن محمّد الحسيني، الملقّب بمرتضى،المتوفى: ١٢٠٥هـ،الناشر: دار الفكر، بيروت،الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ.
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، لمحمد بن إبراهيم بن جماعة الشافعي، بدر الدين، المتوفى: ٧٣٣هـ، المحقق: الشيخ عبد الله آل محمود، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م.
- التوقيف على مهمات التعاريف،المؤلف: محمد بن علي المناوي القاهري، المتوفى: ١٠٣١هـ، الناشر: عالم الكتب، القاهرة،الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- الجامع الصحيح المختصر،المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى: ٢٥٦ هـ،الناشر: دار الشعب، القاهرة،الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م.
- خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، عبد الله الشيخ محفوظ ولد بيه، طبع جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، الرياض ١٤١٩هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
- الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري،عبد الرحمن السديس، دار النشر: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠١٦م.
- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع،الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، المتوفى: ٦٨٤هـ، الناشر: عالم الكتب.

- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المتوفى: ٨١٧هـ، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي،الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
- كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، المتوفى: ٨١٦هـ،تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر،الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان،الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى: ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة،المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) مع فريق عمل،الناشر: عالم الكتب،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- معجم مقاييس اللغة،المؤلف: أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى: ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر،عام: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- المغني لابن قدامة، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي، المتوفى: ٦٢٠هـ، الناشر: مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
- المفردات في غريب القرآن،المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب،المتوفى: ٥٠٢هـ، المحقق: محمد سيد كيلاني،الناشر: دار المعرفة،لبنان.
- منة المنعم في شرح صحيح مسلم،الشارح: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري،الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك ابن عبد الكريم الجزري ابن الأثير، المتوفى: ٦٠٦هـ، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م،تحقيق: طاهر أحمد الزاوي،ومحمود محمد الطناحي

وسطية الهدي النبوي وأثره في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي

أ.د. إبراهيم بن حماد الريس
المشرف على
كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

إن المتأمل في واقعنا المعاصر يلحظ بوضوح أن كافة التيارات والاتجاهات على اختلاف إيدولوجياتها تنسب نفسها إلى منهج الوسط والاعتدال، وترسم فكرها في منطقة وسط بين طرفي التساهل والتشدد، والحقيقة أن منهج الوسطية يتعلق بالمعاني لا بالألفاظ، فالعبرة ليست برفع شعار الوسطية والاعتدال وإنما العبرة بتحقق ذلك المنهج في التفكير والسلوك وما يحقق الأمن والسلام للمجتمعات في الواقع، فالوسطية ليست موقفاً وسطاً بين متخاصمين، بل الوسطية منهج شرعي له أصوله وأحكامه، وهي ليست بالشعارات، بل نتيجة تطبيقات عملية في الاعتقاد والسلوك والقيم والتعاملات والعبادات.

وفي مجال الأمن الفكري من أراد أن يتحقق في واقعنا المعاصر من تلك الدعاوى فليختبرها على منهج النبي ﷺ، ويفحصها على نور هديه ﷺ، فما كان منضبطاً بأقواله وأفعاله فهو المعتدل الوسطي، وما خالفها فهو مجانب لمنهج الوسطية والاعتدال بقدر وقوعه في المخالفة للهدي النبوي.

فالوسطية والاعتدال في الفكر والاعتقاد والسلوك والقيم منهج شرعي قائم على علمٍ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو الميزان الذي يضبط باب الاعتدال من دعاوى المتساهلين والغلاة، فأهل الغلو لا يرون أنفسهم إلا أهل وسطية واعتدال، يقابلهم المفرطون الذين لا يرون الاعتدال إلا في سلوكهم وطريقة تفكيرهم، ويرمون غيرهم بالغلو، حتى أصبح الغلو ذريعة لهم لتجاوز الأحكام والنصوص الشرعية،

وأصبح الاعتدال درعًا يستترون بها ضد تجاوزهم للأحكام، وتحريفهم للنصوص، وطعنهم في الثوابت، فالدعوة إلى منهج الاعتدال والتوسط في عصرنا يجب أن تكون واعية بضخامة ظاهرة التوظيف المعاصرة لهذا المفهوم في تمرير الانحرافات والتسويق للمنكرات والاستطالة على الشرع وأحكامه، فلا بد من كشف هذا التلبيس المتستر باسم الاعتدال، وهذا يؤكد أهمية الرجوع للعلماء الناصحين الصادقين المشهود لهم في هذا الباب.

إن حكمة الله اقتضت أن يكون نبينا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، وأن تكون رسالته السمحة خاتمة الرسالات، لذا كان على العلماء بعد ختم النبوة بمحمد ﷺ بيان الحق للناس والذب عنه، ودحض الباطل وكشف زيفه، ومن هذا المنطلق يكون البحث في سُبل تحقيق الأمن الفكري محققاً لتلك الغاية النبيلة التي سعى إليها الأنبياء عليهم السلام.

ففي ظل العولمة الثقافية ومعطياتها الدولية، حيث الترابط الوثيق بين الأمم والشعوب، أصبح "الأمن الفكري" همًا مشتركًا بين جميع أفراد المجتمع البشري، ويبحث الأمن الفكري، ضمن موضوعات أخرى، في العوامل الجوهرية لحماية الأفكار والتصورات الأساسية للمجتمع، المتعلقة بهويتها الذاتية وصيانتها من الخلل والانحراف.

فإذا كان للأمن الفكري دور رئيس في تحقيق الأمن والسلم المجتمعي بكل صوره، فإن موضوعات الأمن الفكري وقضاياه تتنامى وتتنوع في جميع مناحي الحياة، فليكن منهج دراسته في إطار منظومة القيم الإسلامية الحنيفة، واستقاء مقوماته في ضوء الهدي النبوي ترتبط بأسس ومنهج تحقيق الأمن الفكري من خلال السنة النبوية الشريفة مع عرض بعض النماذج التطبيقية كما تجلّت في عهد الرسالة.

وسوف يناقش هذا البحث هذا المفهوم من خلال العناصر الآتية:

مقدمة تؤصل أهمية الموضوع وأهدافه وأبرز مصطلحاته.

أولاً: التعريف بالمصطلحات.

ثانيًا: أوجه الترابط بين المصطلحات.

المبحث الأول: الأمن الفكري في إطاره الفكري والديني.

أولًا: الأمن الفكري ومحدداته العلمية.

ثانيًا: الأمن الفكري وتأطيره الديني.

المبحث الثاني: وسطية الهدي النبوي في ترسيخ الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

أولًا: أسس الأمن الفكري في الهدي النبوي.

ثانيًا: وسطية الهدي النبوي في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

ثالثًا: من معالم الهدي النبوي في وسطية التفكير والعمل.

الخاتمة والتوصيات.

المراجع والمصادر.

الفهرس.

والله تعالى نسأل التوفيق والرشاد.

أولاً: التعريف بمصطلحات الورقة:

نعرض هنا باختصار لأبرز المصطلحات التي اشتمل عليها موضوع الورقة، وذلك لجلاء المفهوم، والتأسيس عليه، وأبرز المصطلحات التي تناولناها: (الهدي النبوي، الأمن، والفكر، الأمن الفكري، والسم المجتمعي)، إفرادًا وتركيبًا . لغةً واصطلاحًا، مع بيان وجه الارتباط وعلاقته بالأمن الفكري.

أ) **مفهوم الهدي النبوي:** "الهَدْي" السيرة والطريقة، ويُقال: هو حسن الهَدْي: أي حسن الطريقة[(١)]،

ونعني بها هنا سيرة المصطفى ﷺ وسنته من قول أو فعل أو إقرار، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "وأحسن الهدي هدي محمد "ﷺ[(٢)]، فالسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بالاتفاق بين العلماء، والمتأمل في هدي النبي ﷺ يجد أنه اشتمل على شؤون الحياة ودقائق الأمور وخصائصها، بدءًا من أخص خصائص الإنسان وهي العلاقة الزوجية الناشئة مرورا بتفاصيل كافة ما يعايشه الإنسان وصولاً إلى العلاقات الدولية.

ب) **الأمن في اللغة:** تعنى الطمأنينة وعدم الخوف، كما تعني الثقة والهدوء النفسي، إضافة إلى راحة القلب وعدم وقوع الغدر أو الخيانة من الغير، قال الزمخشري: "فلان أمَنَةٌ أي يأمَنُ كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته"[(٣)]، والأمن: ضدُّ الخوف ونقيضه، والأصلُ أن يُسْتَعْمَلَ في سُكُون القلب[(٤)]، كما يستعمل بمفهومة العام ضد كل ما يخشى منه.

وفي الاصطلاح :الأمن عدم توقُّع مكروه في الزمان الآتي[(٥)].

---

(١) انظر، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ١٠/ ٤٠٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب في الهدي الصالح، ٢٥/٨ برقم ٦٠٩٨.

(٣) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ص١٠.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ٢١/١٣، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ١٥١٨/١، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص٩٠.

(٥) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص٥٥، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص٩٠.

وفي وقتنا المعاصر يتنوع مفهوم الأمن بتنوع موضوعه، ولقد فصّل المعاصرون في معنى الأمن حسب مشاربهم وموضوعاتهم، ويمكن استخلاص مفهوم عام للأمن بأنه: شعور المجتمع وأفراده بالطُّمأنينة، والعيش بحياة طيبة، من خلال إجراءات كافية يمكن أن تزال عنهم الأخطار، أيًّا كان شكلها وحجمها، حال ظهورها، ومن خلال اتِّخاذ تدابير واقية(١).

أما الفكر في اللغة:

يدور مفهوم الفكر في اللغة حول إعمال الفكر بالتأمل والتدبر، وإعمال العقل، فقالوا: (التفكر) التأمل(٢)، تردد القلب في شيء(٣)، وهو "إعمال الخاطر في شيء"(٤)، وهو تردد الخاطر فيه بالتأمل والتدبر بطلب المعاني(٥).

وفي الاصطلاح: لا يخرج الفكر في الاصطلاح عن معناه اللغوي، قال الفيومي: "ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب، يكون علمًا أو ظنًا"(٦).

والتفكر يراد به "إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف لغرض الوصول إلى معرفة جديدة، وهو بهذا عملية يقوم بها العقل أو الذهن بواسطة الربط بين المدركات أو المحسوسات واستخراج معانٍ غائبة عن النظر المباشر"(٧).

أما مفهوم (الأمن الفكري) فهو مصطلح مركب من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف قديمًا بلفظها، وإن كان يستخدم في العلوم الشرعية بمفهوم حفظ الدين والعقل.

---

(١) انظر: أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن، د. عبدالقادر الخطيب، ص٦.

(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي،١/٢٤٢.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/٤٤٦.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٠/٣٠٧.

(٥) انظر: المنجد في اللغة والأعلام. لويس معلوف. مادة: فكر. ص٥٩١.

(٦) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الفيومي، ٢/٤٧٩.

(٧) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص٥٥.

ونظراً لتباين الرؤى حول المفهوم، فيمكن إجمال تعريفة بأن: "الأمن الفكري أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية"[١].

وغايته تحقيق الحماية التامة لفكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال، وأنه يُعنى بحماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك.

السلم المجتمعي:

السلام لغةً :المسالمة، والمصالحة، والمهادنة، والسَّلْم بالفتح الصُّلْحُ، والسِّلْمُ، وتسالموا: تصالحوا[٢].

واصطلاحًا :السلامُ تجرُّدُ النفْسِ عن المحنة في الدارين[٣].

والسلم الاجتماعي: وإن كان مصطلحًا حديثًا إلا أنه يشمل حفظ الأنفس والمعتقدات والحقوق، وتحقيق الوئام والسلام بين مكونات المجتمع الواحد، ويعد مفهوم السلم المجتمعي من المصطلحات المعاصرة التي تحمل تشمل القيم الإسلامية والإنسانية، ويستدل عليه بما قام به النبي ﷺ في أول عهد المدينة بمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، والذي كميثاق يربط بين المجتمع المدني، ويعد السلم الاجتماعي أحد أهم المؤشرات على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه، يقول المفكر مالك بن نبي: نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده....، ويشير كذلك إلى أنه كما كانت العلاقات الداخلية السلمية هي نقطة الانطلاق في تاريخ المسلمين، فإن تدهورها كان مؤشر السقوط والانحطاط....، ويضيف "كلما حدث إخلال في القانون الخلقي في مجتمع معين حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه""[٤].

---

(١) انظر: الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به. د/عبد الله التركي، ص٥٧.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (س ل م).

(٣) التعريفات، للجرجاني، ص ١٥٩.

(٤) انظر: ميلاد مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص ٥٢.

ثانيًا: أوجه الترابط بين المصطلحات:

إذا كان الأمن العام يتعلق بسلامة المجتمعات، فإن الأمن الفكري يتعلَّق بالعقل، والعقل هو آلة الفكر، وأحد طرائق بناء الحضارات، والمحافظة على العقل وحمايته من المفسدات والمؤثرات الحسِّية والمعنوية، أحد مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو إحدى النعم التي امتن الله على عباده بها في سلامة العقل والفكر والتفكير؛ كما له أهميةٌ كبيرة في حياة الفرد والمجتمع والأمَّة، فضلًا من كونه أحد أهم المرتكزات الرئيسة للبناء والتنمية وتحقيق التقدم في المجالات الإنسانية، كما يُعَدُّ الأمنُ أحد أهم مقاصد الشريعة، ولقد امتن الله تعالى على عباده بنعمة الأمن، قال تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [قريش: ٤]، وأشار النبيُّ ﷺ إلى أهمية الأمن بأنَّ المسلم متى ظفر به، فقد ظفر بالدنيا كلِّها، فقال ﷺ: "من أصبح منكم آمنًا في سِربه، معافًى في جسده، عندَهُ قُوتُ يومِه، فكأنَّما حيزت له الدنيا"[(١)]، قال الماوردي "إن صلاح الدنيا وانتظام أمرها بستة أشياء، منها: أمنٌ عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر فيه الهمم، ويَسْكُن فيه البريء، ويأنس به الضعيف"[(٢)]، مما يؤكد أهميَّة الأمن والسلام المجتمعي، وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: "الأعمال الظاهرة في الشرع دليلٌ على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منحرفًا حُكِم على الباطن بذلك، أو مستقيمًا حكم على الباطن بذلك"[(٣)].

فالأمن الفكري يرتبط بالوعي والفهم والإدراك واليقظة في مراحل التفكير ومنطلقاته، ومعه الفهم الواعي لكليات الشريعة والتعاليم والمبادئ والقيم والأعراف، وذلك لحماية العقل وهو في نفس الوقت حماية للدين وللشريعة وللإنسان المسلم وللعقل والمجتمع المسلم، لا تنفصم عنهم ولا تنفك فالرسالة هي الغاية، والعقل والإدراك هما الوسيلة، وإذا انحرفت الوسيلة أو فسدت، ضاعت الغاية وغاب المقصد.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب القناعة، ١٣٨٧/٢ رقم ٤١٤١، وحسنه الألباني: السلسلة الصحيحة، ٣١٧/٥ برقم ٢٣١٨.

(٢) انظر: أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن، د. عبد القادر الخطيب، ص ٧- ٨.

(٣) الموافقات؛ الشاطبي، ١ /٥٢٣.

ومن هنا تبرز ارتباطات الأمن الفكري بالأمن العام والسلم المجتمعي، فمن خلال فهم الإنسان وإدراكه وتأمله في آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية والمنهج النبوي في التعامل مع العقل في حدوده، ومتى كان الإنسان مستنيرًا في تفكيره معتدلاً في تصوره، غير مغال ولا مجاف، إذ أكد المنهج النبوي أن الإسلام لا ينحصر في تأدية العبادات المفروضة وحسب بل يمتد إلى المعاملات وسلوك المواقف الحياتية، وجميعها أوامر ربانية مفروضة جاءت هذه الأوامر لتنظيم النزعات البشرية وضبط الأهواء، ولتحقيق العدل ودحض الباطل، وتسمو بنفس المؤمن لتنقية الشوائب الدنيوية، وتهذيب نفسه من الفساد، وفكره وعقله من الانحراف والضلال.

المبحث الأول: الأمن الفكري في إطاره الفكري والديني.

أولًا: الأمن الفكري ومحدداته العلمية:

لا يختلف الباحثون في مجال الفكر والثقافة أن الوحدة الفكرية في إطارها العام تؤدي إلى تقارب الرؤى العامة وتحقيق الانسجام المجتمعي، وأن الأسس المنهجية الرئيسة هي السياج الثقافي والفكري الجامع الذي يسهم في نجاح سعي الأمم في تصورها وحركتها، من خلال سلامة المنظومة القيمية والفكرية وتعبيراتها داخل النسق العام، لذا تعد الوحدة الفكرية أحد أبرز أسس توحيد المجتمع بل والأمم، ويتحقق الأمن الفكري عندما نتصالح مع أنفسنا بين ما نؤمن به وما نتطلع إليه ونؤمن بتأديته.

وإذا كانت الثقافة المجتمعية كجزء من السلم الاجتماعي منتجًا عقليًا يهدف إلى حفظ الأمة في أصل وجودها وفي مرتكزات فعلها وفعاليتها الحضارية ضد المهددات الفكرية داخليًا أو خارجيًا، فإن التقارب والتجانس القيمي والفكري المبني على أسس صحيحة يعتبر من أهم عوامل أمان البناء الفكري، والانسجام بين الثوابت ومتغيرات المخلات الفكرية التي تقي طوارئ التغيير وبوادر الانحراف، فذلك يؤدي إلى تحقيق قيمة الوحدة الفكرية المتصلة بأساس هوية الأمة، كما تمثل ضمانة قوية لعدم الاختلاف وبالتالي تحقيق الاستقرار الفكري والأمني معاً.

ومن المهم الإشارة إلى أننا لا نرى الحجر الفكري القائم على المنع الأمني، لأن الأمن الفكري قائم على الوعي الثقافي والإدراك الواعي، مما يؤدي إلى نشوء قوة ذاتية يستطيع من خلالها أن يدافع المجتمع بفكره وثقافته عن أمنه.

إن قدرة الإنسان على التفكير وفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية من أهم خصائص العقل الإنساني، فقد تميز الإنسان عن جميع المخلوقات بالعقل والتفكير، وكرمه الله تعالى فقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ الإسراء: ٧٠، ورسم له المنهج العام، وجبله على خصال الخير والنفع، ومنحه حرية الاختيار فيما هو مخير فيه، ووجهه إلى استثمار هذا العقل والفهم للتعامل مع مشكلاته وتحديد أولوياته، وتنظيم شؤونه الخاصة والعامة، وتحقيق مصالحه الفردية والجماعية، فإذا عجز

الفرد أو المجتمع عن حل مشكلاته وتحقيق مصالحه كان التساؤل عن الخلل في قدراته العقلية وأدائه الفكري والعلمي.

وإن كان قصور الفعل عن تحقيق المصالح والأهداف، واضطراب الأداء وتناقضه لا يعود فقط إلى نقص القدرات الذهنية والفكرية، بل قد يرتبط بمعوقات متنوعة سواء كانت اجتماعية أو بيئية أو اقتصادية، أو خلل في منظومة التكوين النفسي أو الأخلاقي، إلا أن عجز العقل عن تجاوز المعوقات، وركونه إلى تبني الفكر المضاد، فهو نتاج فشله في استثمار المنهج الرباني للتوصل إلى الحلول اللازمة لإصلاح الخلل، ويصبح فشله مؤشرًا واضحًا على اضطراب الفكر"[(١)].

وموضوع (الأمن) يحمل مجموعة من المفاهيم والمعاني التي تتداعى إلى الذهن، فهو يتعلق بالشعور الذاتي للإنسان، وهو إحساس بالاطمئنان ورغبة في التحرر من الخوف والقلق بناء على معطيات، وهذا ما يؤكده المفهوم اللغوي إذ يدل على الاستقرار والسكينة والراحة، والبُعد عن الخوف والقلق والاضطراب. قال صاحب "المفردات" أصل "الأمن" طمأنينة النفس وزوال الخوف[(٢)]، فإذا ما ارتبط الأمن بالفكر فلا بد له أن يرتبط بالإيمان والتوحيد ليكون الطريق صحيحًا وممهدًا، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

ثانيًا: الأمن الفكري وتأطيره الديني:

إن المتأمل في مجتمعات ما قبل الإسلام يلحظ أنها مجتمعات تغشى دنياهم سحابات الخوف والاضطرابات من كلِّ الجوانب...فمع غرقها في ظلام الوثنيَّة، والجهالة، والخُرافات، والاقتتال على أتفه الأسباب، والانتهاب والسطو وغارات القبائل، وقطع الطرق وسلب الأموال والممتلكات.... فتلك كانت أنماط حياتهم، ولقد استمرت تلك المفاهيم بين الشد والجذب لقرون طويلة.

---

(١) إعمال العقل من النظرة التجزيئية إلى الرؤية الكلية، صالح، لؤي، ص١٥. (بتصرف)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الراغب، ص ٣٦، مادة (أمن).

وفي ظل هذا الفراغ القيمي والأمني فكرًا وثقافة وواقعًا ظهرت بشاشات النور، وبوادر السلام، فقد بُعث النبيُّ ﷺ يحمل مشعل الأمن والسلام والإسلام، لتخبو نيران الظلم، ويضيء العالَمُ كلُّه بنُور الإسلام وضوئِه، ويؤكد أن الأمن في الفكر والحياة والسلوك والمجتمع أحد أبرز مقاصد رسالته السماوية.

ولقد أدرك المسلمون الأوائل أن تحقيق الوئام المجتمعي يبدأ من تحقيق سلامة الفكر والاعتقاد، فكانت المهمة الأولى والتي استمرت (١٣) عامًا وهي فترة الدعوة في مكة قائمة على تحرير العقل والفكر والثقافة من ضلالات الانحرافات والخيالات التي تشكل عوامل الضعف والتناحر.

ولقد كانت الهجرة النبوية بداية عصر جديد، أسس معالم السلم المجتمعي في ظل اختلاف الفكر والثقافة، والمتتبع للمراحل الأولى في العهد المدني يدرك أهمية تلك المرحلة وما حققته من تآلف ووحدة وتعاضد وإيثار بين المهاجرين والأنصار، كما يدرك ما حققه النبي ﷺ في الأيام الأولى في المدينة من سلام وأمن ومعاهدات حققت السلم المجتمعي بين جميع أفراد المجتمع.

وفي ظل التسارع التقني والتطور الحضاري، والتقارب الأيدولوجي، ظهرت مصطلحات جديدة تتعلق بالغزو الفكري، وآخر بالأمن الفكري، وثمت علاقة جديدة نشأت في الحياة المعاصرة وهي علاقة الدين بالأمن الفكري وإن كانت هذه العلاقة لدى العلماء والمفكرين المعتدلين، والدعاة الربانيين واضحة من حيث إن الدين هو أساس الفكر السوي الذي يعتمد مفهوم الدين بكلياته وجزئياته وقيمه هو أساس الأمن العام والفكري منه على وجه الخصوص، فإنه يؤمن أيضًا بأن الانحراف الفكري القائم على فهم مغلوط لحقائق الدين وقيمه خطر على الأمن الفكري وبالتالي السلم المجتمعي، وبمفهوم المخالفة يمكن القول أن تحقيق الأمن الفكري في حاجة ماسة إلى تناسق الأفكار وتصحيح المفاهيم لدى من ينجرف في تيارات تنقض القيم الدينية بناء على أصولها الكلية.

ولقد سعى المثقفون والكتاب والباحثون للبحث عن أسباب امن الثقافة والفكر، فترى مشارب عدة فمنهم من يقرنها بسعة المال، ومنهم من يقرنها بسلامة الصحة،

وآخرون يقرونها بشيوع الحب وراحة البال، وحتى إن اجتمع المال والصحة والحب وراحة البال!! فإن الواقع يبين قصور هذه النظريات، والعقل والمنطق والشرع يبرهن على أن حلاوة طعم الحياة الاجتماعية إنما يتحقق عندما يكون الإنسان آمنًا في مجتمعه، يستطيع تبادل المنافع مع الناس بكل حرية وطمأنينة، بل إن سعادة الدنيا ونعيمها في تحقيق الأمن قال ﷺ : "من أصبح منكم آمناً في سَرْبه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"[(١)].

ولا يمكن لأفراد المجتمع ـ أيضاً ـ أن يحصِّلوا المهارات، ويكتسبوا المعارف، ويبلوروا مواهبهم، ويُنَمُّوا طاقاتهم إلا في ظلال الأمن الوارف[(٢)].

وإن المتأمل في المفهوم الديني للأمن يجد أن "الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالح كلها، وحكمةٌ كلها، فكل مسألةٍ خرجتْ عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكْمة إلى العبَث، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل، فالشريعةُ عدلُ الله بين عباده، ورحمتُه بين خلقه، وظلُه في أرضه، وحكمتُه الدالةُ عليه وعلى صدق رسوله"[(٣)].

ولقد أولت الشريعة الإسلامية الأمن اهتمامًا كبيرًا، وجعلته أحد مقاصدها على المستوى الفردي والجماعي، بل كانت دعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ البقرة: ١٢٦، فلقد قدّم سيدنا إبراهيم طلب الأمن على طلب الرزق، وربطه بالإيمان، فالأمن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان، فاستجاب الله لدعاء نبيه وخليله، وجعل من مكة مستقراً وبلداً آمناً، وجعلها وطناً لنبيه ﷺ، وخاتماً لرسله من صفوة خلقه، ليحمل رسالة الهدى والأمن والأمان للعالَمين.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب القناعة، ١٣٨٧/٢ رقم ٤١٤١، وحسنه الألباني: السلسلة الصحيحة، ٣١٧/٥ برقم ٢٣١٨.

(٢) نظرية الأمن والإيمان، المصري، ص ١٤٣، حق المسكن والأمن، حسان، ص ١٣، أثر القرآن في حفظ الأمن، الخطيب، ٦/١، أمن الأمة، الجمل، ص ٣٠.

(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٣/٣.

كما وعد الله عزّ وجلّ المؤمنين بالأمن في حياتهم وآخرتهم إذا ما التزموا شريعته وعملوا بها على الوجه الصحيح، قال تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥، وقال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ الأنعام: ٨٢

فالأمن بمفهومه العام والفكري جزءٌ لا يتجزأ من الإسلام، وهو ما أكده النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه حين وفد عليه وعرض عليه الإسلام وطمأنه بالمستقبل المشرق للدعوة فقال ﷺ: "يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنّ الظَّعِينَة [1]، تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لا تَخَافُ أَحَدًا إلا اللَّهَ" [2].

ونبينا ﷺ لمّا منّ الله عليه بفتح مكة ذكر للناس ما ينالون به الأمن . مما يدل على أهميته عند المؤمنين والكافرين . فقال عليه الصلاة والسلام: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن" [3].

فالأمن نعمةٌ، واختلاله شرٌ ونقمة، بل إن اختلاله يؤثر حتى في العبادات . وهو الهدف الأول من خلق الإنسان .، ولهذا كانت صلاة الخوف مختلفة عن صلاة الأمن في صفتها وهيئتها، والوضوء واستقبال القبلة يسقطان عند وجود الخوف وذهاب الأمن، وتسقط بفقدها . نعمة الأمن . الجمعة والجماعة [4].

---

(١) الظعينة: بفتح الظاء المعجمة وكسر العين المهملة المرأة في الهودج وهو في الأصل اسم للهودج. انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٣٢/٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ١٣١٦/٣برقم ٣٤٠٠.

(٣) انظر: السيرة، لابن هشام، ٤٠١/٢، السيرة النبوية، ابن كثير، ٥٤٩/٣، عيون الأثر، ابن سيد الناس، ١٨٨/٢، السيرة الحلبية، الحلبي، ١٩/٣، الرحيق المختوم، المباركفوري، ص٤٠٧، نور اليقين، الخضري، ١٦٤/١.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية،٦٠٩/٢٢.

والحج كذلك يشترط في وجوبه على الإنسان أمن الطريق؛ فإذا كان الطريق غير آمن فلا يجب عليه الحج، فالمفاسد الكثيرة المترتبة على الاختلال الأمني هو الذي جعل بعض السلف يقول: "ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان "، قال ابن تيمية معلقاً: "والتجربة تبين ذلك"[(١)].

مما سبق يتجلى لنا بوضوح أن جوهر الشريعة الإسلامية إيمان وأمن يكْفُل عدالةً مطلقةً للبشرية جمعاء دون تمييز بين بني آدم الذين خلقوا من نفس واحدة لا فرق بينهم، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وأكرمهم عند الله أتقاهم، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعباده.

فديننا الحنيف، دين التسامح، والعدل والمساواة، وتحقيق مصالح العباد، وتوفير الوئام والسلام والأمن[(٢)]، فالأمن نعمةٌ عظيمة، لا يعرف قدرها إلا من فقدها ،، وهو مطلب الناس أجمعين.

(١) السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص ٢١٧، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٩١/٢٨.

(٢) نظم الأمن، عبد العزيز، ص ١٣.

المبحث الثاني: وسطية الهدي النبوي في ترسيخ الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

أولًا: أسس الأمن الفكري في الهدي النبوي.

إن المتأمل في السيرة النبوية يجد أنها أولت أمن العقل والجسد عناية فائقة، ويظهر ذلك من خلال القواعد الرئيسة لمنهجية التفكير، وتأسيه والتحذير من المغالاة، وضبط السلوك، وسلامة الفهم والقصد، مما يؤكد أهمية التفكير وأمن الفكر في المجتمع الذي يعيش فيه، ولقد سبق الإشارة إلى قوله :ﷺ "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"[(١)].

فالأمن على النفس، وسلامة البدن من العلل، وأمن الرزق، عوامل رئيسة بها يتحقق الأمن لدى الإنسان وتصبح بمثابة ملك الدنيا بأسرها، كما أن المتتبع لدواعي أمن الإنسان في السنة يجد لا تترك شاردة ولا واردة تهدد أمن الإنسان إلا وحذرت منها، فقد دعا الرسول ﷺ إلى كل عمل يبعث الأمن والاطمئنان في نفوس المسلمين، ونهى عن كل فعل يبث الخوف والرعب في جماعة المسلمين، حتى ولو كان أقل الخوف وأهونه، باعتبار الأمن نعمة من أجلِّ النعم على الإنسان.

وكان من دعاء النبي ﷺ ربه أن يؤمِّن روعاته، حيث كان يقول: "اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي"[(٢)]، فالخوف والروع، نقيض الأمن الذي يطلبه المسلم في دنياه وآخرته.

ولقد كان مبدأ العداوة والتخويف والإرهاب الذي عاناه المسلمون على يد مشركي مكة، قائم على رفض الاعتقاد والإيمان بالدين الجديد، والتوحيد، فالقضية قضية فكرية، وليست حرب على مال ولا على أرض، القضية تتعلق بقول جملة واحدة: (لا إله إلا الا الله)، ولقد واجه النبي وصحابته الكرام ألوانًا من التخويف والعدوان والإرهاب، وأوردت كتب السيرة ما لا يحصى من صور الاعتداء

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب القناعة، ١٣٨٧/٢ رقم ٤١٤١، وحسنه الألباني: السلسلة الصحيحة، ٣١٧/٥ برقم ٢٣١٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، من مسند عبد الله بن عمر، ٤٠٣/٨ برقم ٤٧٨٥، وابن ماجة باب ما يدعو الرجل حين يصبح، ٣٨/٥ برقم ٣٨٧٢.

والإرهاب الذي لقيه المسلمون على يد المشركين، ومع ذلك عند فتح مكة، لم يبادل المسلمون المشركين ظلمًا بظلم، ولا إرهابًا بإرهاب، فقد ترك لهم حرية الاختيار في الفكر والاعتقاد، وفتح لهم باب الأمان واسعًا، ومن هذا الباب دخل الناس في دين الله أفواجًا.. حبًا في وسطية هذا الدين الذي لا يرغم أحدًا على فكر ولا عقيدة.

لقد بلغت مرحلة الجاهلية وما قبلها في إرهاب الفكر وإنكار العقل مبلغًا دفع المسلمون إلى الهجرة تارة إلى الحبشة، وأخرى إلى المدينة المنورة، وأذن الله بقيام دولة الإسلام ليتحقق الأمن بمفهومه الشامل، كأول أهداف الدولة منذ قيامها.

ولما كان السلم المجتمعي أولى خطوات تحقيق الأمن، فقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكتب السنة والسيرة، صفحات مضيئة، تعبِّر عن مثل أعلى ضربه هؤلاء الأنصار لمن بعدهم من المسلمين، وإلى آخر الزمان، قال الله تعالى فيه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ ﴾ الحشر: ٩.

ومنذ المرحلة الأولى لبناء مجتمع خال من العدوات رغم اختلاف الفكر والثقافة والعقيدة عند بعضهم من غير المسلمين، فالأمن للجميع على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وما تم في أول وثيقة تنظم أمور المجتمع المسلم، وعلاقات أفراده فكرًا وسلامة أبدان وأموال في وثيقة أهم مبادئها: أن ذمة الله واحدة، يجير على المسلمين أدناهم، ومبدأ التعاون بين المسلمين وغيرهم، التعاون في رد العدوان عن الجميع.

ومن أبرز بنود تلك الوثيقة العامة: "من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة آمن، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن برَّ واتقى، ومحمد رسول الله"[(١)]، وهذ بند يحقق الأمن لجميع المسلمين وغير المسلمين، في خروجهم وبقائهم من غير ظلم ولا إثم.

ولأن طبائع البشر لا تجلب على القهر، ويغلب على النفوس المريضة منها حب السيطرة، فلم تسلم هذه الدولة الناشئة من مكائد أصحاب الفكر والتخوين، والمعارك

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ٥٠٣/١.

دومًا سجال بين الحق وشراذم الباطل وأعوانهم، ولكن الله تعالى أيد رسوله، وكتب له ومدينته الجديدة الأمان، وظل السلم محكومًا بهدنة الحديبية التي عقدها الرسول ﷺ مع المشركين في مكة، حتى ضاقت أفهام وعقول المشركين أن يستوعبوا تلك السعة التي جاء بها الإسلام، فنقضوا عهدها وانتهكوا شروطها بإعانتهم حلفاءهم على حلفاء النبي ﷺ، فكان على إثرها فتح مكة ودخل الرسول صلوات الله عليه وسلامه مكة، مانحًا الأمن لمن فيه، قائلًا: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"(١). فكان الأمان شاملاً لمن لم يقاتل أو لزم داره، أو دخل دار أبي سفيان، أو البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا.

إن رحلة الدعوة من بدء الرسالة وحتى فتح مكة أرست الأسس الفكرية والعلمية لمنهجية الهدي النبوي في الأمن الفكري والسلم المجتمعي وذلك على قواعد وأسس راسخة من أبرزها:

١) **التوحيد:** لأن توحيد الله تعالى أساس الدين والاعتقاد، يبنى على سلامة الفكر والتفكير والاختيار، وعليه مدار الفلاح في الدين والدنيا، وهو أساس الأمن في الدنيا والآخرة، قال ﷺ لابن عباس "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(٢).

فالتوحيد عاصم لصاحبه من الانزلاق في مهاوي التردي الفكري والقيمي، لأنه يضبط سلوك معتنقيه من خلال نظامه المحكم، والاعتقاد بالرقابة الداخلية لجميع

---

(١) أخرجه أبو داوود، باب ما جاء في خبر مكة، ٣/ ٦٣٤، وأخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" ٩/ ١١٨، وفي "معرفة السنن والآثار" ١٨٢٥٢ من طريق أبي داود.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، من مسند عبد الله بن عباس، ٤٠٩/٤ برقم ٢٦٦٩، والترمذي، باب، ٤٧٦/٤ برقم ٢٥١٦، وقال الألباني: صحيح.

أفراد المجتمع، فينحصر ترويج الفساد الفكري، وتنحصر فرص الالتقاء مع بأهداف مفسدين العقول والأفكار.

٢) تعظيم الحق وقبوله والانقياد له: وهذا الأساس في الهدي النبوي هو أصل الأمن الفكري، وفيه تجاوز التعصب والتقليد الأعمى، ومن ذلك قوله ﷺ لأبى هريرة في شأن ما قاله له الشيطان: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فلن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال ﷺ: "صدقك وهو كذوب ذاك شيطان"(١).

ومن ذلك إقرار النبي ﷺ بأن شعر لبيد كان أصدق كلمة قالها الشاعر على الرغم من أنه غير مسلم، فعن أبى هريرة مرفوعا: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد، ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد أمية ابن أبى الصلت أن يسلم"(٢).

ومثاله إجازة النبي ﷺ الرواية عن بني إسرائيل التي لا تتعارض مع ما جاء شرعنا، باعتبار أن ما روى عنهم ليس كله كذب، فعن أبى سعيد الخدري مرفوعاً: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، حدثوا عنى ولا تكذبوا، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"(٣).

وفي الأسباب التي تحول بين تقبل الحق، قال ابن القيم في كتابه "والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً فمنها: الجهل به، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ يونس: ٣٩، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فإن من جهل شيئًا عاداه وعادى أهله.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، ١٢٣/٤ برقم ٣٢٧٥.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، بدء الخلق، باب أيام الجاهلية، ٤٢/٥ برقم ٣٨٤١، ومسلم باب الشعر، ١٧٦٨/٤ برقم ٢٢٥٦.

(٣) متفق عليه، البخاري، باب إثم من كذب على النبي، ٣٣/١ برقم ١٠٧، ومسلم باب التحذير من كذب على النبي، ١٠/١ برقم ٢.

ومن ذلك بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ البقرة: ١٠٩.

ومنه كذلك: إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه، أو توهمه أو خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه بأن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته[١].

٣) **الأمر بالوحدة والألفة ونبذ الفرقة والاختلاف**: وهي ركيزة عظيمة في هذا الباب، وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ضرورة أن يكونوا أمة واحدة تربطهم أواصر الأخوة والمحبة حيث قال ﷺ : "لا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً"[٢]، وقال" :مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكي منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٣]، فأمر الوحدة والألفة والاجتماع متقرر معلوم، إلا أنه يحتاج إلى تأكيد وتكرار وغرس في العقول والقلوب، مع التحذير مما يخالفه ويهدده من تحديات ومنها: التعصب للحزبيات أو للجماعات، والصواب أن ينظر إلى القول لا إلى قائله، وأن تكون لدينا الشجاعة لنقد الذات، والاعتراف بالخطأ، والترحيب بالنقد من الآخرين، وطلب النصح منهم، والاستفادة من عند الآخرين من علم وحكمة، والثناء على المخالف فيما أحسن فيه، والدفاع عنه إذا اتهم بالباطل، أو تطاول عليه أحد بغير حق.

٤) **التوسط والاعتدال**: قال ﷺ: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[٤]. وقال ﷺ

---

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، ص ١٤.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب الفرائض، باب تعليم الفرائض،١٤٦/٨ برقم ٦٧٢٤، ومسلم باب النهي عن التباغض والتحاسد، ١٩٨٣/٤ برقم ٢٥٥٨.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم، ١٩٩٩/٤ برقم ٢٥٨٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ١٦/١ برقم ٣٩.

"إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين[١]، وقال للرهط: "أما والله إني أخشاكم لله، واتقاكم له، لكني أصوم وأفطر.

٥) **الثبات على المبادئ**: فإن الثبات على الحق يمثل أرضية صلبة لمواجهة الخلل الفكري ومحاولات التشكيك في سلامة الفكر والمعتقد، وقد قال ﷺ لخباب بن الأرت: "والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون"[٢]، وقال لأسامة" :أتشفع في حد من حدود الله، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعت يدها"[٣].

وإن كانت تحديات العولمة تعدت من إلغاء الحدود الجغرافية بين المجتمعات والدول في السلع والأفراد والوسائل إلي فرض الهيمنة والسيطرة للديمقراطية والرأسمالية العالمية وأنماط الحياة الغربية وقيمها، ومعها تحديات التقنية: فإن النظام الثقافي المسيطر على الواقع العالمي هو النظام السمعي البصري، وهناك مئات الأقمار الصناعية التي ترسل عبر شاشات الملايين من أجهزة التلفاز، رسائل غربية تستهدف تغريب المواطنين في عالمنا العربي والإسلامي عن مجتمعاتهم، فلا يعني هذا الانسياق في مهاوي الفتن والضلالات الفكرية والثقافية، بل علينا النظر والتأمل في تحقيق مقاصد الشرع وما استخلفنا الله تعالى على من سلامة العقل والنفس والدين.

٦) **التثبت والتأني وعدم التسرع في إصدار الأحكام**: وهو أمر قرره القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ الحجرات: ٦، وعن صفية بنت حيي قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ: "على

---

(١) أخرجه ابن ماجه، باب من أين ترمى جمرة العقبة، ٢٢٨/٤ برقم ٣٠٢٩، والنسائي، باب التقاط الحصى، ٢٦٨/٥ برقم ٣٠٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٢٠١/٤ برقم ٣٦١٢.

(٣) متفق عليه، البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ١٧٥/٤ برقم ٣٤٧٥، ومسلم، باب قطع يد السارق الشريف وغيره، ٣/ ١٣١٥.

رِسلكما، إنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله، قال إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا"(١).

ومنها تثبت النبي ﷺ في شأن ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة من خطأ جسيم في مكاتبته لقريش وبث أسرار المسلمين إلى عدوهم قبل الحكم عليه فاستدعاه وحاوره وسأله، وتثبت من وقوع الحدث، وعن الأسباب التي دفعته إلى ارتكاب الخطأ، وقبل عذره، وأحسن الظن به، وذكر من مناقبه شهوده بدرًا.

وفيها حسن معاملة المخطئ وحفظ كرامته، وذلك يكون أدعى لقبوله النصح ولا يتمادى في الخطأ، ولعل قصة الأعرابي الذي بال في المسجد وقوله ﷺ : "دعوه وأهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"(٢).

ومن ذلك: معاملة النبي ﷺ لمعاوية بن الحكم الذي تكلم في الصلاة جاهلاً بالحكم وقوله له: "إنما الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله عز وجل"، ومنها حسن معاملة النبي ﷺ لثمامة بن أثال مما دعا إلى إسلامه، وعفوه ﷺ عن أسامة حينما قتل رجلًا اجتهادًا منه، وأن الرجل قال لا إله إلا الله متعوذًا.

وكلها وسائل تؤكد المنهج النبوي ووسطية الإسلام في التعامل حالات التفكير والإقناع والاقتناع، والتوجيه، ليشعر صاحب الخطأ بفداحة خطئه، إلا أن ذلك لم يكن مدعاة لإهدار فضل صاحب الخطأ، ولا تقليلاً من مكانته، ويمثل هذا الصنيع غاية الإنصاف والعدل.

فخطأ أسامة رضى الله عنه لم يكن سببًا في فقدان مكانته، وعدم اعتبار ما لديه من مواهب وقدرات، فقد أمّره في آخر عمره على الجيش الذي كان فيه أكابر الصحابة رضى الله عنهم .

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه، ٣/٤٩ برقم ٢٠٣٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، ١/٥٤ برقم ٢٢٠.

وخطأ معاذ في إطالة الصلاة لم يمنع النبي ﷺ من أن يرسله إلى اليمن قاضيًا وحاكمًا ومفتيًا.

٧) **التشجيع على إبداء الرأي**، إنّ من أسس المنهج النبوي في تحقيق الأمن الفكري ما علّمه رسول الله ﷺ لأمته بسنته الفعلية العملية، التشجيع على إبداء الرأي، وإن كان يبدو مخالفًا، والإذن بالاعتراض إذا كان بقصد الاستيضاح والفهم وعدم التبرم بمن يسأل إذا كان سؤاله بقصد التعلم، والأمثلة في السيرة النبوية أكثر من ان تحصى، فمنها: ما روى ابن أبى مليكة أن عائشة كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتي تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: "من نوقش الحساب عُذِّب"، قالت عائشة، فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ الانشقاق: ٨، قالت: فقال: "إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك"[(١)].

وكما في حديث الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت؟ قال: نعم "قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، "قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: "فعل قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض"[(٢)].

وعن ابن عمر أن حفصة أخبرته أن رسول الله ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع، قالت حفصة: قلت للنبي ﷺ ما شأن الناس حلوا ولم تحل من عمرتك؟ قال: "إني قلدت هديي، ولبدت رأسي فلا أحل حتى أحل من الحج"[(٣)].

ولما نزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢ ﴾ الأنعام: ٨٢، قلنا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: " ليسَ كما تَظنُّونَ، إنَّما هو كما قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ، ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣ ﴾ لقمان: ١٣"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئا ولم يفهمه، ٣٢/١ برقم ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ١٤٦/٢ برقم ١٥٨٤.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت، ٩٠٢/٢ برقم ١٢٢٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين، ١٨/٩ برقم ٦٩٣٧.

٨) **كما تفرّد المنهج النبوي بما يعرف حق المراجعة**، والمراجعة في إبداء الرأي في أمر تقرر بالفعل أمر لا تستسيغه كثير من النفوس التي جبلت على الاعتزاز بما تراه، إلا أن هناك فرق بين التشجيع على إبداء الرأي الذي يكون في قول ما يراه المسلم ابتداء، وبين إبداء الرأي فيما سبق اعتماده وتقريره، ومن ذلك: مراجعة النبي ﷺ لله تعالى فيما فرض عليه من الصلوات في حديث الإسراء والمعراج الطويل، ومنها: مراجعة النبي ﷺ جبريل فيما أنزل من أحرف القرآن من حرف إلى سبعة أحرف[١]، ومنها: مراجعة عمر لرأى أبى بكر رضي الله عنهما في قتال مانعي الزكاة، ومنها: مراجعة زيد بن ثابت الشيخين حين كلفاه بجمع القرآن، ومنها: مراجعة بريرة النبي ﷺ عندما نصحها بالرجوع لزوجها الذى كان يحبها وكانت تبغضه هل هو أمر منه أم مجرد شفاعة؟

إنها أسس بنى عليها الإسلام حرية الفكر والمناقشة في ضوء التوجيه الرباني، والهدي النبوي في أجمل صوره، وأرقى طرائقه، وأيسر وسائله في ظل بناء قاعدة فكرية صحيحة خالية من التدليس والتشويه، تتميز بالوضوح والشفافية، وتتفرد بالصدق والإخلاص، وتقوم على العدل والإنصاف، وتساعدها حرية الرأي وحق الاعتراض والمناقشة دون تجريح أو تخوين أو تشويه.

ثانيًا: وسطية الهدي النبوي في تحقيق الأمن والسلم المجتمعي.

في زحام التسارع التكنولوجي والتقني، ومواكبة أحداث العصر المتلاحقة، وظهور كثير من التيارات الفكرية المتباينة، فكلٌ يدعي وصل بليلى، والكل ينسب نفسه للوسطية والاعتدال، وغالبًا ما يعنون هذا الوسط بين طرفي التساهل والتشدد، إلا أن التعلّق يجب أن يكون بالمعاني والتطبيقات لا بالألفاظ، فالعبرة ليست برفع شعار الوسطية والاعتدال وإنما بتحقّق ذلك المنهج على أرض الواقع، فالوسطية ليست موقفًا وسطًا بين متخاصمين، بل منهج شرعي له أصوله وأحكامه.

فالاعتدال منهج شرعي قائم على علم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والميزان الذي يضبط باب الاعتدال، ومنهج الاعتدال والتوسط في التوظيف المعاصر لهذا المفهوم لا

---

(١) انظر: حديث الإمام أحمد، من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب، ٣٥/١٠٣ برقم ٢١١٧٢

ينبغي كذلك أن يكون معبرًا لتمرير التبسيط والتهوين والاستطالة على الشرع وأحكامه.

وإذا أردنا الوقوف على أمن الفكر والعقل والتطبيق فليس هناك أفضل ولا أكمل من الهدي النبوي ليكون منهجًا صحيحًا لهذه الوسطية وطريق الاعتدال، فما كان منضبطاً بأقواله وأفعاله فهو المعتدل الوسطي، وما خالفها فقد جانب الصواب، ولقد كان المنهج النبوي رائدًا في بناء وتأمين التفكير السليم والحد من هذا الغلو، ومن ذلك:

دخل النبي ﷺ المسجدَ ذات يوم، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال متعجّبًا: "ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب بنت رسول الله ﷺ فإذا فترت تعلّقت به، فقال النبي ﷺ: "لا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُم نَشَاطَهُ، فإذا فَتَرَ فَلْيَقْعُد"[(١)].

وبينما كان النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: "مُرْهُ فَلْيَتَكَلّم، ولْيَسْتَظِلَّ، ولْيَقْعُد، ولْيُتِمَّ صَومَهُ"[(٢)]

ودخل النبي ﷺ يوماً على عائشة - رضي الله عنها- فإذا عندها امرأة، قال: من هذه؟ قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: "مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ"[(٣)].

ومرَّ رسول الله ﷺ على رجل يصلّي على صخرة، فأتى ناحية مكة فمكث مليًّا، ثم انصرف فوجد الرجل يصلى على حاله! فقام فجمع يديه ثم قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ - ثَلَاثًا- فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا"[(٤)].

ورأى النبي ﷺ شيخاً يهادى بين ابنيه، قال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي، قال: "إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ"، وأمره أن يركب[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب (باب) ٥٣/٢ برقم ١١٥٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك ومعصية، ١٤٣/٨ برقم ٦٧٠٤.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله، ١٧/١ برقم ٤٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه، باب المداومة على العمل، ٣١٤/٥ برقم ٤٢٤٠،

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب من نذر المشي إلى الكعبة، ١٩/٣ برقم ١٨٦٥، ومسلم، باب من نذر المشي إلى الكعبة، ١٢٦٣/٣ برقم ١٦٤٢.

تلك نماذج من التربية على القصد والاعتدال، وليست منعًا لمزيد من الاجتهاد التي حافزُهُا حبّ الخير وصدق النية، ولكن منعًا من غلوّ قد يفضي إلى أي زيادة تُفسد العبادة، وما يؤول إليه من ابتعاد عن منهجية الاعتدال والتوسط التى اتسمت بها رسالته الشريفة.

ثالثًا: من معالم الهدي النبوي في وسطية التفكير والعمل:

١) **التأكيد على سماحة الدين ويسره** :كان النبى ﷺ يبيّن للناس أن دينهم قائم على اليسر والسماحة، ويحثهم على ذلك:فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"[(١)]، وعن أنس - رضى الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا"[(٢)]، وقال: "أَحَبُّ الدِّين إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"[(٣)]، حتى أصبح التيسير مقصداً للنبي ﷺ يفضّله على غيره، فعن عائشة - رضى الله عنها- قالت: (مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ"[(٤)].

٢) **التنبيه على الاعتدال في العبادات**: وكان النبي ﷺ ينبّه أصحابه إلى هذا المعنى في بعض العبادات: ففي قراءة القرآن، كان يقول: "اقْرَؤوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ"[(٥)]، ويؤكّد على هذا المعنى في بعض أجزاء العبادات التفصيلية، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله ﷺ غداةَ العقبة وهو على راحلته: "هَاتِ الْقُطْ لِي، فلقطتُ له

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ١٦/١ برقم ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم، ٢٥/١ برقم ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ١٦/١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، ١٦٠/٨ برقم ٦٧٨٦.

(٥) أخرجه الإمام أحمد، من حديث عبد الرحمن بن شبل،٤٤١/٢٤ برقم ١٥٦٧٠،وأبو داوود،باب كسب الأطباء، ٢٩٤/٥.

حصيات هنّ حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال: بِأَمْثَال هَؤُلَاءِ، وإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّين"[(١)].

ولما قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: يا رسول الله إنّي أجدُ قوّةً، قال: "فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟ قَالَ: نِصْفَ الدَّهْرِ. فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ "[(٢)].

وكان ذلك صفة عبادته عليه الصلاة والسلام، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: "كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا"[(٣)].

٣) **النهي عن الغلو، والتحذير من كل اجتهاد يتجاوز منهج الاعتدال النبوي:**

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا"[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَاكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَال مَا تُطِيقُونَ"[(٥)].

وعن عائشة - رضي الله عنها- أنّها قالت: سُئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: "أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ" وَقَالَ: "اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ"[(٦)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، من مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ٣/٣٥٠ برقم ١٨٥١، والنسائي باب التقاط الحصى، ٥/٢٦٨ برقم ٣٠٥٧.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ٣/٣٩ برقم ١٩٧٥.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٢/٥٩١ برقم ٨٦٦.

(٤) أخرجه الإمام مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ٤/٢٠٥٥ برقم ٢٦٧٠.

(٥) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، ٢/٧٧٤ برقم ١١٠٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ٨/٩٨ برقم ٦٤٦٥.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا"[(١)].

ولما آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، زار سلمان أبا الدرداء، فأنكر عليه ما وجده من زيادة في الاجتهاد وقال له: إنّ لربّك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأَعْطِ كلّ ذي حقّ حقّه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: "صَدَقَ سَلْمَانُ"[(٢)].

ولما جاء حنظلة - رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ فقال: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّار وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْن، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْر، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً" "ثلاث مرات"[(٣)]، وهي سنّة نبوية كان صحابة النبي ﷺ يكثرون من تنبيه الناس عليها: فعن أنس رضي الله عنه قال: "كنّا عند عمر فقال: نُهيْنَا عن التكلّف"[(٤)].

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- قال: "تعلّموا العلم قبل أن يُقبض، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإيّاكم والتنطّع والتعمّق والبدع، وعليكم بالعتيق"[(٥)].

٣) التأكيد على أنّ الاعتدال أقرب للتقوى وأكثر خشية لله: إن التيسير والقصد سمة هديه ﷺ، ظنّ بعض الصحابة أنّ سبب هذا راجع لمقامه ﷺ وما ناله من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ٩٨/٨ برقم ٦٤٦٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه فليفطر في التطوع، ٣٨/٣ برقم ١٩٦٨.

(٣) أخرجه الإمام مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، ٢١٠٦/٤ برقم ٢٧٥٠.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الدعوات، باب ما يكره من كثرة السؤال والتكلف فيه، ٩٥/٩ برقم ٧٢٩٣.

(٥) أخرجه الدارمي، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ٢٥١/١ برقم ١٤٤.

مغفرة، فأنكر عليهم النبي ﷺ هذا الأمر، وأكّد عليهم أنّ هذا المنهج المعتدل هو الأتقى والأعظم خشية وطاعة لله: فعن أنس رضي الله عنه أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَام قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"(١).

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سُئل عن صومه، قال: فغضب رسول الله، فقال عمر: رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا، وببيعتنا بيعة، قال: فسئل عن صيام الدهر، فقال: "لَا صَامَ ولَا أَفْطَرَ" أو "مَا صَامَ ومَا أَفْطَرَ"(٢).

ولما أراد بعض الصحابة التفرغ للعبادة وترك الزواج نهاهم النبي :ﷺ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لقد ردّ ذلك يعني النبي ﷺ على عثمان بن مظعون، ولو أجاز له التَّبَتّلَ لاخْتَصَيْنَا"(٣).

وإن المتتبع لما سبق من نهي عن التبتل، أو الغلو في العبادة، أو في السلوك، إنما يؤكد ان الهدي النبوي في بناء التفكير قائم على التوسط والاعتدال، وذلك وفق أسس وقواعد من أبرزها:

٤) **العمل على علم ونبذ الجهل والتخلف**: فالجاهل قد تحضره المعلومة ولا يعمل بها، أما المتخلف فهو الذي تغيب عنه المعلومة، ويعد أهم عوائق التفكير السليم، ولقد حث المصطفى ﷺ على التخلص من الجهل والضلالة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"(٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ١٠٢٠/٢ برقم ١٤٠١.

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ٨١٩/٢ برقم ١١٦٢.

(٣) أخرجه الإمام البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والاختصاء، ٤/٧ برقم ٥٠٧٣.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب العلم، باب فضل طلب العلم، ٢٨/٥ برقم ٢٦٤٦، وقال الألباني صحيح.

٥) النهي عن التقليد الأعمى وأن يكون المرء إمعة: وهو السلوك الذي يلغي ويعطل فيه الإنسان تفكيره، ويركن إلى تفكير غيره، كما قال تعالى عن تقليد الآخرين: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الشعراء: ٧٤

كما أن الإمعي غالبًا ما يتبع الأقوى في نظره ويميل حيث تميل الريح، ولقد حذّر المصطفى ﷺ من هذه الحالة، فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا"[(١)].

النهي عن الخرافات والعصبية البغيضة: إذ تعد عائقًا رئيسًا من عوائق التفكير السليم، ولقد جاءت السنة النبوية لتصحح المفاهيم، ولتضع هذه المفاهيم ضمن سياقها الطبيعي، فعَنْ أَبِى بَكْرَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُول اللَّهِ ﷺ، فَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ النَّبِي ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْن حَتَّى انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ ﷺ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَان لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا، وَادْعُوا، حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ"[(٢)]، وفيما يتعلق بالتطير، جاءت السنة النبوية لتصحح المفاهيم الخاطئة فيما يتعلق بذلك، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لاَ عَدْوَى، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ صَفَرَ"[(٣)].

أما في النهي عن العصبية: فقد وقف النبي من العصبية موقفًا حازمًا، فعَنْ جُبَيْر بْن مُطْعِم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ"[(٤)].

٦) البعد عن الهوى والابتداع: إن الهوى من أهم عوائق التفكير السليم، بل لقد بين لنا المصطفى ﷺ خطورة اتباع الهوى، فعن أَبِى الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَالَ "حُبُّكَ

---

(١) أخرجه أبو داوود، كتاب باب ما جاء في الإحسان والعفو، ٣٦٤/٤ برقم ٢٠٠٧ن وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الألباني: ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أبواب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، ٣٣/٢ برقم ١٠٤٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة، ١٣٥/٧ برقم ٥٧٥٧.

(٤) أخرجه أبو داوود، كتاب أبواب النوم، باب في العصبية، ٣٣٢/٤ برقم ٥١٢١ وقال الألباني ضعيف.

الشَّىْءَ يُعْمِى وَيُصِمُّ"[1]، قال العظيم آبادي: "قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي: قيل- في الهوى- يعمي عن عيوب المحبوب، وقيل يعمي عن كل شيء سوى المحبوب"[2].

وكما أن الهوى يعمي ويصم وباصطحاب فالابتداع يضع النهج البشري بدل المنهج الشرعي، وجاءت السنة النبوية لترفض الابتداع في الدين، فعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[3].

إن من أهم وظائف التفكير الإنساني الحكم على الأشياء بناء على أحكام الشريعة تحسينًا أو تقبيحًا، والدارس لسيرة المصطفى ﷺ يجد أنه أولى أهمية قصوى لأهمية التفكير السليم لسلامة الفرد والمجتمع، كما أن تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي من خلال الهدي النبوي يجب أن يبنى على فهم الهدي النبوي في ترتيب أولويات وسلامة التفكير.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد، من حديث أبي الدرداء، ٢٤/٣٦ برقم ٢١٦٩٤، وأبو داوود باب في الهوى، ٣٣٤/٤ برقم ٥١٣٠، وقال الألباني ضعيف.

(2) عون المعبود، ٣٨/١٤، ٣٩، وقال الحافظ العلائي: هذا الحديث ضعيف لا ينتهي إلى درجة الحسن أصلاً ولا يقال فيه موضوع.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ١٨٤/٣ برقم ٢٦٩٧.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

من خلال ما تم استعراضه من الهدي النبوي ووسطيته في سلامة الأمن الفكري والسلم المجتمعي، يمكننا استخلاص ما يأتي:

١) إن الهدي النبوي يشمل جميع شؤون الحياة ودقائق الأمور وخصائصها، بدءًا من أخص خصائص الإنسان وهي العلاقة الزوجية الناشئة مرورا بتفاصيل كافة ما يعايشه الإنسان وصولاً إلى العلاقات الدولية.

٢) إن الأمن يعنى الطمأنينة وعدم الخوف، كما تعني الثقة والهدوء النفسي، إضافة إلى راحة القلب وعدم وقوع الغدر أو الخيانة من الغير.

٣) إن الأمن شعور المجتمع وأفراده بالطُّمأنينة، والعيش بحياة طيبة، من خلال إجراءات كافية يمكن أن تزال عنهم الأخطار، أيًّا كان شكلها وحجمها، حال ظهورها، ومن خلال اتِّخاذ تدابير واقية.

٤) إن الفكر هو إعمال النظر والتأمل في مجموعة من المعارف لغرض الوصول إلى معرفة جديدة، وهو بهذا عملية يقوم بها العقل أو الذهن بواسطة الربط بين المدركات أو المحسوسات واستخراج معانٍ غائبة عن النظر المباشر.

٥) أن الأمن الفكري يعني أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية.

٦) إن الأمن الفكري يتعلَّق بالعقل، والعقل هو آلة الفكر، وأحد طرائق بناء الحضارات، والمحافظة على العقل وحمايته من المفسدات والمؤثرات الحسِّية والمعنوية، أحد مقاصد الشريعة الإسلامية.

٧) إن الأمن الفكري يرتبط بالوعي والفهم والإدراك واليقظة في مراحل التفكير ومنطلقاته، ومعه الفهم الواعي لكليات الشريعة والتعاليم والمبادئ والقيم والأعراف.

٨) أن تحقيق الوئام المجتمعي يبدأ من تحقيق سلامة الفكر والاعتقاد لجميع أفراده.

٩) أن جوهر الشريعة الإسلامية إيمان وأمن يكْفُل عدالةً مطلقةً للبشرية جمعاء دون تمييز بين بني آدم الذين خلقوا من نفس واحدة لا فرق بينهم، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وأكرمهم عند الله أتقاهم، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعباده.

١٠) أن التوحيد عاصم لصاحبه من الانزلاق في مهاوي التردي الفكري والقيمي، لأنه يضبط سلوك معتنقيه من خلال نظامه المحكم، والاعتقاد بالرقابة الداخلية لجميع أفراد المجتمع، فينحصر ترويج الفساد الفكري، وتنحصر فرص الالتقاء مع بأهداف مفسدين العقول والأفكار.

١١) أن الوحدة والألفة ونبذ الفرقة والاختلاف ركيزة عظيمة من سلامة الأفراد والمجتمعات.

١٢) أن الإسلام أسس أسسًا لحرية الفكر والمناقشة في ضوء التوجيه الرباني، والهدي النبوي في أجمل صوره، وأرقى طرائقه، وأيسر وسائله في ظل بناء قاعدة فكرية صحيحة خالية من التدليس والتشويه، تتميز بالوضوح والشفافية، وتتفرد بالصدق والإخلاص، وتقوم على العدل والإنصاف، وتساعدها حرية الرأي وحق الاعتراض والمناقشة دون تجريح أو تخوين أو تشويه.

١٣) أن الاعتدال منهج شرعي قائم على علم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والميزان الذي يضبط باب الاعتدال، ومنهج الاعتدال والتوسط في التوظيف المعاصر لهذا المفهوم لا ينبغي كذلك أن يكون معبرًا لتمرير التبسيط والتهوين والاستطالة على الشرع وأحكامه.

المراجع:

١) أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن للدكتور/ عبدالقادر بن ياسين الخطيب الأستاذ المساعد بجامعة الأمير سلطان. قسم العلوم العامة العام الدراسي ١٤٢٦م.

٢) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الزمخشري، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م

٤) إعمال العقل من النظرة التجزيئية إلى الرؤية الكلية، صافي، لؤي، دار الفكر، دمشق، ط١/ ١٩٩٨م.

٥) أمن الأمة من منظور مقاصد الشريعة تأليف: احمد محمد عبدالعظيم الجمل، دار السلام، القاهرة، ط١/ ٢٠٠٩م.

٦) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به. د/عبد الله التركي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.

٧) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط:١/ مصر، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، ١٣٠٦ه.

٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، (ت ١٣٥٣هـ)، (بلا. ط)، دار الكتب العلمية، (د.ت).

٩) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت١٤٢٧هـ)، دار الهلال، بيروت، ط١/ د.ت.

١١) السياسة الشرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢) السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٢٧هـ.

١٣) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق :مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٩٧٦ م

١٤) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت٢١٣هـ) تحقيق :مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثانية، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

١٥) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط:١، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١١٩٩٧م.

١٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤١٥هـ.

١٧) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت٧٣٤هـ)، تعليق :إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الأولى، ١٤١٤/ ١٩٩٣م.

١٨) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد ابن يعقوب، (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، (بلا. ط.)، دار الفكر، بيروت، ودار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م.

١٩) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ابن منظور، (ت٧١١ ه)، ط ١. دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٠) مجموع الفتاوى، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مصورة عن الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٢١) مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر، (ت ٧٢١هـ)، تحقيق محمود خاطر ط/ مكتبة لبنان ناشرون بيروت سنة ١٤١٥هـ. وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥/ الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢) المصباح المنير، الفيومي، أحمد محمد، ط١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٧١م.

٢٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية /دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (بلا/ ط.) ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٥) المنجد في اللغة والأعلام. لويس معلوف، دار المشرق، بيروت. ط/٢٨، ١٩٧٣م.

٢٦) الموافقات؛ الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، تعليق: عبدالله دراز، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٧) ميلاد مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، ط٣/ ١٩٨٦م.

٢٨) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الرابعة هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية، دار المنار، باب اللوق، القاهرة، د.ت.

٢٩) نظرية الأمن والإيمان، م. عبد الوهاب المصري، الدار المتحدة بدمشق، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م

٣٠) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء، دمشق، ط٢/ ١٤٢٥هـ.

٣١) الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، بسيوني، محمود شريف، المجلد الثاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣م.